المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق



الجزء الأول

سيرة الملك الظاهر بيبرس

حسب الرواية الشامية

حقّقه وعلّق عليه

جورج بوهاس كاتيا زخريا

سيرة الملك الظاهر بيبرس

صورة الغلاف : صورة شعبية مدهونة على الزجاج مربعة الشكل للملك الظاهر ومجموعة من أعوانه وفي الأسفل يظهر جَوان مُقيد الأيدي تنزف دماؤه، قياس ٦٠ب٦٠ سم، رسم أبو صبحي التيناوي – ١٩٠٨، محفوظة في قصر العظم بدمشق.

المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق
ص ب ٣٤٤ دمشق، سورية
هاتف : ٣٣٣٠٢١٤ (١١ ٩٦٣)
فاكس : ٣٣٢٧٨٨٧ (١١ ٩٦٣)
www.univ-aix.fr/ifead
ifead@net.sy

P.I.F.D. 182
ISBN 2-901315-59-3

سيرة الملك الظاهر بيبرس

حسب الرواية الشامية

الجزء الأول

حققه وعلق عليه

جورج بوهاس   كاتيا زخريا

DL- 04.10.2000 39394

وإنما مثل هذا الكتاب مثل المائدة تختلف فيها مذاقات الطعوم
لاختلاف شهوات الآكلين وإذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج
أو وصف فاحشة فلا يحملنّك الخشوع أو التخاشع على أن تصعر خدك
وتعرض وجهك فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم وإنما المائم في شتم الاعراض
وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب.[...] وكذلك اللحن إن مرّ
بك في حديث من النوادر... (ابن قتيبة، *كتاب عيون الأخبار*)

مقدمة

من المعروف أن السير الشعبية بشكل عام، والسير الشعبية بلغات العرب بشكل خاص، قلّما تحظى باهتمام الباحثين الجامعيين. وقد يتساءل القارئ عما دعا باحثين، يعملان في جامعتين فرنسيتين، (يصب أولهما اهتمامه في ميدان اللغة والنحو واللسانيات، وتصبه ثانيتهما في حقل أدب التراث)، إلى نشر إحدى مخطوطات *سيرة بيبرص*[1]، محتفظين بنصها على ما هو عليه، دون تنقيح ولا تصحيح، رغم مخالفته قواعد اللغة الفصحى وأصولها بشكل متواتر.

فنقول لذلك القارئ إن قيمة أدب التراث الجمالية والفكرية والحضارية بغنى عن التعريف، إلا أنه خطاب وضعته الخاصة لمخاطبة الخاصة، وكثيرا ما عبرت فيه عن ازدرائها للعامة: ألم يشبه عبد الحميد بن يحيى الكاتب، أحدُ أهم مؤسسي نثر التراث، في رسالته المعروفة إلى الكتّاب، سياسةَ العامة بسياسة البهائم؟

وقد بدا لنا من الطريف والمفيد أن نعير هذه العامة شيئا من اهتمامنا، مازجين، على طريقة الأدباء، الجد بالهزل. فقد أردنا أن نتعرف إلى طريقة العامة في استيعاب الأخبار التاريخية لتحويلها إلى أحداث خيالية خارقة. وأردنا كذلك أن نتوقف عند أساليبها السردية وعلاقتها باللغة (على سبيل المثال كيف يُمزَج الفصيح بالركيك والعربي بالأعجمي والإعراب الصحيح باللحن، إلخ...). وأردنا أخيرا

١- كذا في المخطوطة. وهو الملك الظاهر بيبرس. وسنذكر ترجمته في القسم التالي من المقدمة.

التعرف إلى قيمها الأخلاقية والاجتماعية كما تعبر عنها بنفسها وليس كما تصورها لنا وتنقلها إلينا الخاصة. وقد كان من بين أهم الخلفيات النظرية التي دفعتنا إلى القيام بهذا العمل فكرتان أساسيتان. أولاهما أن تحديد مفهوم الأدب في عصرنا هذا بحاجة إلى التوسيع إذ نعدّ حقلا آخر، إلى جانب حقلي الأدب التراثي والأدب المعاصر(كما يحددان عادة)، وهو حقل الأدب الشعبي (القديم والجديد) الذي يكوّن جزءا هاما من التراث الأدبي بلغات العرب والذي يشكل أدبا بكل معنى الكلمة؛ خاصة، أن التفاوت في المستويات اللغوية وأنواع اللغة المستعملة لا تقتصر عليه السير الشعبية العربية وإنما هو من خصائص الأدب العالمي في كافة مراحله وأنواعه.

أما فكرتنا المسبقة الثانية فهي التالية : الحضارة العربية الإسلامية (شأنها في ذلك شأن كل الحضارات الإنسانية) تحوي العامة في رَحِمها بقدر ما تحوي الخاصة. فبناء على ذلك، لا بد أن تكون نظرة العامة إلى أهم التساؤلات والمخاوف المصيرية في أدبها الشعبي، نظرة توأمية لِما تعبر عنه الخاصة في جواهر نصوصها. وخلافا لمن يرى في الأدب الشعبي منافسا خطيرا لأدب التراث يزعزع أصوله ويقلل من شأنه ويبدل قيمه، يبدو لنا أن الأدبين ما هما إلا وجها حضارة واحدة حمل كل منهما صوتها إلينا على طريقته الخاصة.

فلنتعرف الآن إلى الطريقة التي نُقلت بها إلينا سيرة الملك الظاهر بيبرس عبر القرون. إنّ مخطوطات السيرة عديدة، يعود أقدمها - على حد علمنا - إلى القرن السادس عشر الميلادي (مخطوطة مكتبة الفاتيكان). وأكثر هذه المخطوطات محفوظ في مكتبات أوروبية مختلفة. وقد طبعت السيرة المصرية باللغة العربية بعد تنقيحها في الربع الأول من القرن العشرين. أما النسخة العربية التي يستطيع القارئ الحصول عليها اليوم، في شوارع دمشق أو القاهرة، فهي تلخيص مفصل للسيرة، فقط لا غير. وينبغي أن نشير إلى أن قسما من مخطوطة حلبية للسيرة قد ترجم إلى اللغة الفرنسية[٢].

٢- ترجمه وعلق عليه جورج بوهاس وجان باتريك غيّوم.

تم نسخ المخطوطة التي ننشر هنا جزأها الأول (وهي في مكتبة المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق) في بداية عام ١٩٤٩ . وقد قام بنسخها محمد أديب المكّاوي. ويعدّ نص هذه المخطوطة، الدمشقية الأصل، مطابقا لرواية آخر حكواتي مارس مهنته على الطريقة التقليدية في العاصمة السورية[٣]. وإضافة إلى هذا، فالمخطوطة كاملة، نعني بذلك أن الكراريس كافةً متوفرة من ناحية، ومن ناحية أخرى أن سيرة بيبرس المتخيّلة تامة.

بعد أن صممنا على نشر هذه المخطوطة دون تشويهها بهدف تصحيحها، بدا لنا من الضروري إيجاد وسيلة مناسبة لتحويلها إلى كتاب مطبوع، سهل القراءة ومشوق، يتذوقه القارئ الناطق باللغة العربية أياً كانت لهجته أو لغته الأم. فرأينا من الضروري إدراج بعض التعديلات الشكلية والهوامش السفلية، وذلك وفقا للمنهج الآتي :

١) من النص المخطوط إلى النص المطبوع

تقطيع النص إلى مقاطع

قطّع الناسخ نص المخطوطة في بعض الأحيان بعلامة هي : *** فأدرجنا مقطعا في النص كلما وردت هذه العلامة في المخطوطة مضيفين إلى ذلك بشكل دائم مقاطع كلما ورد في النص :

- « قال الراوي » فتصبح « قال الراوي : »
- « قال » [وفاعلها الراوي] فتصبح « قال... »
- « أما فلان »، وضعناها دائما في أول مقطع جديد.

وأضفنا مقطعا كلما نُقل نص رسالة قرأها أحد الأبطال.

وإضافة إلى هذا التقطيع أدرجنا في بعض الأحيان القليلة تقطيعا إضافيا كلما شعرنا بأن طول الفقرة المسرِف لا بد أن يثير ملل القارئ.

٣- قد يقع الزائر في بعض مقاهي دمشق اليوم على «حكواتي» إلا أن وظيفة هذا الأخير أصبحت سياحية أكثر منها اجتماعية.

العناوين

ذكرنا جميع العناوين المرحلية التي أدرجها الناسخ في المخطوطة ولم نهمل إلا ما ورد في بداية بعض الكراريس من بسملة ومخاطبة للقارئ، المطلوب منه ألا يمزق النص أو يشوهه مهما كان رأيه فيه. وقد أدرجنا بين قوسين من هذا الطراز[ ] عناوين إضافية بدت لنا مفيدة.

علامات التنقيط

أدخلنا على النص علامات تنقيط مختلفة، ينبغي أن نشير، قبل وصفها، إلى أن اختيارها قد تم انطلاقا من قراءة النص جهرا.

- النقطة (.)، كلما انتهت وحدة مفيدة مكونة من مجموعة وحدات متكاملة.
- الفاصلة (،) بين الوحدات المتكاملة المذكورة أعلاه.
- النقطة الفاصلة (؛) إذا انتقل متكلم من موضوع إلى آخر قبل أن ينتهي من الكلام أو إذا قام شخص بفعلين متتاليين مرتبطين في هذا الإطار السردي دون أن تكون لهما صلة منطقية جلية.
- النقطتان (:) في حالات ثلاث : كلما تكلم أحد الأبطال، أو كلما نقل، وهو يتكلم، كلام غيره، في نهاية المقاطع التي يليها نص رسالة منقولة بحذافيرها.
- علامة الاستفهام (؟) : كلما طرح أحد الأبطال سؤالا.
- علامة التعجب (!) : عند التعبير عن التمني، أو اللعنة، أو القَسَم. أو عند استعمال صيغة التعجب. أو إذا بدا بشكل جلي أن معنى النص يهدف إلى إثارة الإعجاب أو الدهشة.

إضافة الحروف الناقصة في المخطوطة

- أضفنا في نهاية الفعل الماضي والمضارع الغائب في صيغة الجمع، كلما أهمل الناسخ كتابة الألف الختامية، هذه الإشارة : [ا]. وذلك للتأكيد على أن

الواو ساكنة. وبما أن النص لا يدخل تمييزا بين «فعلو» و «يفعلو» رأينا أن نكتفي للاثنين بإشارة واحدة؛ أي أن القارئ سيجد في الحالتين: «فعلو[ا]» و «يفعلو[ا]». يعني ذلك أن الواو التي تظهر في نهاية الكلمات هي إما واو أصلية (مثلا: يتلو) وإما واو وضعت في محل الضمير (مثلا «معو» عوضا عن «معه»)

– أدرجنا بين قوسين من هذا الطراز [ ] حرفا في وسط الكلمة أو في نهايتها إذا كان الخطاط قد نسيه أو أهمله، كلما اعتبرنا أن الحرف ضروري لقراءة اللفظة المعنية (مثلا: [ا]لمجمع؛ يتحا[د]ثوا).

تبديل الحروف والإملاء

من خصائص المخطوطة أن نصها قائم بشكل واضح على «تأرجح» مستمر في الأصوات والإملاء بين خصائص اللهجة السورية أو المصرية العامية واللغة العربية الفصحى؛ والى جانب ذلك تظهر أيضاً لغة الإفرنج ورطنة الأتراك، إلخ. فبدا لنا أن نترك النص على ما هو عليه، لما يفتحه من أبواب للبحث ويطرحه من أسئلة حول اللغة، واثقين بإمكان القارئ تقويمُ الأصوات (مثلا يفهم «صندوق» وإن كانت مكتوبة «سندوق») ومدرجين حاشية سفلية إذا كان هذا التأرجح يؤدي إلى التباس (مثلا لما ورد في النص «يتثامر»، كتبنا في الحاشية السفلية: كذا، «يتسامر»). وبناء على ذلك فقد اعتمدنا كتابة المفردات كما جاءت على يد الناسخ، محتفظين على الحركات الأصلية ولو كانت غير مناسبة لحركات الفصحى. من هنا مثلا كتابة الهمزة التي تخالف أحيانا قواعد كتابتها في اللغة الفصحى، أو لصق الألفاظ التي تكوّن بعض العبارات المصطلحة (مثلا: «اينعم» عوضا عن «إي، نعم»). كما اننا احتفظنا بكتابة التاء النهائية (أتت التاء المربوطة أحيانا على شكل الهاء وأحيانا على شكل التاء المفتوحة، خصوصاً عند الإضافة). كما احتفظنا بكتابة الياء النهائية على شكل الألف المقصورة. ولم نعتمد التصحيح في الحواشي السفلية إلا عندما لاحظنا أن الإملاء الذي اعتمده الناسخ يمنع القراءة السليمة أو عندما وجدناها تحوّل معاني الإشارات الدينية أو الاقتباسات القرآنية (مثلا: أشرنا إلى أن كتابة: «الله واكبر» ترجع طبعا إلى: «الله أكبر»).

الألفاظ الناقصة من المخطوطة أو غير المقروءة

واجهنا في حالات نادرة صعوبة في قراءة بعض الألفاظ. فأوردنا في النص عوضا عنها، العلامة التالية : [...] ووضحنا في حاشية سفلية : كلمة غير مقروءة. وقد صادفنا مرتين نقصا مقتضبا في السرد (تبيّناه من تفكك الأحداث وبمقارنتها بالأحداث المقابلة في المخطوطة الحلبية). وقد أوردنا بين قوسين من هذا الطراز [ ] إشارة إلى وجود نقص في المخطوطة ولخصنا الأحداث انطلاقا مما ورد في المخطوطة الحلبية.

العبارات الدينية

كلما وردت عبارة دينية في النص بشكل عبارة اعتراضية، أدرجناها بين خطين (مثلا : — ما شاء الله —)، أما إذا كانت العبارة من مكونات الخطاب فاعتبرناها جزءا من أجزائه.

٢) الحواشي السفلية

أهم مصادر مراجعة النص وتدوين الحواشي السفلية

ابن منظور، *لسان العرب المحيط*، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.

خير الدين الزركلي، الأعلام، *قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين*، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٩، ٨ أجزاء.

عمر كحاله، معجم *المؤلفين*، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٣، ٤ أجزاء.

محمد سعيد القاسمي، جمال الدين القاسمي، خليل العظم، *قاموس الصناعات الشامية*، حققه وقدم له ظافر القاسمي، أعاد طبعه طلاسدار.

ياقوت الحموي، معجم *البلدان*، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧، ٥ أجزاء.

أقراص للحاسوب :

من إنتاج مؤسسة صخر قرصا القرآن الكريم ومسانيد الحديث الشريف.

BARTHÉLEMY, A.,
Dictionnaire arabe français, dialectes de Syrie : Alep, Damas, Liban, Jérusalem, Geuthner, Paris, 1935-1960 (5 fascicules et fascicule complémentaire).

CORNU, G.,
Atlas du Monde arabo-islamique à l'époque classique, CNRS, Institut du Monde Arabe, Brill, Paris, Leyde, 1983.

DENIZEAU, Cl.,
Dictionnaire des Parlers arabes de Syrie, Liban et Palestine (supplément au dictionnaire arabe-français de A. Barthélemy), Maisonneuve, Paris, 1969.

DOZY, A.,
Dictionnaire détaillé des noms de vêtements chez les Arabes, Jean Müller, Amsterdam, 1845, réédition Librairie du Liban, s. d.

Encyclopédie de l'Islam,
Nouvelle édition, Maisonneuve et Larose, Brill, Leyde, Paris.

KAZIMIRSKI, A., de BIEBERSTEIN,
Dictionnaire arabe français, Maisonneuve, Paris, 1860, réédition Librairie du Liban, Beyrouth, s. d.

REDHOUSE, J.,
A Turkish and English Lexicon, A. H. Boyajian, Constantinople, 1890, réédition Çari Yayinlari, Istanbul, 1978.

WEHR, H.,
A Dictionary of Modern Written Arabic, ed. by J. M. Cowan, Otto Harrassowitz, Wiesbaden, 1961.

جاءت الحواشي السفلية لتساعد القارئ على فهم النص ولتلفت انتباهه إلى الصلة الوثيقة بين هذه السيرة الشعبية والخلفيات الحضارية والدينية العربية الإسلامية. فالمساعدة على القراءة تدور مثلا حول شرح بعض الكلمات العامية التي لا يمكن الوصول الى معانيها بالعودة إلى الفصحى أو إلى الحروف الأصلية (مثلا : يصطفل أو قطرميز)، وشرح المفردات والعبارات المأخوذة من اللغتين التركية والفارسية، أو من لغة الإفرنج، بل أحيانا من العبرية.

أما الخلفيات الحضارية والرمزية، فقد حاولنا، كلما كان الأمر ممكنا، التعريف بالأمكنة وبالشخصيات التاريخية، علما بأننا لا نهدف بذلك إلى خلط الواقع بالخيال وإنما نريد الإشارة إلى جذور الخيال الواقعية. وكلما عثرنا على نص مقتبس من القرآن كاملاً أو منقوصاً، أشرنا إلى الآية التي ورد فيها، وعندما كان النص المقتبس قد ورد في آيات عديدة، اكتفينا بالإشارة إلى آية منها.
وبشكل عام، اكتفينا بالحواشي السفلية عند أول استعمال للكلمة أو للاقتباس إلا إذا كانت المسافة بين استعمالين تسوّغ الإعادة لتسهيل عمل القارئ.

ونحن، إذ أشرنا فيما سبق إلى اختلاف الواقع والخيال وإلى أن بيبرص المخطوطة ما هو في نهاية الأمر إلا بطل خيالي، فلا بد أن نذكر باقتضاب شيئا من ترجمة بيبرس التاريخي، ليميز القارئ بينهما. ولد الظاهر بيبرس العلالي البندقداري الصالحي (٦٢٥ هـ؟/١٢٢٨م؟-٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، رابع سلاطين المماليك، في المنطقة الواقعة بين روسيا وتركيا. وكان بين مجموعة من العبيد اشتراهم الملك الصالح الأيوبي وقد زُج معه في السجن قبل أن يُستدعى للقتال. وصل تدريجيا إلى أعلى رتب الحكم وذلك باللجوء إلى الاغتيال السياسي من جهة وبفضل صفاته الحربية من جهة أخرى. حكم بيبرس مصر مدة ١٧ عاما قام خلالها بـ٣٨ حملة عسكرية. من أشهر المعارك التي خاضها معركة المنصورة التي أسر فيها ملك الإفرنج لويس التاسع ومعركة عين جالوت التي أوقفت زحف المغول على مصر. فرض سلطته على مصر وأخضع المغول والصليبيين، ثم الإسماعيليين. ويروى أنه مات مسموما بعد أن شرب كأسا كانت قد أعدت لغيره. ويرى بعض الباحثين أن ترجمة بيبرس التاريخ أقرب إلى الأسطورة من بيبرص السيرة المتخيّل!

أما بيبرص المتخيّل فسندع المخطوطة تنقل إليكم الآن أقواله وأفعاله ما إن وفينا واجب الشكر لـ:

السيدات والسادة:

توماس هرزوك الذي اكتشف هذه المخطوطة عند الحكواتي وأخبر المعهد الفرنسي بوجودها مما أدى إلى الحصول عليها.

أحمد القادري لمساعدته في قراءة المخطوطة وتحضيرها للطباعة ؛
لينا خاتمة لرقنها النص بعناية ودقة ؛
دينيز إيغل ونسرين رايات لمساعدتهما على فهم الألفاظ الفارسية والتركية ؛
عائشة بحري، ونجيمة بن أحمد، وخاصة الزميل محمد شعيرات لقراءتهم النص بـ « منظار » لهجاتهم المغربية ومساهمتهم في تحديد الفقرات المحتاجة الى شرح أو توضيح.

المؤسسات العلمية « حاضنات » هذا المشروع وخاصة :
– مركز دراسة لغات العالم العربي وآدابه في باريس (CELLMA)، ومديره الزميل الأستاذ جمال الدين كلوغلي لمساندته هذا المشروع ومساهمته المادية في تحقيقه؛
– المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق (IFEAD)، وخاصة مديره الزميل الأستاذ دومينيك ماليه على مساعدته القيمة في توفير نسخة المخطوطة وموافقته على طبعها.

ملاحظة هامة

يود ناشرا السيرة، كما أشار إلى ذلك سريعاً في بداية هذه المقدمة، لفت انتباه القارئ الكريم إلى أنهما قررا، بعد إمعان التفكير، الاحتفاظ بنص السيرة على ما هو عليه، وإن كانت وردت فيه بعض الألفاظ والعبارات التي قد لا تنسجم مع اللياقة والأدب، وذلك لأسباب ثلاثة :
السبب الأول علمي بحت، يعود إلى علاقة الباحث بالنص، فمهمة الباحث الناشر نقل النص إلى القارئ، لا إعادة كتابته، ولا تبديل محتوياته، ولا الحكم عليه أدبياً أو أخلاقياً . وقد اقتدينا في هذا المجال بما قام به من سبقنا، شرقاً وغرباً، إلى نشر المخطوطات في ميدان الأدب الشعبي، بل وفي ميدان الأمهات التي تعتبر من كنوز التراث العربي . فلم يخطر على بال أحد من محبي الأدب واللغة والتراث أن يحرف أو يحذف في كتاب فقه اللغة للثعالبي، أو في رسالة البغال للجاحظ، أو في

كتاب أخلاق الوزيرين للتوحيدي، أو في كتاب ذم الهوى لابن الجوزي، الخ.
إلا أننا لن نتذرع بموقف السلف الصالح فحسب ولا بعلاقة الباحث بالنص وحدها وإنما نعتمد كذلك على علاقة الباحث بالقارئ، إذ يبدو لنا أن القارئ الذي نتوجه إليه هو القارئ البالغ العاقل الواعي، الذي سيتمتع بقراءة السيرة دون أن تهزه هفوات هذا البطل أو خزعبلات ذاك. هذا القارئ الذي لا يمنعه لسانه المهذب من معرفة ما في اللغة والتخاطب من مستويات مختلفة، والذي سيهتم، إن دعت الحاجة، بردع من قد يتأذى من قراءة السيرة عن قراءتها.

والسبب الثالث والأخير هو أننا لو أفردنا بعض الكلمات، دون سواها، بمعاملة خاصة، حاذفين إياها مثلاً من النص ومعوضين عنها بفراغ، أو بأية علامة أخرى، لأعرناها من الاهتمام ما لا تستحق، بل وكان غيابها من النص بحد ذاته بنانا يشير إليها ويدعو إلى تعويضها بالمخيلة وما لها من شطحات، فنزيد خرقاً ونحن ندعي الرتق.

[١]　[منام السلطان، تفسيره وعواقبه]

قال الراوى : يا ساده يا كرام، صلوا على خير الأنام ! اما بعد، فانه كان بقديم الزمان وسالف العصر والأوان، ملك من ملوك الاسلام يقال له الصالح ايوب[١] – رحمة الله عليه، وعلى من سبقنا الى رحمة الله – وكان ذلك الملك من اهل الله ظاهراً وباطناً، وكان كرسى ملكه في مصر العديه[٢]، وله زوجه مثله على بركات الله. فاتفق لذلك الملك ليله من احدى الليالى، كانت ليلة الجمعة، فنظر منام هائل الأحلام. فلما انتبه من منامه ولذيذ احلامه، نسي ما رآه، ففز وصار يدور حواله الفرشه ويَنْفُض الشرشف[٣]، وهو يقول : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ! وين راح المنام ؟ فانتبهت زوجته شجرة الدر[٤]، لقته عمال يلوب[٥] ويتحول[٦] فظنت انه فاقد له شيء. ففزت واثبه على الأقدام وقالت له : ما لك يا ملك الزمان؟ فقال لها : نظرت منام وشرَد مني فهل نظرتيلى اياه ؟ قالت له : نعم ! نظرته وارسلته الى وزيرك الآغا شاهين.

قال... فلما سمع الملك ذلك الكلام، طاب خاطره وانبسط، وقام طلع على قاعة عرب[٧]، سار حتى يصلى الصبح ويقرأ اوراده[٨]. اما الملكه، حالاً ارسلت خبر الى

١– السلطان الصالح ايوب تولى المُلك من ١٢٤٠ إلى ١٢٤٩م.

٢– في الفصحى : العذيّة، أي : البلد الذي طاب هواؤه.

٣– هو الغطاء الذي يوضع فوق الفراش.

٤– ملكة مصر مدة ٨٠ يوماً سنة ١٢٥٠م.

٥– يلوب، أي : يبحث ويفتش بحسرة.

٦– يتحول : يقول لا حول ولا قوة إلا بالله.

٧– لم نعثر على صفات هذه القاعة.

٨– الأوراد جمع وِرْ د، والورد تسبيح لله، وآيات قرآنية، وأدعية يقرأها المصلي بعد الصلاة، وبخاصة بعد صلاة الصبح.

الوزير شاهين، بانه الملك نظر منام وراح من باله، فسئلنى عنه، قلت له : ارسلت لك اياه للوزير فانا حدفته [٩] عليك، فاعرف كيف يكون جوابك له. واما الملك، فانه بعد ما صلى وقراء [١٠] اوراده، بعث طلب الآغا شاهين فحضر الى بين يديه، فدخل اخذ اتكه [١١] وصبح عليه، فامر له الملك بالجلوس فجلس، فقال له : هل جبت لى تفسير المنام الذى ارسلته لك شجرة الدر؟ قال له : افندم [١٢]، وصلنى المنام ولكن ارسلته الى شيخ الأزهر، الشيخ محمد دقيق العيد [١٣] حتى يجيب لك شرحه. قال له الملك : عفرم [١٤]! وبعث طلب الشيخ محمد. فقام الشيخ حضر الى بين يديه وسلم عليه فامر له الملك بالجلوس فجلس، فقال له الملك : جبت لنا شرح المنام ؟ قال له : نعم افندم ! وكان، يا ساده، الوزير شاهين ارسل للشيخ محمد خبر بصورة الدعوى قبل حضوره لعند الملك. فمد يده الشيخ لتحت باطه [١٥]، وطالع كتاب التفسير، وقال للملك : افندم، سعادتك نظرت بنومك نار حواله مصر، فصار لك منها رجّه عظيمه. وبعد ذلك اقبل من جهة بحر النيل طيور صاروا يغبُّوا [١٦] من البحر ويرشوا على النار، وبينهم غراب اسود وهو ساطى [١٧] على جميع الطيور. فانه لازال يطفئ بالنار حتى اخمد لهيبها. فقال الملك : اينعم، وعزة الله!

٩- حدفته عليك، أي : أرسلته إليك.

١٠- كذا، أي : قرأ.

١١- اتك في التركية : ذيل الثوب فالعبارة: «أخذ اتك فلان» أو «باس اتك فلان» تعني : ركع ليقدم التحية.

١٢- باللغة التركية : افندي، أي سيدي.

١٣- محمد بن علي ابن دقيق العيد (١٢٢٨-١٣٠٢) من أكابر القضاة والعلماء بالأصول. وأصل لقبه أن جد أبيه كان عليه طيلسان شديد البياض في يوم عيد، فقيل : كأنه دقيق العيد، فلقب به.

١٤- من الفارسية : آفرين، يعني : أحسنت

١٥- تحت إبطه.

١٦- يغبّ الماء، أي : يشرب. بالفصحى الغب هو شرب الماء من غير مص (راجع *لسان العرب*).

١٧- ساطي أو صاطي، أي : المسيطر عليها.

هذا هو المنام بعينه، ولكن ما يكون تفسيره ؟ قال له الشيخ : افندم سوف ينتشئ[١٨] بدولتك وجاقات [١٩] ويظهر بينهم شراق [٢٠] يكون نجمه عالى، ويَخْدمُه السعد وهو جبار وقته. فيصير ضد الى اعداء الدين، ويفتح فتوحات عظيمه، ويُكتَبْ بديوان المغازيين فى سبيل الله، ويصير له تِذكار وتاريخ، وتترحم عليه العباد الى ابد الأبد، ما قام قائم وقعد. وهذا، افندم، تفسير المنام.

قال صاحب التاريخ ان الوزير شاهين، لما ارسل خبر للشيخ محمد بصورة الدعوى كما قدمنا، فتح الشيخ الكتاب وجد المنام على حاشية الكتاب، وتفسيره تحته، وهو لم يراه سابق.

قال. . . واما الملك، فانه كان رجل مُتَصَوِّفْ، ما هو دنيوي وليس له رغبه بمتاع الدنيا، ولايقارش [٢١] بيت المال ابداً، بل يأكل من كد يمينه. وكان يشتغل طواقى ويهاديها الى الملوك والأعيان، وهم يهادوه بلقائها دراهم يعتاش فيهم. وقيل انه من لبس طاقيه من شغله، يكشف الله على بصيرته [٢٢] ويتصل [٢٣] ويصير من عباد الله الصالحين. فلما سمع من الشيخ محمد تفسير المنام ذلك النهار، التفت للوزير شاهين وقال له : يا وزير ! وعزة اللّه، اصبحت بهذا النهار لا امتلك شيئاً من المعامله [٢٤]، فمن اين لنا ان ننشئ وجاقات، ونملك ذلك الأرب [٢٥] الذى تكلم به جناب الشيخ ؟ قال له : افندم، ان الله تعالى كل يوم هو فى شان [٢٦] ! ويَخلِقُ ما لا

١٨ــ ينتشئ، أي : ينشأ ويتربى.

١٩ــ اوجاق، كلمة تركية تعني : موقد وهي كناية عن الجيش.

٢٠ــ في الفارسية : الطالب المتمرن.

٢١ــ لا يقارش بيت المال، أي : لا يأخذ منه شيئا. ويروى في بعض التواريخ أن عمر بن الخطاب كان ينسج ملابس ويبيعها فيعيش منها.

٢٢ــ أي : يفتح عليه أبواب الولاية.

٢٣ــ يتصل : له صلة بالله ويصبح من الأولياء.

٢٤ــ المعامله، أي : العملة.

٢٥ــ الحدف أو الحاجة.

٢٦ــ سورة الرحمان، ٢٩.

تعلمون [٢٧]، لأنه الذى بعلم الله ما هو بعلم احد. قال الملك : توكلنا على الله ! واكرم الشيخ بطاقيه واصرفه.

وبعد حصه اخذ الوزير وطلع على الديوان جلس على كرسيه. دعا الدعجى [٢٨]، قرأ المقرى، آمنت العساكر. صرخ شاويش علم [٢٩] : لا تعجب يا ملك، الملك لله الواحد القهار! قال الملك : سبحان من يعطي ملكه لمن يشاء من خلقه ! وصار يتعاطى الأحكام. ومضت المده كم يوم، الى يوم هو جالس بالديوان وداخل الى عنده القبجي [٣٠] حسين آغا بظدغان. اخذ اتكه ودعا له بدوام العز والنعم واذالة البئوس [٣١] والنقم، فقال له الملك : ما حاجتك يا حسين آغا ؟ قال له : افندم عبدك انا عمال أعمِّر بيت من خير الله وخير السلطان، فوجدت بالأساس هذه الطميره وهي سبيكة ذهب، فقاللى عقلى : قوم خذها للملك خليها تنتفع فيها الخزينه العامره وتصير اعانه للأسلام. فقال له الملك : بارك الله فيك ! والتفت الى الوزير شاهين وقال له : يا وزير هذا ربنا خلق لنا شيء ما هو فى البال، خوذ منه هذه الطميره وابعثها للضربخانه [٣٢]، خليهم يسكوها حتى نشوف قديش تطلع دراهم. قال له الوزير : امرك افندم. وبالحال اخذها الوزير وارسلها للضربخانه. سكبوها [٣٣] معامله، طلعت سبعمائة دينار.

قال... فبعث الملك طلب تجار مصر، وقال لهم : خذوا هذه الدراهم واشتروا لنا فيهم مماليك خاصَّات حتى نعملهم شراقات. فقالو[ا] له : افندم، هذه المصلحه لا نعرف فى تجارتها، نحن جماعه تجار قماش وحرير وما اشبه ذلك... اما اذا كان بدك من يعرف بهذه المصلحه، فيه بالشام رجل تاجر يقال له على آغا الوراق، من محلة القنوات، له عرف بمشترات الرقيق وهو ريِّس ما بعده تاجر. قال الملك :

٢٧- سورة النحل، ٨٦.

٢٨- الدعجى : الذي يتلو الدعاء.

٢٩- شاويش علم : صاحب رتبة في الديوان.

٣٠- قبجي : بالتركية قبوجي، أي : حاجب.

٣١- اذالة، أي : إزالة البؤس.

٣٢- الضربخانه، أي : مكان سك النقود.

٣٣- بالفصحى سبك : أذاب المعدن وأفرغه في قالب.

طيب! روحوا لشغلكم. والتفت للوزير شاهين وقال له : ابعث قبجي باشي[٣٤] للشام بطلب على آغا الوراق، واكتب للوزير عيسى الناصر، حاكم الشام، ان يدفع له خمسمائة غرش خرج[٣٥] رخت[٣٦] (يعني ترحيله[٣٧]). قال له : امرك افندم. وبالحال الوزير كتب مكاتبه وطلب القبجي باشي، واعطاه اياها وامره بالمسير على الشام بطلب على آغا، ويرجع هو واياه. فاجاب بالسمع والطاعه، وطلع ركب وتوجه من تلك الساعه الى ان يصل، له كلام.

[نوائب الدهر حلت بعلي آغا]

فاسمع ما جرى، وصلى على خير الورى، بان هذا الرجل على آغا الوراق كان رجل تاجر عُمده[٣٨]، ما فوق يده يد بالتجاره. وكان سخي الكف، بشوش الوجه، محضرهُ خير[٣٩]، حَسِن الأخلاق، ولكن كان بذلك الوقت مكسور وجاير عليه الزمان، وقاعد في بيته لا شغل ولا عمل. وكان السبب بكسره هو انه مره من احدى المرات شد متجر بليغ، وسافر به على الساحل. وكانت السواحل بوقتها كلها افرنج، وكان على آغا محبوب عند الجميع، نصارى واسلام، لسخاوة كفّه وحُسْنِ اخلاقه، وكان يسافر الى جميع الجهات، وهو مشهور بجميع البلاد براً وبحراً. فلما شد ذلك المتجر وتوجه، وصل الى بيروت ونزل في البحر وسار. فما قطع شيء قليل الا فرتن[٤٠] البحر وغرق المركب، فتعلق علي آغا على شقفة دفه وقذفته الأمواج على البر وهو بالزلط[٤١]. فطلع مسكين عمال يرجف من برده، وصار يتنقل من مكان

٣٤– بالتركية باش تعني : رأس، وباشي : رئيس، قائد.

٣٥– خُرْج : كيس يعلق بالسرج على ظهر الدابة؛ أو خَرج بمعنى : مقابل.

٣٦– الرخت هو السرج.

٣٧– مبلغ من المال، تعويض عن تحمل مشقات السفر.

٣٨– عمدة، أي : رئيس التجار.

٣٩– محضره خير : مرغوب في معاشرته.

٤٠– اضطرب وهاج.

٤١– عار من الثياب.

الى مكان، والناس تحن عليه ببعض الملبوس والمأكول، الى ان وصل لبيروت فقعد يومين ثلاثه، وما خلا احد يشوفه من التجار. ورجع على الشام، ايد من وراء وَايد من قدام [٤٢]، ودخل بعد المغرب على بيته وقعد يتفكر بما جرى له، وغلب عليه الحياء من التجار لأنه كان مُستلم منهم اموال بليغه، حيث هذه عادت التجار مهما كان زنكين [٤٣]، الا يستلم اموال من التجار، ولما ينباع المال بيوْفي المبالغ لأصحابها. وكان الذى راح الى علي آغا بهذه السَّفره النصف رزقه، والنصف الثاني للتجار. فقعد مده في البيت وهو محتار كيف بده [٤٤] يعمل. ففاح خبره انه غِرقْ ورجع على الشام وهو قاعد في البيت، فدريوا فيه التجار، فقاموا اجتمعوا مع بعضهم وتشاوروا بأمره فقالوا : كيف العمل بعلي آغا ؟ هذا الآن غرقان وما بقي عنده شيء. فقال واحد منهم : انا عندى الرأي اننا نعطيه بقدر الذى لنا عنده، ونقوّيه ولا نخلّي بيته يتكسر، لأنه رَجُل طيب وصادقانه. فقالوا الجميع : والله هذا هو الصواب ! واعتمدوا على ذلك وقرأو[ا] الفاتحه وقاموا توجهوا لعنده. فلما وصلوا للبيت، طرقوا الباب، فطلع على آغا، فتح الباب فوجد التجار فقال لهم : اهلاً وسهلاً تفضلوا ! ولكن ذاب في ثيابه [٤٥] من حيائه منهم وخجلان كثير – الله لايذل عزيز، ولا يَسْلُب النعم من اهلها، ولا يكسر جاه احد – فدخلوا التجار، سلموا عليه وسئلوه عن سَفرته، فاحكى لهم جميع ما جرى معه على التمام، فصاروا يهونوا عليه مصيبته ويكسروا عليه [٤٦]، ويقولوا له : الله كريم ! سلامات يا راس، الحمد لله على سلامتك يا آغا ! والذى يَصْعَبْ عليك يَهون علينا، اما سمعت ما قال الشاعر :

اذا سَلِمتْ رؤسَ الرجال من الرَّدىَ   فما المال الا مثل قص الأظافر

٤٢– الايد هي اليد والعبارة كناية عن أنه رجع صفر اليدين.

٤٣– ثري، لديه أموال كثيرة ويقال أيضا : زنكيل.

٤٤– بدّه، أي : يريد.

٤٥– كناية عن شدة الحياء.

٤٦– يخففون عنه شدة المصيبة : المال يعوض طالما أنت حي.

وهكذا احوال الدنيا : يومٌ لَكَ ويومٌ عَلَيْك، لا تزعل ولا تنقهر، الله - سبحانه وتعالى- الاّ يَجْبُر بخاطرك ويُعَوِّض عليك المِثل امثال. والآن نحنا رايحين نعطيك بقَدَر الذى لنا عندك، والله كريم ! ان شاء الله، ربنا يَجبر بخاطرك وتوُفي الجَميعْ ! فقال لهم : حَسَبْ امركم، فان أحسَنتُم فلأنفسكم [٤٧]. فقاموا الجماعه عَدُّو[ا] لُه المبلغ وضمُّوا الجِهَتين [٤٨] سَوىَ، ودعوا له بالتوفيق وساروا الى مصالحهم.

وعلي آغا بات ذلك الليله وقام ثانى يوم، نزل على السُّوق بَكير، وصار يَتسوَّق بضايع حتى انتها. فنظر بعينه على البضاعه وجد التجره طلعت صغيره، بحيث الراسمال قليل، فصار يَتسوَّق وَيَتدين من نسوان وارامل، واولاد قُصَّر [٤٩]، ومن بعض التجار، وايضاً باع عفش البيت حتى خلاه عالأرض. وعاهد نفسه انه ما عاد يسافر فى البحر. فلما خلص اشغاله، حَزَم المال واستكرا [دواب] وحمل احماله، وسار طالب حمص وحماه وحلب وذلك الجهات. فلما وصل الى ارض قاره [٥٠]، لعند عيون العَلَق [٥١]، طلعوا عليه عُربان، شلحوه عَلَى نْضيفْ [٥٢]، مثل ما جابته امُّه، وصفى بالزلط. فرجع وصار يَتَنَقَّل من ضيعه الى ضيعه، وهو يشحد بعض من المأكول والملبوس لاجل يتستر فيه، الى ان وصل للشام. اصْطبر لبعد العشاء ودخل للبلد، وهو يتوارى من الناس، الى ان وصل الى بيته وطرق الباب. فقالت زوجته : مين هذا ؟ فقال لها : افتحى !

قال . . . فلما سمعت حِسْ [٥٣] زوجها، صرخت بالزلاغيط [٥٤] وصارت تقول : الحمد لله اجا الآغا قوام [٥٥]، وربنا جبر عنه ! فسمعوا الجيران فقالو[ا] لها : شوفيه عَندكِ

٤٧- سورة الإسراء، ٧.

٤٨- أي : المبلغ الذي أتوا به والمال الذي غرق بالبحر.

٤٩- قاصر، ج. قصر : الولد الذي لم يبلغ سن الرشد.

٥٠- قارة، قرية معروفة بين حمص والنبك في سورية.

٥١- عيون العلق، اسم مكان يشار إليه في أخبار أخرى تروي قصص هجوم البدو على التجار.

٥٢- سرقوا منه كل شيء.

٥٣- صوت.

٥٤- أي : زغاريد. تطلق المرأة صوتا مع تحريك اللسان عند الفرح.

٥٥- بسرعة.

جارتنا ؟ قالت لهم : تعالوا هنوني، الحمد لله، اجا الآغا مجبور [٥٦] ! قال الآغا من بره : اينعم ! مجبور جبره ما بعدها كسره ! وصار يتزلقط [٥٧] على الباب، لأنه مراده ما احد يدرَى فيه وزوجته فضحت الحاره. وبعدها نزلت وفتحت الباب فاطَّلعتْ تراه بقيافه [٥٨] لا تَسرِ صَديق، فقالت له : شو هذا يا رجال ؟ قال لها : اي بدى تِسُكتى بقا! يقطع عمر النسوان، ما اقل عقلهم ! فضحتيني وانتِ تعيطى [٥٩]. بالأول افتحى وشوفي الزلمه [٦٠] على ايَّ حاله، وبعدها ابقى عيطى.

قال... فلما رأته على تلك الحاله، صرخت على الجيران، وقالت : تارى هذا ما هو الآغا، هذا واحد طلاَّب، حِسُّه يِشبه حِسْ [٦١] الآغا. وبهذه البُرهه كان على آغا دخل، جلس، ولما استقر به الجلوس، قالت له زوجته : احكيلى بقا ايش الذى جرىَ عليك، يا ابن الحلال. قال لها : لاتَسئلى عن شيْء واعلمي انَّ كل شيىءٍ بقضاءٍ وقدر، وهكذا امر الله علينا تم. فالآن جوعان وميِّت من جوعى، ان كان فيه عندكى شيىء للأكل، قومى هاتى. فقامت، جابت له الذى باقى من عشاها، اكل وحمد الله. فصاروا يتحادثوا فاحكالها على جميع ما جرا له، فقالت الحرمه كلمة لا يخجل قائلها وهي : لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم [٦٢] ! ولكن صدق الشاعر بما قال :

اذا اقبلت باض الحمام على الوتد   واذا امحلت شخ الحمار على الاسد

وكتمت امره وهو قعد في البيت، لا يفوت ولا يطلع، وهم يَصرِفوا من الخرجيه [٦٣] الذى اعطاها لحرمته قبل ما يسافر، الى ان خلصت الخرجيه فصار يحوص [٦٤] في

٥٦– كناية عن التوفيق في رحلته.

٥٧– كذا، والظلقط هو الزنبور فالمعنى : يتقلقل.

٥٨– بلباس، أو شكل.

٥٩– تنادي بصوت مرتفع.

٦٠– الرجل.

٦١– صوته يشبه صوت الآغا.

٦٢– سورة البقرة، ٢٥٥. وفي آيات أخرى كثيرة.

٦٣– من المال الذي تركه لزوجته، عندما سافر، لنفقات البيت.

٦٤– يتجول في البيت وهو حائر.

البيت، فالذى يشوفه من زبديه، من صحن، يبعث يبيعه مع زوجته ويقتاتوا فيهم، قوت لا تموت. فطالتْ المده معهم حتى باعوا الفراش واللحاف الذى يناموا فيهم، وصاروا يناموا بشرش[٦٥] كُرك[٦٦] عتيق، ولا بقا عندهم شيىء ينباع ولا يرتهن – الله لا يجيب الحيف[٦٧] على مخلوق، فسبحانه وتعالى اذا اخذ فتش، واذا اعطا ادهش – فاصبحوا الجماعه ذات يوم من الايام، ما عندهم شيىء لا مأكول ولا منظور. فقال على آغا للحرمه : كيف العمل؟ بدنا ناكل ! لأنه الأنسان يصبر على كل شيىء، الا على الجوع لا يقدر يصبر. فقالت له : والله ! ما بعرف شو بدنا نعمل. فقام على آغا وصار يحوص فى البيت على شيىء يبعث يبيعه، ما وجد غير الكُرك الذي عمال يناموا فيه، فقال لزوجته : قومى خذى هذا الكُرك وروحى بيعيه. فقالت له : يا ويلى ! كيف بدنا نبيعه ونحنا عمال ننام فيه، والدنيا بَرد وشتاء، وهو صاير فراشنا ولحافنا ؟ فقال لها : قومى بقا، روحى بيعيه حيث بدنا نأكل، وكل شيىء اهون من الجوع ! وثانياً ما بقي عندنا غيره، وَمَتى خلص ثمنه، يا اننا نموت يا انها تِفرج علينا، لانه الأنسان اذا خلص رزقه يخلص عمره.

قال . . . فقامت الحرمه، اخذت الكُرك وتوجهت على السُّوق وقلبها معمي عليه[٦٨]، الى ان وصلت لتم[٦٩] السوق وهو سوق الأرْوام[٧٠]، وبدها تصرخ الى واحد دلال تعطيه الكُرك. بمرقت[٧١] واحد نشترى[٧٢] شافها واقفه وقلبها معِمى، فقال لها :

٦٥– ثوب عتيق، بال.

٦٦– في التركية : كورك، وهو معطف مبطن أو فروة.

٦٧– الله لا يجيب الحيف، أي : ليحمنا الله من النحس والمصائب.

٦٨– كناية عن شدة المصائب، فهي في حزن عميق ولا تدري ماذا تفعل.

٦٩– التم هو الفم، المعنى : مدخل السوق.

٧٠– سوق بدمشق خاص ببيع الأمتعة المستعملة. «من يريد بيع شيء من مفروشات وألبسة وأواني يأتي به لذلك السوق، ويسلمه إلى الدلال» (محمد سعيد القاسمي، جمال الدين القاسمي وخليل العظم، ١٩٨٨، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي، دمشق، طلاسدار : ٤٥٠).

٧١– بمرور.

٧٢– لص يخطف الفلوس، ترادف : نشال.

شوفيه مَعك للبيع يا حرمه ؟ فظنته انه دلال قالت له : معى هذا الكُرك، وناولته اياه . فاخذه الرجُل وَفَردَه قدامها وصرخ : حراج، من يفتح الباب [٧٣] ؟ هذا على باب الكريم، هذا بمائة قرش !

قال . . . فلما سمْعت الحُرمه ذلك الثمن فَتحِ باب فرحت مسكينه، وقالت : ان شاء الله، يجيب ثمن مليح، واما النشترى فانه نتع [٧٤] الكُرك وتم [٧٥] فايت بوجهه، والحرمه وقفت تستنظر الى ان اذن الظهر، والعصر، ما احد رجع عليهَا . فصارت تعيط وتصرخ : يا امة محمد ! دخلكم، وين الدلال ؟ فاجتمعوا عليها العَالَم واخذوها لعند شيخ السوق، فقال لها : شُوبَكِي يا حرمه ؟ فأخبرته بدعوة الكُرك، فقال لها : الله يصلحك، ليش ما اعطيتيه لواحد يكون معروف ؟ روحى يا اختى، واستَعوِضِيه عند الله !

قال . . . فصارت الحرمه تولول وتعيط، ما لها ثمره . فرجعت طالبه البيت وهي عمال تتشركل [٧٦] بدموعها، الى ان وصلت وطرقت الباب، فقال لها زوجها : مين ؟ قالت له : افتح ! وهي مخنوقه فى البكاء، فقال لحاله : الله اعلم ! راح منها الكرك . وفتح لها الباب وسئلها فوجد مثل ما حزر، فقال كلمة لا يخجل قائلها وهي : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وصار يكسر عليها ويقول لها : لا تزعلى، ان شاء الله، قرب الفرج، لأن الله – سبحانه وتعالى – لا يأخذ الا حتى يَعطى، واهل الفضل يقولوا : كلما ضاقِت افرح لها، لأنه ما بعد الضيق الا الفرج، ودوام حال من المُحَال، كما قال الشاعر :

قُلْ لِمَنْ يَحْمِلُ هماً انَّ هَمَّكَ لا يدوم
مِثْلَمَا يَفْنَى السرور هكذا تَفْنى الهموم

قال . . . فخطر ببال الحرمه انها ترجع ثانى مره للسوق، فقالت لزوجها : مرادى ارجع الى السوق، لعلِّي اشوف الذى اخذ الكُرك . فقال لها زوجها : وين بدِّك

٧٣– ينادي الدلال : حراج مزاد! ليعلن عن بداية البيع بالمزاد.

٧٤– حمل أو خطف.

٧٥– تم، أي : ظلّ، بقي.

٧٦– تتعثر وهي لا تبصر طريقها من كثرة البكاء.

تشوفيه ؟ بكون حصَّل اَدرَنه[٧٧]ا، فقالت له : لا يُمكن الاّ ارجع. وفتحت الباب وتوجهت على سُوق الأَرْوام، لقته سَكَّر وما تم فيه احد، لا رايح ولا جايه. فرجعت وهي عمال تبكي الى ان قرِبت لَوُصول البيت، فكان فيه قُدام بيتهم سمان، يقال له ابو اشحاده، ولكن واحد لئيمْ وشايف سعاده من بعد قلّه. ولما فتح ذلك الدكان لقبوه السَّمانه ايكنجي [٧٨] سمان، لأنه كان يلتَقا بدكانه شَوِيّة سيرج [٧٩] وعلبتين ثلاثه كبريت بلدى، وبعض عِلبْ فارغه وكوز [٨٠] فيه وقيتين [٨١] زيت، وما اشبه ذلك. فصار على آغا يَحِنْ عليه ويُصَحّره فى بعض اغراض للبيت، ويعطيه ثمنهمْ فيجيبْ له بِشَيْئْ، ويوفر شيىء. وكذلك زوجته عيَّنت له كل يوم صحنين طعام، ولما يُسافر على آغا يَعْطيه مصارى [٨٢] ويوكله بمصروف البيت، فَيَصْرف الربع ويوفر الثلاثة ارباع، ولما يِحْضر علي آغا يَكْرمه ولا يفاتشه، الى ان صار من السمانه العمده.

وكان بذلك الوقت على موجب حسابه باقى له عند على آغا ستة غروش. فلما كان ذلك النهار نظر الحرمه، وهي راجعه من سوق الأرْوام عمال تبكى، فقال لها : ليش عمال تبكى، يا ست ؟ شو ما اجاكى خبر من عند على آغا حيث طوَّل بهذه السَّفره ؟ فقالت له : ايَّ سَفره ! آه يا ابو شحاده على ما جَرَىَ فينا بهذه المده ! قال لها : خير ان شاء الله ! احكيلى، فشّي لي قَلبك. فقالت له : شو بدى احكى لك؟ السَّعد ولاّ، والأمر جرى ما هو كذا وكذا... واحكت له عن حالهُم وما جرىَ لهُم، حتى اخبرته بروحة الكُرك. فقال لها : الله كريم ! لكان ما دام الآغا هون [٨٣] سَلميلى عليه، وقولى له خليه يطلع يقعد عندى على التخت، يِسَلِّي حالُه، اَحسن

٧٧- بلد في تركيا، أي : راح ولن يرجع.

٧٨- بالتركية : نائب سمان.

٧٩- زيت السمسم.

٨٠- إبريق صغير.

٨١- يكال الزيت بالوقية.

٨٢- المصرية قطعة نقود.

٨٣- هنا.

من قعدته فى البيت ! فقالت له : طيب ! ودخلت على البيت واخبرت زوجها الآغا بما تكلم ابو شحاده. فقال لها : اخطيتى، يا حرمه، لانكّي اخبرتيه عنى. فقالت : ليش ؟ فقال لها : يا حرمه، هذا شايف سعاده من بعد قلّه، يموت وعينه بالفقر [٨٤]، كما قال الشاعر :

نـاسٌ انـاسٌ ونـاسٌ لا انـاسَ بهـم ... لولا الملابسِ ما كـانوا مـن النـاسِ
يَعْتَنُـون المـاء والصابـون مـن دنـسٍ ... والقـلب ازفر مـن دكـان رواسِ [٨٥]

فقالت له : صدقت ! ولكن شو بده يصير ؟ ما بظن انه يطْلع منه شيىء خايسْ، فقال لها : والله، يا حرمه، هيك واحد مالَهُ امان، والأنسان لازم يتحذّر من هيك واحد. فقالت له زوجته : انا شُفته زعل كثير، اطلع لعنده شمْ الهوى، شو رايح يَعملِ مَعَك ؟ فقال لها : خايف لا يروح يَعطى عنى خبر للديّانه [٨٦]. فقالت له : ليش، هو اعْمَى ؟ ما هو شايفك انّك ما عندك شيىء ؟ فقال علي آغا : بِطْلع وبتوكل على الله ! وفتح الباب وطلع لعند ابو شحاده وقعد على التّخت، فقال له السمان : ما شاء الله عليك، يا على آغا ! انت قاعد فى البيت وانا ما عندى خبر. فقال علي آغا بباله : تَمْ الرجُل آدمى [٨٧] يَاه ! وقال له الآغا : اى والله، يا ابو شحاده، شو طالع بيدى هيك امر الله ! ما شافه الاّ دخل لجُوات الدكان وطالَعْ بيده دفتر، وصار يقَلّبْ فيه، وتقدم لعند على آغا وقال له : بتعرف قديش [٨٨] لنا بالذمه ؟ قال له : لا والله انت اعرف ! والآغا ما هو مصدّق انه عمال يطالبه من كل عقله. قال له ابو شحاده : باقي لنا بالذمه ستة غروش. هات لشوف، اعطينا اياهم ! قال له على آغا : تِكْرم ولكن هلّق [٨٩] مالك شايف الحال شو جارى معنا ؟ ان شاء الله، نكافيك وما بروح عليك الا الصبر. فقال له ابو شحاده : علي آغا فتِح عينك، ما

٨٤– شبع بعد جوع ويتصرف تصرف الفقير.
٨٥– بائع رؤوس الخروف المطبوخة.
٨٦– الذين استدنت منهم المال.
٨٧– طيب.
٨٨– قديش، أي : كم.
٨٩– الآن.

كان رُزّك وسمنك عليَّ. هذا مال الناس، هات اعطينى حَقّى من غير براده، ولا تخلى الناس تتفرج علينا ! واخبّرهم عن الذى عامله انت : قاعد فى البيت عَلَى سُكْرْ وخَمرْ، واولاد ونسوان، وبدك تأكل حقى وحقوق الناس. ومَد يده كمشُه من ازياقه[٩٠]، ونتره مِن على التخت، وصار يعيّط ويحكى معه كلام زايد وناقص. وعلي آغا طارق راسه فى الارض حياءً من الناس، ولا يتكلم ولا ينطق بحرف، بل انه يقول بذهنه : هذا الذى يسمع كلام النسوان يصير فيه هيك. وابو شحاده ماسكُه وساحبُه، وهو يقول له : لا اتركَكْ الا قدام الحاكم ! والناس تقول له : ولك يا ابو شحاده اختِشِي من الله ! هذا جارك. وهو يقول لهم : كل مِن مَعُه كلام يَضُبُّه والذى بده يحكى يفُك كيسُه ويدفع لى حقى عنُّه.

قال . . . فاكتفُّوا عنه الناس، لانه رزيل مبهدل وشحيح نعمه. وابو شحاده لازال ساحب علي آغا، الى ان وصل فيه لباب الجابيه، وايْمَنْ شافه يتأسَّف عليه ويَسُبْ ابو شحاده. ويقولوا : بعد ما كان خدامه صار يبهدله، الله لا يذل عزيز ولا يسلِّط سيفه على رجل كامل !

قال . . . وكانت قاعة الزُّعر بذلك الوقت فى باب الجابيه بقهوة السُّكَّريه، وكان الوالي احمد باشا الاقواصى[٩١]، اخو سِت الشام، موجود بالقاعه، فسمع حس العيطه وشاف العالم ملمومه، فامر الى واحد من الزعران ان يكشف له الخبر.

واما سبب تَسْمية اخت احمد باشا بست الشام، فانه كان زوجها حاكم بالشام واسمه صلاح الدين، وذلك بعصر الملك الأوحد[٩٢] قبل الصالح ايوب، ولذلك سمُّوها ست الشام. اما الأزعر الذى راح يكشف الخبر، رجع وهو عمال يتحول ويقول : قاتل الله الدنيا قديشها غداره، ما بتخلى العالى عالى ولا الواطي واطي ! فقال له احمد باشا : شوفيه ؟ فقال له : افندم، ابو شحاده، خدام على آغا الوراق، كامش سيده الآغا من زياقه، وعمال يِعَزِرُه[٩٣] ويُبَهدِلُه، ويقول له : اعطينى حقى!

٩٠– طرف الثوب عند الرقبة.

٩١– كذا، أي : الاقواسي.

٩٢– الملك الأوحد ابن الملك العادل توفي سنة ٦٠٩ هـ.

٩٣– يعزره : يهينه، التعزير إذا أتبع بكلمة يبهدله يعني يهينه وإذا أتبع بكلمة يوقره كان احتراماً وتقديراً.

والناس ململومه عليهم. فقال احمد باشا : روحوا هاتوهم ! فركدوا الزُّعر وفكُّوا علي آغا من ايد ابو شحاده السَّمان، واخذوا الأثنين لعند الباشا. فقالوا العَالَم : الرطل بده آتْقل [٩٤]، الله يخلِّي لنا هالباشا، لأنه ما حدا بطلع من خرج هالرَّزيل غيره.

واما علي آغا لما صار قدام احمد باشا، كان يفز له الباشا واثب على الأقدام وقال له: اهلاً وسهلاً ! وقام الكُرك من على اكتافه والبَسه ايَّاه، واخذه لجانبه وسلَّم عليه، وامر له بالمشروب، وقال له : لكان جنابك بالشام وقاعد فى البيت، وانا ما عندى خبر، والله انا محَسْبَك مسافر جَري عوايدك [٩٥]. فقال له على آغا : لا والله، مانى مسافر، قاعد فى البيت، لانه الأمر وقع معنا كذا وكذا... وشرح له قصته من المبتدا الى الأنتهاء، واخبره ايضاً عن دعوة الكُرك كيف راح. فقال له الباشا : لا تزعل ! الله كريم، ما بياخذ الا ليَعْطى. والآن هذا ابو شحاده شو بدُّه منك ؟ قال له: والله ما بَعرِف، ولا عُمرى حاسَبْتُه، الأ مِثل ما بِقول بَعطيه. فالتَفَت الباشا وسئل ابو شحاده : شو بدك من الآغا ؟ قال له : بدى منه ستة غروش. فقال له : آه يا رزيل، ويلك ! انت غريز نعمة [٩٦] الآغا ! وعمال تفعل فيه هيك فعال ؟ ولا تَخْتِشي من الله، يا مبَهْدل ! روح انقِلِع، وتعال بعد المغرب على القناق [٩٧]، خوذ حَقك!

قال ... فطلع ابو شحاده وهو يقول لحاله : غَصْب عنه، هالباشا لازم يدفع لى اياهم عن الآغا. وراح يخبر بعض الدَّيَّانه، ويقول لهم : روحوا بعد المغرب، اقبضوا حقكم مثلى من عند احمد باشا ! له معنا كلام...

اما احمد باشا فانه صار يوانس على آغا، ويتحادث هو واياه الى المساء، وفز بعدها اخذه وسار على بيته، وكان ساكن فى برانى سراية اخته ست الشام، وكان باب

٩٤- الرطل، مقياس يساوي عامة كيلوغرامين ونصف. العبارة تعني : هذا الرجل قوي لا يهزمه إلا من هو أقوى منه.

٩٥- جري عوايدك، أي : كما هي عاداتك.

٩٦- غريز نعمة فلان، أي : نشأ وتربى بنعمته، وأصل غريز غريس.

٩٧- من التركية : البيت الكبير.

السرايه قدام حمَّام المرادنيّه [٩٨]، والسرايه واقعه محل زقاق البُرغل [٩٩]. فلما وصلوا الى البيت، دخلوا، وجلس على آغا بالقاعه والباشا دخل للحَرَم، وطالع له بدله مُعتبره وقال له : يا اخى، كرامةً للنبي انك تلبسها. فقام على اغا لبسها وهو بغاية الخَجَل، ثم حضر العشاء، تعشوا وانبسطوا وشربوا القهوه، وصار الباشا يُكَسّر عالآغا وطالع قدر خمسين قرش واعطاه اياهم وقال له : بالله عليك، انك تأخذهم ولا تخجل منى، هكذا احوال الدنيا، والله كريم ! ان شاء الله، قريباً تفرج، ومن ساعه لساعه الف فرج، كما قالوا اهل الفضل:

ما بين غمضةُ عينٍ وانتباهتُها   يغيرُ الله من حالٍ الى حالى

قال . . . فاخذهم علي آغا واسْتكْتر خيره، واذاً بابو شحاده داخل، وقال للباشا : هات لشوف ! قال له : حاضر ! وصرخ على الزُّعر وقال لهم : ارموا هذا الكلب ! فحالاً رموه وحطوا رجليه بالفلقه، وفز الباشا وطرقه ستين عصايه، وقال له : خوذ هذا كل قرش بعشره، حتى ما تعُودْ تِفعل مع احد هكذا فعال، وتِكْسرْ شرفه اذا كان معسور، والله، يا كلب ! ما عُدت توقّف على الآغا لأسَرِكْنَك [١٠٠] من البلد. فقام ابو شحاده، طِلِعْ وهو عمال يَميلْ عَلَى الجنْبين مِنْ وجَع رجليه وهو ماشى بالطريق. واذاً قَابَلُه واحد من الديَّانه، وكان هذا الرجُل رايح يَطْلُب حَقُّه مِن الباشا عن الآغا، فلما شاف ابو شحاده، قال له : قَبَضِتْ حَقَّك، يا ابو شحاده ؟ قال له : ابداً علَى آخر باره ! فقال له الرجُل : شوا جِنس المعامله [١٠١] ؟ قال له : ريَالْ ابو لوزه [١٠٢] ! قال الرجُل : انا وصلنى حقى من هون نقداً وعداً. وقَصَف [١٠٣] وتَمْ راجع، وابو شحاده راح على بيته والتقَحْ [١٠٤] بالفرشه وهو يئِنْ من اَلَمْ الضَّرب.

٩٨- انظر النص، في بداية القرطاس الثالث.

٩٩- انظر النص، في بداية القرطاس الثالث.

١٠٠- لأسركنك : أرحلك، أطردك، من التركية : سوركون.

١٠١- العملة.

١٠٢- يعني ضرب بعصا من خشب اللوز.

١٠٣- ارتد على عقبيه.

١٠٤- أي : استلقى.

واما على آغا، فانه تم سَهْران عند احمد باشا لحد الساعه اربعه بالليل، بعدها فز وتشكَّر منه، وسار على بيته، وهو عمال يقول لحاله : لوقت ما يَخلُصوا هذه الدراهم يفرجها الذى عينه لا تغفل ولا تنام[١٠٥]، الى ان وصل للبيت، طرق الباب، طلعت زوجته فتحت له، لقاها عمال تبكي. فقال لها : لأيش البكاء ؟ قالت له : والله، تَمْ بالى عندك شُوا صار معك ؟ فقال لها : ما قُلت لَكِ هذا واحد قليل اصل وشحيح نعمه، مالُه امان ! فقالت له : يِضرب، انا بعرف انه قلبه اَسْود، وضايع معه المعروف ؟ وهلّق[١٠٦] مْنينْ لك ذلك البدله ؟ فقال لها : ما هو البدله بَس اجانا مصارى كمان، الله يكثِّر خير احمد باشا الأقواصى، وربنا يقدرنا على مكافاته. واحكا لها بما جرى له، وقعد يَسْتُخرِجْ بذلك الدراهم الى ان خلصوا، فباع البدله ايضاً وخرج حقها، وما تم عنده شيىء وباتوا ذلك الليله طي[١٠٧]. واصبح ثانى يوم محتار بامره الى ان تضاحا النهار، قَرَّط عليهم الجوع – الله لا يجوِّع كبد مخلوق – فقال لحرمته : كيف العمل ؟ فقالت له : يا رجَّال، الذى بعِلم الله ما هو بعِلم احد[١٠٨]، والله – تعالى – يخلق اليُسر من قلب العُسر. وقعدو[ا] يتفكروا بحالهم وما جرى لهم... وبأضيَق الضّيقْ يأتي الله بالفرج. واذاً بالباب يُطرق، فقام على آغا طلَّع من الشباك لينظر الطارق، واذاً به مقدم الدرك ومعه بعض الزُّعُر، فأرتعش وقال لحرمته : كيف العمل ؟ هدول الديَّانه يمكن اشتكوا علينا. فقالت له : اكثَر من هيك ايش بده يصير ؟ قوم، افتح الباب ! والمقدور لا بُد من ايصاله !

قال... فقام علي آغا ونزل، وهو يقول : لا حول ولا قوة الا بالله ! وفتح الباب، وقال : اهلاً وسهلاً ! واخذ مقدم الدرك ودخل لجُوَّه، فقال له الدركى : يا علي آغا، انت مطلوب لعند الدَّوْله، ولكن لا يكون لك فكره، ان شاء الله نِيّة خير، حيث جَايه قبجي باشى من مصر بطلبك، ومذكور بالأمر الذى جايبُه معه من مصر، ان يدفعوا لك خرجيه وافْيه من خزينة الشام. فانا هلَّق بِطِلع بصَرّف الزُّعر

١٠٥- سورة البقرة، ٢٥٥.

١٠٦- الآن.

١٠٧- طي، أي : باتوا جائعين. وطاوِ ثلاث : أي جائع مدة ثلاث ليال.

١٠٨- سورة البقرة، ٢١٦. وآيات عديدة أخرى.

وبقول لهم انه الآغا يحضر لحاله، وبروح على بيتي بِبْعتلك مع العبد بدله وقاووق[١٠٩] وكُرك وخنجر، وايضاً ببعث لك جَوادْ، اركب واحضر الى الديوان، لانه كان بذلك العصر، التجار تَشْكُل [١١٠] خناجر بوسطهم بالشال الكشميرْ، فقال له الآغا : سمعاً وطاعه ! فقام مُقدم الدَّرك، طِلِع اَصْرُف الزُّعر وسار على بيته، طَالَع بدله مُعتبره مع جميع لوازمْها، وصرخ عَلَى عَبد اسْمُه ياقوت، وقال له : روح على الياخُر [١١١]، طالِع الجواد الأحمر ولبسُه رَخْت ظريف، وحُطْ لَه رَشْمه [١١٢] فُضَّه، وتعال خوذ هذه البُقجه وروح لبيت على آغا الوراق، اعطيه اياها، ووقف له بالجواد الى ان يَطلع يَركب فأمشي بركابه. فقال له : سمعاً وطاعه ! وراح وضب[١١٣] الجواد، ورجع اخذ البقجه وسحب الجواد، وتوجه طالب بيت على آغا.

واما على آغا، فانه بعدما راح مقدم الدرك، احكا الى زوجته وقال لها : عَجَبْ هذا الطلب صحيح لمصر، والاَّ حِيلة من عيسى الناصر حتَّى يأخذوني على الحَبسْ ؟ فقالت له زوجته : ما بظن، اما سمعت الشاعر حيث قال :

ضَاقَتْ حتى اسْتَحْكَمَتْ حَلَقَاتُهَا فُرِجَتْ وكُنْتُ اَظنُّها لا تُفرجي

فَنَحْنُ – ان شاء الله – لا نتأمل الاَّ الخير وعوائدُ الله الكَرَمْ، لا تفتكر حيث انا قلبي مُطمئن. قال علي آغا : خير ان شاء الله ! ايشْ ما اجا من طرف الله خير. وهم بالكلام والباب يُطرقْ، فركد علي آغا، فتح الباب، يَرَى العبد ياقوت، فتقدم العبد وقبل يده واعطاه البُقجه، فاخذها منه ودخل قال لزوجته : هلق اطمئن قلبي ! وَفَرَدْ البقجه يَرَى يلك [١١٤] حرير اطلس، وقميص، ولباس حرير مَلَسْ، وشروال جوخ مخرَّجْ [١١٥]، وشال كشمير، وخنجر مُؤَلَس، وكُرك وُزَرى. فصار علي آغا

١٠٩– قاووق أو قاوق : من التركية، غطاء أسطواني للرأس.

١١٠– تشكل، أي : تربط الخنجر.

١١١– من التركية آخور : الإصطبل.

١١٢– الرشمه : الرسن الذي يوضع في رأس الفرس وله حبل ليقاد الفرس به.

١١٣– وضب، أي : جهز وأعد.

١١٤– يلك : من التركية، ثوب يشبه الصدرية.

١١٥– مخرج، أي : مُطَرَّز.

يلبس ويشكر الله، وزوجته فرحت، وصارت تقول : ان شاء الله، قرب الفرج ورجعت الماء الى مجاريها . وعلي آغا، لما خلص لُبُسْ، طِلِعْ الى باب الزقاق كأنه وزير، فركد العبد وقدّم له الجواد . وكان واقف بعض الجيران، فلما نظروه طَالِعْ بذلك[١١٦] الهَيْئَة، ركدوا اخذوا سلامُه . وصار هذا يقول له : الله لا يحرمنا وجودك، يا علي آغا ! وهذا يَمسكْ له الرِّكابه، وهذا يرفعه من تحت باطُه حتى ركب . وكانوا سابق اغلب الجيران، قبل ان يَفقَرْ دائماً يَبْقوا حَوَالَه بيته حايصين، حتى يقضوا له اغراض . فلما وقع بذلك الشّدّه ما عاد شاف احد، لا كبير ولا صغير، ولا غَنيِ ولا فقير، فلما نظر فعِلهُم ذلك النهار تَبَسَّمْ باطناً وقال : صدق الشاعر :

انْ قَلَّ مالي فلا خلٌ يصاحِبُني وان زاد مالي فكلُّ الناس خُلاني
فَكَمْ عدوٍ لأجل المال صاحَبَني وكَمْ صديقٌ لفُقْد المال عاداني

وهكذا الدنيا مع الواقف[١١٧] لو كان نايم . وتوجه علي آغا طالب الديوان والعبد بِركابه، الى ان وصل، حوّلْ[١١٨] وسلم الجواد للعبد، وطِلِعْ عَلَى الديوان، دخل يراه محبوك بالأكابر والأعيان . فلما نظره الوزير عيسى الناصر، فز واستلقاه، وقال له : اهلاً وسهلاً ! وفزت جميع الأعيان له، واخذه الوزير الى صدر المكان، وسلَّم عليه هو والأعيان، وقال له : لكان جنابك بالشام وقاعد فى البيت ولا تبعث تَعلمْنى، ما كان هذا املى منك ! فقال القاضى : والله، يا علي آغا، انا عاتب عليك كثير ! فقال له النقيب : وانا ايضاً عتبان كثير، يا علي آغا ! وصار كل واحد يَعتذر له شكِلْ، وعلي آغا يقول بباله : والله، كلامكم كُلُّه مُسَاقَله[١١٩] . ثم حضر المشروب والقهوة، شرب وانبسط، وبعدها قال له الوزير : يا علي آغا، جنابك[١٢٠] مطلوب لعند افندينا الملك الصالح، شُوا قُلت بهذا الطلب ؟ قال له : سعياً على الراس ولا سعياً على القدم !

١١٦- كذا.

١١٧- الغني، القوي.

١١٨- نزل.

١١٩- مساقله : مداراة، أي : كلام فيه نفاق.

١٢٠- حضرتك.

قال . . . فامر الوزير بساعة الحال للخزَنْدارْ[١٢١] ان يدفع له خمسمائة غرش، كما هو راسِلْ لهم خبر الملك الصالح، فعرّفوا علي آغا بالقبجى باشى، وقالوا له : بدك تسير معه . قال : حاضر ! وفز قبض الدراهم، واخذ القبْجى باشى معه، وطلع من الديوان . فقدم له العبد الجواد، فأبا عن الركوب لاجل القبجى باشى، وسارُوا وهم يتناغشوا[١٢٢] الى ان وصلوا للبيت . ولكن على آغا ماشى وجميع افكاره مشغوله، لأنه بيته بالزّلْطْ، ما فيه شيء . وصار يقول بباله : على ايش بده يَقعُد القبجى باشى؟ وندم الذى جابه معه، وقال : يا ريت خليت عزيمته لبكره، لوقت ما اشترى فُرْش واطقم البيت، الله يبيض وجهى ! فلما وصل للبيت، نظر الباب مفتوح على سَيَّارُه[١٢٣] وطالعين بعض عتاله[١٢٤] وبعض خُدام، فقال لحاله : هدول شو عمال يعملوا هون ؟ ومَد نظرُه لداخل البيت، نظر تختين منصوبين فى البرانى وعليهم الفُرش المُعْتبر، فدخل لجوه، هو والقبجى باشى، يرى الليوان والاماكن جميعها مفروشه ومطقومه بالفرش الظريف المُعتبر، فقال لحاله : الله يبيِّض وجهكى يا زوجتى ! من اين عرفِتْ انى عزمت القُبجى باشى، حتى وضبت هذا التوضيب المعتبر ؟ واجلس القبجى باشى على التخت ودخل لعند زوجته حتى يسئلها . يرى بارض الدار، من جوه، قُفف رز، وضروف[١٢٥] سمن، وزيت، وشمع، وسُكَّر، وما اشبه ذلك، فاراد ان يسئل زوجته . ركدت هي، وقالت له : من اين وضبت هذا الشيء، وانت بالديوان؟ فقال لها : والله، انا ما معى خبر، وانا جايه حتى اسِئَلكْ . فقالت له : والله، انت رحت وانا قعدت اتفكر بامور الدهر وادِعي لَكَ، ما اسمع الا الباب يطرق، فقلت : مين ؟ قال : افتحى ! فقمت فتحت الباب، فقالو[ا] لى : روحى من الدرب . فلما سمعت ذلك سقط قلبى[١٢٦] وقلت لهم : شو بدكم ؟ قالو[ا]

١٢١– صاحب الخزينة، أي : الذي يسمى اليوم وزير المالية .

١٢٢– يتناغشوا : يتسامرون .

١٢٣– باب مفتوح على سياره، أي : مفتوح تماما، أما السيار فهو مدار الباب .

١٢٤– العتاله : جمع عتال وهو الذي يحمل المتاع بالأجر .

١٢٥– ضروف بالفصحى ظروف : جمع ظرف، أي : وعاء من الجلد المدبوغ يوضع فيه السمن .

١٢٦– سقط قلبي : يقال في حال الرعب الشديد .

لى : بدنا نفَوّت حملين رز من عند نَقيب افندى، وهو يَستعْزِر من جناب الآغا ويرجوه عدم المؤآخذه . فَرُحُتْ من الدرب حتى ادخلوهم، ولسَّع [١٢٧] ما طلعوا وجايه واحد بضرف سمن من عند المفتى، وبعده اجا شمع وسُكَّر من عند القاضى . وما عدت اعرف من اين الوارد : ناس رايحين فاضيين، وناس جايين ملانين ! وكل واحد يقول : سلموا على الآغا، وقولوا له ان يَغُضْ النظر عن التقصير . وبعدها ما شفت الا الجيران داخلين لعندى، هذه تقول : انا جبت لَكِ تخوت، هذه تقول : انا جبت لَكِ فرش . وصاروا ناس يشطفوا [١٢٨] وناس يعزلوا، وكلما اردت ان اعاونهم، يحلفوا علي انى ما امسك شيء، حتى طقموا جميع البيت، فصرت احمد الله على ذلك النعم . فقال على آغا : صدق الشاعر بما قال :

لإنْ جَارَ الزمانُ عَلَيَّ حتَّى رَمَاني منه في ضنكٍ وضيقِ
فاني قد حمدتُ له صروفاً عَرِفتُ بها العدوَّ من الصديقى

والآن خير ان شاء الله ! لقد اقبل الخير وبان الفرج، وانبرم الى خدمة القبجى باشي، وزوجته صارت ترتب لهم الوان الطعام، الى ان صارت الدنيا عشيه . حطوا العَشَا، تعشُّو[ا] وانبسطوا، واوقدوا الشموع، وصار البيت كانه غرفه من غرف الجنان . واذاً بالجيران داخلين فلاقا لهم الآغا فَصَارْ واحد يقول : الحمد لله على السلامه ! واحد يقول : والله اوحشتنا ! واحد يقول : الله لا يخلِي الحاره منك، والله، بلاك لا نسوى شيىء ! وكل واحد صار يحكى له كلمه، وعلى آغا يضحك باطناً ويقول: هذه احوال الدنيا، لا يعرفوا الواحد الا وهو واقف، وبعد حصه اقبلوا الديَّانه وبعض التجار، وسلموا عليه وهنُّوه بالفرج وقالوا له : اذا كنت عاوز شيء حتى نبعث لك . فقال لهم : والله، انتم فضلكم سابق ! وقدم لهم المشروب والقهوه، وطلع لعند العبد ياقوت، واعطاه اكرام وافي، وقال له : قول لسيدك، ان شاء الله، الآغا بكافيك عَلَى معروفك وسَلِّم عليه . فطِلعْ العبد اخذ الجواد وسار لعند سيده مُقدم الدرك، وبلغه كلام علي آغا، فقال له : وَيْلك ! انت صُرت تبعه، مثلي من يهدي شيىء ويِرْجَع فيه، خصوصاً لمثل علي آغا الذي افضاله سابقه .

١٢٧- بالفصحى : ما إن...

١٢٨- يشطفوا : ينظفون المكان بالماء.

قال . . . فرجع العبد بالجواد لعند علي آغا، واخبرهُ بما تكلم به سيده، فَقبِلْهُم علي آغا وأَمَرْهُ ان يَربْط الجواد ويقعد، وهو سِهِرْ مع الجماعه لحكم الساعه اربعه من الليل. فحضرت المحالى [١٢٩]، تَمَحْلوا [١٣٠] وحمدوا الله، وشربوا القهوه، وبعدها قاموا التجار، كل واحد حط قدام علي آغا كيس بخمسمائة قرش، فقال لهم : ليش هذه الثُّقله ؟ انتم لسَّع [١٣١] بدكم مني حساب القديم. فقالوا له : خوذ هَلّق هدول، اقضي غرضك فيهم وبعدها – الله كريم – توفينا الجميع سَوَى، فأَستَاكْتَر خيرهم وانصرفوا بحالهم، وقد صار عنده رأسمال وافي. وبعدها قام القبجي بَاشي نام على تخت مُعتبر، وعلى آغا دخل لعند زوجته نام ذلك الليله وشاف حظُّه، حيث صار له زمان معمى قلبه، فبذلك الليله طَالَع الفرق [١٣٢]. وقام ثانى يوم اخذ القبجى باشي ونزل على الحمام، تغسلوا وانبسطوا، وطلعوا على البيت، جلسوا الى ان صار وقت الفطور. فطروا وشربوا القهوه، وبعدها قال علي آغا للقبجي باشى : فهل تَأمر ان تطلع تدور بالشام وتتفرج على الأسواق، وتزور سيدنا يحيى [١٣٣] – عليه السلام – قال له : نعم ! فصرخ على العبد ياقوت، وقال له : خوذ سيدك وروح فرجيه وَدَوْرُه بالشام. قال له : حاضر ! واخذ القبجى باشى وطلع صار يِدَوْرُه. وعلي آغا لبس ملبوس فوقانى وذهب على مخازن التجار، فصاروا يلاقوا له ويعظموا ملتقاه، فيقعد يشرب القهوه، ويسئلهم عن البضايع الذى تَسْلُك بغزه والرمله والقدس. فصار يتسوَّق ويبعث الى البيت، الى ان صار المساء. رجع على بيته، وجد القبجى باشى جايه من دوارته، فقعدوا، تعشوا وصلوا، وسهروا لحكم الساعه اربعه، وقاموا ناموا.

فلما اصبح الصباح ثانى يوم، كذلك نزل علي آغا للسوق وصار يتسوق بضايع على مدة عشرة ايام. خلص مسواقه وجاب الحزامه [١٣٤] حزم المال، وقال للقبجى

١٢٩– المحالي : الحلوى.

١٣٠– أكلوا الحلوى.

١٣١– حتى الآن.

١٣٢– طالع الفرق، أي : خلافا لما كان عليه في الأيام السابقة قضى وطره منها.

١٣٣– يحيى : النبي الذي يروى انه مدفون في الجامع الأموي.

١٣٤– الحزامة : رباط من حبل أو جلد.

باشى : يوم الفلانى يكون السفر. فَمَوَّنْ بيته واعطا زوجته خرجيه وافيه، وركب هو والقبجى باشى، وطلعت التجار ودعوه للعسالى [١٣٥] ورجعوا. وسار الآغا والقبجى باشى وقد انبسط من رفقته الى ان وصلوا الى غزه، نزلوا بخان التجار وفتح علي آغا الأموال، باع واشترى، وربح ارباح زايده. وساروا على الرمله، كذلك باع واشترى، وسار على القدس كذلك. ولازال يمر على البلاد، يبيع ويشترى ويربح الطاق امثال[١٣٦]، الى ان وصل لمصر القاهره. نزل فى بيت القبجى باشى، قعدو[ا] ثلاثة ايام، ويوم الرابع قال له القبجى باشى : يا علي آغا، اليوم بدنا نطلع نواجه خادم الحرمين [١٣٧]. قال له : وجب !

[مهمة على آغا]

ولما تضاحا النهار، فطروا وقاموا، طلعوا على الديوان. دخل القبجى باشى وترك على آغا بره، وتقدم اخذ اتك الملك، فقال له : الله يعطيك العافيه ! جبت هذا الذي يقولوا له علي آغا الوراق ؟ قال له : نعم افندم ! وهو على باب العدل والأنصاف. فقال له : روح هاته ! فطلع القبجى. قال له : تفضل ! فدخل علي آغا، يرى ديوان محبوك بالوزر والأعيان، وهو مثل زهر البستان، من اهل التوحيد والأيمان، وجالس بالصدر سلطان، واي سلطان ! عليه هيبة الرحمن. فقبل الأرض، دعا وترجم، وبافصح ما تعلم تكلم، دعا للملك بدوام العز والنعم، واذالة البئوس والنقم، واشاد يقول :

سئلت الله يديـم سعـدك بالـهنا	ويبـلغك الوهـاب قصـدك والمـنا
تصـبح بعـز وتمـسى بنعـمـة	واعداك في الهم المزيـد مع العنـا
ودمـت لـدار السعـادة قائـمـاً	ومجـدك بالعلياء مرتـفع الثنـاء
انـت همـام [١٣٨] للـمهـمات دائـمـاً	واعداك يـا سلطان يبلاهـم بالفنـاء

١٣٥- العسالى، قد تكون هذه القرية التي تسمى اليوم العسالية، في منطقة القنيطرة.

١٣٦- ويربح الطاق أمثال، أي : يربح بالثمن أضعافاً كثيرة.

١٣٧- لقب الملك، والحرمان : مكة والمدينة.

١٣٨- أنت همام، أي : بطل شجاع في المواقف الصعبة. من الحديث النبوي «كلكم حارث وكلكم همام» واستناداً إلى هذا القول سمى الحريري راوي مقاماته الحارث بن همام.

قال . . . فتبسم الملك بوجهه وقال له : ماشاء الله ! انت على آغا الوراق ؟ قال له : نعم افندم، عبد بابك، وخادم ركابك . فقال له الملك : قالوا لى عنك اهل حرفتك، تجار مصر، انه لك خبره بالتجارة وتنقاية الرقيق . قال له : افندم بحسب انظارك . فقال له الملك : لكان، يا شاطر، بدنا نربي مماليك خاصات، ونعلمهم الخط والمطالعه، وابواب الحرب والطعن والضرب، ونجعلهم ظباط [١٣٩] بالديوان، وننشئ لهم وجاقات وبيارق [١٤٠] ومهمات سلطانيه، لأجل تقواية الملة المحمديه . بدك تصير انت مساعد لنا بهذه الكيفيه بتنقاية المماليك، وتصير شريكنا بالثواب . قال له : افندم، سعياً على الراس والعين !

قال . . . فطلب الملك الخزندار، وامره ان يدفع الى علي آغا السبعمائة دينار، الذى طلعوا من الطميره [١٤١] . فحالاً نزل الخزندار، جابهم واجا دفعهم الى علي آغا . فقال الملك : يا علي آغا، هدول بدك تشترى لنا فيهم خمسة وسبعين مملوك خاصات . قال له : حاضر افندم ! فقال له الملك : لكن، يا آغا، لا تأخذ الدراهم تحبسهم معك، بل انما تسوق بهم بضاعه وتاجر بهم، ومهما ربحوا، فهو لك حلال، عدا عن اجرتك . فقال له : امرك افندم ! الله يطول لنا عمرك ! فقال له الملك : انزل تسوق لوازمك، واذا احد اوصاك من رجال الدوله على مماليك، واعطاك دراهم، جيب لهم، ما فى مانع، الله يربحك ! ومعك مهله تقعد بمصر واحد واربعين يوم، لوقت ما تخلص اغراضك . وقبل السفر بيوم، اطلع لعندى حتى نودعك . قال له : سمعاً وطاعه، افندم ! واخذ اتكه ونزل من الديوان، وتوجه على بيت القبجى باشى، وهو يقول : ما شاء الله على هذا الملك ونفوسه ! فقال له القبجى باشى : والله يا آغا قليل مثاله، لانه سلطان ظاهراً وباطنا . فقال له : والله صحيح !

قال . . . وهم بالكلام وداخل عبد، اسمه مرجان، وقال : من هو على آغا الوراق، تاجر الرقيق ؟ قال له القبجى باشى : شوا عاوز منه ؟ قال له : افندينا الوزير شاهين عازمه الليله لعنده . قال على آغا : وجب ! فقال القبجى باشى : والله، مالى خاطر

١٣٩– ظباط : ضباط، أصحاب رتبة عسكرية.

١٤٠– بيارق : من الفارسية بيرق، عَلَم.

١٤١– الكنز.

انك تروح من عندى، ولكن خاطر الوزير شاهين لازم، لأنه وزير ما بينشبع من منادمته، وهو شارب مشروب الملك باللطافه، والأخلاق الحسنه. فقام علي آغا وتوجه مع العبد الى بيت الوزير في بحر بلامه [١٤٢]. فلما وصلوا، دخل علي آغا يرى سرايه عظيمة المثال، فلاقا له الوزير الأعظم، وعظم ملتقاه وترحب فيه واخذه لجانبه، وصاروا يتحادثوا الى ان حضر العشاء. تعشوا وانبسطوا، وشربوا القهوه، ورجعوا للمحادثه. فقال الوزير: يا علي آغا، مرادي ان تشتريلي عشرين مملوك وسط، لأجل خدمة السرايا. قال له : على الرأس والعين ! فطالع الوزير جانب من المعامله واعطاه اياهم على الحساب، تحت الزود والنقص، وسهروا لهم حصه، وبعدها قام علي آغا، توجه الى بيت القبجي باشي وبات ذلك الليله.

فلما اصبح الصباح، فز، نزل وصار يدور بمصر والتجار تسلم عليه، وهذا يعزمه يسقيه قهوه، وهذا يعمل له غداء الى ان صار المساء. توجه على بيت القبجي باشي، فلما وصل واذاً بمملوك داخل، وسئل عنه وقال له : الليله معزوم عند وزير الميسره [١٤٣] ايبك التركماني. قال له علي آغا : طيب ! وقام وتوجه معه، وكان بيت ايبك بمصر العتيقه، فلما وصل لاقا له وسلم عليه وجلسوا للعشاء. تعشوا، وبعدها طالع اعطاه بعض معامله، وقال له : بدى تشترى لى ثلاثين مملوك وسط. قال له : طيب ! وبعد السهره قام علي آغا وتوجه على بيت القبجي باشى، بات، اصبح، نزل على السوق، وصار يتسوق بضايع للمساء. رجع على البيت، يرى تابع من طرف عز الدين الحلي، كذلك عزمه واخذه وراح، والآخر اعطاه جانب من المعامله على الحساب، واوصاه على عشرين مملوك. وبعده، اوصاه الوزير نجم الدين البندقداري والوزير بيلبان، وصاروا الوزر [١٤٤] يوصوه، حتى صار جملة المطلوب منه اربعمائة مملوك. وصار معه راسمال وافي، وهو يتسوق ارزاق حتى تسوق متجر عظيم، وهو يحمد الله على جبر خاطره. ولما خلص مسواق، جاب الحزامه، حزم

١٤٢- اسم مكان لم نتمكن من تحديده.

١٤٣- وزير الميسرة : الوزير الذي يجلس على يسار السلطان في الديوان.

١٤٤- الوزر، أي : الوزراء.

الرزق . هذا، والتجار تعزمه وتضيفه، الى ان مضت الأربعين يوم . فطلع على الديوان، ودخل اخذ اتك الملك، ودعا له بطول العمر، فقال له الملك : الله يعطيك العافيه، خلصت ؟ قال له : نعم افندم ! قال له الملك : هل احد اوصاك على مماليك ؟ قال له : نعم، وزيرك الآغا شاهين، وفلان، وفلان . . . وعد له اسماء الوزر الذى اوصوه، وصار جملة اربعمائة مملوك، منهم، افندم، خمسة وسبعين خاصات، الى جناب امير المؤمنين، والباقي الى رجال الدوله . فقال له الملك : يا رجل، وعزة الله، من حينٍ ركبت الكرسي الى الآن، لا اعلم حالى اني اصبحت يوم وانا املك قرشين، بقا كيف عمال تقول : خمسة وسبعين الي خاصه ؟ فقال له : افندم، سعادتك اعرف ! فقال له : يا رجل هذه الدراهم الذى دفعناهم الك، هدول من بيت مال المسلمين، ونحن انجق [١٤٥] موكلين وكاله عليه، ولكن مشتهى انا الآخر تجبلي معك مملوك يكون ضعيف مثلى . قال له : سمعاً وطاعه افندم !

قال . . . فمد الملك يده الى عبه، وطالع صره صغيره لونها ازرق، وقال له : خوذ هذه الصره واشترى لنا فيها المملوك، لكن، ياعلي آغا، لا تشوفها صغيره تستهزئ فيها، وعزة الله ! شحدناها من اصحاب النوبه [١٤٦]، وهم واحد واربعين مصريه .

قال . . . فمد علي آغا يده واخذها منه بقبول، وباسها وحطها على راسه ووضعها بعبه، وودعه وتوجه على بيت القبجى باشى . وصار يقطع عراقيله، وراح زار السيده غفيرة مصر [١٤٧]، والأمام الشافعي، والأولياء – رضي الله عنهم اجمعين – ويوم السفر حمل احماله، وركب هو والقبجى باشى، وطلعت معه التجار وساروا[ا] معه للخانكه [١٤٨]، وهي برات مصر بساعه . ودعوه ورجعوا، وهو بات ذلك الليله بالخانكه . وقام ثانى يوم، توجه على قطيه [١٤٩]، والمكاريه تشكر منه ومن كرمه لانه غمرهم بالعطاء والسخاء، وقد قال الشاعر :

١٤٥– أنجق : كلمة تركية : آنجق، ترادف بالفصحى : فقط أو إنما، بالعامية : يا دوب.

١٤٦– من رجال الله الصالحين.

١٤٧– السيدة زينب.

١٤٨– الخانكة : اسم مكان قرب القاهرة.

١٤٩– قَطْيَه قرية في طريق مصر في وسط الرمل قرب الفَرَما، بيوتهم صرائف من جريد النخل وشربهم من ركية عندهم جائفة مالحة.

ان السخاوة تغطي كل عيب   وكل عيب يغطيه السخاء

قال . . . ولما وصل الى قطيه، طلعت لاقت له التجار، لأنه وردت لهم الأخبار من تجار مصر، فانزلوه باحسن منزول . وكانت قطيه بذلك الوقت بلد شاهرليه [١٥٠] . فقعد فيها عشرة ايام، باع واشترى بالربح الزايد، وتوجه على القدس . كذلك طلعوا التجار لاقو[ا] له لانه صارت تجار البلاد تخابر بعضها بقدومه . فدخل للقدس، باع واشترى، وعملوا له العزايم المعتبره [١٥١]، وبعدها توجه الى غزة كذلك، والى الرمله كذلك . ولازال بكل بلد يبيع ويشترى، ويعملوا له الضيافات، الى ان قارب الشام . فطلعوا التجار لاقوا له سفر يوم، وسلموا عليه وهنوه بالسلامه، ونزلوا لاجل الراحه، وقدموا له الملاقاة الفاخره . اكلوا وانبسطوا، وقاموا، ركبوا ونزلوا على الشام . فدخل علي آغا الى بيته، وصارت تورد عليه الأكابر والأعيان، يسلموا عليه لأنه هو خاطرلى [١٥٢]، وزاد عليه نظر السلطان، فزاد اعتباره الطاق امثال . ولازالت ناس رايحه وناس جايه لحكم الساعه اربعه بالليل، حتى انقطع الوارد . فبات ذلك الليله مع زوجته، وتحادثوا بكرم الله ونسيوا الأيام الماضيه اللى مرت عليهم . فقام ثانى يوم، دخل الحمام ولبس الملبوس الفاخر، وتوجه على مخزنه، فك احماله وصار يبيع ويشترى، وعمل عزيمه الى جميع الأعيان والتجار والديانه، وقدم لهم الهدايا المعتبره والأرمغانات [١٥٣]، واعطا الى كل ذى حقٍ حقه، وجازاهم على معروفهم واستكتر خيرهم وهم تشكروا افضاله . واقام يبيع ويشترى مدة عشرة ايام، ويوم الاحدى عشر، هو جالس بمخزنه، لقا بدنه حاطط [١٥٤]، فقام، سكر الدكان، وتوجه على البيت، اتكا ونام، وصار يئن . فبعث زوجته جابت له حكيم [١٥٥]، صار يعالجه مدة يومين ثلاثه، الى ليله هو متسطح وزوجته جالسه قدامه، عمال تكسر عليه،

١٥٠- شاهرليه : شهر كلمة تركية، فارسية الأصل، تعني المدينة الكبيرة .

١٥١- أحسن استقبال وضيافة .

١٥٢- لأنه هو خاطرلي : أي صاحب خاطر : أي جاه .

١٥٣- بالفارسية ارمغان، الهدية .

١٥٤- بدنه حاطط : أي في خمول وقوته ضعفت .

١٥٥- طبيب .

وتقول له : ان شاء الله، عرضيه ! فقال لها : والله، يا حرمه ! انا ما على بالى من كل شيىء، واستفقاد المولى رحمه، ولكن مانى هاكل هم[١٥٦] سوى مال الدوله معى، وانا خايف لاتطول معى الحكايه، ومال الملوك بخوف. فقالت له : ان شاء الله، بتعرق وبتفيق ما فيك شيء. وبعدها غفل ونام، فنظر الملك الصالح بنومه، وقال له : يا شاطر ! ما قلنا لك احفظ الصره حتى الله يحفظك ؟

قال... ففز من نومه وهو مرعوش، وفيق زوجته وقال لها : وين الاواعى الذى اجيت فيهم من السفر ؟ فقالت له : حاضرين، ولكن وسخات. شو بدك فيهم ؟ قال لها : هاتيهم، نسيان فيهم بعض اغراض. فراحت جابت له اياهم، فصار يفتش فيهم من جيبه الى جيبه مثل الملاطيش[١٥٧]، حتى وجد الصره فطالعها، وصار يقبلها ويحطها على راسه ويقول : قاتل الله الدنيا، شو بتلهى الأنسان ! فقالت له زوجته : اسم الله عليك ! ايش ؟ مالك يا رجال ؟ لانها صارت تقول لحالها : ياهل ترى شو صار للرجال ؟ وخافت عليه، فقال لها : لا تخافى، ان شاء الله، اجت العافيه. وقال لحاله : ان كان الله بده يجبر بخاطرى، انجق ببركة صاحب هذه الصره ! وبعدها ما شاف حاله الا انخبط فى بعضه، فقال لزوجته : غطينى ! ونام الى ان طلع النهار، فلما فاق، يرى العرق مغسله تغسيل، وساحب من تحته، ونظر حاله مثل الحديد. فحمد الله واثنى عليه، وقام شلح ثيابه ولبس غيرهم، وتوجه على اعتاب سيدنا يحيى الحصور – عليه الصلاة والسلام – زار، وقعد له حصه، وطلع الى مخزنه كانه لم يكن به شيىء. فقعد وصار يبيع ويشترى وقد صار عنده اموال يكل عن وصفها اللسان. ولما خلص مسواقه، جاب الحزامه، حزم ونوى على السفر، وصار يقطع عراقيله، فاعطا لزوجته خرجيه، ومون لها البيت كما هي عادته، وحمل احماله وطلع من الشام. وطلعوا التجار ودعوه ورجعوا، وهو لازال ساير الى ان وصل الى حمص. نزل بخان التجار وفتح بضاعته، باع واشترى، وضيفوه التجار، وبعدها زار سيدنا خالد – رضي الله عنه – وتوجه

١٥٦– مشغول البال.

١٥٧– الملاطيش : عند العوام الملطوش الذي أصابه الجن والمراد أنه طار صوابه.

على حماه. كذلك باع واشترى، وانعزم. وسار على حلب، ونزل احماله بخان الوزير، واخذوه التجار، وعملوا له الضيافات المعتبرات. واقام قدر عشرة ايام وهو يبيع ويشترى، وقد نفد من اغلب البضاعه الذى معه، وتسوق من بضاعة حَلب الفاخره، ونزل على جامع الكبير، وزار سيدنا زكريا - عليه السلام - ورجع، حمل وسار طالب برصه[١٥٨]. وهو بالطريق يبيع ويشترى فى البلاد الذى يمر عليها، الى ان وصل لبرصه، وما معه شيىء من البضايع الا صار بدالها معه كله ذهب احمر، وقد جبر الله عنه باحسن جبر. فدخل الى البلد ونزل باحد الخانات، وعمل حسابه يرى حاله ربحان ربح زايد الوصف، والذى وفاه دين ومصروف من مصر لبرصه ما هو اربع قراريط من الربح. فحمد الله تعالى، وقال: شى لله، يا صالحين! الله ينفعنا بهم فى الدنيا والآخره! واسئل الله ان يبيض وجهى مع امير المؤمنين. وبات ذلك الليله وقام ثانى يوم، صلى الصبح وقعد لوقت ما فتحت الاسواق. فقام ونزل، وصار يخم البلد [١٥٩] على المماليك، لانه كان بذلك العصر بازار المماليك والرقيق ببرصه، وعلي آغا كان مُتأمل انه من وصلته يلاقى جميع مطلوبه. فلما طلع ذلك النهار وصار يخم، ما وجد شيىء ابداً لا قليل ولا كثير، فسئل بعض الدلالين: ليش ما هو موجود مماليك فى البلد؟ فقال له: هذا شيىء انتسخ [١٦٠] من عندنا، وما عدنا شفناه من زمان.

قال... فلما سمع علي آغا ذلك الكلام، رجع على الخان وهو ما هو شايف الطريق من قهره.

قال... وكان السبب بعدم وجود المماليك، هو من تجار مصر، لانه الشاعر يقول:

كل العداوات لا تركن لها ظنك   الا عداوة من عاداك في فنك

فهذا، لما بعث الملك طلب تجار مصر، وقال لهم: بدكم تشتروا لنا مماليك، فظنوا فى بالهم انها شغلة ميرى [١٦١] مالها ايراد، والملك بده يستخدمهم ببلاش، فطلعوا

١٥٨- مدينة في شمال تركية.

١٥٩- صار يخم: يفتش بوعي.

١٦٠- انتسخ، أي: زال وفيه في القرآن «ما ننسخ من آية»، سورة البقرة، ١٠٦.

١٦١- شغلة ميري، أي: للدولة، من غير مقابل.

لحشوا [١٦٢] هالشغله عن اكتافهم، وقالوا له : لا يطلع بيدنا، هذه شغلة علي آغا الوراق. فلما بعث الملك طلبه من الشام وحصل له ذلك الهنيار [١٦٣]، وصار له قبول عند الدوله وارباح زائده، وقع فى قلبهم الغيره والحسد، وندموا. فقاموا، كتبوا، وبعثوا، عرفوا تجار برصه، وقالو[ا] لهم : حاضر لطرفكم علي آغا الوراق، مراده يتسوق مماليك للدوله بابخس الأثمان. فلما وصلهم ذلك الخبر، طلعوا عملوا البازار بضيعه برات برصه. وصاروا يبيعوا ويشتروا الرقيق بالسرقه، واوصو[ا] الدلالين انه، متى ما اجا علي آغا الوراق وسئلكم على مماليك، قولو[ا] له : هذا شيىء انتسخ من عندنا ولا عدنا شفناه. فهذا كان الاصل، والسبب بعدم وجود الرقيق.
واما علي آغا، فانه رجع للخان وهو زعلان، وقال لحاله : كيف الراي، يا علي ؟ والله، خايف على سواد وجهى قدام الملك ورجال الدوله. وقعد مدة سبعة ايام وهو مشتت الافكار. ويوم الثامن، كان جالس على باب اوضته وصافن [١٦٤]، ما شاف الا درويش داخل من باب الخان، وهو عمال يتغزل، فطلع فيه على آغا، وقال : جل الذى ما له شبيه ! والله، هذا الرجل يشابه الملك الصالح، ولولا يكون انه درويش، لما قلت عنه الا الملك الصالح بعينه. ما شاف الا الدرويش تقدم لعنده، وقال له : السلام عليكم، بابا ! فقال له : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، تفضل ! فجلس الدرويش جانبه، وقال له : يا بابا، بدى احكى معك كلمتين، فهل لك ان تسمعهم ؟ لانه فيه ناس تقبل النصيحه اذا احد نصحهم، وفيه ناس لا يقبلوا. وانا لما دخلت الخان لقيتك من الذى يقبلوا النصيحه، جايه حتى انصحك. فقال له علي آغا : تفضل سيدى، والله، بتفضل علي اذا نصحتنى. فقال له الدرويش : يا آغا، هل تعلم اصل داء الجنان شو يكون ؟ فقال له : حتى تتفضل يا سيدى ! قال له الدرويش: اعلم ان اصل الجنان يكون الانسان حاصل معه زعل، فيقعد ويصير يصفن، فيطلع الدم الى راسه، فتطبق عليه السوده، فيطق

١٦٢- لحشوا هالشغله عن أكتافهم، أي : تركوا الشغل له.
١٦٣- الهنيار : المكانة أو المنزلة ؛ ممكن أن تأتي من «هنر»، كلمة تركية فارسية الأصل، تعني : فضل، مزية.
١٦٤- على باب أوضته وصافن : جالس على باب غرفته يفكر.

عقله وتحكم عليه الحكماء بالجنان. وانت لقيتك صافن، ما هان علي فيك، فتقدمت لعندك حتى انصحك عن التصفن، واسرح عن بالك. فبالله عليك، انك تحكيلى ليش قاعد وصافن، شو جارى معك ؟ فقال له علي آغا : والله، يا سيدى، بقول المثل : خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها هموم[١٦٥] ! والله، يا بابا، ما في احد مستريح حتى ولا ابن الجريح[١٦٦]. فانا، يا درويش الخير، مستلم اموال الدوله حتى اشترى لهم رقيق، وربحت من وراهم ربح زايد، ولما اجيت لهون ما وجدت رقيق، حصل معى هذا التصفن. كيف بدى ارجع لعند الدوله، واقول لهم ما شفت ولا اقضى غرض ؟ قديش بدى اصغر قدام اهل حرفتى ! فقال له الدرويش : والله انك بمصلحتك حر والحق بيدك، فهل تريد ان ادلك على مطرح بيع الرقيق ؟ فقال له : انا بعرضك يا درويش الخير! قال له : اصبر لبعد المغرب، وروح على فلان ضيعه تحت التبديل حتى لا يعرفوك، فانك تجد غرضك. وهم عملوا هناك بيع الرقيق خيفةً منك، لا تروح تأخذهم منهم بثمن بخس، حيث انهم للدوله. فقال له علي آغا : والله لو حطيت من كيسى لا آخذ منهم شيء الا بعين الربح، والآن كثر الله خيرك، الله يقدرنا على مكافاتك ! ومد يده حتى يعطيه اكرام، فلم قبل[١٦٧] الدرويش وراح بحاله.

وعلى آغا اصطبر الى بعد المغرب، تبدل وسار للضيعه، ولما وصل، نظر بعض التجار قاعدين، فما احد عرفه. فدخل لجوه وصار يتفرج، فوجد جملة مماليك، فقال بباله: يحرس دين[١٦٨] هداك الدرويش الذى دلنى ! والله، يتنقا غرضى[١٦٩] على التمام من هون. واختلط بين المماليك الى ان دخل الليل مليح، اقبلوا المشتريه فصاروا اصحاب المماليك يعدوهم، وبالجمله عدوا علي آغا معهم لان الدنيا ليل، وكان متلثم : ما عرفوه. فبعد العدد وجدوهم زايدين واحد، فقالوا : خلينا

١٦٥- معنى المثل أن كل شيء في هذه الدنيا له ثمن.

١٦٦- لم نحصل على معنى هذا المثل.

١٦٧- كذا.

١٦٨- يحرس دين : يحفظ دِيْن.

١٦٩- يتحقّق طلبي وحاجتي.

نعدهم ثاني مره، لايكون غلطانين بالعدد. فعدوهم ثانى مره، وجدوهم صحيح زايدين واحد. فقال الآغا : صدق العداد لانكم عديتمونى معهم. فسمعوا التجار لغه عربيه فصيحه، وكانوا المماليك اغلبهم شركس وعجم، ولسانهم ثقيل بالعربي، فتعجبوا وصاروا يؤكدوا بالمتكلم. فقام علي آغا اللثام عن وجهه فعرفوه، فلما شافوه انعبطوا منه، وارتبط لسانهم عن الكلام. فقال لهم علي آغا : انا ما بحاكيكم ولكن اكتب واعرف امير المؤمنين انكم مرادكم تعطلوا مصالح الدوله. فقالو[ا] له: نحنا جايبينهم الك ! فقال لهم : الذى بفكركم غيروه، والله ! ما هو مرادى الا اشترى منكم بعين الجبر. فصاروا يترامو عليه ويقولوا له : بحياة راس امير المؤمنين، انك تنقى غرضك. فقام علي آغا، وصار ينقى حتى نخب منهم ثلاثة وسبعون مملوك خاص، وفرقهم وحدهم. وقعدوا للبازار بعد ما راقت القلوب الى بعضهم، فقالو[ا] له : بالله عليك، قديش مطلوب السلطان ؟ قال لهم : خمسة وسبعون واحد. فقالو[ا] له : والله هدول الذى نقيتهم، لا نأخذ حقهم. اما ان كان بدك الى رجال الدوله، نعود نأخذ ثمنهم. فقال لهم علي آغا : ليش الخساره ياجماعه ؟ لازم تقولوا قديش ثمنهم. فقالوا له : انت صاحب الفضل يا علي آغا، وحلفوا انهم لا يأخذوا حقهم.

قال . . . فقام الآغا، اخذ المماليك وسار على الخان، واخذ لهم اوض وحطهم، وبات ذلك الليله الى ثاني يوم. قام، راح على السوق، جاب لهم بدلات معتبره، وهو فرحان، ويقول : الحمد لله رب العالمين الذى جمعنا بمطلوبنا ! ولكن بدك الله يكمل فضله، يجمعنا بأثنين كمان خاصات. ورجع على الخان، لبسهم البدلات، وعين لهم عشى، وصار يقدم لهم اكل وشرب معتبر، وطلع جلس على باب الاوضه، وصار يتفكر باحكام الله. واذاً بالدرويش داخل، فلما شافه علي آغا، فز ولاقاله لنصف الخان، وقال له : اهلاً وسهلاً، بالذى افضل علي! فقال له الدرويش : ان شاء الله، وجدت غرضك يا آغا ؟ قال له : اى والله، وصرت متشكر افضالك. فقال له : تم ناقصك شيء، والا لقيت غرضك على التمام ؟ قال له : لا والله، لسع ناقصنى اثنين خاصات، ولكن بحسب دعاك نجدهم، ان شاء الله ! فقال له : ادلك على اثنين يسوو[ا] الثلاثة وسبعين. فقال له : افيدنى يا سيدى. فقال له : قوم

روح على سراية الحكم وادخل لعند مسعود بك، ابن عثمان بك، حاكم برصه، وقول له : بيعنى المملوكين الذى عندك بسعر ما يسوو[ا]، الواحد اسمه قلوون والثانى اسمه ايدمر، فهدول خذهم وافتخر فيهم على جميع التجار ارباب الرقيق. وفز الدرويش وقصد المسير، فقال له على آغا : اقعد يا سيدى مستأنسين ! ومراده يكرمه، فما قبل وتوجه بحال سبيله. فقام على آغا وتوجه ناح السرايه، ولما وصل دخل للديوان لعند مسعود بك. فلما شافه، فز ولاقاله، وعظم ملتقاه واخذه لجانبه وسلم عليه، وامر له بالمشروب. شرب وانبسط، وبعدها سئله، وقال له : ان شاء الله، انقضا غرض امير المؤمنين ؟ فقال له : انقضا ولكن ناقصين معى مملوكين خاصات، وقد سمعت عند جنابك موجود مملوكين، فاريد ان تبيعنى اياهم بسعر ما يسووا. فقال له مسعود بك : ما بينعزوا عنك يا آغا ولكن معتوقين.

قال... فلما سمع علي آغا ذلك الجواب قنع وسكت، وقعد له حصه، وقام حتى يروح. وهو طالع من باب الديوان، نظر مملوكين واقفين على الباب خاصات مثل ما قال عنهم الدرويش، فتحرق [١٧٠]، ولكن ما معه كلام بحيث قال له مسعود بك انهم معتوقين. فلما وصل لعندهم، سمع واحد عمال يقول للثانى : قرضا شم [١٧١]، والله علي آغا عقلك صغير، بده يكون هو احسن من مسعود بك.

قال... فالتفت علي آغا ناحهم وقال لهم : انتم عقلكم صغير، ما هو انا ! بحيث انا مانى آخذكم لذاتى، بدى آخذكم الى امير المؤمنين. يمكن، والله ! كل واحد منكم يصير وزير من خاص الوزر بالديوان.

قال... فطلع قلوون بايدمر وقال له : والله ! علي آغا كلامك صحيح. فقال له ايدمر : وكيف الراي ؟ مادام قال لنا افندينا مسعود بك اذا سئلكم قولو[ا] له معتوقين !

قال... فالتفت قلوون الى علي آغا وقال له : ارجع لعند افندينا، واطلبنا منه ثانى مره. فقال له علي آغا : شو الخواص [١٧٢]، مادام قال انكم معتوقين ؟ فقال له قلوون :

١٧٠- فتحرق : تألم.

١٧١- قرضا شم : من التركية قارنداش، أي : يا أخي.

١٧٢- الفائدة.

بيكذبتك ! ماننا معتوقين ولا شيء، ولكن لاجل ما يعطينا الك قال لك هيك، لانه نحنا ايضاً اوصانا، اذا انت سئلتنا، نقول لك اننا معتوقين.
قال . . . فلما سمع علي آغا ذلك الكلام فرح فرحاً شديد، ورجع لعند مسعود بك وقال له : يا وزير، كرامةً لخاطرى انك تعطينى هؤلاء المملوكين بثمنهم. فقال له : ما قلت لك معتوقين ؟ فتقدم قلوون، وقال : ليش تقول معتوقين ؟ اذا كنا معتوقين صحيح، هات اعطينا واحد ورقه عتاق ! وكان قلوون جريع [١٧٣] وبجراعته سوف يصير ملك بآخر السيره.
قال . . . فلما سمع مسعود بك كلام قلوون، زعل بذاته وقال الى علي آغا : خذهم وروح، ومسامح بحقهم. فقال بباله علي آغا : بركات ويرسن [١٧٤]! حي الله ! بس بدى آخذهم. واخذهم وسار طالب الخان، وهو فرحان فيهم كثير، كانه مَلك الدنيا. ولما وصل للخان عملهم رؤساء على المماليك، كل واحد منهم يحكم على النصف، لانهم كانوا هدوليك المماليك لساهم جلب [١٧٥]، وهدول الأثنين متكسرين، فصارو[ا] يعلموهم.

[المملوك الضعيف في حمام برصه]

واما على آغا، عاد، انبرم، وصار يتسوق للوزر من مماليك الوسط، وقد انوجد كل شيىء اكثره. ولا زال يتسوق حتى خلص كل مسواقه، ورجع ذلك اليوم على الخان، وقال الى ايدمر وقلوون ان ينبهوا على المماليك بانه بكره بدهم يروحوا على الحمام. فراحوا نبهوا عليهم، فصاروا يوضبوا حالهم، ويصروا اواعيهم الذى اخذهم لهم علي آغا. وباتو[ا] ذلك الليله الى ان اصبح الصباح ثانى يوم، فز علي آغا، توضى وصلى، وصرخ عليهم، ومشى قدامهم، ولحقوه من وراه وساروا. وكان علي آغا له صاحب حمامى من قديم، وهو يشلح عنده. فقصد ذلك الحمام لاجل

١٧٣– جريء، شجاع.
١٧٤– بالتركية : بركت ويرسون. وهذه الكلمة مشتقة من الفعل ويرمك يعني : أعطى فمعنى العبارة : الله يبارك فيك.
١٧٥– لساهم جلب، أي : أغرار ليس لديهم خبرة.

ينفع صاحبه، وقال لحاله : نعمل له جبران خاطر لانهم جماعه كثار. فلما وصل ودخل الى الحمام، فالعاده يقولو[ا] للزبون : اهلاً وسهلاً ! فهذا لما شافه المعلم قال له : والله، يا آغا ! اليوم الحمام ما هو على كيفك. فلما سمع علي آغا ذلك الكلام صارت له كنه[١٧٦]، وقال له : ليش، يا اخى ؟ فقال له : والله، يا سيدى، ما هو كراهةً بجنابك، ولكن من مدة خمسة ايام، اجا لعندى درويش، وهو حامل على ظهره ولد مريض، ودخل حطه بالوسطانى، وطلع قال لى : رايح اجيب له حوايج، فاكراماً لخاطرى لا تخلى احد يتبارد عليه[١٧٧]. وطلع، وهذا وجه الضيف[١٧٨]، وماعدت شفته. والولد، من كثر الأمراض، اروحت منه الحمام، فلذلك قلت لك : اليوم الحمام ما هو على كيفك. وانا لو انتزع الحمام من عين اصله، لا يمكن اكسر بخاطر الغلام.

قال... فكانت المماليك بعض منهم صاروا جوه، والبعض بالوسطانى، والبعض عمال يشلحوا. فقال له على آغا : هلق يا اخى المماليك شلحوا، وهم ما بقيدوا[١٧٩]، فقال له : امرك سيدى، تفضل الى جانبى، وانا قلت لك هيك من شان ما يتعكر مزاجك. قال له علي آغا : ما صار الا الخير. ودخلو[ا] المماليك كلهم، وصارو[ا] جوه وبعدها شلحو[ا] المملوكين قلوون وايدمر، ودخلوا. فلما وصلوا للوسطانى، شموا رائحه كرهه. فقال قلوون للتبع : ولك ! شو هذا ريحه عندكم ؟ فقال له : سيدى، ما قلنا لكم من بره انه عندنا مريض ؟

قال... فالتفت قلوون يرى غلام ملقح بالمقصوره، والروايح طالعه منه، فبزق عليه ودار وجهه. فقال له الغلام : ويلك ! انت ما بتخاف من الله، فهل انت آمن على نفسك من العطب ؟ اما تعلم ما قال المثل : ياماشى على الركب لا تأمن النكب[١٨٠]. فقال له قلوون : ويلك يا كلب ! الك لسان تحكى كمان ؟ ومد يده واراد ان

١٧٦- صارت له كنه : سكت عن الكلام.

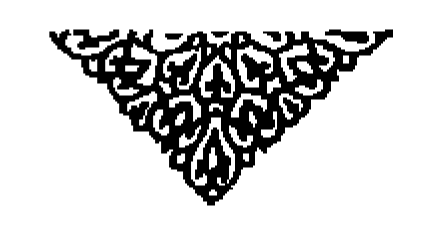
١٧٧- يتبارد عليه : يسيء إليه أو يزعجه.

١٧٨- وهذا وجه الضيف، عبارة تعني أن الضيف يرحل نهائيا ودون أن يشكر المضيف.

١٧٩- وهم ما بقيدوا : لا يمكن منعهم من الدخول لأنهم شلحوا.

١٨٠- الإنسان عرضة للمصائب مهما فعل.

يلحشه[١٨١] على البلاط، وكف اجاه على رقبته مثل نغمات الاوتار. وما كان الضارب الا رفيقه ايدمر، وقال له : انت ما بتخاف من الله، وما فيه بقلبك شفقه ؟ رايح تتقاوى على ضعيف ! فقال له : انت ايش بخصك ؟ وصار اللبش[١٨٢] بينهم، كل واحد قام الفوطه من وسطه وبرمها، ونزلو[ا] فى بعضهم سفق رقع، فاشتغل العياط بالحمام. فسمع علي آغا، قام، دخل لجوه ومعه الحمامى، يرو[ا] الأثنين نازلين فى بعضهم سلخ مثل المجانين، فتقدم علي آغا، وصار يضرب عن جنب للأثنين حتى فكهم عن بعضهم، وسئلهم : ليش عمال تتقاتلوا ؟ فاحكاله ايدمر عن الدعوه، كيف قلوون اراد ان يلحش الغلام على البلاط. فقال علي آغا : اين المريض ؟ قالوا له : بالمقصوره. فدخل لعنده، ورفع اواعيه، وقعد قدامه، وقال له : شو اسمك يا ولدى ؟ فقال له : محمود. فالتفت علي آغا للحمامى، وقال : مرادى آخذ هذا الولد، واذا اجا الدرويش ابعثه لعندى على الخان. وقال لحاله : والله اذا كان باعنى اياه الدرويش، اشتريه على حظ افندينا الملك الصالح.



١٨١- يلحشه، أي : يرميه.

١٨٢- صار اللبش : الخصام.

[٢] [1]

وخطر ببال علي اغا انه ياخذه الى الملك، لانه اوصاه ان يشتري له بالصره مملوك ضعيف مثله، فقال له المعلم : خذه ! فقال ايدمر: انا اغسله والبسه بدلتي . وغسله ايدمر والبسه بدلته، وعلي اغا جالس جانب معلم الحمام، عما ينتظر كمالة المماليك حتى يطلعوا، وداخل الدرويش الذي دله على المماليك الذي تقدم ذكره، فقال له علي اغا : يا سيدي درويش الخير هل تكمل معروفك، وتعطيني هذا المملوك الضعيف بالثمن ؟ قال له الدرويش : يا علي اغا، هذا المملوك لا يباع، ولا يقاوم باموال [2]، ولكن انا اعطيك اياه، وانت مد يدك لجيبة عبك فمهما حصل بيدك، اكرمني به . فمد يده علي اغا بجيبة عبه، فوقعت بيده الصرة الذي اعطاه اياها الملك الصالح ايوب الذي اخذهم من اصحاب النوبه، فاخذها الدرويش، وقال له : وعزة الربوبيه، بدها ترجع لاصحابها اهل النوبه ! ثم سار الدرويش بحاله، وعلي اغا قال بباله : ان صدقني حزري هذا الغلام وراه نسب . وكانوا المماليك خرجوا ولبسوا ثيابهم، فاكرم معلم الحمام، وسار بهم الى الخان .

[الرحلة إلى دمشق]

وثاني الايام، صار يتسوق بالمصاري كمالة مطلوبه من عند التجار، الى ان اشترى اربعماية مملوك . وهم بنية السفر ورتب كل اثنين على جمل، فقال قلوون الى علي اغا : سيدى اجعل [المملوك الضعيف] زميلي حتى اخدمه، عوضا عن ما تجاريت [3] عليه في الحمام، لعله يسمح عني . فقال علي اغا : مناسب ! وسار بهم في الليل من حر الشمس، ولما سار فيهم ليلتين وفي الليلة الثالثة، قال قلوون الى العكام [4] : حين تنزل الضعيف اتركه بالارض ! لانه في تلك الليلتين التي مضوا،

١- خط هذا القرطاس يختلف عن خط القراطيس الأخرى.

٢- ولا يقاوم بأموال، أي : ليس له قيمة مالية.

٣- بالفصحى : تجارات، أي : أسأت إليه.

٤- الجمال.

كان قلوون تلبك كثير من المملوك، وهو كل ساعه يقول له : نزلني بدي انقض وضوئ [٥] . فقال له العكام : اخاف من الاغا. فقال له : والله ! ان ما فعلت ما امرتك به، لاقول الى الاغا : العكام تكلم معي كلام لا يليق. فخاف العكام، وفي اخر الليل نزله لاجل ينقض وضؤه، لان بطنه كان رايح عليه، فتركه العكام وسار الى ان وصلوا الى المحطه. نزلوا وعلى اغا استفقد المماليك، فما وجد الضعيف، فقال الى قلوون : اين المملوك الضعيف ؟ قال له : اسال العكام ! فسال العكام، فقال له : افندم ارحم لحالي ! واخبره بما جرا. فحلف علي اغا ان ما وجد المملوك الضعيف حيّ، يقتل العكام. وركب رهوانه [٦] واخذ العكام بركابه، ورجع برجوع. وما سار علي اغا عشر دقايق، الا وجد الغلام وسبع واقف فوق راسه، يحرسه ويظله من الشمس. فلما شاف علي اغا، التفت السبع ناحه وهز براسه اشارة : هذا سلامك! وسار بعرض البر. فتقدم علي اغا لعند الغلام، وقال له : يا ولدي، اشلون [٧] السبع كان عندك وما اذاك ؟ قال له : هذا ما هو سبع، هذا درويش ! فقال علي اغا : الله الله، نظري ما خاب بانه وراه نسب طاهر! وركبه وراه وسار لعند المماليك، فتلقاه ايدمر، وهو يبكي، وقال له : سيدي انعم علي بهذا المريض، وانا اخدمه. فسلمه اياه، وعند اول الليل ركبوا وساروا الى حلب.

فطلع المظفر [٨]، حاكم حلب، بأعيان حلب لاجل يتفرج على المماليك. وصار يدور من خيمه الى خيمه، الى ان وصل الى خيمة ايدمر، فنظر ذلك الغلام الضعيف، وهو ملقح وايدمر جالس فوق راسه، ويهوي له من الناموس والشوب [٩] . فقال الى علي اغا : هذا مريض من اصله، والا مرض في الطريق ؟ قال له : افندم، هذا شريته مريض على حظ الملك الصالح، لانه امرني اشتري له مملوك ضعيف مثله، والله

٥- أنقض وضوئي : يريد أن يسلح.

٦- الرهوان، أي : الحصان الذي يسير سيرا هادئا رافعا في آن يدا ورجلا على طريقة الجمل.

٧- اشلون، أي : كيف؟

٨- إشارة خيالية إلى الملك المظفر (ت ١١٩١م) أحد أهم القادة الأيوبيين وقد ولاه صلاح الدين على مناطق سوريا الشمالية.

٩- الحر.

القوي. فدخل، جلس قدامه، وقال له : مرفوع الاسوا [١٠]، يا ولدي، ما اسمك ؟ قال له : محمود، قال له : ومن اوصلك لهذه الارض ؟ قال له : امر الله ! قال له : صدقت ! وكان له ولد اسمه عماد الدين ابو الخيش، فرجع لسرايته واحضره الى بين يديه، وقال له : خذ معك بدلتك الفلانيه وخمسماية قرش، واخرج برات حلب تجد مماليك جايبهم علي اغا الوراق، وموجود مملوك ضعيف، سلم عليه ولبسه البدله واعطيه الدراهم، وقل له : انا ابن المظفر، حاكم حلب. وقل : ارسلني اليك، وانت اخي بعهد الله. وخذ يده وخاويه. فقال عماد الدين : وجب ! وسار لعند الخيام، فوجد الغلام يئن من كبد حزين، فوقف عماد الدين، وقال : ما هذه النظرية الذي لابي ؟ اما شاف هذه المماليك الذي مثل الاقمار؟ واذا بكف نزل على رقبته، وقائل يقول له : ما عجبك هذا، يا قليل الادب ؟ وحط فمه باذنه، وقال له: وعزة الربوبيه، ياما بدك تقبل رجله بالركاب، وتطلب منه الامان !

قال الراوي : وكان السبب في معرفة المظفر الى ذلك الغلام محمود، كان في بعض السنين حج الى بيت الله الحرام، وعما يشرب على ماء زمزم، واذا بالمقدم جمر فملاء الدلو وناوله اياه. فاخذ جمر الدلو من المظفر وشرب، فقال له جمر : انت من تكون؟ قال له : انا المظفر، حاكم حلب. فقال له : ما شاء الله ! يلزم ان تكون اخي بعهد الله. ثم مد يده وعاهده على ماء زمزم، وسار كل منهم بحاله، الى ان مضت مده ايام، جالس المظفر بديوان حلب ونافده [١١] عليه مكاتبه. قراها يراها : من المقدم جمر الى اخينا المظفر، فيه عند[نا] فرح يقتضي حضورك. فاجاب بالسمع والطاعه، وعمل هديه سنية وسار لقلعة صهيون. فلاقوا له الرجال، وادخلوه بنهار عظيم الشان. وكان ذلك الفرح الى المقدم فخر الاصيل، متزوج بابنة المقدم جمر، اللبوه الزعره. فلما حضر المظفر، تمايزوه [١٢] الرجال، وقالوا الى المقدم جمر : يا

١٠- كذا، أي : الأسى. يعني : لا تخجل ولا تحزن.

١١- نافده عليه : جاءته رسالة.

١٢- تمايزوه : نظروا إليه نظرة فاحصة.

خونده[١٣]، بحيث هذا اخوك بالعهد يقتضي ان يحضر معنا قرأة جفر[١٤] سيدنا علي. فقال : مناسب ! وهكذا خطر ببالي. ولما صارت قراءة الجفر، قروه بحضوره، فسمع باسم ذلك الغلام محمود، بانه يظهر من بلاد العجم، من اقليم الخرزم والدربندات [١٥]، وانه يصير ملك ويسمى بالظاهر، وتخضع له جميع ملوك الارض بالطول والعرض، ويفتح فتوحات، ويكون له تواريخ، وله اشائر على جبينه سبع جدريات. فقال المظفر : هذا هو صاحب البند والعلم ! وجلس قدامه والبسه البدله واعطاه كيس فيه خمسماية قرش، وعرفه بحاله وقال له : يا ولدي، انا حاكم حلب، المظفر، وهذا ولدي عماد الدين، مرادي اجري العهد بينك وبينه. فقال : امرك يا ابي. فاجرى العهد بينهما، واوصا به علي اغا وسار لحلب.

اما علي اغا، ركب وسار الى ان قارب قلعة المعره، ما شاف الا المقدم اسد الدين العبوس لاقاله، وصرخ عليه : ولاه يا وليد الوراق ! اين اخذ سلطان الدنيا وهارب فيه ؟ قال له علي اغا : وراس جدك، يا مقدم، ما عندي سلاطين، الا كلهم مماليك. فصار المقدم العبوس يقلبهم واحد بعد واحد، وكان له مرتبات غفاره [١٦] على التجار، وعلى كل من يمر من تلك الارض، فقال الى علي اغا : ان وجدت معك صاحب البند والعلم، رفعت عنك المرتبات وصرت ممنونك، انا واهل الجبل، وان ما وجدته معك ما اطالع من ركبك ديار [١٧].

اما العبوس، وصل لعند الغلام الضعيف، فقام الشال عن جبينه، فنظر الجدريات، فقال : اللهم لك الحمد ! وقال : يا علي اغا، سلمت – ورب الكعبه – من كل ضر، وانت بضيافتي ثلاثة ايام، انت وركبك. واحضر رجاله وبشرهم بحضور

١٣– من الفارسية خداوند : سيد. يستعمل أهل الجبل هذه الكلمة في السيرة.

١٤– جفر سيدنا علي : كتاب يعزى إلى الإمام علي، فيه علم الغيب وعلم الأولين والآخرين.

١٥– خرزم، أي : خوارزم، بلاد واقعة في جنوب بحر آرال. أما الدربندات فقد تكون محوّلة عن دربند مدينة واقعة على ساحل بحر قزوين غرباً (داغستان).

١٦– غفارة : أجر الحراسه، ضريبة يدفعها المسافر قبل أن يدخل إلى المنطقة.

١٧– أي : أقضي على المسافرين ولا أترك منهم أحداً. وهذا إشارة إلى الآية (نوح، ٢٦) : رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا.

صاحب البند والعلم، واركبوا محمود على جواد، وساروا في ركابه الى قلعة المعره، وذبحوا الذبايح، واولموا الولايم ثلاثة ايام. وكانوا اجتمعوا جميع الرجال، وكان المقدم اسد الدين له ولد اسمه سليمان الجاموس، فاجرى العهد بينه وبين محمود، واوصا به علي اغا الوراق، وقال له : هذا امانتك، واخرج خنجر من زناره وطرقه بالارض، وقال : أي بلد حصل منها ضرر لهذا الغلام احرثها مثل هذه الارض. فقال له علي اغا : يا مقدم هذا مملوك الصالح، من يقدر يتجارى عليه ؟ ثم رحل علي اغا الى حماه، فطلع حاكمها لاقا له ونظر لذلك الضعيف فاحتقره بعينه، وقال له : لاي شيء هذا المملوك شاريه ؟ ضعيف ! فقال محمود الى ايدمر: من هذا ؟ قال له : هذا حاكم حماه. فقال محمود بباله : ان ملكني ربي مناي، وصرت ملك كما بشروني، لاجعل هذه البلد شونه [١٨]. فرحل الاغا الى حمص، فطلع حاكمها، اسمه ابو طاقيه. فطلع تفرج على المماليك، الى ان وصل لعند محمود، وتفرج عليه وقال له : مرفوع الاسوء [١٩]، يا ولدي ! ان شاء الله تنظر الخيرا واوصا به علي اغا، ففرح محمود من حاكم حمص وحصل له جبر خاطر، فضمر له كل خير. ورحل علي اغا الى الشام، نزل في المرجه، فخرج عيسى الناصر تفرج على المماليك، الى ان وصل لخيمه محمود، فقال الى علي اغا : هذا لاي شيء ؟ قال له : هذا شاريه على حظ افندينا الملك، لانه اوصاني ان اشتري له مملوك ضعيف مثله. فامر عيسى الناصر الى اتباعه ان يسحبوه من رجله، ويرموه في بردى [٢٠]، و[قال :] انا ارسل لافندينا عوضا عنه خمسين مملوك. فسمع محمود ذلك الكلام، فقال له : انت ما تخاف الله يا بو دقن طويله ؟ فقال له : آه يا كلب! وامر غلمانه : اسحبوه وارموه. فهجموا عليه الغلمان، فوقف بوجههم ايدمر، وقال لهم : انتم ما تخافوا من الله ؟ هذا غريب، يكرم لاجل النبي – صلى الله عليه وسلم – وصار يطريهم.

١٨– شونه : كومة تبن تغطى بالزبل، أو كومة زبل.

١٩– كذا.

٢٠– نهر دمشق.

[المملوك الضعيف بالمرستان [21]]

هذا، وعيسى الناصر ما قدر يقتله لانه مملوك ملك، ولكن ازداد حقدا على ذلك الغلام. هذا والغلام انتكس [22] من قهره، وزاد به المرض، فشاور علي اغا التجار لانه مراده السفر. فقالوا له : حطه بالمرستان، احسن ما يموت معك على الطريق. فارسله الى المرستان، وسلمه الى المرستاني، وكان اسمه ابو شحاده، فقال له : يا ابو شحاده، عينك على هذا الغلام! فقال له : لا توصي حريص [23] ! وحطه في اوضه [24]. وعلي اغا الوراق اخذ المماليك وسار لمصر.

اما محمود، ما صحي على نفسه الا في المرستان، فقال الى المرستاني : ما هذا المحل؟ قال له : انت في المرستان، ياتيك اكل وشرب وادويه، ولا تخرج من هذا المحل الا معافا. فالتفت اليه ابو شحاده، وقال له: انت شو اسمك ؟ قال له : محمود. وقال له : يا عمي جوعان! فقام واتاه بطاسة شوربه ورغيف بايت. فقال له : يا عم، انا ضعيف بدي لحم ورز. قال له : كنت تخبر علي اغا قبل ان يروح، يعين لك عشر قفف رز، وظرفين سمن، وعشرين راس غنم! فقال له محمود : بابه! انا جيب لي بالدراهم. واخرج الكيس الذي فيه خمسماية قنطره الذي عطاه اياهم المظفر، حاكم حلب. فلما شاف ابو شحاده الدراهم طار عقله من الفرح، وقال : جاتنا رزقه جديد! وغاب الى المسا واتاه بصحن فيه ربع وقية رز، وعشر دراهم لحمه، فاكل وحمد الباري. وثاني يوم كذلك، مقدار عشرة ايام جاب له شوربه. قال له : يا عم، بدي لحم ورز! قال له: يا ولدي، الشام غاليه والمصاري خلصوا. فقال له : خذ بابه، خذ واحد شال بيعه! فصار ياخذ واعه [25] بعد واعه،

٢١– أي : بالمستشفى. من الفارسية، بيمار : مريض واستان : مكان.

٢٢– انتكس : انتكس المريض : عاد إليه المرض عندما قرب من الشفاء.

٢٣– حريص : مهتم غير مهمل.

٢٤– غرفة.

٢٥– واعه : المتاع أي الثياب.

الى ان بقي بالزلط ورجع الى الشوربه، فسحت قلبه[٢٦]. فيوم من الايام ضاقت حضيرته[٢٧]، فزحف من الاوضه الى باب المرستان، وجلس على باب المرستان، وتعوذ من الشيطان، وسمى بالرحمن، وشرع يقرا كلام محي العظام وهي رميم[٢٨]، بصوت حسن حنون. فصاروا الناس يسمعوا له، ويلحشوا[٢٩] له دراهم واجده، الى ان صار قدامه كومت معامله، بتقدي ابو شحاده. فقال له : يا ولدي، قوة العين ظريفه، ما هي عيب. واخذ جميع المعامله الذي قدامه، وغاب حصه، واتاه بصحن رز ولحم، فاكل وانبسط كجاري العاده. فقال له ابو شحاده : يا ولدي، كل يوم اطلع اقراء، وانا اجيب لك لحم ورز! الى ثاني الأيام، عما يقرا في باب المرستان، ومارقه بنت حامله صحن فيه كبه بكشك[٣٠] ورائحه لعند المعلمه. فقال لها محمود : يا اختي ! اطعمين[ـي] واحد مكبتل. فبكت البنت لانها كانت صغيره، فقالوا لها الحاضرين : يا بنت اطعميه وخذي حقه منا. فما رضيت.

اسمع ما وقع الى حرمه واقفه في شباك قصر، يرمي على باب المرستان، وكانت زوجة شيخ الطحانه، وعندها بنت اجيره. فارسلتها لعند زوجها بالحال، وكان في طاحونة الزرابيليه[٣١]، تطلب منه لبن ولحم، وبقية الاغراض موجوده عندها، واحضرت الجيران لاجل يعاونوها. فما احتملت ساعتين ونصف الا كان الطعام خالص، فسكبت صحن وحطته على البحره حتى يبرد. وقالت للاجيره : خذيه للضعيف ! وقعدت ترضع ولدها في السرير، فما شافت الا رجل داخل، وعليه ثياب خضر، وانواره ساطعه. فقال : السلام عليكم، يا سكان هذا المحل ! واذا برجل اخر بحله حمراء، وصافحوا بعضهم. فقال الواحد للثاني : شرفتنا، يا غفير

٢٦– فسحت قلبه : مَلّ من الشوربه وضعف جسمه.

٢٧– أي : تضايق من هذا المكان.

٢٨– ياء سين، ٧٨، من يحي العظام وهي رميم.

٢٩– يلحشوا له : يرمون له فلوساً كثيرة.

٣٠– كبه بكشك : كبه مطبوخة بالكشك والكشك يصنع من البرغل واللبن ويجفف ثم يطحن وعندما تضعه في الماء يعطي طعم اللبن وهذا يصنع في أرياف بلاد الشام.

٣١– طاحونة : مطحنة والزرابيليه : منطقة بدمشق القديمة قريبة من قلعة دمشق.

الشام ! فجاوبه : الشرف منك، يا زنجي [٣٢] ! واذا برجل آخر، ثالث، عليه ثياب بيض، وطاقيه خوص[٣٣]، وقال : السلام عليكم ! فقالوا : وعليكم السلام، يا سلطان البسيطه ! فتقدم وصافح الاثنين، وقال لهم : يا اسيادنا، الان وقعنا في زمامكم، نحن وولدنا محمود. فالتفت نور الدين الشهيد الزنجي الى الشيخ رسلان[٣٤]، وقال له : مد يدك للصحن على بركات الله. قال له : انت احق. فمد يده نور الدين للصحن، وقال : بسم الله الرحمن عزمت، وعلى الله توكلت. وحرك الصحن، وكذلك الشيخ رسلان والصالح ايوب حركوا الصحن، وقروا الفاتحة، وصافحوا بعضهم، وانصرفوا. اما زوجة الطحان، لما شافت ذلك الشوفه وقعت مغشي عليها على السرير. فلما افاقت قالت : لا بد هذا الغلام ما وراه نسب طاهر. ثم ارسلت له الصحن مع الاجيره، ووضعته قدامه، فقال : بسم الله الرحمن الرحيم ! واكله كله، فانخبط خبطه [٣٥] قويه، وعرق عرق العافيه. بنفدة ابو شحاده، قال : من اطعمه هذا ؟ لانه لا يناسبه. واخذ المعامله الذي قدامه، وحمله للاوضه، وبعد حصه صحي، فقال له ابو شحاده : قوي حالك حتى اروح اجيب لك قنينة دوا منعشه. وسار ويلتهي بانجازه، ما يرجع لثاني يوم.

اما محمود، عرق عرق العافيه الى نصف الليل، ما شاف الا الثلاثة الذي تقدم ذكرهم جلسوه وكبسوه، فقبل اياديهم وراحوا بحالهم. اما محمود، قام كأنه الاسد، وصار يدور في المرستان من فرحه بالعافيه، فسمع صوت انين، من كبد حزين، من داخل اوضه، فدخل واذا هو رجل مصري، وهو عما يتلحوش [٣٦] ويقول: بعرضكم حرق جوفي ! فاحضر له محمود ماء، ورش على وجهه، فصحي، فقال له : يا ولدي، اياك تشرب دوا من ابو شحاده المرستاني، قتلني ! وما طلع الفجر الا

٣٢- يقصد نور الدين زنكي.

٣٣- من ورق بردي.

٣٤- الشيخ رسلان : أحد الزهاد الصالحين من أهل دمشق، توفي سنة ٦٩٩ هـ/ ١٣٠٠ م.

٣٥- أي : فاهتز.

٣٦- يتلحوش : يزحف على الأرض.

توفى الا [٣٧] رحمة الله. فقال محمود : الله بلا ورسن[٣٨] ! مرستاني يقول : اجيب لك دوا، بده يموتني ! فالتفت، وجد عصايه من السنديان، فاخذها بيده. ونافد المرستاني وبيده قنينه فيها ماء اصفر، فلما شافه محمود، تلقح بالاوضه، وصار يعن[٣٩]، فدخل عليه المرستاني، وقال : الله يجازيهم الذي اطعموك ! فقام محمود وسكر باب الاوضه، وسند الباب بظهره، واخذ العصا بيده ونزل على ابو شحاده بضرب وجيع، وقال له : يا معرص مرادك تقتلني ؟ الى ان خلا بدنه مثل النيل الازرق، وطرده. فراح اشتكى عليه للحاكم، فتواطوها [٤٠] الناس، وقالوا : يا محمود، هذا الدوا من رئيس الطب. فسار لدكانه، والعصا بيده، فنظر رجل اختيار قاعد، وداخل عبد وعطاه معامله واجره، وقال له : يسلم عليك سيدي، ويقول لك : ابعث له دوا. فقال : على الراس والعين ! وقام نزل مرطبان [٤١] صيني، واخرج منه شقفه بملوق [٤٢] ذهب، وقال له : سلم على سيدك، وقل له : كلها واشرب فوقها الماء السخن. فانصرف العبد ونافد واحد فقير، وارض الدكان مبلطه بالرخام، وهو يعن، فصرخ عليه رئيس الطب : لا تدعس ! اما تنظر الرخام ممسوح. قال له : دخيلك قلبي عما يوجعني. قال له : ابرم ودور من ناح الشباك ! واذا بالشباك جصطل [٤٣] من فخار وملان بضاعه، فاخذ شقفه وعطاه اياها، اخذها وسار.

هذا جرا ومحمود شايف، فقال بباله : غني يعطيه الطيب، وفقير يعطيه الذي يضر ولا ينفع، الله بلا ورسن، واحد مغضوب. فدخل للدكان، فصرخ عليه رئيس الطب : لا تدعس الرخام ممسوح ! قال له محمود : ادخل في وسط عينك ! ودخل لقدامه، وقال له : قلبي يوجعني. فمد يده الى الجصطل. فقال له محمود : لا

٣٧- كذا، أي : إلى.

٣٨- عبارة تركية، معناها : بلاكم الله.

٣٩- أي : يئن وهو يتمارض.

٤٠- فتواطوها الناس : فتوسطوا ليستروا أبا شحادة.

٤١- إناء زجاجي.

٤٢- الملوق هو ملعقة صغيرة.

٤٣- جصطل من فخار : وعاء مصنوع من فخار.

بابه، لا ! بدي من البلور. فقال له : هذا لوجع الراس. قال له : انا راسي يوجعني. قال له : هذا لوجع الظهر. قال له : ظهري يوجعني. فقال له : انت غلام شقي ! فشلف [٤٤] العصايه ولاح بها على القاووق، فصرخ رئيس الطب : اشهدوا عليه ! وراح الى المحكمه، ومحمود توجه الى المرستان، ورئيس الطب احضر اثنين محاضر من عند القاضي، واخذوا محمود لقدام القاضي. فقال له القاضي : لاي شيء ضربت هذا الرجل ؟ قال له محمود : يا قاضي، اسالني من انا حتى اجاوبك. قال له : من هو انت ؟ قال له انا مملوك الصالح ايوب ،وهذا متعامل هو والمرستاني، كل ما وجدوا واحد ضعيف يصرفوه بالسم، والقتيل موجود في المرستان، ارسل اكشف عليه، ولابد ما اعمل مذاكره قدام افندينا الملك الصالح. فتحول القاضي واصلح بينهم لاجل يخفي ذلك الامر، لان له ثلث الايراد من وقف المرستان. فعقد الشراكه بينهم لاجل يتم الطابق مستور [٤٥]، وتوجه محمود مع رئيس الطب للدكان، وجلس على الطراحه، فاذا اتاه فقير يعطيه دوا من المرطبان الصيني والغني يعطيه من الجصطل، الى ان كادت تطلع روح رئيس الطب. ولا زال على ذلك الى نهار الجمعه، فقال رئيس الطب الى محمود : مرادي اصلي، انا واياك، في الصالحية [٤٦]، وافرجيك على تلك المدارس. فقال له : وجب ! وسار هو واياه على الصالحيه، صلوا الجمعه، وداروا على المدارس الى المساء. نزلوا باتوا تلك الليله، وثاني الايام محمود صار يدور وياخذ مصاري من دكانة رئيس الطب، ويشتري الذي يلزم له. ولا زال على ذلك الحال مدة ستة اشهر، الى يوم دائر فوصل الى دكانة خياط، فنظر الى خياط اختيار جالس وقدامه ولده، وذلك الاختيار كفيف، وقاعد يسمع لولده القرآن. فجلس محمود وصار يسمع للغلام وصار يرده [٤٧]، فقال له الخياط : ما شاء الله، يا ولدي ! كل يوم تعال اسمع له، هذا اخوك. قال له محمود : مناسب ! وصار كل يوم يسمع له، الى يوم من ذات الايام، قاعد محمود في دكانة الخياط،

٤٤- شلف العصايه : رفع العصا.

٤٥- أي : حتى لا يدري أحد.

٤٦- حي بشمال دمشق، في لحف جبل قاسيون، وفيه قبور جماعة من الصالحين.

٤٧- يرده : يصحح له القراءة.

وعما يسمع الى الغلام القران، ما شاف الا الناس عما تتراكض، فقال الخياط الى محمود : خذ الغلام وادخل لداخل الدكان، لانه مارق عبد عيسى الناصر، اسمه سعيد البوز. كل ما شاف ولد ظريف مثلك ومثل ولدي، يأخذه على القناق[٤٨]. هم بالكلام واذا بذلك العبد الشقي اقبل واراد ان يسحب ابن الخياط من الدكان، فقال له محمود : دعه ! فقال العبد الى اتباعه : خذوا الاثنين الى القناق ! فلما سمع محمود ذلك الكلام، اخذ العصايه وشلف[٤٩] بها العبد على عرق اللبن[٥٠] قتله. فحملوه اتباعه واخذوه يشتكوا للوزير عيسى الناصر، ومحمود سار وجلس على باب المرستان. فلما بلغ الخبر الى عيسى الناصر، امر مقدم الدرك ياخذ رجاله ويجيبه سحب على وجهه[٥١]. فسار مقدم الدرك فرحان، وقال للزعر : ثبتوا حالكم، اذا قتل منكم عشرين فلا تهربوا ! الى ان قارب محمود. كان محمود اخف من البرق، طرق اول واحد بالعصا بين عينيه، قتله. فصرخ مقدم الدرك : كسره يا رجال[٥٢] ! ورجع اخبر عيسى الناصر، وقال له : افندم هذا واحد جبار! فقام اغا من اغوات الوزير، وقال : افندم، انا جيب لك اياه بسقلب[٥٣]. وسار لعنده، فقال له : الله يعطيك العافيه، حجر اسود وقمته من طريق المسلمين ! فسر معي الى عند الوزير، وانا اشهد معك بانه شقي، وشرعا لا يلزمك شيء. فسار معه الى السراية، تكاثروا عليه، كمشوه، وامر عيسى الناصر بقتله. فبركوه بنطاع[٥٤] الدم، والعالم صارت تتباكا عليه، واذا بعلي اغا الوراق مقبل وقال الى الوالي : ثقل يدك[٥٥] ! ودخل لعند عيسى الناصر، وقال له : افندم، هذا مملوك افندينا الصالح، فاذا كنت تريد تقتله، اعطيني مشرفه بختمك وختومة اهل ديوانك. فصرخ نقيب الاشراف :

٤٨– من التركية، قوناق : بيت كبير أو قصر.

٤٩– هنا، شلف : ضرب.

٥٠– عرق اللبن : المراد رقبته وهذه الرمية قاتلة.

٥١– أي : وهم يجرونه بالقوة.

٥٢– كسره يا رجال : هريبة، هزيمة من الخوف.

٥٣– السقلب هو شبكة لصيد الطيور، فالمعنى : بحيلة.

٥٤– النطاع هو جلد كبير يقتل الرجل عليه.

٥٥– تأنٍّ.

اشلون بدنا نعطيك مشرفه، يا بن الوراق، وترمينا بغم الملوك ! خده من وجهنا وروح ! فنزل، اخذه من النطاع بعد ان قطع كتافه، وسار به على الدرويشيه، فبلغ خبره احمد باشا الاقواسي، فاحضره الى بين يديه، وترجا علي اغا بان يسمح له بذلك الغلام، فاخبره انه هذا مملوك الملك الصالح، فقال له : اذا طلبه ارسله له. فتركه عنده وسار بحاله.

[محمود ببيت أحمد باشا]

اما احمد باشا، اخذ محمود لسرايته واخبر زوجته به، فقالت له : مناسب، اجعله يحمل ولدي بزابز شلبي ! فصار محمود يحمل الغلام، الى يوم سبع وعشرين في رمضان، حامله وواقف به على الباب، فشاف الاولاد مطوبرين[٥٦] وصاير الحرب بينهم وبين اولاد المرقص، فقالوا له : يا محمود ! انت ابن حارتنا، روح معنا ! فراح معهم وكسروا اولاد المرقص، ورجعوا بالعراضه[٥٧] . فسمع بزابز حس الاولاد، خاف، وقع، انفج. فلما نظره محمود، هرب الى جبل قاسيون، فما استقر مقامه في الجبل، واذا هو بولد قده بالعمر، فساله، فقال له : انا ابن صيروان [٥٨] عيسى الناصر. وهم بالكلام، واذا بغلام اخر اقبل عليهم فساله، فقال له : انا ابن السقا عند عيسى الناصر. فبركوا الثلاثه صآئمين، ما عندهم شيء يأكلوا. وكانت تلك الليله ليلة سبع وعشرين من رمضان، فانكشف لهم عن ليلة القدر، فتضرعوا الى الله، وكل منهم دعا بدعا. فدعا محمود : كل من كان سبب غربته لا يموت الا قتل، ولا يبان له عزيمه[٥٩] ، وان يعطيه قوة اربعين بطل في يده اليمين، وجلوسه على كرسي نبي

٥٦- مطوبرين : أي مصطفين، مأخوذة من طابور وهي كلمة تركية، سلافية الأصل، يعني : صف.

٥٧- أي : موكب.

٥٨- الصيروان، من الفارسية ساربان : جمال.

٥٩- قراءة فرضية، وفي السيرة الحلبية دعا محمود ما يلي : «اللهم اجعلني ملك مصر والشام، واجعل لي في جسدي قوت اربعين بطل، ولا تمتني حتى ارا اعمامي مذبوحين كما ضيعوني في بلاد الغربة».

الله يوسف الصديق. والاثنين دعوا ان يصيروا اولياء من عباد الله الصالحين. فبالحال كشف الله عن بصيرتهم، وكل منهم توجه الى محله، ومحمود توجه الى بيت احمد باشا الاقواسي. فكمشته زوجته عيشه القرعه، وربطته في الليمونه، وصارت تضربه بالعصايه...



[٣]

. . . [و] محمود، اذا ضربها كف، بيرمي رقبتها، ولكن ماتجارأ عليها لأنها، مهما كان اسمها، سته، وهو مؤدب وابن كرام. فجابت عصايه ونزلت فيه سلخ، فصار يقول لها : دخيلك[1] يا ستي ! دخيل احمد باشا ! وهي نازله فيه ضرب.

قال الراوى : يا كرام ! وحدو[ا] عظمة من لا يغفل ولا ينام ! وصلوا على سيدنا محمد البدر التمام ! بانه كان الى احمد باشا الأقواسي اخت، اسمها الست فاطمه بنت الأقواصي[2]، وكانت عظيمة المثال، سخية اليد، بشوشة الوجه، جليلة القدر، وافرت العقل، وكان زوجها حاكم بالشام سابقاً، ولما مات الى رحمة الله، خلف لها اموال ومالكانات، شييء بليغ. ولها سرايه عديمة المثال، وهي واقعة قرب باب الحديد الذي عند باب الجابيه[3]، وفي عصرنا هذا انتسخت وصارت حارة، وتسمى زقاق البرغل، وكان بابها قدام حمام المرادنيه، وهي قريبه الى سراية الست عيشه، حيث انها براني[4] سرايتها. وقد تخلفت من زوجها بولد ذكر، اسمه بيبرص، وكان جميل الصوره، وعمره من جيل محمود، وقد مات بأول شهر رمضان، فهي باركه حزينه على فُقد ولدها. فبذلك اليوم، ما تسمع الا حس الغلام عمال يصرخ: دخيل احمد باشا ! وكان احمد باشا سايد بالشام على سيط اخته فاطمه، فاولاً عاطيته البراني تبع سرايتها وجميع مصارفاته منها، ولها عنده اموال بليغه، وهي لا تطالبه بها، لأنها تعلم انه ماعنده شيء. فلما سمعت صريخ الغلام، قالت الى الجاريه : اطلعي على المشرقه[5] وشوفيلي هالغلام الذي عمال يبكي ويستجير في بيت اخي.

١- أتوسل إليك

٢- كذا في المخطوط.

٣- باب من أبواب سور دمشق واقع في غرب المدينة القديمة وهناك حي يسمى حي باب الجابيه. يبدأ عنده الشارع المستقيم (حاليا سوق مدحت باشا) الذي ينتهي إلى باب شرقي.

٤- براني : خارج.

٥- نافذة صغيرة تشرف على الشارع.

قال . . . فطلعت الجاريه على المشرقه وتناوقت [٦]، فرأت محمود مكتف بالليمونه، ونازله فيه الست عيشه سلخ، فقالت لها الجاريه : ياستي، ليش عمال تقتليه، انت ما بتعرفي انه ستي لا تقدران تسمع حس ولد يبكي ؟ فما ردت عليها وزادت عليه بالقتل، وهذا دأب اللئيم كلما خدعته يتنمرد [٧]. فلما نظرت الجاريه الى لؤمها، نزلت وهي عمال تبربر من غيظها، وقالت : يا ستي، مرة اخوكي مكتفه ولد بالليمونه، يشبه سيدي بيبرص وعمال تقتله .

قال . . . فلما سمعت ست الشام كلامها، كاد ان يزيح عقلها، وقامت طلعت على المشرقه، طلعت فنظرت غلام يشبه ابنها بيبرص، وهو عمال يتدخل على سته عيشه، وهي لا تسمع له كلام، فقالت لها ست الشام : يا مرة اخي، رجيني [٨] فيه . فما ردت عليها، فقالت لها ثاني مره : يا مرة اخي، انا عمال احاكيكي، ما لي كرامه عندك ؟ الم تعلمى اننى لا اقدر اسمع حس الاولاد ! فما ردت عليها . فقالت لها : يا هلترى يهون على اخى تفعلى بهذا الغلام هيك فعال ؟

قال ... فالتفتت اليها، وقالت لها : انزلى الى بيتك وانسترى بلا نقاصه[٩] وقلة حيا ! مملوكنا وبدنا نربيه، شو عامله عليه انت ؟

قال . . . فلما سمعت ست الشام منها هذا الكلام، زعلت فتركتها ونزلت وهي برج غضب . فحالاً تغطت واخذت جاريتها، وسارت الى بيت القاضي ودخلت عليه، وفردت قدامه كيس فيه عشرين سند على اخيها احمد باشا، ولحشتهم [١٠] قدام القاضى .

قال . . . فلما نظرها القاضى، ترحب بها وسئلها : ما هؤلاء ؟ فقالت له : اعلم ايها القاضى ان اخي، كل مده يجى الى عندى ويطلب منى كم غرش، فاعطيه واكتب عليه سند، حتى صارلى عنده عشرين سند، الذى انت شايفهم . والآن بدى اياهم منه هذا الوقت .

٦- أي : مدت رأسها لتنظر.

٧- هذا الوارد في النص لكن الحكمة تقول : إذا أنت أكرمت اللئيم تمرد.

٨- أي : اسمعي طلبي وارحمي الولد.

٩- سوء أدب.

١٠- أي : رمتها.

قال . . . فارسل القاضى طلب احمد باشا، فلما حضر، نظر اخته قاعده، فتعجب وقال : يا ترى شو الخبر ؟ فقال له القاضى : يا احمد باشا، بدنا منك هذا المبلغ الى اختك . فضحك من قلب الغيظ . قال له : والله ياسيدي، اختى اذا باعتنى تستحق ثمني لانه لحم اكتافى من خير الله وخيرها، ولم اقدر اقوم بأداء الشكر على فعالها، فكيف اقدر بان اقوم باداء حقوقها، وشو السبب حتى طالبتنى وانا اعلم انّ دَيْنِي لا ينوفا [11] ، ولكن على كل حال اسمها اختى، وانا غريس نعمتها . فقال القاضى : انا لا اعرف بينكم سِوىَ عليَّ التحصيل . كل هذا، والست اخت احمد ساكته، لا تتكلم، فالتفت اليها اخيها، وقال لها : ما تحكي يا اختى ؟ فقالت : شو بدى احكى ؟ يكفى القاضى افندى عمال يحكى مطرحى، فانا حقى بدى اياه . فقال لها اخيها : ليش هالعمل، يا اختى ؟ ولكن اريد منكى تسمعى لى هذه الحكاية وتفيدينى بالجواب . فقالت له : تفضل ! فقال لها :

يا اختى كان فى زمان الحجاج[12] وحده حرمه انحبس زوجها وولدها واخيها فى حبس الحجاج، ومراد الحجاج قتلهم . فذهبت الحرمه الى عنده، وقالت له : اهكذا حكمك يأمر بيتمى[13] من اخى وزوجى وولدى، وليس لى ملجاء سوى الله تعالى وهم . فقال الحجاج : هاتو[ا] لها زوجها . فقالت له : ما انصفت . فقال : نعم حق! لأن الولد اغلا، لأنه ثمرة الفوآد، هاتو[ا] لها ولدها . فقالت له : ما انصفت . فغضب وقال : هاتو[ا] لها اخوها . قالت له : الآن انصفت . فقال لها : يا بادعه[14]، كيف حتى فضَّلتي اخوكى على ولدكِ وزوجكى ؟ لازم تبينى لى السبب . فقالت له : افندم اذا كان قتل زوجى، فانا لسانى صبيه، فاتزوج وبأخذ عواضه، واذا كان قتل ولدِى، لساني صبيه، بحبَل وَبولْدْ وبجيب عواضه . واما اذا كان قتل اخِى، فأمى وابى ماتوا، ماعادو[ا] يرجعوا الى الدنيا حتى يأتو[ا] لى باخ سواه، لأنه الأنسان اذا وجعه راسه، يقول : اَخْ يا راسى ! المعنَى : يا اخى . فلما سمع الحجاج كلامها، انبسط وانعم عليها بأخوها وولدها وزوجها، وعفا عنهم .

١١- لا يمكن تسديده .

١٢- الحجاج بن يوسف الثقفي القائد الأموي المعروف (٤٠-٩٥هـ/ ٦٦٠-٧١٤م)

١٣- بيتمي، أي : تقتل أخي وزوجي وولدي .

١٤- يا بادعه : يا لئيمة، يا لكاع .

بقا، يا اختى، انا – والله – زعلت وصار لى كسران خاطر، والمثل يقول : الشكاوه عداوه، فمرادى ان افهم منكى ايش السبب الذى خلاكى تفعلى ذلك. فقالت له : اعلم انني انقهرت [من] زوجتك، لانني سمعت حس ولد عمال يبكى. واحكت له الماده من المبتداء الى المنتهاء، وبآخر كلامها، قالت له : احسن ما تشترى مماليك الى هالقرعه [١٥]، اعطينى حقي ! فقال لها : والله، يا اختى، ماني شاريه بالدراهم، وليس هو لنا، لأنه هذا المملوك الى الملك الصالح ايوب، وما هو عندى الا ضيف، لحين يطلبه الملك، وليس عندى معلوم انها عمال تقاسي عليه هذه المغضوبه. فقالت له اخته الست فاطمه : اذا كان الأمر كذلك، فاعطيني اياه، وانا اشق هذه السندات، ومتى طلبه الملك ارسله له، ومعه ايضاً خمسين مملوك. فقال لها : والله! انتى قدها. وقام، قبل رأسها، وراق قلبها، فعند ذلك شقت السندات وتصالحو[ا]. فقال لها اخيها احمد باشا : هلق اجيب لكى اياه للسرايه بيدى. ثم ان الست فاطمه اكرمت القاضي وتوجهت، واحمد باشا طلع يركد، وهو يقول : بدها تخرب بيتى هالمغضوبه ! الى ان وصل الى بيته، يرى الغلام قاعد زعلان وبكيان، وعمال يقول لحاله قول الشاعر :

لابد من شده ولابد من رخا ولابد من ايام الهموم تزول

فقال له : تعال يا ولدى، لا تأخذ على خاطرك، فقالت له زوجته : لوين رايح تأخذه ؟ بده يحمل سيده بظاظه [١٦] ! فقال لها : اسكتى ! آه يا خبيثه، رايحه تخربي بيتي. واخذ الغلام، وسار الى سراية اخته. فلما دخل محمود رأى برانى عظيم، ولما دخل الى الجوانى رأى سرايه معتبره، واسعة الفضاء، عالية البنيان، ذات اشجار واطيار، توحد العزيز الجبار، وقاعده على حفة الليوان خانم [١٧] عديمة المثال، جليلة المقدار. فتقدم احمد باشا وصافحها، وقال الى محمود : قدم يا ولدى، بوس اتك ستك ! فتقدم محمود وباس ايدها. فضحكت بوجهه، وترحبت فيه، وقالت له : شو اسمك، يا ولدى ؟ فقال لها : محمود. فقال له احمد باشا : بدك

١٥– هالقرعة : التي سقط شعرها من مرض القرع.

١٦– اسم ولد زوجة أحمد باشا، بزابز سابقا.

١٧– كلمة تركية الأصل، تعني : سيدة محترمة.

تقعد هون، يا محمود، وهذه صارت ستك. فقال محمود : حاضر ! وقال بباله : الحمد لله الذى خلصنى من يد عيشه القرعه وابنها بظاظه !

[سيرة محمود]

ثم ان احمد باشا توجه الى حال سبيله، ومحمود صار يتنقل بالسرايه، ولكن جوعان، حيث صار له يومين ما اكل شيىء، والدنيا رمضان. فما صدق متى اذن المغرب، تعشا، وانبسط، وحمد الله تعالى وقعد. فندهت له الست، واعطته كام مصريه [18]، وقالت له : اطلع تشبرق [19] فى باب الجابيه، ودور لك شويه، لكن لا تتعوق ! فباس يدها وطلع تشبرق ورجع سريعاً، وصار يلعب بالسرايه، هو والجوار [20].

واقام على ذلك الحال الى يوم العيد، فلما كان يوم العيد، على بكره طالعت له بدله ظريفه، ولبسته اياها، واعطته كام غرش، وقالت له : روح دور وتشبرق، ولكن لا تقارش [21] احد ! فباس ايدها، وفطر وانبسط، وطلع وقف على باب السرايه، واذاً برجل عاجز داخل الى السّرايه. فقال محمود بباله : تخمين [22] بده اكرام. والرجل دخل لقدام الست، وقال لها : كل عام وانتى بخير! احياكى الله لامثاله [23] ! والله، جايه لعندك ومستحي من جنابك.

قال ... وكان ذلك الرجل شيخ ابنها المرحوم بيبرص، فمدت يدها الست، واعطته اكرام زايد، وقالت له : تعال بعد العيد، قريلى هذا المملوك. فدعا لها، وقال : على الراس والعين ! وطلع من عندها وهو فرحان، الى ان مضا العيد، وفى رابع يوم، حضر الى السرايه على بكره، وطلع قعد على حفة الليوان. فلما نظرته الست، ندهت الى محمود، وقالت له : خوذ هذا المصحف وانزل الى عند الشيخ، خليه

١٨– أي : كم فلسا.

١٩– أي : يصرفها ويتمتع بها ويشتري الحاجات.

٢٠– جمع جارية.

٢١– لا تتدخل بشؤون غيرك، ولا تؤذ أحداً.

٢٢– أي : يمكن أو أظن.

٢٣– كذا.

يعلمك القرائه. فقال محمود : وجب ! ونزل، قعد قدام الشيخ. فقال له : شو اسمك يا ابني ؟ فقال له : محمود. فقال له الشيخ : قول الف. فقال محمود : يا شيخي ! انت مرادك تعلمني ؟ قال له : نعم ! فقال له محمود : أي، هكذا مبتدأ القرائه ؟ فقال له الشيخ : لكان اشلون ؟ قال له محمود : قل اعوذ بالله من الشيطان الرجيم[٢٤] ، بسم الله الرحمن الرحيم، رب يسر ولا تعسر[٢٥]، رب تمم بالخير، يا فتاح يا عليم[٢٦]، تفتح لنا خير باب. فالله - تعالى - يفتح على القارى. فقال الشيخ : اى، قول مثل ما بتعرف ! ثم قال له : قول الف. فقال له محمود : وما معنا الألف ؟ فقال الشيخ : كمان الألف لها معنا ؟ مانك شايفها اشلونها بالورق، طويله ؟ فقال محمود : انت، يا شيخ، ما بتعرف تقراء ! معنا الألف يعنى ان الله واحد، احد، فرد، صمد[٢٧]، تفرد بالوحدانيه - سبحانه وتعالى - فقال الشيخ : اينعم، يا ولدى هذا المعنى. قول ب. فقال له : وما معنا الباء ؟ فقال : كمان الباء لها معنا ؟ فقال محمود : معلوم ! معناها بهاء الله وهيبته.

قال . . . ولا زال يفسر له حرف بعد حرف الى آخرها، فرأى الشيخ بأن هذا الغلام قارى ماهر، عارف بالتفسير احسن منه، فقام نتع ترجيله [٢٨] تحت باطه، وطلع يركد. فنظرته الست من الشباك فقالت له : الى اين رايح ؟ ما تقرى الغلام ؟ فقال لها : مملوكك قارى حافظ - ما شاء الله عليه - ويقراء بالمعنى احسن منى. فتعجبت الست، وندهت الى محمود بعد ماراح الشيخ، فلما صار قدامها، قالت له : لأي شيىء يا ولدى ما قريت ؟ فقال لها : سئلته عن معانى الحروف، فما عرف. ماشفته الا نتع ترجيله وهرب ! فقالت له : وانت تعرف معناهم ؟ فقال : نعم ! معناهم ما هو كذا وكذا . . . ثم قعد قدامها على ركبه، وتعوذ من الشيطان، وسما بالرحمن وقراء عشر قرآن، على السبع روايات، شيىء ما شاء الله ! وختمه بالفاتحه،

٢٤- سورة النمل، ٩٨.
٢٥- سورة القمر، ٤٠, ٣٢, ٢٢.
٢٦- سورة سبأ، ٢٦.
٢٧- سورة الإخلاص، ١-٢.
٢٨- أي : حمل حذاءه.

واهداها الى روح المصطفى – صلى الله عليه وسلم – وبعدها سمعها بعض احاديث نبويه. فرأت الست منه شييء عظيم، على صغر سنه، فتعجبت غاية العجب، ثم قالت له: يا محمود، تخمين ان سيدك الذى ربيت عنده مات حتى باعوك.

قال ... فبكى محمود وتنهد، وقال لها: يا ستى ليش انا مملوك ؟ فقالت له: لكان شو انت ؟ فقال لها: والله ! انا ابن ملوك. فقالت له: شو السبب حتى وقعت تحت البيع والشراء، ووصلت لتحت يد عيشه القرعه ؟ فقال لها: هكذا امر الله. فقالت له: احكيلى قصتك. فقال لها:

اعلمى، ايها الست، انه كان فى بلاد العجم اقليم يقال له شهر بان العجم[٢٩]، وموجود بذلك الأقليم رجل من احباب الله الزهاد. فاتفق له يوم من الأيام، ان يطلع الى برات البلد يشم الهوى، فتوجه وحده، وليس له عاده يناغش[٣٠] احد، دائما مستقيم على العباده، الى ان وصل الى نهر جارى، فبرك على حفته، وصار يقراء ويتفرج على جري الماء وتسبيح السمك. ما ينظر الا وجايه على وجه الماء تفاحه، فمد يده اخذها، وامرت عليه نفسه[٣١] ان يأكلها. فعض منها عضه، واراد ان يعض الثانيه، اسي لحاله، وقال: ان لله وان اليه راجعون[٣٢] ! اشلون اكلت من هذه التفاحه، وانت لا تعلم لمن هي، لعل صاحبها رجل عاجز او حرمه... وفز على حيله، والتفاحه بيده، وقال لحاله: امشى على حفة النهر، واين ما نظرت شجرة تفاح على النهر، روح الى صاحبها واستسمح منه. فصار يمشى، وهو يبكى، وندم على ما فعل، ويقول: بلكى ما شفت صاحبها، اشلون بده يكون ؟ الجواب بين يدين الله – تعالى – ولازال سائر طول ذلك اليوم، وهو يؤكد بالأشجار، الى ان امسا المساء: ما وجد شييء. بات ذلك الليله طي الى الصباح. توضا وصلى، واخذ شقفة التفاحه، وسار الى قرب الظهر، وجد شجرة تفاح مدلايه على النهر.

٢٩– في الرواية الحلبية: في مدينة بلخ.

٣٠– أي: يداعب أحدا.

٣١– سورة يوسف، ٥٣.

٣٢– سورة البقرة، ١٥٦.

فطرق باب البستان، فطلع فتح له المرابع [٣٣]، وقال له : اهلاً وسهلاً بالشيخ محمد الأدهمى! وقدم باس يده، وقال له : تفضل سيدى، شرفنا ! فقال الشيخ : من غير ما ادخل، انا كنت بجانب النهر، نظرت تفاحه، عضيت منها عضه، فهل لك ان تسامحنى؟ فقال له المرابع : والله، يا سيدي، البستان ما هو الى، بل هو الى الملك.

قال ... فضحك الشيخ، وقال : انا بروح الى عنده واستسمح منه. وحالاً رجع الى البلد، واصل للديوان، فلما نظره الملك قام له واثب على الاقدام، هو والاكابر والأعيان، وصارو[ا] يقبلو[ا] اياديه، واجلسه الملك الى جانبه، وترحب فيه، وسئله: هل لك حاجه، يا سيدى، حتى نقضى لك اياها ؟ فأحكاله الشيخ حكاية التفاحه، وهو جايه يطلب السماح. فقال له الملك : وحيات راسى، يا شيخى ! ان البستان ماهو الى، بل كاتبه الى بنتى، ولكن حتى اقوم استسمح لك منها. فقال الشيخ : لا مانع. ثم ان الملك دخل على الحرم لقاعة بنته، فحينٍ [٣٤] نظرته، فزت على حيلها وباست يده، فاحكالها عنما ترجم الشيخ عن عضة التفاحه، وهو يطلب السماح منكى.

قال ... فلما سمعت البنت كلام ابوها، ضحكت وفرحت بحالها، وقالت له : لا اسمح له، وحيات راسك ! الا ان يتزوج بي. فقال لها ابوها : من كل عقلك عمال تحكى ؟ فقالت : اى، وحيات راسك ! فقال لها : يا للعجب، ما رضيتى احد الا هذا المهبول ! فضحكت البنت وقالت : يا ابي، والله ! نظرته بنومى، وانه يأخذني ويجينى منه ولد يكون من احباب الله. فهذا سبب زواجى به، وَقِلّت رضائي بغيره.

قال ... ففز الملك وطلع الى الديوان، واعرض على الشيخ جميع الذى صار بينه وبين بنته، فقال الشيخ : انا أفعل ذلك واتزوج بها لاجل السماح، ولكن على شرط ان لاتعترضنى بشيىء. فأرسل ابوها شاورها، رضيت وقالت له : دعه الليله يدخل. فكذلك رضي الشيخ بذلك، وبالحال كتبو[ا] الكتاب وقعدو[ا] يتسامرو[ا] الى

٣٣– المرابع، في مصطلح الفلاحين، الذي يعمل عند صاحب الأرض ليأخذ ربع المحصول، والمراد هنا الأجير.

٣٤– كذا في المخطوط أي : فحينَ.

المساء، تعشو[ا] وانبسطو[ا]. كانت الملكه تزينت بزينة العرايس، فدخل عليها الشيخ، استلقته ملو الأحضان، وقبلت اياديه، وجلست لجانبه، وصارت تحاكيه. وبعدها اصابها درة ما ثقبت، ومطية لغيره ما رتكبت. وقام اغتسل، ورجع لبس البوظيه [٣٥] واراد ان يمشى. فزت البنت، وقفت قدامه، وقالت له: فين رايح والدنيا ليل؟ فقال لها: ما صار الشرط انكى لا تعترضينى؟ فقط اوصيكى، ان اجاكى ولد، سميه ابراهيم. فقالت له: انا عمال اقول لك اطلع خوذ راحتك! وقامت سكرت الباب، وكان مرادها التبرك فيه. فقال لها الشيخ: انت مرادكى تلهينى عن عبادة الله! وتقدم ناح الحيط، وصرخ: يا مدد الله! فانشق الحيط وخرج منه. واما الملكه فلما نظرت ذلك وقعت مغشيه، وثانى الأيام فتحو[ا] الباب عليها، وجدوها مغشى عليها، والشيخ ليس له اثر. فراح القزلار [٣٦] اخبر الملك، فطلع يركد لعند بنته يراها كما شرحنا، فقعد فوق راسها وصحاها. فلما صحيت، سئلها ابوها: ايش الذى جرى لكى، واين الشيخ؟ فاحكت له عنما جرى بينها وبينه، فقال: عسى الله ان يرزقنا ولد يصير ملك عواضى، لأنه كان عديم الأولاد الذكور، وليس له سوى هذه البنت. وصار يروق بخاطرها، ويقول لها: بلكى لسع بيجى. وخرج من عندها الى الديوان واخبرهم بما قد كان، فقالوا كلهم: شى لله، يا رجال الله [٣٧] ! هذا من عباد الله الصالحين [٣٨]. ومضت مدة ايام، بان عليها الحمل، ففرح بها فرحاً شديد. وصبرو[ا] الى ان مضت ايام حملها، فوضعت ولد ذكر، كأنه فلقة القمر. فسموه ابراهيم، كما قال ابوه الشيخ، وصارو[ا] يربوه على ايادى اللالات والمحاضى [٣٩]، ودائماً على ركبة جده، حتى بلغ من العمر ثمانية اعوام. فعينو[ا] له المشايخ صارو[ا] يعلموه القرآن الكريم، فختم بمده يسيره، فنظر منه جده شيىء غريب، ولا يمر شيىء على قلبه الا ويتعلمه بالحال، الى ان

٣٥– لباس مرقع خاص بالدراويش.

٣٦– أي: الخادم. من التركية: قزلر أغاسي، رئيس الخصيان.

٣٧– أي: يا عباد الله الصالحين. استعمال خاص بالصوفيين.

٣٨– سورة النمل، ٢٧.

٣٩– أي: الخادمات والوصيفات.

تعلم العلم، والفقه، والبيان. ولايستعنى[٤٠] بأمور الدنيا ابداً، وتارةً يقول الى جده: لأي شيىء الذهب والفضه ؟ وهو لا يظنه الا ابوه، فأستحسن جده ان يزوجه ويفرح فيه، فخطبو[ا] له بنت من بنات اكابر الدوله، وعمل له فرح عظيم، وادخله عليها، فاصابها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ارتكبت، فحملت منه بولد ذكر. وثانى يوم بايعه جده على الملك، فسمي السلطان ابراهيم الادهم[٤١] — رضي الله عنه — فتوفي جده الى رحمة الله، فجلس السلطان ابراهيم الأدهم على كرسى المملكه ايام قلائل بعد وفات جده، فوضعت زوجته ولد ذكر، فسموه محمود. وكان ليلتها السلطان ابراهيم لما اتكا للمنام فنام — فيا امة خير الأنام ! وحدوا عظمة من لا يغفل ولا ينام[٤٢] — واذ رأى فى منامه ولذيذ احلامه ابوه، فاصبح. لاجل هذه الرؤيا ترك السلطنه وساح، فاصبحوا اهل الديوان لم وجدوه[٤٣]. هكذا فدخلت امه لمحل منامته، فوجدت ورقه مكتوبه، وبدلة الملك والتاج ملحوشين[٤٤]، ومكتوب بالورقه: يا اماه! انا ابن الشيخ محمد الأدهمى، ولحقت درجة آبائى واجدادى. فوالدته صارت تبكى عليه ليلاً ونهار، وتسئل عنه السفار في الأقطار. ناس يقولو[ا]: شفناه بأرض السواحل. ناس يقولو[ا]: شفناه بالشام. وناس يقولو[ا]: شفناه بالحجاز. فأختلفت فيه الأقوال، الى ان بلغ ولده من العمر اربعة عشر عام، فقالت ام السلطان ابراهيم الى كنتها، ام محمود: ديرى بالك على السرايه والمُلكْ، والتاج والمتاع. فبايعو[ا] محمود على المُلك، واستلم السلطنه محمود، وجلس على الكرسي مطرح ابوه.

واما ام السلطان، قالت الى كنتها، ام محمود: انا نويت ان اذهب الى الحجاز، وافتش على زوجك، عسى انى اقدر ان ارده الى المُلك، وينظر ولده كيف صار.

٤٠– أي: لا يعتني ولا يهتم.

٤١– اقتباس خيالي لشخصية الزاهد إبراهيم بن الأدهم (ت ٧٧٧م/ ١٦١هـ)

٤٢– سورة البقرة، ٧٤, ٢٥٥.

٤٣– كذا في المخطوط، أي: لم يجدوه.

٤٤– أي: مرمية.

واعرضت هذا الكلام على ابن ابنها محمود. فحالاً امر ان يطالعوا الى سته[٤٥] دائره وتخت ارووام[٤٦]، وطلع ودعها، وعاد الى ملكه.

واما الملكه ام ابراهيم، صارت تتنقل في البلاد، وتتصدق، وتفرق، الى ان وصلت الى مكه المشرفه. فحجت ولبت، وتطلعت على ولدها، ما شافته. فسئلت عنه اهل مكه فقالو[ا] لها: لا نعرف ابنك، ولكن يأتى الى هنا كل مده رجل سايح اسمه ابراهيم، ولكن ماله وقت معين. فقالت: هذا هو، ولكن كيف حاله ومنظره؟ فقالو[ا]لها: الله ينفعنا ببركاته، فانه من عباد الله الصالحين، فتشوقت امه بالأكثر الى رؤياه. ثم مضت ايام الحاج[٤٧]، ونزلت مع الحاج البرى الى الشام، وصارت تسئل عنه. فقالو[ا] لها بعض الناس: نظرناه باراضى جبله[٤٨]، عند طرابلس. فتوجهت الى تلك الارض، وسئلت عنه. قالو[ا] لها: قاعد عند البحر فى المطرح الفلانى.

قال... فسارت حتى وصلت الى حفة البحر، ترى رجل قاعد قدام البحر بالزلط[٤٩]، وعمال يخيط مرقعيته، والشعر مسبسب[٥٠] على اكتافه، والشمس لادعه ظهره ووجهه، فحققت فيه النظر تراه ولدها، فبكيت وصرخت: وا ولداه! وا بنياه! وهجمت عليه وهي فرحانه بلقياه، وصارت تقبله بعارضيه، وهو بهتان فيها لا يتكلم. ثم قال لها: يا اماه! اقصرى عن هذا البكاء، واخبرينى شو مرادك. فقالت له: مرادى ترجع الى مُلكك وزوجتك، وتنظر الى ولدك اشلون صار. وانت، اشلون مدشر[٥١] كل ذلك المُلك، ومستقيم بهذه الحاله؟

٤٥- جدته.

٤٦- تخت أروام: عبارة فارسية معربة، تعني حرفيا: السرير المتنقل، ويقصد بها هودجا تحمله دابتان وهذا المركب مريح للمسافرة.

٤٧- كذا، الحجّ.

٤٨- جبلة مدينة واقعة على الساحل السوري في جنوب اللاذقية.

٤٩- أي: عار من الثياب.

٥٠- أي: الشعر الطويل المهمل المتدلي على أكتافه.

٥١- أي: تركت.

قال ... فتبسم من كلامها، وقال لها : اقعدى حتى افرجيكى على السلطنه. عمال ترغبينى، يا اماه ! بالدنيا، وهي دار زوال، ثم انه قطع الخيط الذى عمال يخيط فيه، ولفه على الابره، ورماها في البحر، وقال الى امه : اصبرى وتفرجى ! قال ... فما نظرت الا البحر هاج وماج، والأسماك صارت تزاحم بعضها، ويتراقعو[ا] [٥٢] فى بعضهم البعض، والموج يقذف الى البر سمك ميت، حتى صار شيىء كثير، وامه عمال تتعجب من ذلك. واذاً بسمكه كبيره طلعت من البحر، ووقفت قدام السلطان ابراهيم الأدهم، وقالت له بلسان فصيح : والله ! يا سلطان ابراهيم، راح من السمك قتل شيىء كثير من الزحمه لأجل يتباركوا فى ابرتك، وتفلت الأبره في حضنه ورجعت للبحر، فالتفت الى امه وقال لها : ايه، يا اماه، هذه السلطنه احسن والا الذى تقولى عنها ؟ فقالت له : والله ! سلطنتك هذه احسن. ثم انها شلحت [٥٣] المتاع الذى عليها، ولحشته وصرخت : هو [٥٤] ! وساحت مثل ابنها. والأتباع الذى معها، اخذوا المتاع والأموال، وسارو[ا] الى بلاد العجم، واخبرو[ا] بسياحة الملكه ام ابراهيم الأدهم. فلما سمعت كنتها، ام الشاه محمود، ذلك الخبر، خافت على ولدها محمود، لايروح يسوح، ويلحق ابوه وسته، قالت ببالها : زوجيه والهيه بالزواج. فصارت تخطب له، الى ان وقعت ببنت من بنات رجال الدوله، عظيمة المثال، فخطبتها له، وعقدوا عقد محمود عليها، وعملت له امه فرح عظيم المثال، ودخل عليها فاصابها درة ما ثقبت ومطية لغيره ما ارتكبت، فراحت منه حامل باذن مسير المحامل [٥٥]. فلما انتهت ايام حملها، وضعت ولد ذكر، مثل فلقة القمر، وسموه محمد. فلما صار عمره اربعة عشر عام، كان تعلم القرائه، والمطالعه، والعلم، وتعلق على ركوب الخيل، فطلع حربجى من رجال الحرب، وبعض ايام يحكم مطرح ابوه الشاه محمود.

٥٢– أي : تتصادم الأسماك.

٥٣– أي : خلعت ثيابها.

٥٤– أي : يا الله ! في اصطلاح الصوفيين.

٥٥– أي : بإذن الله والمراد محامل الحج فالله يرعاها في مسيرها.

فلما صَار من مبالغ الرجال، بايعه ابوه على المُلك. وبعد مده طلبو[ا] الشاه محمود: ما وجوده، بل وجدوا ورقه مكتوبه الى ابنه السلطان محمد انه، يا ولدى. لا تطلبني! وانت تعاطا الاحكام، وبرضائي عليك امشي مع الرعايا بالعدل والأنصاف، لأجل تسمى من الملوك العادلين. وهو ساح كما ساح ابوه السلطان ابراهيم الأدهم، ولما وصل الى مكه المشرفه، وجده ابوه هناك. فلما نظره ابوه، سلم عليه، وقال له : يا ولدى، مكه ما بتلقانا[٥٦] نحن الأثنين، بل انما انت استقيم هون، وانا راحل. وتركه ورحل الى جبله وتوفى هناك[٥٧]، وابنه الشاه محمود توفى فى مكه، وسمي مطرح ما ندفن مقام الشيخ محمود، وهو مفهوم لوقتنا هذا، ويحط فيه الحاج الشامى.

واما الشاه محمد ابن الشاه محمود، فانه صار يضرب بلاد المجوس، ويفتح فتوحات، وصار عنده عساكر عظيمه، الى ان فتح اقليم شاهر يسمى الخرزم والدربندات. فاستطاب اليه هواء هذا الأقليم، فنقل اليه كرسى مملكته، وجعل اهل ذلك الاقليم وقضائه جميعهم اسلام. ثم انه تزوج فى احد بنات رجال الدوله، فولدت له ثلاثة اولاد ذكور. فسما الاكبر الشاه طلعه، والأوسط الشاه لمعه، والأصغر القان جمك[٥٨]. فطلع القان جمك عاقل، ناس ملاح، وفى قلبه خوف الله – تعالى – فلما كبر والدهم، اراد ان يستخير منهم واحد يبايعه على الملك بحياته، قبل مماته، فحب ان يمتحنهم حتى يشوف الأحسن منهم لاجل يبايعه. فامر الى ابنه الاكبر الشاه طلعه ان يطلع يحكم جمعه بالديوان، فطلع وحكم جمعه. ولمّا ان خلصت الجمعه ارسل ابوه طلبه لعنده وقال له : اشلون حالك بالحكم؟ فقال له حالى ملك أَحكُم ولا يُحْكَم علي، والذى اريد اقتله، والذى اريد ابلصه[٥٩]، فليس لى معارض. فقال له ابوه : انت خلص دورك، استريح! وامر الى اخوه الشاه لمعه ان يطلع يحكم جمعه. فلما خلصت الجمعه، ارسل ابوه طلبه وسئله : اشلون رأيت حالك بالحكم؟

٥٦– لا يمكننا ان نعيش معا في هذه المدينة.

٥٧– وقبره يزار في هذه المدينة.

٥٨– القوة والسلطة والوقار، في الفارسية.

٥٩– أي : اغتصبه.

فقال له: رأيت حالى ملك ابن ملك، والناس كانها دبان [٦٠] قدامه. فقال له: استريح! وامر الى القان جمك ان يطلع يحكم جمعه، وبعد ان خلصت الجمعه، طلبه ابوه وسئله كما سئل اخوته. فقال له: يا ابي تريد ان تحكمنى بالرعايا، وانا رجل ضعيف، وعليم الله، يا والدى! لما انظر احد طالع الى عندى بدعوه، فأظن كانه سبع رايح يبلعنى. فقال له ابوه الشاه محمد: انت الملك، ورب الكعبه! وثانى الأيام طالعه على الديوان، وبايعه على الملك. فعند ذلك، لما شافوا اخواته بان السلطنه راحت من ايدهم، وتولاً عليها اخوهم القان جمك، فانقهروا منه فى الباطن، وفى الظاهر فرحوا.

وبعد سنه، توفى ابوهم الشاه محمد، وبعد وفاته بمده قريبه، تزوج القان جمك فى بنت من بنات الملوك، اسمها اياء[٦١] خان. فحملت منه بولد، ولما مضت ايام حملها وضعت ولد ذكر، فسموه محمود، فربوه سنتين. فحملت امه ايضاً، جابت بنت سموها درى[٦٢] خان، وبعدها جابت ولد سموه تختمر[٦٣]، وبعدها جابت بنت سموها در ملك. فصار للقان جمك اربعة اولاد اثنين ذكور وبنتين. اما الذى اسمه محمود، فانه تعلق على ركوب الخيل، وصار فارساً صنديد [٦٤]، وبطلاً عنيد، وهو يميل الى عمومه، وما عنده علم انهم يبغضوه. الى يوم من الأيام، ذهب هو واياهم الى الصيد، وصاروا يطاردو[ا] الغزلان والأرانب، الى ان بعدوا عن رجالهم، فعطشوا، فقالوا الى محمود: اطلع الى هذا الجبل، وانظر لنا هل فيه ماء. فطلع وجد عين ماء، فأخبرهم فطلعوا الى عنده الى الجبل، ومسكوه، وكتفوه، وحطوه فى مغاره، وحطوا على قلبه حجر كبير، ونزلوا عن الجبل، وتركوه. فمحمود غاب عن الوجود حصه[٦٥] من الزمان، فَتَّح عيونه وجد الحجر مرمى عن قلبه، ومقطوع

٦٠- دبان، أي: ذباب لا قيمة لهم في نظره.

٦١- من الفارسية: النور.

٦٢- من الفارسية (أصلها عربي): نجم يلمع.

٦٣- أو تقطمر، اسم علم.

٦٤- أي: سيدا شجاعا.

٦٥- حصه، أي: فترة من الزمان.

كتافه، وقدامه واحد درويش، فقال له : قوم يا ولدى ! فاخذه وسار به فى البرارى والقفار، والسهول والأوعار، فمرض محمود بالطريق، وزاد به المرض، الى ان انتن[٦٦] جسده، فحمله الدرويش الى ان وصل به الى حمام برصه، وتركه بالحمام، وذهب بحاله.

وهذا محمود هو انا بذاتى، يا ستى ! فبقيت بالحمام خمسة ايام، فجاء علي آغا الوراق واشترانى من الدرويش، وجابنى على الشام، فتقل[٦٧] معى المرض، فتركنى بالمرستان. واحكا لها على جميع ما جرى له بالشام، وقال لها : الى ان وصلت الى عندكى، وهذه قصتى والسبب.

فلما سمعت ست الشام هذه السيره، تعجبت غاية العجب، وعلمت انه الغلام محمود ابن ملك واهله ملوك، فحالاً كتبت اوراق الى وزير الشام عيسى الناصر واعيانه، دعتهم الى عندها. واحضرت البنشات[٦٨]، والاكل الملوكى، والحالى المفتخره، وعند المساء اقبل حاكم الشام والأعيان، والقاضى والمفتى. وبعدها انمد السماط [٦٩]، وانوضعت الأكولات، فقدموا، تعشوا وانبسطوا، ومحمود واقف فى خدمتهم، هو وجملة مماليك. فلما انتهوا، رفعت الزبادى وغسلت الأيادى – انا وانتم نصلى على النبي الهادى – هنالك تغطت الست، ونزلت الى عندهم، واستدعت محمود الى بين يديها، واجلسته قدامهم، وامرته ان يحكى لهم قصته الذى احكالها اياها، فاحكالهم قصته من اولها الى آخرها. فتعجبوا غاية العجب من هذه القصة، فعند ذلك قالت ست الشام : اكتب يا قاضى افندى ! وانتم، يا اعيان، اشهدوا ! جميع ما تملك يدى من مالكانات، وبيوت، ودكاكين، وحوانيت، وجوار، وعبيد، جميعه الى محمود. وقد جعلته عواض ولدى، وقد سميته بيبرص. فكتب القاضى، وسلمه الحجج بيده. فاتمحلو[ا] [٧٠] وانفردت عليهم البنشات،

٦٦– أي : أخرج رائحة كريهة.

٦٧– أي : تفاقم المرض واشتد.

٦٨– بنش كلمة تركية معرّبة تعني : ثوب فوقاني.

٦٩– السماط : قطعة كبيرة من الجلد أو القماش توضع على الأرض ويوضع فوقها الطعام.

٧٠– أكلوا الحلويات.

على قدر حالاتهم. شربوا القهوه والمشروب، ورحلوا. فصاحبين العقول قالوا : مستاهل ! والمجانين قالو[ا] : خاب ظنها ! هذا ولد لقطه راحت قللة عقلها، وسلمته اموالها. والناس على قادح ومادح.

[بيبرص يحصل على اللت والقوس العمادي]

واما بيبرص، فانه صار يطلع ويفوت، والناس صاروا يقولوا عنه ابن ست الشام، الى يوم من الأيام، لبس وطلع دار بالشام، الى ان وصل الى سوق الأروام، وجد رجل خياط قاعد ورى الطاوله، وهو عمال ساعه يضحك، وساعه يبكى، وساعه يخمس رايات [٧١]. فراح بيبرص ناحه، الى ان وصل الى الدكان. وجد جانب دكانُه دكانت واحد عطار، فميل بيبرص على دكان العطار، وقال له : السلام عليكم ! فقال العطار : وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته ! فقال له بيبرص : يا سيدى، بدى اسئلك عن جارك الخياط، شو صاير له ؟ مجنون والا فيه شيىء داء ؟ فقال له العطار: لا، يا بيك، هذا ابن جد، يعنى منسوب الى اصل طيب، ولكن الله مسلط عليه بلع الأفيون، وهذا الأفيون الذى يبلعه ينظر حاله ساعه سلطان، وساعه عريان، وساعه اشكال والوان، الله يدفعه عنا وعنه، لانه – والله ! – ابن نعم، واسمه، يا سيدى، السيد محمد الخياط، شريف، وهو رجل محبوب عند العالم. وهو فقير الحال، وكانو[ا] الأعيان يعزموه على سهرات ويعطوه بخاشيش، ولما صار فى هذه الاحوال ما عاد احد التكشه [٧٢]، فاذا كان جنابك، يا بيك، بتقدم وبتناغشه، وبتعطيه كام مصريه، فلك ثواب. فتقدم بيبرص الى الدكان وطرق على الدف، فنقز الخياط، طارت البلعه[٧٣]، فقال له : وضربه تكسر يمينك ! طيرت البلعه، مكلفه ثلاثين مصريه. فلما شاف بيبرص وجده جميل المنظر، وهو بحب الشكل، فقال له : اهلاً وسهلاً بسيدى البيك، تفضل ! فارتفع بيبرص وقعد على حفة

٧١- أي : يفكر ويقدر. كما يقال بالفصحى : ضرب أخماسا بأسداس.

٧٢- أي : لم يهتم به أحد.

٧٣- أي : زال أثر الأفيون.

الدف، وقال له : شو بك، خانقت وطلع خُلقك ؟ قال له : يا بيك، ولد ابن حرام طرق على الدف، طيَّر عقلي . وقال السيد محمد بباله : هلق هذا بروح وانا ببلع غيرها .

فبيبرص ما راح، تم قاعد، فرآه الخياط طول، فقال لحاله : مالها الا تعمل حالك بدك تصلي، بركى بروح . فقام حيلُه وشلح جبته، وحط المحرمه على كتفه، وشمر زنوده . فقال له بيبرص : الى اين رايح، يا عمى ! فقال له : بدى صلى . فقال له بيبرص : لسَّا العصر ما اذن . فقال له : الظهر . قال له : بكير! فقال الخياط بباله : ما استفدنا شييء . رد قال لحاله : اعمل حالك بدك تقطع لحمه [٧٤] للبيت، بلكى بروح ! فقام على حيله، وقال : والله ! الأنسان بتحير ايش بده يعمل اكل، لأنه الأكل بحير، وماني عارف ايش بدهم يطبخوا بالبيت . فقال له بيبرص : الى اين رايح، يا عمى؟ قال له : رايح اقطع لحمه . قال له بيبرص : ليش الأنسان كل يوم بياكل لحم، لحم؟ يوم جبنه، يوم اريشه [٧٥]، يوم محلى، يوم زفر[٧٦]، بتمضا ! فقال الخياط بباله : ما استفدنا شييء، فالتفت الى بيبرص وقال له : من فضلك، يا بيك ! بدى سكّر الدكان، فعرف بيبرص انه مراده ان يبلع له شقفه، فقال له : ليش انا قاعد عندك؟ هه ! ودار وجهه ناح السوق . كان الخياط قوام طالع له شقفه وبلعها، فخضرت عليه [٧٧]، فاندار بيبرص ناحُه رآه المسئله مخضره معه، فطرق على الدف، نقز الخياط، طارت البلعه من راسه، فقال له : شو هذا، يا حلو ؟ مكلفه علينا ثلاثين مصريه يا سيدى ! بقا شوف شو بتريد نخيط لك، ان كان فيه عندك ميتان [٧٨]، او شروال، او دامر [٧٩]، روح هات التفصيله[٨٠] الذى بدك اياها، حتى خيط لك اياها .

٧٤- أي : يريد أن يذهب إلى اللحام ليشتري اللحم .

٧٥- أو قريشة . بعد ما يصنع الجبن يغلى ما تبقى من الحليب على النار وتستخرج «الأريشه» .

٧٦- أي : اللحم والدسم .

٧٧- أي : خدرته لقمة الأفيون .

٧٨- كساء يشبه الشروال يلبس من السرة إلى الأسفل كالبنطلون الآن .

٧٩- دامر : يشبه «الجاكيت» لكن أكمامه عريضه ومطرز الصدر والأكمام .

٨٠- قطعة من القماش تكفي لتفصيل ثوب بكامله .

فقال بيبرس : انا عندى مفصل خالص، في عندى ثياب بعشر سنين ما بيخلصوا.
فقال له : الخياط لكان عمال تقطِّع حصه [٨١] برقبتى، ما شاء الله عليك ! فالذى شايفك قاعد عندى يقول : يا غنيمة ! هالخياط – سبحان العليم – ايش عمال يفصل ابن ست الشام عنده ؟ ومتى ماخلص بيعطيه بالزايد، وبيكرمه اكرام وافى. مَن عارفين انه حضرتك قاعد عندى، وعمال تطير البلعه من راسى ! بقا قوم روح عنى، واتركنى اتسبب[٨٢] ! فقال له بيبرس : ايه ! يا عمى، انا رايح ولكن لو تركتنى اقعد عندك لعشيه، لكنت اعطيتك هالخمس ذهبات هدول – وفرجاه اياهم بعينه – ولكن هلق خاطرك ! فمسكه الخياط وصار يترجاه كثير، ويستسمح خاطره، لانه شاف الذهبات بأيد بيبرس. طار عقله وهو عمره ما شافهم، فبآخر ترجايته لبيبرس قال له : سيدى اقعد، اقعد، وان ردت اقعد على راسى. انا عمال العب معك، وانت ما بتحمل مزح ! فضحك بيبرس من كلامه، واعطاه الذهبات، وسار بحال سبيله.

فوصل لعند امه، ست الشام، فسئلته : وين كنت ؟ فقال لها : عند السيد محمد الخياط. والله ! يا امى، انه هالرجُل مسخن [٨٣]. فقالت له امه : اسكت ! لا تقول مسخن، حرام [٨٤] ! واعلم، يا بيبرس، ان هذا الرجل الخياط شريف، ابن نسب، لازم كنت تكرمه. فقال لها : اكرمته، يا امى، وانا كل يوم بدى اعمل مركزى عنده. فقالت له امه : مليح. فصار بيبرس كل يوم يركز عند هالخياط مدة شهر، الى يوم كان نهار جمعه، صلى الجمعه بالاموى وطلع، ركز عند السيد محمد الخياط. واذاً بدلال نازل، وبيده كبتولة [٨٥] حديد، ولها سناسل اشكال والوان، وهو ينادى : بثلاثين قرش ! فنادا له بيبرس، وقال له : شو هذا ؟ هات لشوف ! فقال له الدلال : تفضل ياسيدى ! وناوله اياه، وهو يقول له : والله ! هذا خرجك،

٨١– أي : تمضي الوقت على حسابي.
٨٢– أي : لا تلهني عن العمل. اتسبب يعني : اكسب رزقي.
٨٣– أي : خفيف الظل والروح ولا يقال للرجل الوقور مسخن.
٨٤– أي : لا يليق هذا الوصف برجل شريف.
٨٥– كبتولة : كرة.

يا بيك ! والحداد بساوى لك سناسله احسن من هيك، لأنهم مطعوجين[٨٦]. فقال بيبرص : ما عليه شيىء بتساوا. فقال له الخياط : شو بدك فيه، يا بيك ؟ هذا شيىء تقيل. فاخذه بيبرص وحطه على كنار الدف[٨٧]، فمال الدف من ثانى ناح من عزم تقله، فقال الخياط للدلال : خذه ياه، تضرب انت واياه ! فقال له بيبرص : اسكت ياعمى ! فقال له : شو بدك تعمل فيه ؟ بدك تلعب بالدحل[٨٨] ؟ فضحك بيبرص من كلامه والتفت للدلال، قال له : شو اسمه هذا ؟ قال له : اسمه لت، يا بيك. فقال بيبرص : طيب ! هذا عليَّ مزاده بخمسة وثلاثين. فاخذه الدلال، وصار يروح ويرجع الى عند بيبرص ويقول : صار بهالقدر، والخياط يتنازق [٨٩]، الى ان وصل مزاده على زمة الدلال بثمانين قرش. فاشتراه بيبرص، ودفع له ثمنه، وبعدها اخذه وراح لعند امه ست الشام، دخل، شاله وحطه على الليوان. فنظرته امه فقالت له : ما هذا ؟ فقال لها : لِتْ. فنزلت وشالته، فرأته ثقيل، فقالت له : ماهذا؟ فقال لها : ما قلت لكى لِتْ ؟ قالت له: شو بدك تعمل فيه ؟ فقال لها : انت مابتعرفى. وبات ذلك الليله، وثانى يوم اخذه وراح الى عند الحداد، وقال له : خوذ هذا، ساويله السناسل. فقال الحداد : نهارنا مبارك ! وقال للأجير : حط فحم، يا ولد، وشغل الكور[٩٠] ! والمعلم الحداد حط طرف السناسل بالكور الى ان حميت النار، والفحمات ذابو[ا]، فطالعه وجد السناسل بارده. كان راح ثلاث اواق [٩١] فحم، فصار الحداد، كل ما يحمى النار ويحطه، يطالعه يوجد السناسل بارده. فعند ذلك قال : شو هالنهار؟ ثم قال الى بيبرص : خذه، يا بيك، الى شيخ الكار [٩٢]، وهديك دكانته. فقال : وجب، واعطا الى الحداد اكرام، واخذه وسار الى

٨٦- أي : لأن السلاسل غير مستقيمة، فيها ندوب.

٨٧- الدف : الخشب الذي يجلس عليه في الدكان، وكناره طرفه.

٨٨- أي : كرات صغيرة، مصنوعة من زجاج أو فخار، يلعب بها الأولاد.

٨٩- أي : يغضب.

٩٠- أي : آلة الحداد التي ينفخ بها الفحم الحجري فيضع الحديد في النار ليحمى.

٩١- أواق : جمع أوقية تستعمل للوزن.

٩٢- شيخ الكار : شيخ الصنعة.

ان وصل الى دكانت شيخ الكار، فقال : السلام عليكم ! فقال له الحداد : وعليكم السلام، ورحمة الله وبركاته ! فقال له: ياعمى، هل تعرف تساوى هذا ؟ فقال : معلوم ! اشلون ما بعرف، وانا شيخ الحرفه ؟ ثم اخذه وقال للأجير : حط فحم وشعل الكور، وحط طرف السناسل بالنار. وصار يحط فحم يذوب، فطالع السناسل من النار وجدهم باردين، الى ان راح ثلاث اواق فحم، فتحير وقال بباله : ياريت ماقلت له انا شيخ الحرفه ! فرآه بيبرص عمال يتحير، فقال له : ياعمى، ليش ما عمال يصير معكم ؟ فقال له شيخ الكار : ليش ؟ اعطيته الى احد قبلى ؟ قال: نعم، ودلونى عليك. فقال له : يا ابنى، اذهب الى تحت القلعه، توجد رجل عجمي جوهرجى، هداك بيعرف فيه.

فاخذه بيبرص واعطا شيخ الحدادين اكرام وافى، وسار الى ان وصل الى تحت القلعه، نظر الجوهرجى العجمى كما وصف له الشيخ. فتقدم وسلم عليه، فرد العجمى عليه السلام وقال له : اهلاً وسهلاً ! فاخرج محمود بيبرص [٩٣] اللت، وارجاه[٩٤] اياه. فقال العجمى : اهلاً وسهلاً بالشاه محمود، ابن القان جمك ! فتحير بيبرص من اين عرفه، فقال له : ومن اين تعرفنى، يا اخى ؟ فقال له : انا من خرزمية العَجَم، واسمى محمود، وكان ابي يعرف بضرب الرمل[٩٥]، فضرب الرمل يوم من ذات الايام، وجد ولد وهالولد موجود فى بطن امه، وهو من الخرزم، وعلى جبين ذلك الولد سبع جدريات، واسمه محمود، وهو سوف يصير ملك فى بلاد العرب.

وكانت امى حامله بي، فظن انني انا، فلما وضعتنى سمونى محمود، فصار كلما ذهب وحضر، يكشف عن جبينى، بعدها سئلته عن ذلك فاخبرنى. وبعد مده، ضرب تخت رمل على ان ينظر علامة مُلْكه، فوجد لِت وقوس عمادى، فهدول الذى يَمْلُك عليهم يصير ملك، وهم ينباعوا فى دمشق الشام، فى السنة الفلانيه وفى الشهر الفلانى، والبايع لا يعلم شو باع، والشارى لا يعرف شو اشترى. فعلمنى

٩٣- كذا في المخطوطة.

٩٤- أراه.

٩٥- فن التبصر بالمستقبل وهذا بإمعان النظر في النقط والخطوط الموجودة على سطح الرمل، ويسمى المختص بهذا الفن رمالاً.

ابي كار الجوهرجيه، فلما اجت ايامه اخذني، ونزلني معه طالب الشام. ولما وصلنا الى حلب، توفى ابي، فواريته التراب وجئت على الشام، وهذه قصتي وسبب معرفتي فيك. والآن اتركه عندى الى نهار بكره، وتعال خذه. فقبل بيبرص وتركه، وسار لعند امه، احكالها ما سمع من الجوهرجي العجمي حرفياً. وثاني يوم ذهب الى عند العجمي، فاخذه العجمي وادخله الى جوات الدكان، وكشف له عن اللت. فوجده عمال يقد [٩٦] مثل الجوهر، وهو من السبع معادن. ففرح به بيبرص، واخرج اكرام وافي، واراد يعطي العجمي، فما قبل وقال له : اذا كنت بتشرفني بورقه لحين الطلب... فانعم عليه بورقه لحين الطلب، واخذ اللت وراح على السروجيه[٩٧]، عمل له قشاط [٩٨] وكلاليب، وتزنر فيه من تحت البنش، ورجع ارجاه[٩٩] الى امه. ففرحت فيه وقالت له : هذا خليه دائماً بزنارك. فقال لها : وَجَب! وزانه : طلع عشرة ارطال شامي.

فبات تلك الليله، وثاني الأيام سار الى عند السيد محمد الخياط وركز عنده، ولازال كل يوم يركز عنده الى ان اتى يوم الجمعه، فصلى بالأموى، وزار سيدنا يحيى – عليه السلام – وطلع الى عند السيد محمد الخياط، وركز وصار يتسامر هو واياه، واذاً بالدلال عمال ينادى : باثنين وثلاثين ! التفت بيبرص يرى الدلال الذى باعه اللت، وهو حامل بيده قوس عمادى من جنس اللت. فصرخ عليه بيبرص : تعال يا دلال ! فحضر الى بين يديه، فقال له : والله، يا بيك، هذا خرجك! والحال الدلال لا يعرف ايش هذا. فقال له بيبرص : بكام صار ؟ فقال : باثنين واربعين. فقال له الخياط : يخرب بيتك ! هلق كنت عمال تنده عليه باثنين وثلاثين. وكان ذلك بالغمز، فقال له الدلال : اعطينا فركه [١٠٠]، يا سيدنا، خلينا نتسبب ! فضحك السيد محمد، واما بيبرص فقال للدلال : والآن قديش جايب؟

٩٦– أي : يلمع من صفاء لونه.

٩٧– أي : سوق السراجين في شمال المدينة خارج السور إلى جانب القلعة.

٩٨– قشاط : حزام جلد.

٩٩– أراه.

١٠٠– اعطينا فركه : اعطنا حصة، وفركة كلمة تركية عربية الأصل تعني قسما.

فقال له الدلال : اثنين وخمسون. قال بيبرص : عليّ بخمسة وخمسين. فغاب ورجع، وقال لبيبرص: صار بستين. والتفت ناح الخياط السيد محمد يراه عمال يضحك، فاشرله بالأشاره: عطيها فركه وبالنصف بينى وبينك. فقال بيبرص : عليّ بسبعين. فغاب ورجع وقال : بخمسة وسبعين. قال بيبرص : بثمانين. فاشّر السيد محمد الخياط الى الدلال بالاشاره : شركه [١٠١] هَه، دير بالك ! فغاب الدلال ورجع، قال لبيبرص : عندك يا بيك، هات مصارى. فمد يده بيبرص ناوله ثمانين قرش. اما السيد محمد فر نظره [١٠٢]، لانه بده نصفهم، فلما شاف الدلال اخذهم وراح، فصار يطلِّع عليه من بعيد، ولايقدر يفز ويلحقه، خايف من بيبرص لا يشتلق [١٠٣].

اما بيبرص، بعد ما راح الدلال بحصه، نتع القوس ونزل حتى يروح. فنزل السيد محمد ومشى وراه، بده يطلِّع على الدلال. واما بيبرص، قطع شويه [١٠٤]، رأى الدلال واقف مع واحد دُمَّرانى[١٠٥] اختيار، وعمال يقول له : شو بدى اعمل لك اكثر من هيك ! ما انباع لانه هذا ما احد يرغبه. بوصلت بيبرص لقدامه طلَّع شاف بيد الدُّمَّرانى قرشين، فقال بيبرص للدُّمَّرانى : يا شيخ، من اين لك هذا القوس ؟ فقال له : والله ! يا سيدى، انا كارى حرات فى بلد اسمها دُمَّر، فيوم وانا عمال احرت، علقة السكه بالأرض. طلَّعت وجدت السكه علقانه فى حلقه، فاخرت السكه الى الوراء، تَخَلَّصِتْ من الحلقه. فمسكت الحلقه، وقمت الطابقه[١٠٦] وجدت درج، نزلت الى تحت، رأيت ليوان قبو عقد[١٠٧]، ورأيت هذا القوس ولت معلقين، فاخذتهم وطلعت رجعت الطابقه مثل ما كانت، وكَمَّلت حراتتى. فقاللى عقلى : بيعهم ! شو بدك تساوى فيهم، وانت رجال فقير ؟ فجبت معى هديك الجمعه

١٠١– شركه، أي : شركاء بالثمن.

١٠٢– كذا، أي : فار نظره، يعني : غضب.

١٠٣– أي : خوفا أن يراه بيبرص.

١٠٤– مشى مسافة قصيرة.

١٠٥– أي : من قرية دمَّر الواقعة على بعد ١٥ كم من دمشق غرباً.

١٠٦– بلاطة كبيرة.

١٠٧– أي : بهو في الأسفل يقوم على القناطر.

اللت، باع لنا اياه هذا الدلال بقرشين، واليوم باع لنا القوس بقرشين. فالتفت بيبرص الى الدلال وقال له : انت ولك، ليش بتكذب ؟ وراحت يده الى سناسل اللت العشره الدمشقي، وضرب الدلال على صدره، لزقه بالحيط. فاول من ذاق هواية اللت، دلاله ! ومد يده بيبرص واكرم الفلاح، وسار بدربه. واما السيد محمد الخياط، واقف من بعيد ينظر، فقال : الحمد لله الذى مانى شريكه ! واما الدلال، حملوه واخذوه على بيته، فهو يخرج المصارى على تحكيم[١٠٨] صدره ولا يطيب.

[بيبرص يتمرن على الرمي بالقوس]

واما بيبرص، وصل الى عند محمود العجمي الجوهرجي، وقال له : هذا كمالة الزخيره. فقال له محمود الجوهرجي : طيب. واخذه منه وقال له : تعال بكره، خذه ! فتركه بيبرص وراح الى سراية امه، احكالها عنما جرى معه، وقال لها بانه اشترى القوس وحطه عند العجمي يجلي له اياه مثل اللت. فقالت له : هل تعرف، يا ولدى، بآلات القوس ؟ فقال لها : لا والله يا والدتى ! فقالت له : انا بكره بعلمك. فقال لها : ليش، انت تعرفى ؟ فقالت له : انا بنت الأقواسى، لانه بالزمان السابق كانت الدول تستعني بالقوس والنشاب، فقليل مَن يعرف يركب آلاته مثل جدى وابي، فهذا السبب بأسمنا بيت الأقواسى، وكان والدى عليه رتبة وزاره من اجل هذه الصنعه. واما الآن بعصرنا هذا، انتسخ، وصار ضرب السيف. وانا نهار بكره بفرجيك على تركيب آلات القوس، وبعلمك اياه، لأنه لأبُد يلزمك. ثم باتوا ذلك الليله، وثاني يوم عند الصباح، قام بيبرص وتوجه لعند العجمي. فلاقا له وترحب فيه، وطالع له القوس. فشافه بيبرص، وجده عمال يلمع شيىء يدهش النظر. فاخذه، وسار، والعجمي يبقاله كلام...

واما بيبرص، وصل الى السرايه وقال الى امه : خذى، تفرجى على هذا القوس ! فطلعت الست، لقت شئ ملوكي. فقامت على حيلها، صارت تصلح آلات القوس،

١٠٨– ينفق الفلوس ليطبب صدره.

وتركب اوتاره، وبيبرص يتعلم منها. وكان القوس له حركتين : حركه الى ضرب الحزق[١٠٩]، وحركه الى ضرب النشاب. فقالت له امه : يا ولدى، انا شفت اقواس كثير وقليل، ومثل هذا القوس ما نظرت. فهذا القوس شغل حكماء، ولا ينقلوه الا الملوك. فصارت تعلمه رمى الحزق لأجل صيد الطيور، وتعلمه ضرب النشاب، تعليم شيىء يليق الى الحرب. وكنا شرحنا لكم انه بهداك العصر كان بطلان ضرب النشاب، فصارت تعلمه اكثر الكل رمى الحزق، وكان لها اسطاويه [١١٠] زايده برمى الحزق. على مده يومين ثلاثه، تعلم بيبرص، فقال لها : انا تعلمت رمى الحزق. فقالت له : ان كنت تعلمت، ارمى مثل حكايتى. واخذت القوس واجت الى قدام حائط ابيض، وصارت تضرب الحزق، تلزقه بالحيط. وبعد حصه قالت له : روح شوف شو مكتوب بالحيط ! فراح بيبرص، قرأ يرى سورة الفاتحه، ومشكله من الحزق. فقال لها : ما شاء الله عليكى، يا امى ! هاتى هالقوس حتى اجرب حالى. واخذه وصار يضرب على الحيط حصه. راحت الست، قرأت، وجدت مكتوب : نصرٌ من الله وفتح قريب[١١١]. قالت : روح، يا ولدى، بقا ارمى لحالك ! صرت اوسطه اكثر منى. فصار بيبرص يصطاد عصا فير من على الشجر، حتى حرم عصفور يأتى الى السرايه. فصار يدور، ما يلاقى شيىء يصطاد، ففتح الباب وطلع على الحاره، وعيونه طائره، فرأى قدام باب الزقاق اسطوح جيرانهم، وعليه شيىء ممدود ناح الزقاق، وهو المزراب[١١٢]. فقال بيبرص : لأي شيىء هذا واقف بالدرب ؟ فحط حجر في بيت الحزق، وضربه رماه، لأنه بغير بلاد، لا يستعنوا بالمزاريب تمديد، بل يعملوهم سيالات من زيق[١١٣] الحيط. فمن هذا السبب ان بيبرص، لما شاف المزراب، لقاه عجبه فرماه، وصار يصطاد الى عشيه، رجع الى السرايه.

١٠٩- قطع من الفخار كروية الشكل تستعمل للرمي.

١١٠- أي : تسيطرت على هذا الفن كأنها أسطا، وبالتركية استا يعني : المعلم.

١١١- سورة الصف، ١٣.

١١٢- أي : أنبوب من معدن يوضع في طرف السطح ليسير منه ماء المطر.

١١٣- من طرف الحيط في الأعلى.

اما صاحب المزراب، اجا عند المساء للبيت، وجد المزراب واقع بالأرض، فقال : يضربوا القطاط، اشلون راميين المزراب ! وقام جاب شوية طين، جبلهم وطلع على الاسطوح، طين المزراب وبات ذلك الليله. اما بيبرص، عند الصباح قام من نومه، صلى الصبح وقرأ له حصه، وفطر، وفز اخذ القوس وطلع من باب السرايه، وجد المزراب رد رجع، فقال : انا برميه وهم يحطوه ! رد طرقه، رماه ودار بالحاره، اصطاد الى المساء. اجا جارهم، وجد المزراب واقع، فرد طلع ساواه، وقام بكير راح الى شغله. وثاني يوم، طلع بيبرص رآه محطوط مطرحه. فقال بيبرص : لا يا معرص[١١٤]، انا برميه وهم بحطوه ! رد طرقه، رماه ودار بالحاره، اصطاد الى المساء ورجع الى السرايه. وجارهم اجا عشيه، شاف المزراب، فرد طلع ساواه، وقام بكير راح الى شغله. فطلع بيبرص وجد المزراب محطوط مطرحه فقال : لا يا معرص، انا بقلع وهو يرجع ! رد طرقه، رماه.

واما جارهم اجا عشيه وجد المزراب واقع فقال : هذه ما هي دعوة قطاط ! وطلع ساواه وقال : انا بكره بيغنيني الله عن الشغل. وكان صنعته الاجاتي[١١٥]. وقال : حتى شوف مين عمال يرميه. فلما طلع النهار، لطى وراء الباب، واذاً بيبرص طالع شاف المزراب مطرحه، فطرقه، رماه. فشافه جاره، خلاه حتى دخل لجوات الحاره، اتى ودق باب السرايه. طلعت الجاريه فتحت له، فقال لها : روحى، قولى الى ستك : جاركم الفقير عاوزك. فراحت الجاريه اخبرت ستها فقالت لها : روحى، قولى له يدخل الى الوسطانى. فراحت وادخلته، وطلعت الست، وقفت وراء باب الشعريه[١١٦] وصبحت عليه، فقال لها : ربنا يطول لنا عمرك ! ابنك حاطط دابه وداب المزراب[١١٧]، وانا رجل صنايعى، كل يوم بدى اتعطل وساويه ؟

١١٤- يا معرص : يقال للرجل الذي خانته زوجته، للإهانة.

١١٥- الألاجا : أقمشة من الحرير والغزل أي القطن، تحاك في دمشق وبالهند، انظر *قاموس الصناعات الشامية* ص ٣٩.

١١٦- نافذة لها بروز عن الجدار وأخشاب صغيرة ، والذي يجلس خلفها يرى المخاطب ولا يراه، ويرى المارة.

١١٧- أي : مواظب على قلع المزراب وكأن بينهما عداوة.

قال ... فضحكت الست، وقالت ببالها : شو بده بيبرص بالمزراب ؟ وقالت الى جارها الفقير : كام مره طلعت ساويت المزراب ؟ فقال لها : سبع ثمان مرات. فقالت له : يكفى كل مره عشرة غروش نظير عطلتك ؟ فقال : افضلتى يا ست، خليه يرميه كل يوم مرتين ثلاثه ! فضحكت ودخلت الى جوه، ارسلت له خرجيه وافيه، فاخذهم وراح وهو عمال يدعى لها.

واما بيبرص دخل عند المساء الى السرايه، فقالت له امه : يا ولدى، شو بدك بمزاريب الناس ؟ فقال لها بيبرص : شو هذا مزاريب ؟ فقالت له : هذا الذى عمال ترميه كل يوم قدام باب الزقاق ! فقال لها : يعنى... هم ليش يحطوه فى الدرب ؟ فضحكت وعرفت انه ما هو عارفه فقالت له : يا ولدى، تخمين، فى بلادكم ما فى مزاريب ؟ فقال : ما بعرف، انا ما شفت. فقالت له : الله يرضى عليك ! لا عدت ترميه، لأنه هذا، اذا وقع، بعطل الخشب. وافهمته عن نفعه، فقال لها : لكان شو بدى ارمى ؟ ما بقا عصافير بالحاره ! فقالت له : ليش الصيادين يصطادوا مزاريب؟ اما بكره – ان شاء الله – ببعثك مع جارنا على وادى القصب، وهو قاطع [١١٨] بوابة العماره (وفى عصرنا هذا يسمى مز القصب[١١٩]).

ثم انهم باتو[ا] ذلك الليله، وعند الصباح ارسلت جابت جارهم الألآجاتى، وقالت له : يا جارنا، بدى ابعث لك خمسة امداد قمح، تعملهم على هالشتويه برغل[١٢٠]. فقال لها : ربنا يطول عمرك ! ودائماً بيتك مفتوح، ولا يحرمك ولدك ! فاذا كان لازمك غرض او خدمه، حتى اقوم بها. فقالت له : ما بريد منك غير تأخذ ولدى، تدله على وادى القصب الذى بارض الزينبيه. فقال لها : على الراس والعين، بدنا خدامه تحرز [١٢١] ! وفى الحال طالعت له فطور، فطر هو وبيبرص، وكانت صفره[١٢٢]

١١٨– أي : خارج، وبوابة العمارة من أبواب السور، إذن بعيد عن البوابة.

١١٩– قراءة فرضية، يعني، إذن، منطقة مسجد القصب في شمال المدينة القديمة.

١٢٠– البرغل : القمح . يسلق بالماء على النار وبعد الاستواء يوضع في الشمس حتى يجف ثم يجرش ويؤكل كالفريكه.

١٢١– أي : خدمة تستحق، هذا أمر يسير.

١٢٢– مائدة.

وافيه، تكفى ثلاثين زلمه. فقال الألاجاتى فى باله : يضرب الفقير وعيشته ! بجيب للأولاد فطور شوية جبنه او قريشه، يفرقها عليهم، ويقول لهذا : ايدم [١٢٣] ! ولهذا: لا تغرف [١٢٤] ! بلكى بزيد عندهم شيء للظهر. والألاجاتى صار يأكل ويقول بباله: لو اعرف قدامى فطور، كنت جبت الأولاد معى، لأن قلبهم احترق من اكل الزعتر [١٢٥]. فلما شبع مَيَّل عن الصُّفره وقال بباله : مين بده ياكل هذا الأكل ؟ مانى شايف احد بالسرايه. هو بهذا الفكر واذاً بالجاريه طلعت من باب الوسطانى، وقالت له : خوذ هالصفره جميعها الى بيتك، طعميها لأولادك، وتقول لك ستى: يا عيب الشوم، ما حضر شييء من الواجب. فقال : ربنا يطول لنا عمرها ! وصار يزق [١٢٦] الصحون والأكل حتى خلص. فقال الى بيبرص : بتروح سيدى معى الى وادى القصب، كما امرت والدتك ؟ قال له : نعم، اروح. وفز، نتع [١٢٧] القوس، وتوجه معه الى ان وصل الى الوادى، طَلَّع يرى وادى عظيم المثال، وفيه اشجار واطيار توحد العزيز الجبار [١٢٨]. فصار يدور بيبرص ويصطاد الى المساء. رجع الى السرايه ومعه شييء كثير من اصناف الطيور، فقالت له امه : شلون شفت هذا الوادى ؟ ان شاء الله تكون انبسطت. فقال لها : والله، مطرح ماله مثال ! وانا كل يوم لازم روح الى هناك. ثم نده الى جارهم الفقير وتعشا هو واياهه، ومد يده واعطاه اكرام وافى.

وبات ذلك الليله الى ثانى الايام، اخذ القوس وتوجه وحده، وصار يتصيد الى المساء. وثانى يوم هيك، وثالث يوم، كذلك مدة كام يوم، الى يوم ست الشام قاعده، وباب السرايه يطرق، فطلعت الجاريه فتحت الباب. رأت خمسة سة رجال واقفين، فقالولها : قولى الى ستك : جماعه على الباب عاوزينك. فدخلت قالت

١٢٣– أي : لا تكثر من الإدام على اللقمه.

١٢٤– الغرف : الإكثار من الأدم على اللقمه عند الأكل.

١٢٥– صعتر.

١٢٦– أي : يأخذ الصحون وينقلها بسرعة (بالفصحى : يزقف).

١٢٧– أي : وضع القوس على كتفه وحمله.

١٢٨– سورة الحشر، ٢٣.

الى ستها، فقالت لها : قولى لهم يدخلوا الى الوسطانى. فراحت الجاريه، فتحت لهم الباب وقالت لهم : تفضلوا ! فدخلوا وقعدوا على الكراسى، ثم طلعت الست، وقفت وراء الشعريه وصبحت عليهم. ففزوا واثبين على الأقدام، وردوا عليها الصباح. فقالت لهم : شو حاجتكم حتى اقضيها لكم ؟ فقالو[ا] لها : الله يطول لنا عمرك ! يا ست نحن جماعه فقراء الحال، ومن قلة ما فى بيدنا متعلقين على كار الصيد، فطلع ابنك – ما شاء الله والله تعالى يخليلك اياه – لا احد يسبقه بالرمى. فقالت : والآن شو مرادكم ؟ فقالو[ا] لها : انتى تعلمى، يا ست، ان كارنا كار شد وعهد[١٢٩]. فضحكت وعرفت شو مرادهم، وقالت لهم : والآن مرادكم تشدوه. فقالوا : نعم ! فقالت : مرحبا بكم، روحوا اجمعوا حالكم، وتفضلوا ليلة غداً اعمل لكم سهره وشدوه. فقالو[ا] لها : الله يطول عمرك ! وراحوا بحال سبيلهم، وهم فرحانين، وكانت هذه التحريكه من شيخ الكار.

واما بيبرص، اجا عشيه للسرايه، قالت له امه : يا ولدى، اليوم اجوا لعندى اهل الحرفه، وقالوا : بدهم يشدوك. قال لها : شلون بدهم يشدوني ؟ قالت له : حتى تصير ابن حرفه، والحق، يا ابنى، هذه الحكايه من شان جبر الخواطر، لأن لهم بخاشيش شيىء معلوم. فقال لها : مناسب. فقالت له : بكره لا تروح على الوادى، بدى ابعثك الى عند خالك احمد باشا، الى قاعة الزعر، تعزمه. قال لها : طيب. وباتوا ذلك الليله، وثانى يوم بيبرص اصبح، صلى الصبح، وميعاد الفطور طلع فطر، وتوجه، كما امرته امه، الى باب الجابيه، واصل لقاعة الزعر وهو عمال يتمختر[١٣٠]، والعبد وراه. فدخل للقاعه، فلما نظره خاله، فز واثب على الأقدام وقال له : اهلاً وسهلاً ! واخذه لجانبه. فقال له بيبرص : يا خالى، بتقول لك امى، وبتسلم عليك : تفضل الليله لعندنا، اشرب لك فنجان قهوه، لانه فيه عندنا شد صيادين.

١٢٩– أي : يجرى احتفال بمناسبة دخول عضو جديد في هذه الصنعة وبهذه المناسبة توزع هدايا على جميع الصيادين.

١٣٠– يتبختر، أي : يختال في مشيته.

قال . . . فلما سمع احمد باشا ذلك الكلام، غضب غضباً شديد وقال : الله يحرق لحاهم من هون لعندهم . بدهم شد منك، وانت ترضى تنشد الى الصياده ؟ فقال له : والله، يا خالي، انا ما بعرف، بل انما امي قالت لي من شان جبر الخواطر . قال احمد باشا : طيب . ففز بيبرص وراح الى السرايه، واحكى الى امه انه خاله زعل، وقال ما هو كذا وكذا . فقالت له امه : ليش لما قال لك ترضى ان تنشد للصياده، ما عرفت تقول له : انا بنشد الك، يا خالي ؟ فقال لها والله، يا امي، انا ما بعرف لا شد ولا مد ! فقالت له : لكان الليله لما بكونوا مجموعين، اذا سئلوك لمين تنشد، قول لهم : الى خالي احمد باشا . فقال لها : طيب . ثم امرت الجوار بتوضيب الوان الطعام من حلو او زفر، وقالت الى بيبرص : روح على السوق، اشترى محارم واغراض لاجل الشد . فراح اشترى المطلوب ورجع، قعد بالسرايه الى المساء . اقبلوا اهل الحرفه والشيخ قدامهم، وهو مسرح دقنه، وماشي وناوى انه قدامه قبضه وافيه[١٣١]، فلاقا لهم بيبرص وادخلهم للقاعه، وقام بواجبهم . وبعد حصه، اقبل احمد باشا، ففزوا له واثبين على الاقدام، فجلس بصدر المكان وسلم عليهم . ثم حضر العشاء، تعشوا وانبسطو[ا]، وشربو[ا] القهوه، وصارو[ا] يتسامرو[ا] لحكم الساعه اربعه . فز الشاويش وحزم بيبرص بالشال الكشمير، وقراء الكلبند[١٣٢]، وقال الى بيبرص : لمين تريد ان تنشد ؟ فقال : الى خالي احمد باشا . فقال الشاويش: ولدكم هذا يستعير جاه الحاضرين، مراده يتلطخ بزعفران احمد باشا[١٣٣]، شو قلتو[ا] ؟ فقالو[ا] الجميع : مستاهل ! هنالك شده الى خاله . واما الشيخ فانه اصفر وجهه، وقال : افندم، بدنا منه طلب شد . فقال له : شو بتريد منه ؟ فقال الشيخ: بدنا منه اربعين طير باربعين حزقه . فقال له احمد باشا : ابعث بكره ناس يعدو[ا] عليه . فاستخارو[ا] اثنين اختياريه يكونو[ا] عليه مناظرين، وبعدها

١٣١– أي : يرجو هدية غالية .

١٣٢– أي : قرأ نص العهد بين الصيادين وبيبرص .

١٣٣– إشارة إلى الطقوس المتبعة في الشد .

فرقو[ا] البزكارات[١٣٤] ، واعطو[ا] البخشيش للشيخ، لكن ما عجبه. ثم وضعوا المحلى قدامهم، اكلو[ا] وشربو[ا] القهوه، وراحو[ا] بحالهم.

ولكن، ثاني يوم، قام الشيخ بكير، وراح على الوادى، وصار يعمل حركات شيطانيه تفزع الطيور، حتى لما يجى بيبرص للوادى ما يصطاد شيىء.

واما ست الشام قامت على بكره وقالت لأبنها : بدك تروح على الوادى تجيب طلب شدك. فقال لها : حاضر ! فقالت له : بلكى ماشفت طيور، اشلون بدك تعمل ؟ فقال لها : والله، ما بعرف ! فقالت له : وقف ! ودخلت على القاعه، وجابت زميره نحاس، ولها آلات وبراغى، وهي تزمر على لغة الطيور، وصارت تعلمه اشلون يزمر فيها، وقالت له : اذا ما وجدت طيور، زمر فيها فتأتي اليك الطيور، لأنها هذه شغل حكماء الفلك. فاخذها بيبرص وسار على الوادى. فطلع حساب الست مطرحه : ما وجد للطيور اثر، فصار يزمر فيها فاقبلت الطيور، وهو صار يصطاد والأثنين واقفين عمال يعدوا عليه. ولازال يرمى الى ان رما تسعة وثلاثين طير وبقى عليه طير واحد.



١٣٤– الهدايا والإكرامات.

[٤]

قال الراوى : يا ساده، فلما بيبرص رما بالصيد تسعة وثلاثين طير بوادى القصب، بتسعة وثلاثين حزقه، وباقى معه حزقه واحده الى كمالة صيد طير واحد، هذا وشيخ الحرفه حايص[١] بين الأشجار وهو محتار اشلون بده يعمل حتى يخرم[٢] معه هذا الضرب الأخير، فقال بباله : اطلع على الشجرة عسى ان تهج الطيور ويخرم معه هذا الضرب الأخير. فطلع على شجره وصار يفَزِّعْ الطيور.

واما بيبرص ، صار يدوِّر على الشجر. وهو داير شاف طير هدًا على الشجره الذى فيها شيخ الحرفه، فاوتر بيبرص القوس وطرقه. فمن عزم زنده العامر انفلقت الحذقه نصفين، النصف الواحد رمت الطير والنصف الثانى اصابت عين الشيخ قلعتها. فصرخ : آه انقلعت عينى ! ونزل من على الشجره، وطلع يركد لعند ست الشام، وهو يبكى ويلطم الى ان وصل لعندها. قال لها : آه يا ستى ابنك قلعلى عيني ! فضحكت الست وقالت له : والله ! انك لحسُود وعينك ضيقه . وهم بالكلام وداخل بيبرص والأثنين الأختياريه معه، فقالوا لأمه : ما شاء الله على هذا الغلام ! الله يطول لكى عمره لأنه قليل امثاله ! فقالت لهم : خذوا ابنى والطيور وروحوا الى قاعة الزعر ارجوهم لخاله احمد باشا. واعطتهم بخشيش وافى. فأخذوا بيبرص وراحوا. وبعدها طالعت الست كام قرش واعطتهم للشيخ وقالت له : روح بقا استعوض عينك عند الله تعالى ! وقد صدق المثل نية الصياد بمخلايته[٣]. فاخذ حاله وراح، وقد خسر عينه من الحسد ومن ضيقة العين.

واما بيبرص، راح لعند خاله احمد باشا وارجاه الطيور، فقال له : ما شاء الله ! واكرم الأختياريه واصرفهم. وبعدها فز اخذ بيبرص وسار الى عند اخته، فلاقت له وسلمت عليه، فجلس احمد باشا وقال الى بيبرص : انا بدى احكى معك قدام امك، فيا

١– أي : دار في مكانه لا يدري ماذا يفعل.

٢– حتى لا يصيب هدفه.

٣– أي : إن كان الصياد طيب القلب ماهراً أصاب ما يريد من الصيد، وملأ المخلاة منه ؛ والمخلاة وعاء من قماش له عروة يوضع فيها الصيد. فإن كان الصياد سيئ النية رجع خائباً، أي : يرزق الإنسان على حسب نيته.

ولدى، هذا الكار مبهدل والذى يداوم عليه لا يمُوت الا شحاد او اعما. ونحنا رضينا نعمل لك شد لاجل جبران الخاطر، حيث الجماعه فقراء، فاذا كنت هويان[٤] هذه الأشياء، فالعيد قريب. انا بجى يوم العيد لعندكم بفطر انا واياك، وباخذك وبروح على قاعة الزعر، فيجوا اهل الطوابق يعايدونى، فتتفرج بعينك على اهل الشد والعهد ورجال خاطرليه[٥]، ما هو بدنا نصير صياده .فقال له بيبرص : شو هذا طوابق ؟ فقال له : اعلم يا ولدى ان الطوابق منهم لبس التبان[٦] ولعب الصراع وهو بيرة[٧] سيدنا على الأنزع[٨] الكرار، ولا يلعب فيه الا كل سبع وجبار، وبعده لعب الحكم[٩]، ولا يلعب فيه الا كل عايق وشاطر، وختام الطوابق لعب السيف والترس، وتفرج على زرباوات[١٠] الشام، بقا شو بدك بالصيد وغيره ! وانا لو لا شوفك متشوق ما كنت حضرت بينهم. فقالت له امه : صحيح كلام خالك يا ابنى ! ثم قام احمد باشا وراح على قاعة الزعر، وقعد بيبرص يستنظر ايام العيد الى ان مضا يوم الوقفه ودخل العيد.

ديوان تعليم بيبرص الطوابق السّبْعَه

قال الراوى : يا ساده ياكرام ! فلما كان صباحية العيد اجا احمد باشا لعند اخته، وعايد عليها وفطر، هو وبيبرص، وقعدوا الى ضحاء النهار، وفز اخذه وسار على قاعة الزعر وجلسوا. فصارت تورد الأنفار ويعايدوا عليهم، وبعد حصه باب القاعه استد[١١] وداخل قبضاي ووراه جملة عالم، فقال احمد باشا الى بيبرص : شوف يا ولدى، هذا رئيس طابق الحكم واسمه ابراهيم اغا الجنينى، وفز لاقا له

٤- أي : إن كنت راغباً في هذه الأشياء.

٥- أي : الفضلاء.

٦- التبان سروال من الجلد يرتديه المصارعون، من الفارسية تنبان.

٧- كذا.

٨- انحسر شعره عن جانبَي جبهته فهو أنزع.

٩- نوع من المسايفة تستبدل فيها السيوف بالعصِي.

١٠- في اللهجة العامية مثل قبضايات أهل الشام : أي الأقوياء الشجعان.

١١- انفتح الباب (وقد تعني أحيانا عكس ذلك).

وعايدوا على بعضهم واخذه لجانبه وسلم عليه. وبعدها قعدت العالم على المساطب، ووقف الشاويش وصرخ : الفاتحه بصحايف ابراهيم آغا الجنينى واحمد باشا الأقواسى، وافندينا بيبرص واهل الحرفه وجميع الطوابق ! وابتدت الشباب تلعب بالحكم قدر ساعتين من الزمان، فصارت تتفرق[١٢] البخاشيش ، فمد يده بيبرص، وفرق بقدر ما فرقوا جميع الحاضرين ، فصرخ ابراهيم اغا الجنينى، ووجّه الكلام الى بيبرص، وقال : دائماً يا بك تعطى ولا تستعطى، وكلنا خدامينك ! واخذو[ا] اتكه ومشيو[ا] بحالهم. فقال له احمد باشا : شفت يا ولدى، هذا اظرف والا الصيد ؟ فقال له : والله يا خالى هذا اظرف، وهو شيىء بنومس[١٣] . فقال له خاله : غداً حتى يمضى العيد، بدى قول الى رؤساء الطوابق ان يعلموك، لأننى رأيتك رغبان فى هذه الالعاب من نظرك. وانا قلت الى ابراهيم اغا الجنينى ان يجى يعلمك، ولذلك قال لك : نحنا خدامينك يا بك !

قال... ففرح بيبرص بذلك، وفز فرق عيديات على الزعر، واعطا القهوجى اكرام زايد، وسار الى سرايته، فنظرت اليه امه، وجدت وجهه حالك[١٤] . قالت له : مالك يا ولدى ؟ فقال لها : سلامتك، ولكن والله يا امى الذى يقعد عند خالى يتعلم الفراسه والشجاعه. فقالت له : تعلّم يا ولدى لانه لا يدخل قاعة الزعر الا كل فارس قبضاي. وباتوا ذلك الليله الى ثانى يوم. قام بيبرص واخذ معه معامله واجده[١٥]، وسار على قاعة الزعر لأنه صار له رغبه زايدة بفرجة الطوابق. فلما دخل للقاعه، استلقوه الزعر بالترحيب، وفز خاله اخذه الى جانبه. وبعد حصه[١٦]، باب القاعه استد وداخل آغا من اغوات الطوابق والعالم وراه. فقال احمد باشا الى بيبرص : هذا العايق[١٧] اسمه الريس موسى السندى، وهو رئيس طابق الصراع، ولا له مثال بهذا الزمان. وفزو[ا] على حيلهم واخذوه الى جانبهم وعايدوا على بعضهم.

١٢– توزع.

١٣– يشرف والناموس الشرف.

١٤– الحلك السواد والحالك المسود والسواد هنا كناية عن العبوس.

١٥– معاملة واجدة، أي : كمية وافرة من العملة.

١٦– مدة قصيرة من الزمن.

١٧– الشاطر.

وبعدها فز الشاويش قرأ الفاتحه، وقال : صحايف موسى السندى واحمد باشا الأقواسي وافندينا بيبرص، واهل الحرفه وجميع الطوابق ! واستلمت الشباب التبابين، وصاروا يتصارعوا، وبيبرص عمال يتفرج ويترنم[١٨]، مقدار ساعتين من الزمان. تفرقت البخاشيش ومد يده بيبرص فرق مثل عادته، واكرم الريس اكرام وافي، فقال له : دائماً يا بك ! وراحوا بحال سبيلهم. وثالث يوم، اجا ريس، ايضاً لعب، واخذ اكرام وراح.

ويوم الرابع، بيبرص قاعد ما شاف الا باب القاعه استد وداخل قبضاي ظريف، ما شاف مثله بين القبضايات. وازدحمت الناس بالقاعه حتى ضاقت بهم، فقال بيبرص لخاله : بلاقي الناس مزدحمه اليوم اكثر من كل يوم. فقال له خاله : اليوم ختام الطوابق، وهو لعب السيف والترس. وفزوا لاقوا للريس وسلمو[ا] عليه واخذوه الى جانبهم وعايدوا عليه. فقال بيبرص لخاله : شو اسم هذا الريس ؟ قال له : اسمه ابو بكر الجردقاني وليس له نظير بلعب السيف. ثم وقف الشاويش وقرأ الفاتحه كالعاده والقانون. وصاروا الشباب يلعبوا بالسيف والترس قدر ساعتين، وبعدها فز ابو بكر الريس ورما الفوقاني من على الأكتاف، وصافح احمد باشا، ونزل لَعِبْ لُعُبْ يحير الافكار، ولا احد قدران يعلم عليه، ورجع صافح الباشا وقعد. وصارت تتفرق البخاشيش، وفرق بيبرص مثل عادته، واعطا للريس بخشيش زايد، وتفرقت العالم، وفز بيبرص وسار على سرايته، فلاقت له امه وقالت له : كيف حالك عند خالك ؟ فقال لها : يا امى بترجاكى تبعثى ورا خالى يجى لهون. فقالت له : شو بدك فيه ؟ ما كنت عنده هلق ! فقال لها : مرادى تقولى له ان يأمر بتاعين الطوابق ان يأتو[ا] الى عندنا للقاعه يعلمونى. فقالت له : ليش لما كنت عنده ما قلت له ؟ فقال لها : استحيت منه. فارسلت الست طلبت اخوها. حالاً قام حضر الى عندها، فقالت له : ابن اختك بيبرص مراده يتعلم الطوابق، واستحا يقول لك !فقال لها : والله ورحمة ابوكى ! ربطت له[١٩] مع رؤساء الطوابق كلهم بعد العيد ان يعلموه. فقال بيبرص : خليهم يجوا بكره الى قاعة الزعر

١٨- يترنم، أي : يطرب والمراد هنا السرور.

١٩- اتفقت معهم من أجله.

يعلموني. فقال له خاله : واحد مثلك ما بصير يتعلم بقاعة الزعر حتى يصير فرجه، وانت لساك ولد مثل الورده، هي البراني عندك اكبر من قاعة الزعر، فليلة بكره تعمل عزيمه للريس ونخاويك معهم ونخليهم ان يجوا يعلموك عندك في محلك. قال له بيبرص : طيب مثل ما بتريد. فقالت الست : يا اخي قوم روح للسوق اشترى لنا خمس بنشات يكونوا عال لاجل ان تُلبّسْهم لِلْرُيَّسْ، وادفع الى كل واحد منهم قنطره[٢٠] مائة غرش. والتفتت لبيبرص قالت له : يا ولدي هدول اْلرُيَّسْ ينفعوك وهم خاطرليه بالشام، وجميع المعترين[٢١] تحت يدهم، لازم اكرامهم حتى يديروا بالهم عليك. فقال الباشا : صدقتي والله يا اختي ! وقام الباشا، راح على السوق اشترى الأغراض، وبعث عزم اْلرُيَّس لبيت ست الشام، وباتوا ذلك الليله الى ثاني يوم.

قامت الست وامرت الجوار الذى عندها بتوضيب الوان الطعام، زفر ومحلى، الى ان صار المساء، اقبلوا الجماعه ومعهم قَدَرْ عشرين واحد من زلامهم الخاطرليه، فلاقوا لهم وادخلوهم للقاعه بالوسطاني، وقعدوا وصاروا يتحادثوا الى ان حضر الْعَشا، تعشوا وانبسطوا وشربوا القهوه، ودار بينهم الكلام لحكم الساعه اربعه، التفت احمد باشا وقال لهم : يا شباب ! اختي ست الشام بتسلم عليكم وبتقول لكم بانكم تقبلوا ابنها بيبرص ان يكون ولدكم. فقالوا الجميع : نحنا خدامين له لكل غرض يلزم. قال الباشا : ممنونين ! كتر الله خيركم ! بدنا منكم ان تعلموه الطوابق ويصير واحد منكم. فقالوا الجميع : حاضر ! سمعونا الفاتحه على ذلك. فقراؤ[ا] الفاتحه، فحضن بيبرص ريس لعب السيف ابو بكر الجردقاني وعمله ابنه، والباقي خاووه مخاواه[٢٢]، ثم حضرت سُفر المحلى، اكلوا وانبسطوا وشربوا القهوه. وكانت الست قاعده بالشعرية[٣٢] عمال تتفرج، فارسلت لهم البنشات، فردوهم على

٢٠- مأخوذة من القنطار والمراد كمية كبيرة.

٢١- رجال أقوياء من السوقة يعتمد عليهم الرئيس. وتستعمل أحيانا بمعنى بؤساء.

٢٢- خاووه مخاوه أي اعتبروه من إخوانهم، آخوه. وهذه المؤاخاة تمكنهم من الدخول الى السرايا دون فضح عرض النساء.

٢٣- نافذة بارزة مغطاة بأعواد بينها فرج تنظر المرأة منها فتشاهد ولا يشاهدها أحد فيمس عرضها بنظر أو كلام أو نميمة.

اكتافهم، وناولوا لكل واحد من الْرُيِّس قنطره مائة غرش، وللأتباع كل واحد نصف قنطره، فصرخوا الجميع : دائماً ان شاء الله ! اهل الكَرَمْ والجود ست الشام واخيها وابنها ! الله يجعل ديارهم عامره وبالخيرات وافره ! وطلعوا وهم حامدين شاكرين، وكل من راح لبيته ؛ الى ثاني يوم، اجا ريس طابق الحكم وصار يعلم بيبرص كل يوم ساعتين من الزمان، على مدة كام يوم تعلم، وفاق على كل من مسك شماله[٢٤] بيده. وبعدها اجا ريس طابق الصراع كذلك على مدة كام يوم، تعلم وفاق على كل من لبس تبان. ولا زال يأتوا الْرُيِّسْ ويعلموه، طابق بعد طابق، الى ان تعلم جميع الطوابق، وما بقي عليه سِوَى طابق السيف والترس. فآتى ابو بكر الجردقاني حتى يعلمه، وكان يعرف بجميع الطوابق، فاراد ان يمتحنه بالطوابق الذى تعلمها. وبعد ان امتحنه، وجده – ما شاء الله – احسن من اهلها، فقال لحاله : ما شاء الله على هذا الغلام ! والله هذا كمان سنه، لا يوجد مثله بالشام، ولا بجميع البلدان ! وصار يعلمه لعب السيف والترس، حتى ختمه، وقد استقام بتعليم كل الطوابق ستة اشهر. وبعد ما ختم عمل لِلْرُيِّس عزيمه، واخلع عليهم ايضاً، وصار واحد منهم، ولما يصير جمع وشد، يقرؤا له فاتحه، حيث انه فاق عليهم كبير وصغير.

ديوان احمد آغا استيت آغة باب السلام

قال الراوى : يا ساده، يا كرام، وحدو[ا] ذو الجلال والأكرام، وصلوا على سيدنا محمداً بدر التمام[٢٥]، الى يوم من ذات الايام، نزل بيبرص يدور بالشام، فمرق من على دكانة السيد محمد الخياط، فقال له : اهلاً وسهلاً بعد زمان يا بك، والله، اوحشتنا ! ونزل رفعه من تحت باطه للدكان، وقعد صار يتحادث هو واياه، ويرمي له خرافات قدر ساعة زمان، ما شاف بيبرص الا العالم صارت تتراكد، وبعض الدكنجيه صارو[ا] يرفعوا الاغلاق على دكاكينهم ويمغيبوا[٢٦]، والبعض يسكروا

٢٤– هي الترس المستعمل في الحكم.

٢٥– كذا.

٢٦– أي : يختفون عن الأنظار.

ويركدوا، ومنهم من يَمْرُق على السيد محمد الخياط ويقولوا له : لسَّاك قاعد ؟ فيقول لهم : مانكم شايفين مين قاعد عندى ! وانا مانى مسترجى منه. اما السيد محمد، خايف يقول له قوم، يروح عليه البخشيش. هذا وبيبرص ما هو فهمان شو صاير، التفت ناح السيد محمد، يَرَى وجهه مثل الكاربه[٢٧]، وعمال يلوص[٢٨]. فقال له بيبرص : بابا ليش لايص ؟ شو الخبر حتى الناس راكده وعمال يسكروا الدكاكين ؟ فقال له : قوم يا ولدى، ادخل لجوات الدكان، بعدين بحكى لك، لانه هلق ما بقا وقت. فقال له بيبرص بقلب بارد : والله ما بفوت حتى تحكيلى. فقال له : يا ولدى، جايه احمد آغا استيت آغة باب السلام، وهذا جميع زرباوات الشام تخاف منه، حتى الوزير حاكم الشام، خصوصاً اذا كان سكران، لا احد يقدر ان يقف بوجهه.

قال... وهم بالكلام بنفدت احمد آغا من راس السوق. قال السيد محمد الى بيبرص : تفضل سيدى، ليكُه اجا وانت ما كنت تقوم تفوت لجوه. فقال له بيبرص : بابا يعنى واذا اجا، شو بصير منه ؟ فقال له السيد محمد : بياخذك على القناق[٢٩]، ولا يقدر احد يخلصك. فقال له بيبرص : يعنى واذا اخذنى، شو بيعمل معى ؟ قال له : بشلحك اواعيك وبسخمك[٣٠]، فان حب يقتلك وان حب يتركك، ولا احد يقدر ان يسئل عنك. فقال له بيبرص : انا حَسَّبْت حكايه مُهمه ! ما دام هيك، انا بروح معه، شو بصير ! فقال له السيد محمد : ترضى ان يسخمك ؟ قال بيبرص : شو بضر، فهل ينقص منى شيئ ؟ فقال له السيد محمد : والله، مانى عارفك انك بتبلق[٣١] ! يا ريتنى بكل هذه المده اخذتلى منك شى بوسه !

هم بالكلام، واذاً بأحمد اغا صار قدام الدكان، كان يلتحش السيد محمد عَلَى اقدامه، فطلَّع احمد اغا يرى بيبرص قاعد، وهو مثل البدر المنير وخدوده مثل الورد

٢٧- أي : أصفر من شدة الخوف مثل الكهرمان.

٢٨- أي : نظر يمنة ويسرة من الخوف.

٢٩- أي : المنزل الكبير.

٣٠- أي : يفعل به فعل قوم لوط.

٣١- أي : ترضى أن يفعل بك الفاحشة.

الجورى[٣٢]، وهو لابس بدله معتبره. فقال الى السيد محمد : ما شاء الله عليك ! هل انت من زمان بتحوى اولاد ظراف ؟ فقال له : ورحمة ابوك، يا اغا، مانى عارفه انه بيشتغل هديك الشغله الا اليوم ! فقال له : لكان هاته والحقنى على القناق. هذا وبيبرص عمال ينظر ويسمع، لقا احمد اغا قبضاي اختيار، فلما قال للسيد محمد هاته والحقنى، فز ونزل لحاله من الدكان، فحالاً السيد محمد سكر الدكان، ومشى جانب بيبرص ورا الاغا، وصار يقول له : ابقا جُر اللحاف[٣٣] ناحى شويه، واحسبنى كمركجى[٣٤] اعطينى العُشُر.

هذا والناس من بعيد صاروا يقولوا : لا حول ولا قوة الا بالله ! اخذ بيبرص ابن ست الشام ! وهم من بعيد الى بعيد، ويقولوا : يضرب السيد محمد ! ما عرف يهربه قبل ما يصل لعنده ؟ والبعض يقولوا : اذا كان هوه بحب التعريص. وصار كل واحد من هالعالم يحكى له كلمه شكل، وبيبرص ماشى وعمال يسمع الكلام من الناس ومن السيد محمد، وعامل حاله ما هو فهمان شيئ، والدرب مقطوع لا رايح ولا جايه. وكان ذلك الآغا، كلما طلع دار بالشام، يصير هيك فى البلد، ويسكرها ولا يخلى لا حرمه ولا ولد من شره، وهو جبار وخاطرلى، ولذلك هذا[٣٥] السبب تخاف الناس من شره، حتى الحاكم لا يقدر عليه. ولازالوا سائرين الى ان وصلوا لباب البريد[٣٦]، وعطف الاغا على خان العقيق. فلما وصل بيبرص الى هناك، دقر[٣٧] عند درج الاموى. فقال له السيد محمد : ما تمشى ؟ فما رد عليه. فسمع الآغا الكلام، التفت الى السيد محمد، وقال له : هاته والحقنى من هون. فقال له بيبرص : تعال انت خذنى، يا ابو دقن طويله، يا اما روح انت معى على بيتى. هذا والناس واقفه من بعيد عمال تتفرج، ولا قادر احد منهم ان يقرب.

٣٢- هذا الورد معروف بدمشق ينسب إلى بلد جور في أرض فارس وهي اليوم فيروزاباد.

٣٣- أي : شد الغطاء نحوي، كناية، أي : قاسمني ما ستجلبه لنفسك من خيرات واشركني في اللذات التي ستتمتع بها.

٣٤- الموظف الذي يكون على حدود البلد ليضع ضرائب على الأمتعة الداخلة.

٣٥- كذا.

٣٦- باب المسجد الأموي.

٣٧- أي : توقف فجأة.

فلما سمع الآغا من بيبرص كلام ناشف، رجع حتى يشحطه[٣٨] على وجهه، فكان بيبرص – ما هو شاطر ! راحت يده الى سلاسل اللت العشره الدمشقى، وطرق احمد اغا بين ابزازه[٣٩]، قلبه لوسط المسكيه[٤٠]، وصرخ : ولاً سيد محمد، تعال كتف هذا خبيث ! واما السيد محمد، شلح بابوجه، طلع يركد حافي من خوفه لا يأكل له ضرب من ذلك اللت، وهو عمال [يقول :] يا علم الشرق، لا يكون لك غيبه[٤١] ! انا حسبته صحيح محبوب، تاريه مغضوب ! فقال له بيبرص وهو يصرخ عليه باعلا صوته : ولاً تعال خود عُشر ! قال له : لا، والذى خلقك، ولا بالمائه واحد، مالك مزكّا[٤٢]، لا يحرق ولا يغرق ! وهو طالع يركد للدكان.

واما بيبرص، فانه نزل للمسكيه، قلب احمد اغا على وجهه، وكتفه بلفته، وشحطه مثل الكوت[٤٣]. فصاروا الناس، هذا يقول : الله يسلم درعانه، وهذا يقول : الله يخليه لامه، وبيبرص لازال ساحبه، الى ان وصل فيه لسرايته، والناس وراه مثل قش التراب، وهم عمال يقولوا : والله، حجر اسود راح من طريق الأسلام، شو هذا ياه ؟ والله ! بيبرص بخوف، ولا عاد يصير مثله لا بالشام ولا بديرة عرب بستان[٤٤] ! وصاروا يتعجبو[ا] من فعاله، ويثنوا عليه. ولما وصل بيبرص للسرايه، حبس احمد اغا بالياخُر[٤٥]، ودخل للحرم وهو عمال ينفخ وخُلقه طالع، فقالت له امه : مالك يا ولدى ؟ فقال لها : والله، يا امى، فيه ناس بالشام ما بتستحى، واهلها لا يقدروا ان يردُّوا هيك واحد رزيل. فقالت له : اذا كان احد اَحْكى معك كلام بارد، روح احكى لخالك، والله، ببزقه الدم عشرين شكل ! فقال لها : (نادر نادر[٤٦])، وهذه،

٣٨– أي : يجرّه.

٣٩– بين ثدييه، أي : على صدره.

٤٠– حي بائعي الكتب في غرب جامع بني أمية.

٤١– يثني على بيبرص متمنيا له دوام القوة والبطش كأنه شمس تشرق أبدا.

٤٢– المال الذي تدفع زكاته.

٤٣– الكلب الصغير الذي يُجر بغير مقاومة.

٤٤– كذا.

٤٥– مأوى الحيوانات ويقال أيضا ياخور، وهي كلمة تركية.

٤٦– كلمة نادر هنا، وإن كانت من أصل عربي، مستعملة باللغة التركية بالمعنى المذكور.

يا ساده، معناها بالعربي (شو هذا شو هذا)، انا ابزقه الدم الف شكل ! ليش انا اخاف من احد بصاية[٤٧] خالي الباشا ! فقالت له : احكى لى شو صار معك حتى طالع خُلقك . فقال لها : هذا فيه واحد آغا، قالوا اسمه احمد اغا استيت، وهو آغا باب السلام، واحد رزيل ما بيستحى.

قال. . . فلما سمعت الست بذكر احمد اغا، قاطعت بيبرص بالكلام وقالت له : يا ولدى، اذا كان واحد مثل هذا احكاله كلمه معك ما بضر، لا تحكى لخالك لانه هذا واحد غضبه، والناس بتحسب حسابه ولا يردوه عن فعاله، لانه بهذا العصر هيك واقع بجميع البلدان، ما هو بس بالشام، بكل بلد فيه اغوات قبضايات يبقوا معدودين الخاطر، حتى الحكام بزاتهم[٤٨] تحسب حسابهم. فقال لها بيبرص : ما فشر مائة اغا مثل استيت ان يقدر يحاكيني! والله، جبته مثل الكلب ورميته بالياخر.

قال. . . فلما سمعت الست ذلك الكلام، ركدت تغطت وطلعت للياخر، شافت احمد اغا مكتف وملحوش مثل ما قال لها ابنها، فتقدمت وفكت له كتافه، وقالت له : بعرضك يا احمد اغا، والله، ابنى ما هو عارفك، وهذه الماده الذى جرت من ابنى، فهي عندى ومن شان خاطرى، لا تؤآخذنى وانا بترجاك، يا اغا، ان تصفح عنه، وهذا ولدك وليس ولدى.

قال. . . فضحك احمد اغا، وفز على حيله، وصار ينفض اواعيه ويلف لفته، وبعدها قال للست : بدى ادخل لعندكى. فقالت له : اهلاً وسهلاً، ومرحباً ! ودخلت قدامه وقالت الى ابنها : قوم يا ولدى، لاقى للاغا وترحب فيه. فقال لها : ليش فكيتيه ؟ والله، انا كان مرادى اجرصه[٤٩] وادوره بالشام وهو مكتف، حتى أُربي

٤٧- أي : بجاه خاله.

٤٨- كذا، وهي بذاتهم.

٤٩- أفضحه. وأصلها من التجريص وهو عقاب قديم كانت تعلق فيه ورقة على صدر المذنب تذكر ما اقترفه ثم يركب رأسا إلى ظهر على حمار عليه قتب، فيمسك بذنبه وكأنه الرسن ويدار بهما في الشوارع فينتبه الناس إلى مرورهما عند سماعهم رنين جريسات قد علقت حول عنقهما. والجَرَسُ تلفظ بالعامية جرص.

فيه العباد جيل بعد جيل، واذا كان هوه صحيح خاطرلى وقبضاي وفيه وراه رجال، خليهم يقدروا يخلصوه من ايدى ! قالت له : اسكت يا ابنى ! هذا واحد كبير، ينحسب حسابه، اطلع الى عنده هاته، الله يرضى عليك !
قال... فطلع بيبرص لقاه عمال يغسل وجهه، ويقول : الحمد لله ! ان شاء الله هذه الماده سبب توبتنا، والله تعالى محا كاساتنا[٥٠]، وتاب علينا ! فقال له بيبرص : يا عمى، انت بتعرفنى، انا بروح على القناقات ! لكن تفضل لجوه، هلق اسمك صرت فى محلى. فدخل احمد اغا معه، وجلس بالليوان خجلان وهو مطاطئ الراس. فقالت الست الى بيبرص، وهي ورا باب القاعه : قوم يا ولدى، بوس يده ودقنه، هذا عمك. فقال لها احمد اغا : ما هو لازم، يا ست، وانتى جنابك عمال تروقى بخاطرى، وتظنى فى بالك خايفه على ابنك منى، فوالله، يا ست، الواجب عليٍّ انا ابوس يده من بعد ما جابنى مكتف، فهل بقا لى راس يرتفع بين الناس، ما دام ولد قد اولاد اولادى كسر اعتبارى وشئامتى ؟ ومع ذلك، والله، انا فرحان بذلك الأمر، وعمال احمد الله واشكره، لعَلَّها ان تكون توبتى عن المعاصى عن يد ابنك، وانتى اشهدى علي، والله خير الشاهدين، اننى تايب لوجه الله على يد ابنك، وانا صاحب لمن صاحبه وعدواً لمن عاداه، انا ورجالى ومن يلوز بي. فقالت له الست : هذا ابنك، يا اغا. وطالعت له كُرك[٥١] معتبر، وامرت ابنها ان يلبسه اياه بيده. فقام بيبرص ولَبَّسَه اياه وصافحه وقال له : قبلتنى ابنك بعهد الله، والخاين قبيله الله، ما دام انك تبت. فقال له : والله، يا ولدى، انا ما بطلع من بعض شراقاتك[٥٢]. فقال له بيبرص : استغفر الله ! وراح جاب له القهوه، شرب وراقت الأمور بينهم، ففز احمد آغَا وطلب الاذن بالرواح، فاذن له بيبرص، وقال له: يا عمى، لا عدت تنقطع عنى. فقال له احمد اغا : انا كل ساعه بين يديك. وتوجه واصل على الحمَّام، اغتسل وتاب لوجه الله عن كل شيىء يغضب الله توبةً نصوحه، وطلع على بيته.

٥٠- أزال من قلوبنا حب كاسات الخمر.
٥١- ثوب خارجي يشبه العباءة ويكون ثميناً.
٥٢- من بعض زملائك.

واما بيبرص، فانه قعد وصار يتحادث هو وامه، فقالت له امه : والله، يا ولدى، ان كان صحيح توبة هذا المخلوق صادقة فهنيئاً له ولاهل الشام، لانه هذا اذا تاب لا يبقى شقي بالشام، لانه كلهم يلوزوا فيه. هم بالكلام، وداخل احمد باشا وعيونه مثل برك الدم، لانه سمع ابن اخته ضرب احمد اغا استيت، فطلع يركد الى سراية اخته من خوفه على بيبرص، فلما وصل وشافه هدى روعه، فسئله عن الخبر كيف جرى، فاحكت له اخته عما جرى : وانما الرجل تاب، يا اخى، لوجه الله على يد ولدى. فقال لها الباشا : لكان يا اختى، ما دام هيك، وضبى لنا عشر تفاصيل[٥٣] والف غرش، حتى آخذهم وآخذ ابنك واروح لعنده الليله هذه، واتعطف بخاطره، لانه والله، ينحسب حسابه وخاطره لازم. فقال له بيبرص : قوى شددت الأمور، يا خالى، وحيات راس جدى السلطان ابراهيم الادهم، اذا كان وراه عشرة آلاف راجل لا اسئل عنه ولا عن رجاله، (ضنى[٥٤] شايفنى ولد بعينك). فقال له خاله : لا يا ولدى، لا تغلط، صحيح انت فيك البركه، ولكن الراجل برجاله، والذى لا يحسب حساب الرجال ما هو رجال، وهذا وراه سبعة رجال هم زرباوات الشام، وكل واحد منهم تحت يده رجال، وهذا احمد اغا باش زربه[٥٥] عليهم، فانا الرأي عندى انك تروح معى. فقالت له امه : طاوع خالك، يا ولدى، وروح معه. فقال لها : يا امي، والله، انا بفضل الله ما نى خايف منه ولا احسب حسابه، لا هو ولا زرباواته ولا رجاله، وانا اذا كان بدى اروح بكون لاجل خاطركم، لاننى انا كرهان هالروحه. فقالت له : ما بضر، يا ولدى، لاجل خاطرنا. فقال لها بيبرص : شو عليه، شوفو[ا] شغلكم.

فقام احمد باشا وكتب تذاكر وارسلهم الى رؤساء الطوابق يطلب حضورهم. فقالت له اخته : ليش طلبتهم ؟ قال لها : حتى آخذهم معى، لاجل يعلم احمد اغا انه بيبرص فيه وراه رجال وقبضايات، حتى اذا كانت نيته مزغزغه[٥٦] يعرف حاله

٥٣– قطع من القماش تكفي كل واحدة منها لتفصيل ثوب بكامله.

٥٤– أظن.

٥٥– زعيم القبضايات.

٥٦– أي : إذا كانت نيته غير سليمة أو إرادته واهية.

على ايش. فقالت له : اصبت. وقامت وضبت لاخوها الالف غرش والعشرة تفاصيل الذى قال لها عليهم، وقعدوا لحكم الساعه تنتين بالليل، ونافدين الجماعه بتاعين الطوابق وهم تحت السلاح الكامل، فاستلقاهم بيبرص واحمد باشا، وترحبوا فيهم وامروا لهم بالمشروب والقهوه. شربوا وانبسطوا وبعدها قالوا لاحمد باشا : شو عاوز، يا سيدنا، وشو جرى بين ولدنا الامير بيبرص وبين احمد اغا استيت، لاننا سمعنا تواتر حكي من الناس ؟ فاحكا لهم الباشا بما جرى، وانه تاب على يد ابن اختي بيبرص، فقط انا حبيت ان آخذكم وآخذ بيبرص ونروح لعند الآغا ونتعطف بخاطره، شو قلتوا بذلك الراي ؟ فقالوا جميع : هذا هو الصواب لانه خاطره لازم، وكل منا يبوس دقنه ونطلب منه السماح. وارادوا ان يقوموا يمشوا واذاً بالباب يُطرق، فتحسبوا الرجال لا يكون احمد اغا حامل حقد وهو جايه، مراده يكبس السرايه بالليل. فقال ابو بكر الجردقاني : انا بطلع بشوف. فقال موسى السندى : لا والله، ما احد يطلع الا انا ! وصار كل من يحلف من جنب. فقام بيبرص، وقال : انتم كلكم ضيوف، وما هو واجب على الضيف ان يفز وصاحب البيت يبقى قاعد، ومدد صاحب البُسط وعهد الاجاويد، ما احد منكم يتحرك من مكانه، واذا انغلبت لا احد يساعدني واذا غلبت ايضاً لا احد يساعدني. وغرف[٥٧] سلاسل اللت بيده وقمز صار فى البراني. فقالوا الجماعه : ما شاء الله عليه ! والله، انه راجل وقلبه حاضر[٥٨]، ربنا يحميه من كل سوء. فقال ابو بكر الجردقاني : كلامه الذى احكاه لما طلع له معنى، ومعناه لما قال اذا كان انغلبت لا احد يساعدنى، يعنى بكون الشق[٥٩] والألشق موته احسن له من حياته، واذا كان غلب كذلك ما هو محتاج لأحد. وصاروا يتباحثو[ا] بفعاله.

اما بيبرص، لما قام من عند الجماعه، راح فتح الباب، يرى طابور من الرجال الخاطرليه وقدامهم احمد اغا استيت، وآخرهم ابراهيم اغا شراره، آغة سوق ساروجه، فلما شافوه طالع وحده وهو غارف سلاسل اللت، قال له احمد اغا : ما شاء الله عليك،

٥٧- أخذ بعزم.

٥٨- ثابت الفؤاد لا يتزعزع عند الشدة.

٥٩- الألشق هو الجبان.

يا ابنى، والله، انك راجل ! فوت خوذ لنا درب، بدنا ندخل لعندك. فقال لهم : اهلاً وسهلاً ! ومرحبا ! تفضلوا ! ومشى قدامهم. فقال احمد اغا للرجال : وحق ضريح سيدنا يحيى، ما هو طالع الا ليضربنا كلنا، ولا هو حاسب لنا حساب، وهو يظن اننا جايين عليه دشمان[٦٠]. فقالوا : ما شاء الله عليه، والله، قلبه صامد، وما تاه نظرك يا اغا ! واما بيبرص، فانه لقا الجماعه تعوقوا ما دخلو[ا]، رجع عليهم وجدهم واقفين، فقال لهم : ليش واقفين، ما تتفضلوا ؟ فدخل احمد اغا قدام ووراه الزرباوات، فلما وصلو[ا] للقاعه، وجدوا رؤساء الطوابق جالسين واحمد باشا معهم.

واما رؤساء الطوابق، فانهم لما شافوا احمد اغا فزوا ولاقوله، واخذه ابو بكر الجردقانى لجانبه، وموسى السندى اخذ ابراهيم اغا شراره لجانبه، وجلست الرجال وانحبكت القاعه بالزرباوات، وسلموا على بعضهم. وكانت ذلك الجمعيه عينة اهل الشام فحضرت المشروبات شربو[ا] وانبسطوا، وبعدها دار بينهم الكلام، فقال احمد اغا : الفاتحه بوجه الحاضرين ! فقرؤها واهدوها الى سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - ثم قال احمد اغا :.استعير جاهكم[٦١] ميامن ومياسر وقلب وجناحين. فقالوا الجميع : قول مرادك، يا اغا. فقال لهم : مرادى اجرى عهد الله بين بعضنا البعض، بحيث اننا اجتمعنا كلنا اخوان، والأجتماع مقدر، والمراد ان نجعل بيبرص علينا آغا، ما قالت الاخوان ؟ فقالو[ا] جميعهم : مناسب وما تاه نظرك، يا اغا ! فحالاً اجروا العهد واجلسوا بيبرص بالصدر، وتحالفوا على السيف والمصحف انهم اخوان بعهد الله، والخاين قبيله الله، وشرط الناجى لا يتخلا عن اخاه[٦٢]، وهذه الليله آخر جمع، فكل منا يقوم تايب لوجه الله. وقالوا الى بيبرص : لازم يكون لنا اوضه عندك مفتوحة كل ليله نسهر عندك. فقال لهم بيبرص : اهلاً سهلاً، حلة البركات ! فانا اتشرف بقدومكم وانا واحد منكم. فقرؤ[ا] الفاتحه على هذه النيه وارتضوا على ذلك الحال.

٦٠- رجال من الأعداء (وهي دشمن كلمة فارسية ومعناها العدو).

٦١- أي : أستعين بجاهكم، بمقامكم.

٦٢- لا يترك أخاه وقت الشدة إذا نجا من الهلكة.

واما ست الشام، فانها لما سمعت ذلك الكلام، فرحت فرحاً شديد وكانها ملكت الدنيا باسرها، واخوها احمد باشا يقول لها : الله يهنيكى بهذا الغلام ! ومن هلق ورايح لا بقيتى تخافى عليه ان راح وان اجا، لانه جميع زرباوات الشام حسبت حسابه، وهم حطوه عليهم آمر. فقالت الست : الحمد لله رب العالمين ! وندهت الى بيبرص وقالت له : افتح القاعه البرانيه واعملها منزول، ولما بدهم يروحوا اقرأ الفاتحه وعرفهم عنها. وبعدها امرت بمد السماط، فاكلوا وشربوا، والتذوا، رفعت الزبادى وغسلت الأيادى، انا وانتم نصلى على النبى الهادى. ثم قدموا المشروب والقهوه، شربوا، وبعد ان خلصوا فز احمد باشا وقال : الفاتحه بوجهكم السعيد ! فقروها وقالوا : بوجهك، يا احمد باشا، اطلب مرادك. فقال لهم : ان القاعه البرانيه والبرانى والقصوره والعلالى هو منزول لكم والى من يلوذ بكم ليلاً ونهار. ففز احمد اغا استيت : والله، يا ست الشام، ما هو كثير عليكى ! انتم اصحاب الكرم والجود، وابوكى قبل منك، الله يجعلها دار عمار ويخلى لكى هذا الغلام، ويطول لكى عمره ! فتقدم عبد من احد عبيد ست الشام وحط على اكتافه خلعه مثمنه كلها قصب[٦٣] وهاج. ثم ابراهيم اغا شراره مثله، وابو بكر الجردقانى مثله. ولازالوا حتى اخلعو[ا] على الجميع، فخرجوا من السرايه وهم متشكرين، هذا كان.

واما ما كان من سبب مجئ احمد اغا استيت، هو ورجاله، على السرايه لعند بيبرص، فانه لما راح من عند ست الشام ودخل الحمام وتاب، راح الى بيته، وبعث جمع الزرباوات، واخبرهم بما جرى بينه وبين ابن ست الشام بيبرص، وقال لهم : الحمد لله الذى التقا بالشام واحد صاحب نخوه وشرف ! وهذا الولد، والله، اذا كان هذا ممشانا[٦٤]، حتى يفوز علينا كلنا ويدعسنا بين رجليه ويروحنا طعام السيف، لاننا والله، ماننا ماشيين بحق الله ! فقالو[ا] له : والآن ايش مرادك ؟ فقال لهم : لازم كل منا يتوب لوجه الله، واولكم انا، وهلق اشهدوا عليَّ انى تائب لوجه الله

٦٣- خيوط ذهبية.

٦٤- أي : ما نسير عليه.

تعالى على يد بيبرص ابن ست الشام، وكذلك انتم توبوا، حتى نجمع حالنا هذه الليله ونروح الى عنده ونخاويه ونقيمه علينا اغا، لانه والله، يحق له.
قال... فأرتضت الزرباوات وذهبوا الى اعتاب سيدنا يحيى عليه السلام، وتابوا جميعهم، وبعدها توجهوا الى عند الأمير بيبرص، وجرى ما جرى كما شرحنا الكلام، وهذا كان السبب. ولما توجهوا من عند بيبرص، صار كل منهم يتعبد الله على حسب حاله. اما ما كان من بيبرص، اصبح ثاني يوم اتقن القاعه ورتبها بالفرش المعتبر والثريات[٦٥] المفتخره. واما امه ست الشام، فانها صارت تستخبر وين فيه عبد مظلوم او مملوك معتبر تبعث تشتريه، لاجل خدامة الزرباوات. وبيبرص عند المساء اطلق الشموع واوقد الثريات وصارت تجى بعض الزرباوات تسهر عنده، واستقامو[ا] على ذلك الحال مده من الزمان، وصارت الناس تدعى الى بيبرص بطول العمر، ويقولوا : والله، ما هو لايق الا يكون وزير الشام، لأنه ما عاد خلا شقى تنمد يده، وابن العرض استراح بايامه.

ديوان محمود العجمى المصارعجى وما يجرى له مع بيبرص وزعل ست الشام من بيبرص ورؤيتها للملك الصالح ايوب بالمنام فيروق خاطرها

قال الراوى : يا ساده، يا كرام، يوم من الأيام وكان يوم جمعه، ذهب بيبرص الى جامع الأموى لاجل يؤدى فريضة صلاة الجمعه، فصلى الجمعه وطلع من الأموى والزعر وراه، والزرباوات والخاطرليه حواليه، واحمد اغا استيت جانبه عمال يتناغش[٦٦] هو واياه، وسرحو[ا] ناح العماره، وقلبو[ا] على القبارين على بحرة المدوره الى تحت القلعه، فبيبرص شاف ناس كثير مجموعه، ونظر الى قدام وجد كبود[٦٧] احمر مقصب[٦٨] معلق، فقال الى احمد اغا : ايش فيه هون، يا عم ؟ فقال له : يا ولدى،

٦٥- القنديل الكبير الذي يحوي مصابيح كثيرة شبهوه بالثريا التي تكون في السماء وهي عدة نجوم مجتمعة.
٦٦- أي : يناجيه.
٦٧- أي : المعطف.
٦٨- مطرز بخيوط الذهب.

جايه عايق[٦٩] الى الشام، عجمي اسمه محمود، ورامي اباحه[٧٠] على اهل الشام، وَعَلَّق كبوده وفتح باب الصراع، فما التقا بين العياق احد يكشفه[٧١]. فقال له بيبرص : ايش المعنَى معلق كبوده بالعالي والناس تنظر اليه ؟ قال له المعنى انه ما التقا احد يكشفه، حتى يصير معلوم عند العياق انه ما فوق يده يد، وهذا كل بلد الذى يدخلها ولا يوجد مين يقهره يعلق كبوده.

فقال بيبرص : ليش لعب بغير بلاد ؟ فقال له : نعم، موجود معه مظبطه[٧٢] انه لعب بتوريز وبالعراق والرها وماردين وبرصه وحلب، واجا هالجيه على الشام، ومراده اننا نعترف له بالتقصير، ومتى ماعترفنا له بالتقصير بروح الى مصر، فمتى ما لعب بالشام ومصر وما احد قهره، يصير له معاش عند الملك، ولا يبقى فى البلاد احد قده، ويصير ما فوق يده يد. فصفن بيبرص حصه، والتفت الى احمد اغا : ما هو عيب على اهل الوجاقات[٧٣] ما يوجد منهم احد يقهره ؟ فقال له احمد اغا : الله يصلحك، رؤساء الطوابق من حصرهم[٧٤] على حالهم منه ضعفوا، لأنه هذا الشيء عندهم اسمه اكبر عيب ! فلما سمع بيبرص ذلك الكلام، صار الضياء بِعَيْنيه ظلام، وبرم الشال على راسه، وفزت الجدريات فى جبينه، وصارت اذياله ترجف من شدة القهر، وقال : والله، يا عمى، انا قلت ببالى هذا غريب لا تكسر بخاطره، ولكن ما دام انه رامى اباحه على اسيادى، فلازم ان انزل له وافرجيه على الذى يرمى اباحه، ويخلي لسانه طويل على الناس ! فقال له : والله، يا ولدى، انت صاحب مروئه وشهامه، ومهما تكلمت تفعل، لأنك عندك غيرهْ لهيك امور !

٦٩- ماهر.

٧٠- تحدى أهل الشام.

٧١- يغلبه.

٧٢- مَظْبَطَة كلمة تركية من أصل عربي (ضبط) معناها تقرير أو محضر.

٧٣- وجاق كلمة تركية بمعنى موقد وتستعمل كناية عن الجيش لأنه كان يوجد علاقة نسبية بين عدد النيران الموقدة وعدد الجنود في معسكر ما.

٧٤- أسفهم وغمهم.

قال... فطحم[٧٥] بيبرص الى داخل الحلقه والزرباوات وراه، والعالم مزدحمه فوق بعضهم البعض، فقالوا : آه يا عيني، اجا بيبرص، هلق بيصارعه وبيقهره ! امّا بيبرص، فانه وصل لعند العجمي يراه رجل اختيار، فقال له : السلام عليكم. فقال له : وعليكم السلام سيدى. فقال له بيبرص : صحيح يا عم انت رامي اباحه على اهل الشام ؟ فقال : نعم، والذى يكشفنى أخذ هالكبود المعلق والمظبطه الذى معى، فان كان على بالك ان تقابلنى تفضل. فقال بيبرص : وَجَبْ ! فعند ذلك قدموا له اتباعه تَبّان، فشلح بيبرص اواعيه، فبان عن بدن مثل البلور الصافى. فكانوا واقفين اهل وجع القلب[٧٦] فصاروا يقولوا : آه يا عينى على هالمشلح الذى خرج العناق والبوس والضم، هذا ما هو خرج صراع ! امّا بعض الناس الأوادم قالوا : ما شاء الله على هالغلام، ايش عمال يظهر منه مراجل ! والله، انه بخوف ! ليش الحكايه بالشكل ؟ الضرب للفعل ! مادام خلا اكبر الأشقياء والزرباوات تموت منه خوف ! وناس يقولوا : الذى مشتهى على عناقه بده يعدم حياته للجبانه.

واما بيبرص، فانه لما لبس التبان وانحدر الى الميدان، فكان وصل الخبر الى رؤساء الوجاقات، فطلعوا يتراكدو[ا] من خوفهم عليه، لايروح يكشفه المصارعجى لانه واحد فريد عصره، ومن اجل ذلك ما رضيوا يخبروا بيبرص عنه، حتى مرق وشافه بعينه. فصارت الناس مزدحمه فوق بعضها البعض، لاجل الفرجه. فتقابلوا الأثنين، وبيبرص مد يده الواحده فقط وبده يلاعب المصارعجى، فقال له المصارعجى : ليش عمال تلاعبنى بيدك الواحده، ما تمد يدك الثانيه ؟ فقال له : لا الاعبك الا باليد الواحده ! فقال له المصارعجى : يا غلام، انت تقدر ان تلاعبنى بيدك الواحده فقط ؟ فقال له بيبرص : نعم ! لكان مثلك من يرمى اباحه بالشام، ويكون خالى احمد باشا الاقواسى، وابي احمد اغا استيت، وعمى ابو بكر الجردقانى، ومدد سكان الشام ! اذا كان ما اسرتك بفرد يد، ما هو لازم اخلى نفسى تعيش بالدنيا، اصحا لحالك وفتح عيونك، واعرف مين اللى واقف قدامك !

٧٥- دخل متدفعا.

٧٦- الغلاظ : أصحاب الدم الثقيل والعبارة هنا كناية عن قوم لوط.

قال الناقل... ان بيبرص تكلم بهذا الكلام، اولاً من حُسُنْ ادبه، واستخفافاً بالمصارعجى، والا بالحقيقه كلهم لا يُصْلِحُو[ا] له شراقات. ثم تقابلوا الأثنين كأنهم جبلين، وافترقوا كأنهم مركبين، ولازالوا يخرجوا من باب ويدخلوا في باب حتى وصلوا الى باب الأنجذاب، فمد يده بيبرص واخذه على راحة زنده مثل العصفور بيد الباشق الكسور، ودار فيه ثلاث دورات وحطه على الأرض، فقال المصارعجى: محوط بالله[٧٧]، يا ولدى، وانا احلف وحق سكان الشام، صارلى عشرين سنه بكار الصراع، ما احد قهرنى الا انت، فهل تقبلنى اخوك بعهد الله ؟ فقال له بيبرص : قبلت. فركد العايق محمود ونزل الكبود ولبسه اياه على الزلط[٧٨]، وناوله المظبطه بيده. واما الزرباوات والاغوات، فانهم حلفوا بالله لازم يأخذوه الى سرايته وهو لابس الكبود على طاق الظلط، وبالحال مشيوا قدامه المرفعجيه[٧٩]، ومشيت العالم قدامه اجواق اجواق بالتجاميل، الى ان وصلوا لقدام السرايه.

واما ست الشام، فانها كانت قاعده بالروشن[٨٠]، ما تسمع الا حِسْ المرفعجيه والضجيج عاقد، فقالت الى احد المماليك : روح شوف ايش الخبر. فراح المملوك ورجع قال لها : يا ستي، كل الأغوات جايبين سيدى بيبرص بالزلط ! فقالت له : ولك شو هالحكى ! كأنك جنيت ! فقال لها : وحيات رأسِكْ، يا ستى، ما بكذب عليكى. فطلْعِت الست الى البرانى، وطَلَّتْ من الشبابيك، فشافت اهل الحارات والزرباوات، طوابير طوابير، والمرفعجيه عمال تدق، الى ان وصلت العالم لقدام سرايتها، فنظرت ولدها بيبرص مثل ما احكا لها العبد، ووجدت الناس بهرج وفرح وعمال ينادوا : هذه رآية افندينا بيبرص، الله يطول عمره ! فلما نظرت امه ذلك الأمر زعلت باطناً، اما فى الظاهر عملت حالها مبسوطه، وصارت ترش عليهم من الدراهم والدينار، فصارو[ا] يدعو[ا] لها ولولدها بيبرص. وانصرفت الناس بحالهم.

٧٧- محفوظ برعاية الله.

٧٨- على الزلط أو على الظلط، أي : عار من الثياب.

٧٩- الذين يقومون بالعراضة ويدقون الطبول في الاحتفالات والأعياد.

٨٠- صندوق أو إطار خشبي تضم فيه لوازم النوم وهي كناية عن الغرفة التي فيها هذا الأثاث.

وبيبرص دخل هو والأغوات الى البرانى، فقدموا العبيد لهم المشروبات والقهوه، وقعدو[ا] يتحادثوا الى عشيه، طلع العَشَا تعشوا وانبسطوا وسهروا لحكم الساعه اربعه وانصرفوا. فدخل بيبرص لعند امه، رآها معبسه، فنظرت بوجهه تطليعة زعل وقالت له : شو هذا الذى عملته اليوم ؟ فقال لها : لكان اخلى هذا المعرص يرمى اباحه على اهل الشام، واكون انا موجود ! فقالت له : مادام بدك تصارعه، جيبه لهون صارعه، ما هو وقفت تحت القلعه قدام الناس، وشلحت بالزلط وفرجيت العالم عليك، حتى هذا يقول آه يا عينى على هالبدن ! وهذا يقول : آه يا روحى، ما احلا هالبياض ! وهذا يقول : شوفوا ابن ست الشام، ما احلا قوامه، وبده يعمل مصارعجى ! هذا عواض ما يقولوا : تعالوا تفرجوا على ابن ست الشام، قاعد قدام سيدنا يحيى، عمال يقرا درس ! يا بيبرص قلت : بدى اتعلم الصيد. علمناك، قلت : بدى اتعلم الصراع. علمناك، قلت : بدى اتعلم لعب السيف. علمناك، وقضينا لك شهواتك، بقا ما هو ناقصنا الا تعمل لنا مصارعجى تحت القلعه، وتفتح طوابق لعب، حتى الذى يَسْوَى والذى لا يسوى يحكى عليك. الم تعلم، يا بيبرص، العلم يرفع بيوتاً لا عماد لها، والجهل يهدم بيوت العز والكرم !

قال الناقل... يا ساده، كل هالكلام الذى جرى من ست الشام وبيبرص صاغى لها فكره[٨١]، وهو ساكت لا يتكلم. فلما انتهت امه من كلامها، قال لها : والآن شو بتريدى ؟ قالت له : اريد من بكره ورايح لازم تقوم بكير، تروح على الاموى تقرأ درس، وضحوة نهار تعال لسرايتك. فقال لها : على راسى، يا امى، حسب امركى ! وفز اخذ يدها وباسها، وقال : بطلت اعمل مصارعجى. وبات ذلك الليله وفى نيته يقوم بكير على الاموى، حسب أمر امه. واما امه ست الشام، لما باس ايدها بيبرص راق قلبها عليه، فباتت ذلك الليله وهي نايمه، فنظرت بنومها الملك الصالح ايوب – رحمة الله عليه – قدامها وهزها فقال لها : ليش عمال تحبسى طبيعته وتحكى عليه، وعزت الله، ما هو عَنْدِك الا ضيف، اتركيه على عقله، هذا شيىء ينفعه بكره، وما هو ناقصهُ تعليم، فاذا عدتى اعترضتيه لا تلومى الا نفسك !

٨١– صاغي لها فكره، أي : يستمع اليها بانتباه.

قال... فقامت الست من منامها مرعوبه، ولا عادت تقدر تنام الى ان اذن الصبح وطلع النهار، فقام بيبرص توضا، واخذ المحفظه تحت باطه، واراد ان يمشي على الاموى، فندهت له امه : وين رايح ؟ فقال لها : على الاموى مثل ما امرتيني، اقرا درس. فقالت له : انا ما قلت لك بكره، اصبر بعد كام يوم، لانه هلق يجوا الاغوات، مين بده يقعد معهم ؟ فقال لها : امرك. وحط المحفظه وقعد، لانه كان مطيعها كثير، وهذا شيىء لا يكثر عليه، لانه ابن ملوك وليس ناقصُه ادب وعلم سلوك. وبعد حصه اجو[ا] الاغوات، شربوا القهوه وقعدوا لضحوة نهار. حضر الفطور، فطروا وقاموا اخذوا معهم بيبرص، ونزلوا على السوق. واما ست الشام، فانها قالت لحالها : انا، والله، ما عدت اعترضه، تارى ما هو اليٌ خاصه، بل فيه من يسئل عنه غيرى، بقا انا شو بدى اعمل، خليه ينبسط هلق ويعمل على كيفه. واقام بيبرص على ذلك الحال، وهو كلما له يسيد بالشام، ويطلع سيطه بالفروسيه. وصارت الناس تهابه وتحسب حسابه، وقطع العواطليه من البلد، وابن العرض ائتمن على المال والولد، فرحمة الله عليك يا بيبرص !

ديوان قتل العرند سايس وزير الشام عن يد الأمير بيبرص

قال الراوى : يا ساده، الى يوم من ذات الايام، كان بيبرص داير بالشام والأغوات معه، وكان مارق من تحت القلعه، يرى الناس مجموعه، فتقدم لينظر ايش الخبر، فنظر رجل صالحاني[٨٢] قاعد تحت القفل، وبيده قرطة عصايه سنديان [٨٣]، وهو عمال يبوسها ويبكي. فقال بيبرص الى احمد اغا : يا عم، هذا ليش عمال يعمل هيك ؟ فقال له احمد اغا : يا ولدى، الله يعينه على ما بلاه، لانه مقتول له ولد شاب. فقال له بيبرص : ومن قتله ؟ قال له : اعلم، يا ولدى، انه موجود سايس عند الوزير عيسى الناصر، اسمه العرند، وهو فاتح طابق حكم، ولكن جبار بلعبه،

٨٢- نسبة إلى حارة الصالحية بدمشق.

٨٣- عصا صلبة من شجر السنديان.

وقد توقفت عنه الناس لأنه دموى، وصار قاتل سبع ثمانية انفار بلعب الحكم، فيروحوا اهلهم يشتكوا الى الوزير عيسى الناصر، فيقول لهم : ليش هم حتى يلاعبوه ؟ ومع ذلك قتلوا تحت قبان الطابق[٨٤] وزلمتى ما عليه دعوى، يا لله، خذوا قتيلكم وروحوا ! فاهل القتيل ياخذوا قتيلهم ويروحوا يدفنوه، ويروح دمه هدر، حيث المثل بقول اذا كان حاكمك خصيمك شو بده يطلع بيدك ؟ الى يوم من الأيام، كان فاتح الطابق وعمال يحرج، والناس متوقفه عن لعبه بحيث عرفوه دموى، فلما شاف ما حدا بده يلاعبه انقهر وفز على حيله وصرخ : اباحه على كل من مسك شْماله بيده ! فلاجل المقدر، كان مارق ابن هذا الرجل وهو شاب ازعر من جماعة ابراهيم اغا شراره، وبيده هذه العصايه الذي بيد ابوه، فلما سمع كلام السايس اخذته الحماسه فنزل له ولاعبه، فحط عليه السايس واستحكمه بضرب على عرق اللبن قتله، فاتا ابوه واخذ العصايه هذه من ابنه، وصار يبكى ويقول : آه، ما فيه من ياخذ بثار صاحْبِك ! وقد صار له مدة ايام على هذا الحال.

فقال بيبرص : يا عمى، لكان انتم على ايش زرباوات، اذا كان انوجد هيك واحد وتنمرد هذه النمرده، فلا تقدروا تردوه وتغلبوه، وتخلوه يقتل الناس ويعمل على كيفه ! لكان الزرباويه على حرمه او على ولد، والا على واحد زُربه مثل هذا وغيره، لأنه الحرمه والولد والضعيف اقل واحد يقدر عليهم، بقا وين وصف الزرباويه ! وصار بيبرص يتحول، فلما سمع احمد آغا من بيبرص، هو والزرباوات الذى معه هذا الكلام، نزل عليهم احد من ضرب الحسام، وما فى واحد منهم يقدر على ذلك السايس. فقال احمد اغا الى بيبرص : يا ولدى، هذا اسمه تبع الوزير حاكم الشام، فاذا قتلناه تخرب الشام بيننا وبين الوزير، وثانياً هذا السايس، واحد مغضوب ابن حرام. فقال له بيبرص : والله، يا عم، انا كل هالكلام لا اسمعه ولا يدخل بعقلى، ليش الوزير ما فيه فوقه حاكم اكبر منه ! فاذا واحد قتل سايس الوزير وكان انقتل بطابق اللعب تحت قبان كاره، وخصوصاً انه مؤذى وحارق

٨٤- أي : في حلبة النزال.

قلوب الناس، اما تعلم، يا عم، ان العالم عَمَا وصاحب الغيره والناموس لا يحسب حساب لا وزير ولا امير ولا يد الا فوقها يد، اما سمعت ما قيل :

وما يدٍ الا يدُ الله فوقها   وما بظالم الا سَيُبْلَى باظلم

ولكن قولو[ا] لي ما فيه من يقدر عليه، وزرباواتكم ما هم شاطرين الا على الذى اوطا منكم، فهذا شيىء لا يجوز ابدا ! وانبرم بيبرص ناح الاختيار، واخذ منه العصايه، وهزها بيده، وقال له : لا تبكى بابا، انا، ان شاء الله، هذا اليوم آخذ لك بثار المرحوم ابنك ! وانبرم ناح القلعه. فقال له احمد اغا : يا ولدى، شو رايح تعمل ؟ فقال له بيبرص : انت ما قلت انه الأزعر تبع ابراهيم اغا شراره ؟ قال له : نعم. قال بيبرص : وانا ابراهيم اغا اخى، بدى آخذ له بثار زلمته.

فانظروا، يا اخوان، كيف بيبرص – رحمة الله عليه – يجرح ويداوى ! بالأول وبخهم[٨٥] بالكلام بحيسْرِقَّه[٨٦]، وبعدها تكنا فيهم حتى ما ياخذوا على خاطرهم، فهكذا يكون الراجل ! فقال له احمد اغا : بخاف عليك، يا ولدى، خوفاً ما يطلع بيدك ان تطلع معه راس باللعب. فقال له بيبرص : فشر ! انا قده بعشرة مرات، بحول الله، وان كان الوزير حاما له حتى الحقه فيه، ولا اهابه بصايتكم ! وانحدف صار داخل الحلقه، يرى المصرى بارك مثل القرد. فقال له : اضم[٨٧] سلام عليكم ! فقال له السايس : اهلاً بالبيه بيبرص ! مرادك ايه يا بنى ؟ فقال له : مرادى العب معك. فقال له : ايوه، روح بحالك، يا بنى، روح ! فقال له بيبرص: ليش حتى روح بحالى، أمَا هذا طابق لعب ؟ فقال له : ايوه، روح بحالك، يبقوا يحسبوك علينا راجل ! فقال له بيبرص : انا هلق جايه بدى الاعبك، ورامى عليك اباحه، ان كنت راجل قوم لاعبنى ! فقال له : ايوه، روح من وجهى، كتك داهيه[٨٨]، يا

٨٥– زجرهم فأغضبهم.

٨٦– كذا، وقد تكون الكلمة مقتبسة من عبارة بحَيث رَقَّة التي تعني بالعامية بحسن الرأي والتدبير.

٨٧– اضم بالتركية هي آدم وتستعمل بمعنى رجل.

٨٨– كتك داهية هي عبارة باللهجة المصرية معناها جاءتك مصيبة.

علق[٨٩]، ما تم احد بالشام غيرك يلاعبنى ! فقالوا له رفقاته : ايوه، دا ابن ست الشام، ما تقوم تلاعبه، العرى[٩٠] بتاعينه كويسين يكفوك مصروف يومين ثلاثه.
قال... ففز المنحوس ورما الكبود عن اكتافه وصارت عيونه مثل بُرك الدم، ومراده من اول ضرب يقتل بيبرص. فصاروا الناس يتأسفوا على بيبرص، وخافوا عليه من العرند. واما بيبرص، فانه قام البنش من على اكتافه، وتبسم بوجه العرند، واخذ الشماله بيده، وتصافح مع العرند كما هي عادت لعب الحكم، وكل واحد من الأثنين قَصَدْ ان يقتل رَفيقُه، فابتدؤ[ا] باللعب وتضاربو[ا] باليمينين واخذوا بالشمالين، وقد غنًّا على راسهم غراب البين. ولا زالوا على اخذ ورد، وقُرب وبُعد، مقدار نصف ساعه من الزمان، ثم ان بيبرص ضايق العرند ولاصقُه، وسد عليه طُرقُه وطرايقُه، واسْتناوله بضرب على بَند رقبته، ما خلاه يعطس، فَقَلَبْ بالارض مثل الثور الافطس، فركد الصالحانى وقبل بيبرص بين عيونه، وقال له : الله يسلم درعانك ويبلغك آمالك ! واخذ عصايته من يد بيبرص، وقال لها : الحمد لله، الذى اليوم اتَّاخذ بثار صاحبك ! كانوا الزرباوات التحشو[ا] على بيبرص، وضمّوه بينهم، وسارو[ا] فيه على سرايته، والناس عمال تقول : الله يسلم هالزند العامر اللى على بيبرص، الله يخليه لأمه ويديمه لاهل الشام، لانه والله، محا اثر الأشقياء من البلد !

واما ما كان من ست الشام، فانه لما وصل ابنها بيبرص للسرايه، طَلَّعت لقت وجهه احمر مثل الدم، فقالت له : شو بك، يا ولدى ؟ فقال لها : سلامة عمرك، يا امى، ولكن والله، يا امى، الشام حاويه على مغاضيب غربتليّه[٩١] ضابعين[٩٢] اهل الشام ! فقالت له : ليش انت خليت لهم اثر ؟ فقال لها : الحمد لله ! اليوم كان آخرهم، وهو العرند سايس الوزير، فضربته. فقالت له امه : بتكون شئآمته[٩٣] قدام الناس،

٨٩- يا مخنث.

٩٠- تستعمل لفظة عري للملابس الرثة وكذلك للملابس الداخلية.

٩١- غرباء.

٩٢- يخوّفون.

٩٣- أهنت شهامته.

فهذا لازم تبعث تعزمه، يا ولدى، وتصالحه من شان خاطر الوزير. فقال لها: والله، يا امى، اذا كان عزمته ما بيجى ! فقالت له : ليش، يا ولدى، حتى ما يجى ؟ فقال لها : لأنه معزوم عند اهل الآخره، ما بقوا يدشروه الا واصل الى جهنم الحمره ! فقالت له : لا تكون قتلته ! فقال لها : ما بعرف، انا ضربته ضرب واحد على بند رقبته، وقع ما عاد قام. فقالت الست : وليه على القامه، قتله ! وقال : ما بعرف. وبالحال دخلت صرّت الف قرش، وكتبت ورقه وارسلتها للوزير، هذا كان.

اما ما كان من الوزير عيسى الناصر، فانه كان قاعد بالديوان، واذاً بالأتباع طالعين ومعهم العرند قتيل، فقال لهم الوزير : من الذى قتله ؟ قالو[ا] له : بيبرص ابن ست الشام. هم بالكلام وداخل المملوك، فاعطاه الورقه. اخذها الوزير فضها وقراها، يراها :

من يد الست فاطمه بنت الأقواسى، الى جناب الوزير عيسى الناصر، اعلم انه سايسك صار قاتل تسعة انفار من اتباع الطوابق، وهو الآن قتل تحت قبان كاره، فان تكلمت بشيىء، فان العالم تتحرك عليك، وانا ابنى ما هو مدشّرْ، وراه زرباوات الشام واهل الطوابق، فالمراد انك تقبل الهديه الذى واصلتك، وتخلى الطابق مستور.

قال . . . فالتفت الوزير للأتباع وقال لهم : كيف قتل الأوسطه ؟ فقالو[ا] له : قتل بطابق اللعب. فقال الوزير : هذا قاتل ناس كثير تحت لعب الطابق، وهو الآن قتل باللعب ، خذوه وروحوا ادفنوه، حقه برقبته. ولكن باطناً حمل الحقد على بيبرص، وصار يترقب له العرضيات[94]، له كلام . . .

اما بيبرص، فانه بات ذلك الليله واصبح ثانى يوم، اجوا لعنده الاغوات وقعدوا يتسامروا الى المساء، تعشوا وانبسطوا وبعدها تفرقوا، كل انسان راح بحال سبيله. وقعدوا على ذلك الحال مدة شهرين زمان، وبيبرص كل يوم سيطه يكبر، ولما ينزل يدور بالاسواق يَبقا له سطوه تكسر الظهر، ويهابوه اكثر من حاكم الشام، والعالم تصير تؤشر عليه بالأصابع، وقد ارتاحت البلد غاية الراحه بظهور ذلك الأسد الغضنفر، وقد محا الاشقياء من الشام.

٩٤– المناسبات الملائمة للانتقام منه.

ديوان عاصم ابن بحر المرقبى وامتحانه الى الأمير بيبرص ومخاواتهم بالشام

قال الراوى : يا كرام، وحدوا ربكم ذو الجلال والأكرام ! ان الأمير بيبرص ليله من احدى الليالى كان جالس بقاعته، وعنده رجاله والاغوات حواليه وقدامه، والباب يُطرق، فركد العبد فتح ورجع للقاعه وجهه اصفر، فقال له بيبرص : شو بك، ولاً مرعوب ؟ فقال له : يا سيدى، فتحت باب الخوخه[٩٥] وطلَّعت، لقيت جنِّي واقف، اطول من باب السرايه الكبير !

قال... فضحك بيبرص وقام طلع على الباب، وجد شخص كما قال العبد، طويل القامه، عريض الهامه، طول قصبه، عرض مصطبه، بين البز والبز يبرك الآدمى ويفز، وله دماغ كانه جرن حمام، واكتاف مثل البطيخ اليافاوى. فقال له بيبرص : اهلاً وسهلاً ! فقال له الشخص : هل هذا بيت الدولتلى بيبرص ؟ قال له : نعم، تفضل. وفتح له الباب الكبير ومشى قدامه للقاعه، فلما دخل يرا الجماعه قاعدين، فقال لهم : العوافى يا هالربع ! فقالوا له : اهلاً وسهلاً، الله يعافيك، تفضل استريح، يا مقدم ! فقال لهم : بالله عليكم، من هو منكم الدولتلى بيبرص ؟ فقال له بيبرص: انا، يا مقدم.

قال... فطلَّع فيه ومد يده رفع الشال من على جبينه نظر الجدريات، فصرخ : الله ! حلو قلب صاحب الدوله ! فقال له بيبرص : الله يحفظك، تفضل اقعد حتى نشوفك. فقال له : بعد، يا دولتلى، بعد. ومد يده الى ورا ظهره وطالع قوس، ومسك كل طرف بيد، وحناه جاب الراس للراس، وناوله الى بيبرص، وقال له : خوذ اعمل مثلى، يا دولتلى. فضحك بيبرص واخذ القوس وحط راس الواحد على برطاش[٩٦] القاعه، وحَنَاه بيده الواحده، جاب الراس للراس، فصرخ الفداوى : الدوه على عزمك، يا دولتلى، والله، انت صاحب البند والعلم، وانا يا دولتلى، جايه الى عندك حتى امتحنك، واسمى عاصم ابن بحر المرقبى، من قلعة المرقب،

٩٥- خوخة الباب، باب صغير في الباب الرئيسي.

٩٦- عتبة القاعة.

وموجود عند والدى ملاحم يقرأ فيهم، فبان معه ظهور جنابك بالشام، وعندنا دلائل بجفر سيدنا الامام على الخصام[٩٧] – رضي الله عنه – انك تصير ملك، ونحنا بزمانك نُكْتَبْ بديوان المغازيين المجاهدين فى سبيل الله[٩٨]، فكنت سهران انا وابي فى بعض الليالى، احكالى عن قصتك واخبرنى عن سعادتك، فتشوقت لرؤياك وقلت لأبي : انا مرادى انزل على الشام واستخبر عن الدولتلى واخاويه. فقال ابي : ولا بأس انزل وشوفه. فقلت له : كيف بدى اعرفه ؟ فأشَّرْ لى عن السبع جدريات الذى على جبينك، وقال لى عنك انك جبار، فقلت له : اذا كان جبار امتحنه واشوف يقدر ان يحنى قوس مثل ما انا بحنيه. فقال ابي : اصبر حتى نستخبر هل احد ظهران بالشام من جديد ومتبين بين الناس. فسمع بسيط جنابك، فأمرنى ان انزل للشام واشوفك، فقمت حْضرْت وتمليت بشوفتك فرأيتك – ما شاء الله – كما موصوف عندنا بالملاحم ! فقال له بيبرص : يا حلة البركات ! تفضل اقعد خوذ راحتك. فقال له : لا يمكن انى اقعد بقاعتك ولا اذوق زادك، اذ لم تحط يدى بيدك وتخاوينى بعهد الله شرط الناجى لا يتخلا عن اخاه.



٩٧– الذي يغلب خصومه.

٩٨– سورة النساء، الآية ٩٥.

[٥]

قال الراوى : يا سادة، يا كرام، انه لما عاصم قال الى بيبرص : لا اقعد عندك اذ[ا] لم نتخاوى، انا واياك بعهد الله[١]، فقال له بيبرص : مرحبا بك ! وتقدم وحط يده بيد عاصم، وتخاوا هو واياه خوُتاً بعهد الله، وان الناجى لا يتخلى عن اخاه. هنالك طِلِع عاصم للقاعه، وشلح الخوده، وقام سلاحه، ورجع جلس مثل الجمل العبد اللاوى[٢]، فقال له بيبرص : يا اخى عاصم، فيه الِى أخ كمان، من اهل الجبل. فقال له عاصم : مَن هذا الذى خاواك قبلى ؟ قال له : سليمان الجاموس، ابن اسد الدين العبوس، مُقدم قلعة معرة النعمان. فصرخ عاصم : الدوه[٣] على عزمه ! الحمد لله الذى ما ضاع نظرنا ولا عهدنا ! كل هذا يجرى بين عاصم وبيبرص، والاغوات بهتانين فيهم، وقد انشرق نظرهم، وعرفوا ان بيبرص قدامه ايام طيبه. فصاروا يقولوا الى بعضهم بالأشاره : هدول الزرباوات الصحيح، ما هو نحنا، الذى لا نخرج برات البلد ! والله، نحنا مثل السمك، اذا طلعنا برات الماء نموت، واما هدول، الواحد منهم ياخذ بين يديه عشرة الاف فارس ولا يلوى عنقه.
اما بيبرص، احتار ايش بده يوضب لعاصم اكل، حيث الوقت الساعه اربعه بالليل. فخطر بباله ما فيه اسرع من الرز، فحالاً أمر ان يفلفلوا[٤] مِدْ رُز، فحالاً طبخوا كما امرهم، وسكبوه بطشت كبير نحاس، وله حلقات، عبارة عن منسف، وشالوه العبيد، وجابوه حطوه قدام عاصم، فقال له بيبرص : تفضل يا مقدم على ما قُسِمْ، ولا تواخذنا ! فقال له عاصم : بلا غوش[٥]، يا دولتلى، الله يكثر خيرك ! وقدم، وصار يُدَرْبِل[٦] ويبلع، وزرداديمه تتفرقع[٧]، كانها المدفع، الى ان كتب على الطشت :

١– سورة الأحزاب، ١٥.
٢– الهاجن من الإبل.
٣– الدوه، كلمة تستعمل للتعجب.
٤– فلفلوا الرز، أي : طهوا كمية من الرز ممزوجة بالسمن على نار خفيفة في ضعفها من الماء وفي وعاء مغطى ثم وضعوا عليها بهارات بعد النضج.
٥– عبارة بلا غُوش تعني بدون مجاملات، بكل بساطة.
٦– يفرق الرز ويصنع منه مثل الكرة ويلتهم.
٧– مجرى الطعام يظهر صوتا من كبر اللقمة وسرعة الالتهام.

لا يدوم الا الحي القيوم[٨]. ومع الرز، كدسة[٩] عيش. ثم مَسَّحْ شنباته، وتأخر، وقال: دائماً بساطك ممدود، يا دولتلى، لا مقطوع ولا ممنوع ! هذا، والعبد الذى طلع فتح الباب، واقف وعمال يرجف من خوفه منه، وقال بعقله : والله، ما يقعد هذا عند سيدى بيبرص كام يوم، حتى يخلص الرز من البلد، ويصير ممنوع، وتغلا الدنيا، لأنه اكله عجيبه ! ثم حضرت القهوه. شربوا الجميع، وصاروا يتحادثوا، الى ان صار هدوه[١٠] من الليل، فزوا الأغوات، وراحوا بحال سبيلهم، وعاصم فز وقال : انا الآخَرْ بستأذن، يا دولتلى، بدى امشى. فقال له بيبرص : شو صاير عليك، يا اخى، اقعد لك كام يوم عندنا، حتى افرجيك على الشام، وازورك سيدنا يحي – عليه السلام – فقال له عاصم : لسع الأيام جايه، ان شاء الله، بايام دولتك نقعد ونزور وننبسط ! فقال بيبرص : وهلق ليش ما بتقعد؟ عليك شغل شيء ؟ قال له : لا والله، يا دولتلى، ولكن هلق مكتوب علينا حجج[١١]، اننا ما ندخل الجدران !

قال... فضحك بيبرص، وقال له : فشر[١٢] كل من بده يستعرضك، ما دام انت موجود عندى ! ثم امر ان يفرشو[ا] له، وقال له : قوم، يا اخى، نام ولا تخاف ! ففز عاصم، وبات تلك الليله عند بيبرص، ولما اصبح الصباح، فطروا وانبسطوا، وبعدها قال له بيبرص : قوم البس، حتى نطلع على السوق، وادورك بالشام.

قال... ففز عاصم، وصار يلبس الزرد شقفه ورا شقفه، وبيبرص عمال يتفرج عليه، فنظر من جملة القطع، حط على كتفه شيء يشابه حطة الحمايلي[١٣]، وله كلاليب من تحت اباطه، ومعلّق فيهم شموط غزل، فيه وزنات رصاص. فقال له بيبرص : يا اخى عاصم، شو هذا الذى حامل سُقلته، ومتلبك فيه ؟ فقال له :

٨– سورة البقرة، ٢٥٥.

٩– مجموعة من أرغفة الخبز وفي اللهجة المصرية يسمى الخبز «عيش».

١٠– هدوء الليل.

١١– حجج : حجة وهي ورقة تكتب للحفاظ على الحقوق.

١٢– يخسأ.

١٣– الحمّال، الذي يحمل الأشياء الثقيلة.

هذا سلم تسليق، واسمه بين الناس مفرد، وان سئلت، يا دولتلى، هذا رئيس الطوابق، وله عياقه بليغه. فقال له بيبرص : لكان، يجب عليك ان تعلمنى اياه ! فقال له عاصم : على الراس والعين ! ثم اخذه وطلع، وصار يدَوِّرُه بالشام، من سوق لسوق، والناس عمال تتفرج عليه، حتى صار عِجْبه فى البلد، الى ان وصل للأموى. نزلو[ا] صلوا، وزاروا سيدنا يحي – عليه وعلى نبينا محمد افضل الصلاة والسلام – وطلعوا من الاموى، داروا الى المساء، ورجعوا للسرايه، فحضروا الزرباوات والأغوات، سهروا كعادتهم. وصار عاصم يعلم بيبرص الآت المفرد، فرغب فيه بيبرص، واعطا فكرُه الى تعليمه. بمدة عشرة ايام تعلم، وصار احسن من اهله. واقام عاصم عند بيبرص مدة ايام، وهو على عز واكرام.

ديوان البب سرجويل المهرى ملك صفد ووضع يد بيبرص على صيوان سرجويل

قال الراوى : يا كرام، وحدوا الملك العلام، وصلوا على سيدنا محَمداً خير الأنام. الى يوم من ذات الأيام، كان بيبرص داير بالشام، ومعه عاصم المرقبى، وبقيوا يدوروا الى المساء، رجعوا للسرايه. فلما وصلوا، طلَّع بيبرص، وجد اثنين عربان قاعدين على باب السرايه، والواحد عمال يقول للثانى : يعنى، كيف شايف انْتَ، ينطينا[14] الأمير بيبرص والا ما ينطينا ؟ قال له الثانى : والله، ما ادرى. فقال لهم بيبرص : السلام عليكم، يا هالربع ! واخذهم معه، ودخلوا لجوه، قَعَّدْهم مع عاصم والاغوات، وهو دخل لعند امه، وقال لها : يا امى، وجدت اثنين عربان، قاعدين على باب السرايه، وهم عمال يحكوا مع بعضهم كذا وكذا. فقالت له : يا ولدى، هدول حكايتهم هو انه فيه بلد برات الشام، اسمها الصنمين، وهذه البلد نصفها الى، ونصف الثانى[15] الى ملك صفد، وهو افرنجى، واسمه سرجويل المهرى، واعلم، يا ولدى، جميع السواحل ملوكها افرنج، ويوجد لهم مالكانات بالضّيَعْ، وغراس وما اشبه ذلك، فهدول الاثنين هلى شفتهم، مشايخ الصنمين، وهم كل سنه

١٤– يعطينا.

١٥– كذا.

بيحضروا لعندى، بقولوا لى : هاتى، انطينا حق بدار، وحق فدّان بقر، فاعطيهم ويروحوا، ولما يصيروا ايام الحصيدة، يضحكوا علي بشوية فريكه[١٦]، او نصف غرارة[١٧] حنطه او شعير، ويقولوا لى : السنه، ما بوها خير[١٨]، والسنه ما صار اقبال[١٩]، وعلى هالحاله، وهم ما يعطونى فى رُبع ما اعطيهم، وانا صابره لاننى ما هو طالع بيدى شيء عليهم، فلما اجونى اليوم، قالوا لى : بدنا حق فدان، قُلت لهم : العام الماضى، ما اخذتوا منى حق فدان ؟ قالوا لى : مات، فقلت لهم : احكى لكم الدغرى، البلد صارت لابنى بيبرص، انا ما بقالى شيء، حتى يجى ابنى، اطلبوا منه، انا لا عدتوا تسئلونى عن شيء ابداً، منكم اله تصطفلوا[٢٠]، روحوا اقعدوا على الباب، استنوه حتى يجى، فطلعوا قعدوا، وصاروا يخمسوا رايات[٢١]، انهم يقدروا يلعبوا بعقلك ولاً لأ، بقا يا ولدى اصطفل منك الهم، جحا اولا بلحم ثوره، البلد بلدك، والرزق رزقك، كيف ما اردت افعل فيه، ولا تشاورنى عن شيىء، والذى انت تعرفه، انا لا اعرفه. فقال لها : شو اسمهم هدول ؟ فقالت له : الواحد كعكع، والثانى كعيكع. قال بيبرص : طيب، انا بعرف شغلى معهم. وطلع لبرّه، كانت السُفره عند الجماعه توضبت، اَمَر لِمَشايخ الصنمين ان يقدموا مع الجماعه للعَشَاء. تعشوا، ولما خلصوا، قال لهم بيبرص : ايه، يا مشايخ، ايش تريدوا ؟ فقالو[ا] له : نريد حق فدان وبدار. فقال لهم : انا رايح اعطيكم مطلوبكم، ولكن بدى تمشوا معى بكلام الصدق. فقالوا له : ما هو عيب علينا الكذب ! نحنا خدامينك، وخدامين الست من قبلك، ونحنا نحلف لك، يا امير بيبرص، بِاَلّله ومحمد رسول الله وكل بيت بناه الله[٢٢]، ما نجيبلك اموالك الا بالزايد ! فقال

١٦– مقدار قليل من الفريكة وهي القمح المشوي على النار قبل يبسه.

١٧– مقدار من الحنطة وتقدر الغرارة بسبعين مدا.

١٨– أي : مجدبة، سنة قحط.

١٩– ما فيها خصب.

٢٠– أنتم وشأنكم.

٢١– يتشاورون فيما بينهم.

٢٢– أمر الله ببنائه ليعبد فيه وأشهر هذه البيوت الكعبة التي ينسب بناؤها إلى إبرهيم الخليل (سورة آل عمران، ٩٦).

لهم : طيب . وَطَالَعْ معامله، واعطاهم مطلوبهم، وقاموا ثاني يوم، راحوا بحالهم. واما بيبرص، اصطبر يومين، وَطِلِعْ على الميدان، وصار يستخبر على اهل الصنمين، وين بِنَزْلو[ا]. فدلوه على البايكه[٢٣] هلى بِنَزْلوا فيها، فراح عليها، وصار يحوص[٢٤] ناحها، وجد ولد فلاح، عمال يبكى، فصرخ له بيبرص مع جنب، وقال له : يا ولد، انت من أي قريه ؟ فقال له : من الصنمين. فقال له : ليش عمال تبكى ؟ قال له : سلامتك يا بيك ! فقال له بيبرص : انت، احكيلى ايش دعوتك. فقال له : اعلم، يا سِيدى، ان ابي مات من مده، وخلَّف لى جوز فدان، وشقفة ارض طولها اربعين قصبه، ودراهم ما خلَّف لنا ابداً، وَالِى ثلاثة اخوات وامى، وانا كنت صغير، فمشايخ بلدنا كعكع وكعيكع، استغلوا الفدان والأرض مننا، وصاروا يعيشونا قديد[٢٥]، الى ان كبرت، قالو[ا] لى الناس : اطلب حقك من المشايخ، احسن مانك عايش اجير، فوجهت عليهم اثنين اختياريه، يحكوا لى معهم، فراحوا الجماعه، واحكوا معهم اللازم، فقالوا لهم المشايخ : ابوه بايعنا من قبل موته، وقابض بعض الثمن، والباقى خرجناه على اولاده وامهم، فترجوهم الأختياريه ان يحطونى عندهم اجير، فقعدت عندهم بأكلى وشربي، مده من الزمان، ثم ترجوهم الأختياريه ان يعملولى اجره، فعملولى كل يوم مصريتين فراطه[٢٦]، ومن وقتها الى الآن، ما اعطونى شيىء، وهالآن انحدرنا للشام، وجبنا حنطه وشعير وبعناه، والمشايخ روَّحوا الى بيت ست الشام، وجابوا معامله واجده[٢٧] من الأمير بيبرص، وهم يضحكو[ا] ويقولوا : لعبنا بعقله، واخذنا منه المصارى، وكنا بالأول نجيب للست جانب من الرزق، اما هالوقت، نكايه[٢٨] بابنها، ما عدنا نجيب لهم شيء، مادام صار يشرط علينا شروطات مربوطه، قدام الناس. فأنا، لما شفتهم جايبين معامله واجده،

٢٣- أي : مأواهما.

٢٤- يدور حولها.

٢٥- أي : بتعتير والقديد بالفصحى الملابس الرثة.

٢٦- فكة.

٢٧- كمية وافرة من المال.

٢٨- تنكيدا لابنها.

قلت لهم : انطونى كام مصريه، من اصل اجرتى، اريد اشترى هدوم[٢٩] لاخواتى، وانا اشتريلى كفيّه[٣٠]، لاننا داخله علينا شتاء، فصَيَّحوا عليَّ، وشتمونى، وقالو[ا] لى : خطرة الجايه[٣١] ننطيك ! واخواتى وامى بالزلط، وما عندهم هدوم، فأحترت بامرى، وهذا سبب بكائى. فقال له بيبرص : شو اسمك انت ؟ قال له : اسمى خليل. فقال له : هل تعرفنى مين انا ؟ قال له الولد : لا بالله، يا غانم[٣٢]، وايش مدرِّينى بيك ؟ فقال له : اعلم، يا خليل، اننى انا الأمير بيبرص، ابن ست الشام، فاذا كان خَدَّمتك عندى، وعملت لك اجره وافيه، بتُصَدُّق معى بالخدمه ؟ فقال له الولد : أي، بالله، وانا بعاهدك بألله ومحمد رسول الله وكل بيتٍ بناه الله، انى اصدق معك ! فقال له : اعمل لى حيله عليهم، والحقنى للبيت، حتى اشتريلك هدوم، وافهمك على الخدمه. فقال الولد : حاضر، يا سيدى ! وتقدم باس يده، وراح بحاله، وبيبرص توجه للسرايه، وقعد يستنا خليل.

وبعد حصه[٣٣]، وجايه خليل، فقال له : ايش عملت حيله ؟ فقال له : والله، يا بيك، رجعت لعند المشايخ وَأَنىِ باكى، فقلت لهم : انا بوجهكم مانى زلمتكم، انطونى بس حق كفِّيه، فمدوا يدهم انطونى حق كفيه، فتركتهم وجيت لتقبيل اياديك. فقال له : هل تعرف ايش بدى اشغلك ؟ قال له : مَدْرى. قال له : بدى اجعلك ناظر مطرحى سراً،حتى تشوف ايش بصير بالقريه، من اقبال وامحال، او روابط، او زايد او ناقص، وتَخْطُر[٣٤] لعندى، وتخبرنى. فقال له الولد : طيب، يا سيدى. فقال له بيبرص : والآن، اذا كان اخذت لَكَ ولأخوتك هدوم، كيف بدك تعمل، حتى ما يشوفوهم ؟ فقال له الولد : ابعثهم مع ربعى. قال بيبرص : عفرم عليك ! وانت، خليك عند المشايخ، اخدمهم ولكن اكتم سرك عنهم، واعمل

٢٩- ثياب.

٣٠- غطاء للرأس.

٣١- المرة الآتية.

٣٢- أعطاك الله الغنيمة.

٣٣- وبعد فترة.

٣٤- تحضر.

حالك، لاشفتك ولا شفتنى، ومهما جرى اخبرنى، وانا، ان شاء الله، أُخَلِّص لكم ارضكم، وجميع حقوقكم ! فقال له الولد : الله يطول لنا عمرك، يا بيك ! فأمر بيبرص الى واحد من رؤساء الطوابق[٣٥]، ان يأخذ خليل، ويروح على السوق، يشترى له اواعى، قدر ما يريد، لَهُ ولأخوته ولأمه. فقام احد رؤساء الطوابق، اخذ خليل، وراح على السوق، وصار يسئله عن جنس ملبوسهم، ويشترى لهم، حتى انتهوا ورجعوا لعند الأمير بيبرص.

اما خليل، فانه انبهر نظره، لما لقا ذلك الهدوم تكفيهم ثلاث سنوات، فقال له بيبرص : عجبوك، يا خليل ؟ فقال له : الله يطول عمرك ! والله، يا بيك، أنِى خدامك للممات ! فقال له بيبرص : يا خليل، انا، من اليوم ورايح، حسبت لك اجره كل يوم عشرين مصريه. وطالَعْ ناوله خمسين قرش،وقال له : هالمصارى وهالهدوم،هدول بخشيش، واجرتك محسوبه من اليوم، روح بقا، مع السلامه. فنتع[٣٦] خليل الهدوم والمصارى، وسار على بلده (فهذا يا اخوان، من زيادة حظ بيبرص)، يطلع هالولد خليل، يخدم بيبرص خدامه صادقه، له كلام...

اما بيبرص، رجع الى المناغشه[٣٧] مع عاصم المرقبى والأغوات، وعاصم ما عاد فارقه، من محبته فيه. ومضت الماده تطوى لغاية شهرين ثلاثة تقريباً، الى يوم من احد الايام، ما شاف بيبرص الا وخليل نافد عليه، دخل وقبل يده، فترحب فيه بيبرص، وامر له بالجلوس ،جلس. وامر الخُدام ان يجيبوا له الفطور، فطر وانبسط. وبعدها، قال له بيبرص : كيف احوال البلد ؟ فقال له : والله، يا بيك، قدومك خضره[٣٨]، لأنه الأقبال الذى صار السنه، ما صار مثله من عشرين سنه ! فقال بيبرص : الحمد لله، وانت هلق، مالك باقى عند المشايخ ؟ قال له : نعم، افندم. قال له بيبرص : طيب، وانت لا عدت تنزل لعندى لوقت البيدر، حتى ما يشتلقوا[٣٩] عليك. فقال

٣٥- تستعمل كلمة طوابق بمعنى ألعاب رياضية وفروسية تتطلب قوة وحذاقة.

٣٦- حملها وهو يعاني من ثقلها.

٣٧- المسامرة والمحادثة.

٣٨- أي أن قدومه إلى البلد مبارك، جلب الخير للناس.

٣٩- لا يلاحظون عليك ويشعرون بك.

له : امرك، يا بيك. وقعد عنده يومين، فأعطاه اكرام وافى، وطلب المسير فاذن له بيبرص، فراح غاب مدة ايام ،وحضر لعنده، وقال له : يا بيك، اطلع احضر رزقك. قال له : طيب. واكرمه، وقال له : انت، روح، وانا يوم الفلانى اكون عندكم. والتفت لأحمد آغا ستيت وابراهيم آغا شراره، وبعض الزرباوات، وقال لهم : هل تروحوا معى على الصنمين، حتى نعملها سيران، ونجيب الرزقات ونجى ؟ فقالوا له : تحت امرك، كلنا خدامينك. فقال عاصِم : اي والله، نِطْلَع ونشم الهوى. ثم توضبوا[٤٠]، قدر عشرين خيال، كلهم تحت السلاح الكامل، وقاموا بكير، ركبوا وساروا، ولا زالوا سائرين لبعد الغروب، وصلوا فدخلوا للبلد، وسئلو[ا] على بيت المشايخ، دلوهم عليه، راحوا حوّلوا، ما وجدوا المشايخ، فسئل بيبرص للناطور عنهم. قال له : عند البيادر. فقال له : روح انده لهم، وقول لهم: اجا بيبرص، ابن ست الشام. فركد الناطور لعند المشايخ، وقال لهم : اجاكم بيبرص، ومعه سربة خيل.

قال . . . فلما سمعوا ذلك الخبر، اصفرت وجوههم مثل الكاربه، وانتقض وضوئهم[٤١]، وفز كعكع، واخذ معه قدر صاع شعير، وسار لعند بيبرص، وقال له : يا هلا بالأمير ! وصار يركد وينعجق[٤٢]، ويصرخ على الناطور : حط السفره، يا ولد ! فبقى بيبرص بهتان، وبده يشوف شيىء هالسفره، وايش هالألوان، وقال بباله : ايمتى لحقوا يذبحوا ويطبخوا ؟ يمكن – الله اعلم – واحد شايفنا من اهل البلد بالدرب، وسبق اعطاهم خبر انه بيبرص جايه. وهو بذلك الافكار، انحطت السفره، وفيها قدر عشرة ارغفه، وشوية بيض مقلى.

قال . . . فلما نظر بيبرص ذلك، اسودت الدنيا بوجهه، وخجل قدام جماعته، وقام يده وطرق الشيخ كف، خربط مساه[٤٣]، وقال له : ولاً خاين ! انت عمال تقدملى اكل من مال ابوك، والا صلاح الدين باشا خلف لك هذه البلد ؟ ولك، حسبتنى

٤٠– استعدوا.

٤١– خرج منهم ريح أو بول أو غائط وهنا كناية عما أصابهم من شدة الخوف.

٤٢– يظهر ارتباكا وسرعة.

٤٣– أساء إليه.

انا حرمه، تضحك علي ؟ بره[٤٤]، كافر ! وصار يوبخه ويبهدله. كان راح الخبر للشيخ الثانى كعيكع، فطلع يركد لعند بيبرص، وقال له : اصبر، يا بيك، هذا اخى حيوان، حيشاك [٤٥] وحيات راسك عمال تندبح الخرفان، والحليب على النار، والقشطه حضرت، واماً هدول، قدمناهم لكم، خفنا لا تكونوا جوعانين، تسدوا فيهم الجوعه، لوقت ما يستوى الطعام.

قال... فلما سمع بيبرص ذلك الكلام، برد خُلقه، وقعد، وصار يتحادث، هو وجماعته، قدر ساعتين زمان. حضرت السفره، وانحطت الخرفان المكتفه، واللبن الخاثر، والقشطه، والبيض المقلى، والعسل، والخبز الرقيق الأبيض. هنالك، قدموا اكلوا وانبسطوا، وقاموا غسّلوا وقعدوا، فكانت دلأت[٤٦] القهوه انحطت على النار، واشتغل المهباج[٤٧] . فقال بيبرص : هدول مثل الجوز، ما بجوا الا بالكسر (وهذا، يا اخوان، البعض من الفلاحين، اذا ما كان الواحد اتقل منه، ما بيحسن عليه، ولا يؤرجيه من الجمل اذنه، والمثل بقول : الفلاح، لا تؤرجيه باب دارك، يجيب لك بيضه، يخرب ديارك).

وباتوا ذلك الليله، الى ثاني يوم بكير، اجا خليل لعند بيبرص، وقال له : سيدى، قوم اليوم تفرج على البيادر، وانظر الأرزاق، كيف تكومت مثل الجبال، والمشايخ قاعدين مسطولين[٤٨]، وعمال يقولوا : كيف بدنا نعطيه نصف هذا الرزق ؟ وهم محتارين، اشلون بدهم يعملولهم دباره [٤٩] عليك. فقال له بيبرص : طيب، بارك الله بهمتك ! وفز، اخذ عاصم والأغوات، وطلع ناح البيادر، وصار يتفرج ،يرا ارزاق لم تترحل[٥٠]، شيىء – ما شاء الله – كثير ! فحمد الله – تعالى – على ما

٤٤– بِرِه، أي : يا هذا أو يا أنت، تستعمل عند الغضب أو الازدراء وهي تركية.

٤٥– هكذا، والأصل حاشاك أي أنزه مقامك.

٤٦– أباريق القهوة.

٤٧– المهباج إناء يهرس فيه حب القهوة والهال بعصا حتى يصبحا دقيقاً تعد به القهوة. واشتغال المهابيج (أو دقها) كناية عن الضيافة والبهجة.

٤٨– في حال خمول.

٤٩– يخططون أمرا لإيذائك.

٥٠– أي : لمّا تنقل إلى مكان آخر.

انعم، ورجع الى المنزول، قعد يومين ثلاثه، على اكل وشرب طيب، وهو عمال يستنا القسمه. واذاً بخليل مقبل، وقال له : يا بيك، بكره جايه ابن شريكك، واسمه مرين ابن سَرْجويل المهرى، ومعه ابن اخته، يقال له كسيبوا الكيال. فقال له بيبرص : واذا اجوا ؟ حرقة ابوا انفاسهم[٥١]، كفَّار ! وبات ذلك الليله الى ثانى يوم، ما يسمع الا ضجيج عُقد، واذاً بخليل نافد، فقال له بيبرص : ايش الخبر ؟ قال له : سيدى، ما قلت لك انه جايه ابن شريكك، وهذه الضجّه هلى صايره، هو ان اهل البلد طلعت تلاقى له، ومعهم الخرفان، وصحون القشطه والعسل، وخبز الرقيق. فقال بيبرص : الله بلا ويرسن، ولكن من حب قوم حُشِدَ معهم[٥٢]، لأن هالجماعه باين عليهم انهم مالهم دين ولا ايمان، وحاشا ان يكونوا من الأسلام ! وقعد يتحدث، هو وجماعته، له معنا كلام...

اما المشايخ، فانهم طِلْعوا لاقوا لأبن البب، وجابوه وانزلوه بأحسن منزول، وركدوا باسوا يده، وقالو[ا] له : دخلك، خَلِّصنا من هذا القاطوع[٥٣]. فقال لهم : شوفيه غنادره ؟ فقالو[ا] له : انت ما بتعرف ان نصف البلد الى ست الشام ؟ قال لهم : نعم. فقالو[ا] له : نحنا، عادتنا كل سنه، نضحك عليها بشوية حنطه، اَوْ شوية شعير، ونأخذ منها الكلف[٥٤]، فبهذا العام، طلع ابنها بيبرص الى عندنا، ومعه زرباوات الشام، وهو واحد شقوه، وجميع اهل الشام عمال ترجف منه قصب، ونازل فينا قتل، وهو يقول لنا : هاتوا غنم وخواريف، ويطلب من اشكال الوان. فقال لهم ابن البب : يعنى، ما هو حقه، والا عمال تعطوه شيىء من مالكم ؟ فقالوا له : لا، ياسيدى، ولكن نحنا مرادنا ما نطالعه على شيىء ابداً ! فقال لهم : طيب، كيف بتريدو[ا] تعملوا ؟ فقالوا له : نحنا، بدنا نكتب لك على ارقابنا سند بعشرين قنطره، وانت، بكره، ادّعِي فيها علينا، واثبتها عندنا. فقال لهم : طيب، اكتبوا سند، واعطونى اياه. فحالاً، كتبوا له سند، واعطوه اياه، وقالو[ا]

٥١– كناية عن الألم الشديد : احترقت أصول أنفاسهم.

٥٢– من أحب قوما جمع معهم يوم القيامة.

٥٣– القاطوع دود يأكل الحبوب والمراد خلصنا من هذا الخبيث.

٥٤– أي : نأخذ منها مالا يساوي ما تكلفناه وما دفعناه من مصاريف.

له : بكره، ابعث ورا بيبرص، وقول له : بدى هذا المبلغ، من اصل البيدر، والذى يبقى بالأرض، نقسمه بيني وبينك. فقال لهم : مُناسب، ولكن لو نحسب انه بيبرص رضى بذلك، فالمال الذى بدنا نوفره، شو بدنا نعمل فيه ؟ فقالوا له : نقسمه بيننا وبينك مناصفه. فقال لهم : مليح ! وختم رأيهم الفاسد على ذلك. قال... يا اخوان، كل هذا يجرى وخليل سامع، شايف، فاصطبر الى الليل، وراح لعند بيبرص، واخبره بجميع الذى صار. فقال له : عفرم خليل، والله، تميت صادق بخدامتك ! واكرمه واصرفه، وبعدها، التفت الى عاصم والى الأغوات، واحكالهم عن التدبير الذى دبروه المشايخ، فقالوا له : فشروا بوسط لحاهم [٥٥] ! واذا كان بكره بعت وراك ابن البب لا تروح والذي اُله غرض عندك، هو يحضر لتقبيل اياديك. وباتوا ذلك الليله، الى ثاني يوم، قاموا صلوا الصبح، وقاموا تسلحوا، وحطوا الشر بين عيونهم، وعاصم سبل[٥٦] الحديد لحد الأقدام، ولبس على راسه خوده، كانها جرن حمام، وطلع وقف على باب المضافه، وبعد حصه، ونافد بطريق من طرف البب. فلما وصل لباب المضافه، نظر واقف واحد كانه الرهط[٥٧] الأسود، فخريطت مصارينه[٥٨]، وقال له : سيدى، وين البيك بيبرص ؟ فقال له : ايش تريد منه، ولاه ؟ فقال له : سيدى، ليش انا عمال اخانقك ؟ عمال اسئلك وين البيك، لأنه حضرت البب عاوزه ! فقال له : ارجع ولاه، وقول له ان كان عاوزه، يقوم هو يحضر الى تقبيل اياديه ! فقال له البطريق : امرك، سيدى ! ورجع وهو عمال يزرزب[٥٩] على سيقانه، الى ان وصل لعند البب، ووجهه معبوط، فقال له البب : شوبك ؟ بلاقيك، يا غندار، راجع مرعوب ! فقال له : يا بب، رحت حتى انده الى بيبرص، وجدت واقف فى الباب، سراق طويل، وهو سد من بولاد، فسئلته عن

٥٥– اللحية هنا كناية عن الوقار والوهرة و«فشر» تستعمل للتقليل من قيمة الغير وللسخرية.
يعني أنه لن يتنازل عن حقه ولن يفسح لهم مجال الاحتيال عليه رغم كونهم مشايخ.

٥٦– فرد الحديد.

٥٧– رهط، أي : شخص. سورة النمل، ٤٨.

٥٨– كذا، أي : أخرجت أمعاؤه صوتا أو أصابه إسهال من الخوف.

٥٩– يسيل الغائط على ساقيه من الرعب.

البيك، فصرخ عليّ صوت حولني[٦٠]، وقاللي : ارجع ولاه ! فالذى له حاجه عند افندينا، يحضر لتقبيل اياديه !

قال... فلما سمع البب ذلك الكلام، وانه فيه مع بيبرص سراق، انعبط وقال : يحرق دقن المشايخ، انا عاوز هذه الأمور !

قال... وكان، يا اخوان، بذلك الزمان، جميع السواحل افرنج، ولكن مع كثرتهم، ربنا رامى الرُّعب في قلوبهم من الفداويه، والفداويه يسرحوا[٦١] نواحى بلادهم، ويقطعوا بلصاتهم[٦٢] ويغتصبوا اموالهم، فلأجل هذا الشيىء، لمّا سمع ابن البب بوجود الفداويه عند بيبرص، ارسل طلب المشايخ، وقال لهم : هذا بيبرص واحد مشرأّنى[٦٣]، ليش رايحين ترمونا معه بشر اعمالنا ؟ فقال له ابن اخته كسيبو : هوه، يا خالُه، قوم انت خوذ المشايخ وروح لعنده، الم ترضا هذا المشوار بعشرة قناطر ؟ فقال له : ولك، بخاف يخرم حزرنا[٦٤]، لأنه باين عليه واحد تركيبه[٦٥]، فقال له : هوه ! يا خالُه، شو بده يصير ؟ فعندها، فز ابن البب واخذ المشايخ، وساروا الى ان وصلو[ا] لباب المضافه. اطّلّعْ ابن البب، يرى الفداوى واقف كأنه طود[٦٦] من الاطواد، او من بقايا قوم عاد[٦٧]، فتلملم[٦٨] وقال له : يصبحك بالخير، سيدى ! فَرَدْ له عاصم الصباح، وقال له : شو عاوز، ولاه ؟ فقال له : انا ابن البب، جايه لعند البيك، فانني محتاج اليه بغرض. فقال له : وقف مكانك، حتى ادخل، آخُذ لك اذن بالدخول ! ودخل الى المضافه، وخرج، وقال للبب : فوت لعند البيك. فدخل، نظر الأغوات قاعدين، وهم تحت السلاح الكامل، وبيبرص قاعد بالصدر، كأنه

٦٠- اضطربت عيناه من شدة الخوف فواحدة تنظر إلى اليمين والأخرى إلى الشمال.

٦١- يرحلون.

٦٢- يأخذون أموالهم عنوة واغتصابا والبلصة قدر من المال.

٦٣- شرير مخيف.

٦٤- نخطئ بتقديرنا.

٦٥- داهية.

٦٦- الجبل.

٦٧- سورة الحاقة، ٦-٧.

٦٨- جمع نفسه.

الأسد الكاسر، فقام الكبوس، وكسر الناموس[٦٩]، وقال : الله يصبحكم بالخير، يا اسياد ! فردُّوا عليه الصباح، ولا احد منهم تنحنح[٧٠]، فجلس البب والمشايخ بأدب واحتشام، وطالع البب من عُبّه سند، واعطاه الى بيبرص، وقال له : بترجاك، تشوف هذا السند ! فقال له بيبرص : علي مين هذا ؟ فقال له : سيدى ،على المشايخ. فقال له بيبرص : اذا كان على المشايخ، ليش جايبه لعندى، فهل لك عندى شيىء ؟ فقال له : لا، يا سيدى، ما لى عندك شيىء، ولكن جايه اعرضه عليك، حتى تشوف جنابك طريقة سداده، من اين يكون ؟ فهل يكون من اصل البيدر، او خارج عن البيدر ؟ فقال له بيبرص : ليش حتى يكون من اصل البيدر ؟ فأذا كان فيه الَكْ عندى حق، فَلَكَ الحق ان تستد من رزقى، واما اذا كان فيه الَكْ حق عند هؤلاء الأخباث، تصطفل منك الْهُم. ان شاء الله، هلق تشنقهم، او تظبط مالهم، هذا شيىء ما بخصنى، انا بيطلع لى نصف هذا البيدر. فقال له ابن البب : وديني، يا بيك، كلامك بون البون، روزون الروزون[٧١] ! وفز، وتوجه على منزوله، هو والمشايخ، فلما وصل، قال لهم : البُطُل ماله رجلين[٧٢] تمشى، ولا يصير حق، والبيك ما تكلم الا بالصدق ! فقالو[ا] له المشايخ : ما دام هيك، نحن ندبّر حالنا، وراحوا ربطوا رابطه، واتفقوا مع عشرين واحد من اهل القريه، بأن يروحوا يسرقوا من البيادر حنطه، ويحطوها فى الأبيار، ورجعوا لعند ابن البب، فسئلهم : ايش فعلتوا ؟ فأحكو[ا] له بما دبَّروا، وقالوا : حتى نشوف، يا نحنا يا هوّه، والله، لأبُد ما نشرّك البيادر، ولا نغلب له ! فقال لهم ابن البب : انتم، ليش عاملين معه هيك ؟ بقا حاجه، صار لكم مدة سنين، آكلين حقهم، وهذه السنه، ما دام حضر، اعطوه حقه ! فقالوا له : والله، نحنا، الرأي عندنا اذا اخذت انت جميع الأغلال، احسن ما يأخذ هو حبِّه واحده، لكان يطلع يضربنا قدام اهل البلد، ويكسر شئآمتنا !

٦٩– فقام الخوف وكسر العنجهية وشرف الزعامة.

٧٠– لم يقفوا تقديرا له.

٧١– من لغة الإفرنج، محتمل أن يكون المعنى : جيد ومعقول.

٧٢– البُطُل : الباطل، أي : ليس للباطل أصول يعتمد عليها بل سرعان ما يزول.

كل هذا يجرى، وخليل واقف وسامع الكلام، فحالاً ركد لعند بيبرص، واخبره بما جَرَى، فضحك عاصم، وقال : يا دولتلى، انا، الليله، بدى أَحْرس البيادر. فقال له بيبرص : دونك واياهم ! فصبر عاصم الى المساء، وفز لبس الحديد، وتقلد بالسلاح، وسار على البيادر، وصار يحوم مثل الرهط، فلما اجوا الجماعه، حتى يسرقوا، صرخ عليهم صوت ،ادوت له البلد : ايش الزول، ولاه [٧٣] ! فرجعوا مردودين، وضراطهم يسمع عياطهم، وعاصم لا زال حايم حواله البيادر للصبح. فلما طلعت الشمس، راح لعند بيبرص، واخبره، فصار بيبرص يضحك، على قلة عقل المشايخ. واما الجماعه الذى هربوا من صوت عاصم، فانهم راحوا لعند المشايخ، واحكو[ا] لهم على ما جرى من عاصم، فقالو[ا] لهم المشايخ : روحو[ا] كمان الليله، ولا تخافوا ! ليش هو كل ليله رايح ينطر ؟ قالوا لهم : طيب !

اما عاصم، فانه فطر، وحط راسه ونام الى عشيّه، وفز تعشًّا، وتسلح، وصلا المغرب والعشاء، وتوجه على البيادر، فأجوا الحراميه، وصاروا يحوصوا للصبح، ما استفادوا شيىء، رجعوا واخبروا المشايخ، فصاروا المشايخ يتحرقصوا[٧٤]، ولاصو[ا][٧٥] كيف بدهم يعملوا، فقال لهم كسيبوا الكيال : انا، بدا لى فكره، وهو انى اشتغل شغلى بالكياله، والذى اوفِّره، تعملُوا لِى منه النصف، وفى هذه العِمله، ابْطالِعْ لكم بيبرص يده فاضيه من الرزق، بقا ايش قلتوا ؟ فقالوا له : خوذ الجميع، بس فش قلبنا [٧٦]. فقال لهم: لكان ابعثوا له خبر، قولوا له : بكره، قوم احضر القسمه. فحالاً، بعثوا له خبر، فقال لهم : طيب.

اما خليل، فأنه صبر الى الليل، وراح اخبر بيبرص بالذى دبروه، فقال له بيبرص : هُمْ، خليهم يكيْلوا ويتعبوا، وبعدها انا بأخذ الذى اريده ! وقام ثانى يوم، فطر هو والأغوات وعاصم، وفز اخذهم، وسار الى عند البيادر، واجا ابن البب والمشايخ

٧٣– «ايش الزول» عبارة بمعنى «من القادم؟» وكان من عادة الناس متى كانوا في برية أو فضا فسمعوا حسا في الظلام أن يسألوا «ايش الزول» فيجيب الشخص القادم بـ «عدو» أو بـ «أصحاب».

٧٤– ينزعجون ويغتمون.

٧٥– اضطربوا وتداخلت الأمور.

٧٦– أزل غيظنا وغمنا.

واختيارية البلد جميعها، فتقدم كسيبو الكيَّال، وصار يكتال، وكار الكياله فن، يا اخوان، وكار عياقه، وكل انسان شاطر بمصلحته، وكان هذا كسيبوا واحد ابن حرام بالكياله، وما فيه احد يقرحه[٧٧]، فصار يكتال، ويحط حصة بيبرص على الارض، وحصة البب سرجويل يعبيها بالأكياس، حتى الْحَبْ يربُص[٧٨] ولا يبان الفرق. ولازال يكتال للمساء، فراحوا كل مين بحاله، وثاني يوم حضروا الجميع، وصار كسيبوا يكتال الى المساء، ولازالوا يكتالوا لمدة اربعة وعشرين يوم، حتى خلصوا، فقالوا الى بيبرص : كل عام وانتم بخير ! روح بقا، هات اكياس، ورحِّل رزقك. فقال لهم : ما بقى شيء ؟ فقالوا له : باقي شويه، خليناهم للفقراء زكاة البلد. فقال بيبرص : ما فيه مانع، والآن انتم قسمتوا الرزق حصتين، فهدول حُصّة مين، وهدول حصة مين ؟ فقالوا له الأفرنج : هدول المعبَّايات بالعدول[٧٩] حصتنا، لاننا جبنا عدول من بلادنا، وهدوليك الذى على الأرض، حُصتك. فقال لهم : القسمه، ما هي لى ولكم، وقسمتوها مناصفه ؟ قالوا : نعم. قال : انتم كيَّلتوا، وانا، الذى اريده آخذه، فانا بأخذ هدول لمعبَّايات بالعدول. فقال له كسيبو : هدول عدولنا، كيف بدك تأخذهم ؟ فقال له بيبرص : انا، ما بدى آخُذ عدول، فرغوا هدول بالأرض، وهلى بالارض عبوهم بعْدُولكم، حيث هذا نصف وهذا نصف على حسابكم. فقال له كسيبو : يا بيبرص، كثَّرتها ! والى مَتَى بدنا نتحملك ؟ ما بتعرف انه عندنا هون، لا يقدر المسلم ان يفتح تمه، واذا احكا ننزل فيه على راسه ضرب، حتى نخْمِد انفاسه، وثانياً هذه البلد بلدنا، ونحنا المجق عمال نعطيكم حصه شَفَقَه، لاجل الحُرمه ست الشام.

قال... فما خلاه بيبرص يكمل الكلام، الا وراحت يده لسلاسل اللت، طرقه على دماغه، مَعَسُه مثل العقرب، وقال : من اليوم ورايح، لازم انني ما اخلى كافر يفتح تمه، يا كلاب ! وما دونها، الا بيبرص ابن ست الشام وهجم على ابن حاكم صفد، كمشه وحطه بالجنزير[٨٠]، وقتل اتباعه، ما خلا منهم احد. اما المشايخ، لما شافوا

٧٧- يقدر عليه.

٧٨- يتكدس فيتداخل وينخفض فيقل حجمه.

٧٩- أكياس تحفظ فيها الحبوب مصنوعة من القنب.

٨٠- سلسلة من حديد.

ذلك الشوفه، هربوا. فقام بيبرص سلَّم البلد للأختياريه، وحمل الرزق الذى ما خصه وما خص الأفرنج، واخذ ابن البب بركابه، ونزل على الشام، ورماه بالحبس، وكان عنده حبس بالسرايه البرانيه، ونزَّل الحب فى البوايك[٨١]، وسئل قديش تسوى الغراره، فقالوا له : ثلاثة غروش. فقال بيبرص : اكتالوا من عندى بثلاثة الا رُبع، فحالاً اشتغل الكيل، وباع ونفق وصلغم[٨٢] ثمن الرزق ذهب احمر، ورجع الى سرايته، وتعاطا حظه وكيفه، ولا على بالُه من شيىء.

اما وزير الشام عيسى الناصر، فانه درى بالذى فعله بيبرص، وانه ابن البب سَرْجويل محبوس عنده فى البرانى، فقال : والله، شيىء ظريف، هذا بيبرص رايح يفتح علينا باب ماننا قَدُّه، ولكن الأوفق ما يكون، لازم نعمل على قتله، ونَخْلُص من شره ! فحالاً، بعث تحت الليل، جَمَّعْ الأعيان عنده كلهم، وقال لهم : يا اعيان، هل بلغكم ما فعل بيبرص ؟ فقالو[ا] له : نعم، بلغنا ! فقال لهم : يا هلترى، اذا تحرك علينا البب سرجويل ملك صفد، لكم قدره ان تردُّوه عن الشام، خصوصاً هذا الملك، كل ملوك السواحل بظهره، والله، يخرب الشام حجر على حجر، ويقطع رؤسنا، بقا من شان شقفة مملوك عجمى، تخْرَب الشام، فهل يهون على الملك الصالح ايوب بهذا العمل، وست الشام تفرح فيه، وتلفُّه بالليل[٨٣] وتنام ؟ فقالو[ا] له الأعيان : والآن، ايش مرادك تفعل ؟ فقال لهم : مرادى، بكره تجتمعوا هون، حتى نبعث نجيب بيبرص، ونربط مع مقدِّم الدرك ان يجيب الزعر يوقفهم بالسرايه، وهم تحت السلاح الكامل، ولمَّا يَدخل بيبرص، يتكاثروا عليه، يقبضوه ويرموه بالحديد، ونروح، انا واياكم، على سراية ست الشام، ونطالع ابن ملك صفد، ونأخذه على الحمام، ونقوم بواجبه، ونبعث معه خيل توصله، ونبعث بيبرص بركابه مكتف، ونكتب الى ابوه ملك صفد مكتوب، ونعرفه بصورة الواقعه، ونقول له : هذا الذى كمش ابنك، الآن بعثنا لك اياه مكتف، وهذا غريب عن بلادنا، ولا هو من اهل الشام، افعل به مرادك كما تريد، ونعتذر له. فقالو[ا] له

٨١- جمع بايكة الأمكنة المعدة للحبوب.

٨٢- أو صغلم، اكتسب ما يساوي ثمن الرزق بل وما يزيد.

٨٣- تحضنه بالليل.

الأعيان : طيب، افعل ما بدا لك، يعني، نحنا نريد ان تقع فِتَن بالشام؟ وقاموا راحوا الى محلاتهم، وبعد ماراحوا، بعث الوزير طلب مقدّم الدرك، وربط الرابطه معه، ان يجيب الزعر ضحاء النهار، ويقعد بالسرايه، ولما يجى بيبرص، يلقوا عليه القبض، ويرموه بالحديد. وكان مقدم الدّرك، يا اخوان، والى، وهذا من وقتٍ قوى بيبرص بالشام، وصارت عنده الزرباوات والأغوات، وجميع المعتّرين انقادت له، صار هذا الوالي يبغض بيبرص، لأنه رزقته عليهم، وصار يتمنا لبيبرص عَتْره[٨٤]، الى ان ارسل حاكم الشام طلبه، وربط معه هالرابطه، فرح فرحاً شديد، وراح جمّع الزعر تحت الليل، وصار يلَطّيهم[٨٥] بالسرايه، له كلام...

اما الأعيان، بعد ما طلعوا من عند الوزير عيسى الناصر، راحوا اجتمعوا فى بيت نقيب الاشراف محمد افندى العجلانى، حتى يتشاوروا بذلك الأمر، واحكوا له ذلك الحكايه، فقال لهم محمد افندى : وانتم، شوا قلتوا بذلك الشور الذى شاره الوزير ؟ فقالوا له : نظرك اوسع ! فقال لهم : يا للعجب ! هزيتوا قاووق قدام الوزير، وقلتوا له افعل ما بدا لك، واجبتوه على تدمير الولد، يعنى نحنا نسينا شو كان واقع بالشام قبل ظهوره، هلى كان ابن العرض لا يسترجى ان يطلع من بيته، وتنسحب بنات الناس من على قاعة الطريق، ونسينا ما كان يفعل احمد اغا استيت، لما يدور فى البلد، كانت تسكر المدينه على بعضها، ونسينا الشقي العرند، الذى كان يقتل القتيل ولا يسئل عنه، وكذلك المغضوب سعيد البوظ، قديش كان يفعل، وجميع هدول، مين كان يقدر يحاكيهم ! فقالو[ا] له الأعيان : والله، عمال تتكلم صحيح ! فقال لهم : امَّا الآن، ابن العرض صار امين على ماله وعَرْضُه، وصارت الحرمه اذا لبست حلّة يوسف[٨٦] وَطلْعت وحامله معها الذهب ما احد يقدر ان يعارضها، فهل عُدْتُّم سمعتم ان البلد سكّرت، او صار خباصات[٨٧]، من حين ظهور هالغلام ؟ ولازم نحمد الله ونشكره، الذى طلّع على ضُعْفَنا، ورحمنا

٨٤- مصيبة.

٨٥- يطلب منهم الاختباء في مكان لا يراه أحد.

٨٦- الملابس الثمينة (وهي إشارة إلى سورة يوسف، الآيات ٢٢-٣٠).

٨٧- أعمال مشينة.

بهذا الغلام، ونجى نحنا هلّق نعمل على تدميرُه، من شان خاطر الوزير، على شان انه يبغضه، ولاجل اصطلاحه[٨٨] نعكس امرنا، حتى ترجع البلد الجس ما كانت، لأنه الوزير والوالى يتمنُّوا الخباصات ما تبطل، من شان يبلعوا، وهم شركاء مع العواطليه والحراميه، بقا ما هو لازم نساقل[٨٩] مع الوزير، ونَهلِك الرعايا !

فقالوا الأعيان : والله، شيىء بِحَيِّر، حيث كمان ملك صفد بخوِّف، فهل نقدر اننا نقاوم ملوك، وهذا الغلام ايضاً ما بينسخا فيه[٩٠]، بقا كيف بدنا نعمل ؟ فقال لهم النقيب : انا عندى تدبير ظريف ! فقالو[ا] له : هات حتى نشوف ! فقال لهم : انا، عندى اننا نكتب ورقه الى بيبرص، ونشرح له صورة الدعوى، ونقول له اننا نحنا لا نقدر الاَّ نحضر للسرايه، ولكن انت احفظ نفسك، واعرف شو فيه قدامك، ونحنا قايمين لك بالدعاء، وهو قد حزنه وفرحه[٩١]، ولازم كمان نحنا نعرف بأن بيبرص، لولا يعرف حاله حشو هالكبه[٩٢]، ما كان تجاسر وفعل ذلك الأمور، لأن بيبرص بيعرف انه الذى بده يأكل الخاروف لازم يحمى امه، ونكون نحنا بهذا التدبير، زرعنا معه معروف، وخليناه يستحضر لنفسه ويتوعا[٩٣] من الغدر، ونكون سايرنا الوزير بحضورنا للسرايه. فقالو[ا] له جميعهم : والله، هذا الرأي هو الصواب!

وبالحال، كتبوا ورقه وختموها الجميع، وقالوا : مع مين بقا بدنا نبعث له اياها، لأننا نخاف اذا بعثناها مع احد الأتباع، يشوفه الوالى، وتنكشف الحكايه. فقال واحد منهم : هي لازم نبعثها مع واحد من الذى يدخلوا لعنده. وصاروا يتفكروا مع مين بدهم يبعثوها. فقال واحد منهم : انا خطر ببالى واحد. فقالو[ا] له : مين هالواحد ؟ فقال لهم : السيد محمد الخياط، فهذا ما احد ينتقد عليه، لأنه له

٨٨– لأجل مصلحته.

٨٩– نتفق معه على حيلة.

٩٠– لا يقدر عليه.

٩١– هو قادر على دفع المصائب ويجلب ما يسره.

٩٢– تعتبر الكبة المحشية من أفخر الأطعمة والمراد أنه قادر على رد الأعداء.

٩٣– يحترس.

عاده يروح ويجى الى عند بيبرص، وبالأخص بيبرص ينبسط منه كثير. فقالوا : والله، اجبت، وهذا والله، كمان مستحق وفقير الحال، ويصير له اكرام زايد بهذه الروحه ! وبالحال بعثوا تابع ينده للسيد محمد، فراح التابع، وطرق الباب عليه، فلمّا طلع قابله على الباب، قال له التابع : امشى، كلم نقيب افندى. قال له : حاضر ! ودخل لبس اواعيه، وطلع يركد مع التابع، الى ان وصلوا الى البيت، فدخل السيد محمد يرا جميع الأعيان موجوده هناك، فارما عليهم السلام وجلس، فردّوا عليه السلام، وامروا له بالمشروب. شرب، وبعدها قال لهم : اسمعوا، يا افنديه ! فقالوا له : هات ما عندك. فقال لهم : لا تصدقوا ان الله ينسا من فضله احد[٩٤]. فقالوا له : حاشا، وكلا ! ولاكن، شو المعنا بذلك ؟ فقال لهم : لما اجا التابع عليّ، كنت عمال اتقلب بالفرشه، وانا ما كنت احْسِنْ اغفل. فقالو[ا] له : ليش، تخمين عندك بق والا براغيث ؟ فقال لهم : لا، والله، شيىء ابلغ، لأنه لو طِلِع عليّ بق، انقى لى شويه، واتسطح، واذا ما غفلت، اقوم ابلعلى شقفه، وارجع انام، ما اعود أَحِسْ على شيىء، واما هذه الليلة، ما كنت لا اقدر انام ولا ابلع لي بلعه ! فقالوا له : ليش ؟ فقال لهم : اعلموا انه عندى الحرمه حامل، وهذا شهرها، وهذه الليله قعدت من المغرب، وصارت تْلِتْ على قلبى : بدنا غرض الفلاني، لازمنا شغلة الفلانية، والأولاد بالزلط بدهم كسوه، وبدهم جزمات، جايه علينا شتاء ! والاولاد كذلك عمال يعيطوا ويزعوطوا، وامهم عمال تنشدنى، بقا من اين بدى اقدر ابلعلى شقفه حتى انام ؟ لأنه هذا بده ركونه، واما بالعياط ما بيقطع، بطير قوام، فمالى داب الا قمت، تكبتلت كبتله[٩٥] بحوايجى، وتسطحت وكمدت تحت اللحاف، وعملت حالى نايم، وهم عمال يعيطوا وينشدوا، بقا هاتو[ا] لشوف، منين بدى احسن اغفل ؟ فهذا الشيىء ما هو اصعب من البق والبراغيث ؟

فقالو[ا] له : صدقت ! فقال لهم : وهذا، يا اخوان، داء الهات ماله آخر ابداً، وانا رجل طفران، وعايف دمى، العيله كلما لها عمال تكبر، لأنه ربنا سبحانه وتعالى

٩٤- سورة طه، ٥٢.

٩٥- تغطى بملابسه والتف بها.

يبعث الأولاد للفقير كرفته[٩٦] فوق بعضهم، ما بتسخم له على عمره مره، الا يقول له الولد : بابا، هات ايدك [٩٧] ! فصارو[ا] الجماعه يضحكوا من كلامه، فقالوا له : ليش، ما عمال تروح لعند الأغا بيبرص ؟ فقال لهم : نعم بروح لعنده، لاكن كان غايب، والآن، لما اجا، رحت حتى اسلِّم عليه، مديت راسى نظرت الزرباوات والأغوات قاعدين، والأتباع واقفين، والسرايه عمال تغلى غلى، وكلهم تحت السلاح الكامل، وقاعد جانب البيك واحد طويل مثل العفريت من اهل الجبل، والله، ما حسنت ان أُمَلّكْ نظرى فيه، فلما شفتهم على ذلك الحال، قصفت[٩٨] ورجعت، فشافني واحد من الأتباع، قال لى : ما تفوت، يا سيد محمد ؟ قلت له : لأ، دَخْلَك، ما بدى فوت، ولاكن ليش كلكم تحت السلاح، ومالكم عاده تقعدو[ا] فى البيت وانتم مسلحين : فقال لى : ليش نحنا بس ؟ هلق بدها تجى سبع حارات كلها مسلحه ! فقلت : يا حافظ ! يا امين ! شو فيه ؟ خير، ان شاء الله ! فقال : ليش ما عندك خبر انه افندينا الأمير بيبرص متعالج مع ابن ملك صفد، وجايبه معه يسير، وحبسه عنده، وهلق افندينا حاسب حساب لا يروح وزير الشام عيسى الناصر يكتِّر غلبه ويعترضه، فحلف يمين انه ان كتَّر غلبه، ليقطع راسه، بوسط ديوانه، فانا، لما سمعت ذلك الكلام، طلعت اركد، وما عدت دخلت، ورجعت على بيتى، وجرا معى بالبيت مثل ما شرحت لكم، فلما اجا التابع وقال : كلِّم نقيب افندى، فقلت : لا اله الا الله[٩٩] — سبحانه وتعالى — لا ينسا من فضله احد، لانني اعلم انك لم تبعث وراي الا حتى تعطينى احسان، فقمت واجيت الى بين اياديكم.

قال . . . فلما سمعوا هذا الكلام من السيد محمد، قال النقيب :

يا من على الأغصان ناغت بَلاَبِلَهُ   يأتيك بالأخبار من لا انت سائله

٩٦– يكثر الله الأولاد على الفقراء.

٩٧– أي : مجرد ما يأتي امرأته تحمل.

٩٨– أي : لم يكمل السير بل رجع.

٩٩– سورة محمد، ١٩.

والتفت للأعيان، وقال لهم : ايش ياه ؟ والله، كان ظرافتها[١٠٠] كنا نروح بين رجلين عيسى الناصر ! فقالوا له : دخلك، ابعث له الورقه، قبل ما يصير شيىء، ويظن اننا دشمانه مع الوزير ! فقال لهم النقيب : انا، ما قلت لكم انه لولا يكون قد حاله ما فعل ذلك الأمور، خصوصاً وهو صاحب مرؤه، بقا بخلّي البلد تنضام لأجله ؟ والتفت للسيد محمد واعطاه الورقه، وقال له : يا سيد محمد، خذها وروح اعطيها للأمير بيبرص، ولو كان نايم فيقه، ولا تخاف، فهو يعطيك بخشيش وافى، ولَكْ منا ايضاً اكرام زايد، فقط لا تتعوق علينا، ونحن بانتظارك. فقال لهم : حاضر ! وفز اخذ الورقه، وسار وهو يقول : العما ! اذا كان شفته نايم، كيف بدى اقدر افيقه، انجق وَقّفْ استناه الى على بكره.

فلما وصل، لقا الزعر على باب السرايه، فلما شافوه قالوا له : اهلاً وسهلاً بالسيد محمد ! فقال لهم : البيك قاعد والأ نايم ؟ قالوا له : لأ، قاعد. وكان الوقت حكم المراسله[١٠١]. فدخل السيد محمد يرا القاعه محبوكه بالرجال، كأنهم زهر البستان، فلما شافه بيبرص قال له : اهلاً وسهلاً بالسيد محمد ! تفضل لجنبى. وقد استغرب مجيئه بمثل هذا الوقت، فترحب فيه وسلم عليه وصار يوآنسُه، وقال له : ما هذه الجيه بهذا الوقت ؟ فقال له : والله، يا سيدى، سمعت انك شرَّفت من برَّه، جايه حتى اسلِّم عليك، وناوله الورقه سراً، فاخذها بيبرص، فضها وقراها وفهم رموزها ومعناها، وتبسم وطالع اكرام وافى، واعطاه للسيد محمد، وقال له : ممنون، يا سيد محمد ! فقال له : استغفر الله، افندم ! وفز اخذ اتكه وسار، وهو متشكر افضاله، له معنا كلام...

واما بيبرص، فانه صبر الى ان طلع النهار، فجمع الأغوات كلهم، وقال لهم : والله، الحُر قلبه دليله، انا ما قلت لكم لازم ما يخالطها ذلك الخبيث عيسى الناصر، ولاكن ان بعث وراي لأبُد ما اروح وآخذكم معى، وانتم تحت السلاح الكامل. فقالوا له : كلنا بين يديك ! فقال عاصم : ايش الخبر يا دولتلى ؟ فقال له : بلغنى خبر انه وزير الشام طالبنى، بقا اذا رحنا ونحنا مستحضرين لحالنا احسن. ثم امر

١٠٠ـ للتهكم. ما أحسنها أن نروح ضحايا مؤامرات الوزير عيسى.

١٠١ـ المراسلة هنا نهاية الآذان.

بالفطور، فحالاً انمد السماط، وانوضعت الوان الطعام الفاخر، فقدموا فطروا وانبسطوا، واذاً بالطلب جايه للأمير بيبرص : قوم كلم الوزير عيسى الناصر ! فقالوا له الأغوات : روح قول للوزير الذى ارسلك، انه الأغوات هلق عند الأمير بيبرص عمال يفطروا، حتى يخلصوا بجيبوه ويحضروا. فتوجه الزلمه لعند الوزير، وقال له مثل ما قالوا له، فقال له الوزير : مين فيه عنده ؟ قال له : احمد اغا ستيت وابراهيم اغا شراره وابو بكرى الجردقانى، وجميع الزرباوات والأغوات، وعنده ناس من اهل الجبل ايضاً، فداويه.

قال... وهو بالكلام، ونافدين الأعيان، وهم عمال يضحكوا باطناً، والسبب فى ضحكهم هو ان السيد محمد الخياط رجع من عند بيبرص لعندهم، واخبرهم بالذى موجود عند بيبرص من الرجال، فقالوا : والله، الذى كتبه عيسى الناصر، بيبرص محاه من زمان ! واصطبروا الى على بكره، فقدم لهم النقيب الفطور، فطروا وطلعوا على الديوان، وهم مبسوطين، واما الاغوات فانهم بعد ما راح زلمة[١٠٢] الوزير، نبهوا على رجالهم ان يَحْضَروا كلهم متسلّحين، وبظرف نصف ساعه اجتمع على باب السرايه نحو عن الف وخمسماية شب، تعشق مُحَمد — صلى الله عليه وسلم — وكلهم تحت السلاح الكامل، وفز عاصم وسبل[١٠٣] الحديد، والذرد النضيد، وقال لبيبرص : يا دولتلى، انت استريح، وانا بروح بشوف شو بده، وبرد لك خبر. فقال له : ما يصير، يا عاصم، لانه من طلبك وجب حقه عليك ! وفز على حيله، وفزت الرجال معه، وتوجه وعاصم الى جانبه، كانه الرهط الاسود، له كلام.

واما الوالى، فهو قاعد بالسرايه، وموضب الزعر، واقبل عليه واحد من اتباعه، ودعس على رجله، وقال له : اياك تعترض بيبرص، والله، بتروح انت وجميع الذى بالسرايه خرا سمك، لانه جايه ومعه جميع زرباوات الشام، وبعض الفداويه، بقا اوعا لحالك !

١٠٢– زلمة معناها رجل كما ذكرنا، وزلمة فلان، أي : حليفه ومؤيده.

١٠٣– أرسل الحديد.

قال . . . فلما سمع الوالى ذلك الكلام، طلع يركد لعند الوزير، وتوششو[ا] سوا، واخبر[ه] بالماده، وقال له : انزل وقف، انت والزعر، وخذو[ا] له سلام، ولا احد بقارشه حتى نشوف تدبير هذه الماده، والتفت الى الاعيان، وقال لهم : على قولكم، الشور الذى انبارح شاورتكم عنه، ما لقيته مناسب، لانه بيبرص واحد اشكزار[١٠٤]، لا ينسخا فيه، وما له براده[١٠٥] بالشام، قلب عقلى عن ذلك الراى. فضحكوا الجامعه باطنا، وقالو[ا] فى بالهم : معلوم ! الخوف يقطع الجوف. وقال له : رايك افندم. وهم بالكلام، وصل بيبرص الى باب السرايه، فلما دخل ضربو[ا] له سلام الزعر، فطلع الوزير من الشباك، يرا ارض السرايه عمال تغلى بالشباب والرجال، الذى مثل تمر المنقا، وهم بتحت السلاح الكامل، وبيبرص قدامهم كانه الاسد، والمقدم عاصم جانبه مثل الرهط الاسود، وهو تحت سته وثلاثون قطعه بولاد[١٠٦] ازرق، والاغوات حواليه. فقال فى باله : يا حافظ ويا مين دفع الله ! ما كان اعظم، والله، كان راح راسى اليوم، لو نبقا على شورنا. كان بيبرص وصل لباب الديوان، ففز الوزير والاعيان، وقال : اهلاً وسهلاً بولدى الامير بيبرص ! تفضل ! واخذه صدر مكان، فجلس وجلست الزرباوات على التخوت والكراسى، وعاصم وقف وراه مثل السلحدار[١٠٧]، فسلم عليه الوزير والاعيان، وامر لهم بالقهوه والمشروب، شربوا، وبعد ذلك التفت الوزير، وقال له : يا ولدى، بدنا نشاورك شوره. فقال له : تفضل ! فقال له الوزير : افندم، من خصوص الفتنه الذى وقعت مع جنابك بالصنمين، فهذه، يا ولدى، بنحسب لها ترك، وهو لا يروح يتحرك علينا ملك صفد، بقا اشلون بتقول بهذا الخصوص ؟ فقال له اعلم، ايها الوزير، انا ما تعديت عليهم، وهم جماعه كفار، مستحلين اموالنا، وانما على الباغى تدور الدوائر، فاذا تحرك ملك صفد، لا احد منكم يتحرك من ارضه، وانا علي به، وانا اطلع اقابله،

١٠٤- كلمة تركية فارسية الأصل (كاركذار)، يعني : قادر وقوي.

١٠٥- ما يصدر عنه إزعاج.

١٠٦- أي : فولاذ.

١٠٧- الذي يحمل السلاح ويقف إلى جانب الملك للمحافظة عليه.

وانتم خلوكم بحوض البراني، ولا تقارشو[ا] شيىء ابداً، والذى حبل يقمط [١٠٨]، فقال له الوزير : هذا شي ما بصير، يعني، نحن بهون علينا بجنابك، اذا اسمعنا انه تحرك، فانا ابعث معك بيرق بالف خيال اعانه ! فقال له : كمان، مثل ما بتريد . وفز على حيله، واخذ رجاله وسارو[ا]. بعد ما راح، التفت عيسى الناصر للاعيان، وقال لهم : ما هو مليح هيك ؟ فانه يصل لنا الثواب ! فقالو[ا] له : مليح ! وفزو[ا] راحو[ا] بحالهم.

وبعد ثلاثه ايام، ونافده مكاتبه من عند البب سرجويل المهرى ملك صفد، الى الوزير عيسى الناصر، فضها وقراها :

يا وزير، كانه ما بلغك ما فعل ابن ست الشام بفليونى، وانا قلت فى بالى انك تمسكه، وتبعثه بركاب فليوني، حتى اقضي فيه مرادى، والان ان فعلت هيك، ضليت انا واياك اصحاب، وان ابيت عن ذلك، اركب عليك، واخربق الشام برقبتك !

فكتب له الجواب :

ايها الملك، انا، وحيات راسك، كان ذلك اجل مرادى، وابعث استخبر من نصارت الشام، ولكن ما طلع بيدى، واغواتها واغلب اهل البلد مايله ناحه، فلذلك قصرت يدى عنه، والان قوم اركب علينا، بعرضى [١٠٩] ظاهراً، او احسب حالك انك طالع تعمل سيران، ولما يصلنا خبرك، فاننا نبعث لك بيبرص، لارض الصنمين، وانا ابعث معه الف خيال صوره [١١٠]، ومتى ما حكم الوجه بالوجه، يلفو[ا] البيرق ويصرخو[ا] : كسره، يا عسكر ! وبرجعو[ا]، ويبقا، هو ورجاله عندك، افعل بهم مرادك، ولا احد يسالك عنهم، ونظراً الى حبسه ابنك، ابعث لك خمسين كيس حق جزمه [١١١]، من مال ست الشام، ونصف الصنمين لك بخشيش من بعدهم !

١٠٨- المقصود هنا أن بيبرص الذي صمم على القتال يقدر أن يتحمل مسؤولية الأمر.

١٠٩- كلمة تركية، عربية الأصل، تعني : الجيش.

١١٠- شكلا، فهو لا يريدهم أن يشتركوا في القتال.

١١١- كناية عن كمية هائلة من المال، حق سفر الجيش.

قال . . . فلما وصل الجواب الى سرجويل، ارتضا بدلك الجواب، وفتح عرضى بعشرين الف، وصار يوضب العساكر على باب صفد، وبعدها يرحل طالب الشام، له معنا كلام .

واما عيسى الناصر، فانه وردة عليه الاخبار سراً، انه ارتضا سرجويل، وفتح عرضى، وبعث ورا بيبرص، وقال له : ما قلت لك، يا ولدى، لابد ما يتحرك علينا ملك صفد، فها هو قد تحرك ذلك الملعون ! فقال له : انت، ما عليك ! انا بطلع لقدامه، واتوكل على الله [١١٢]، فقال له : لا، يا ولدى، انا ما بسلم فيك، انك تطلع وحدك، ليش، ما بقا لنا مروه ! وصرخ : اندهو[ا] لنا اغه الفلانى ! فحضر الى بين يديه، فلبسه بنش، وقال له : انت ضابط على الف خيال، بدك تطلع مع الامير بيبرص على الفدا والجهاد ! قال له : امرك افندم ! فقال له بيبرص : ابقا تعال اسهر عندى الليله . وفز راح على سرايته، وقال لحاله : هذا، اتعين معنا الف خيال، واعد عاصم بالف، واشلون ما كان يطلع معنا خمسة ماته [١١٣] راجل من الشباب، يصيروا عبارة عن الفين وخمسمئة فارس، والله يعطى النصر لمن يشاء ! ولما وصل لسرايته، بعث ورا الاغوات، فلما حضروا، قال لهم : سمعونا الفاتحه، على نيه الفذا والجهاد ! وبعد سبعه ايام، الذى ما عند[ه] سلاح، يجى ياخذ سلاح، والذى ما معه مصارى، يجى ياخذ عازته [١١٤]، فقالو[ا] له : حاضر افندم، وكلنا معنا مصارى من خير الله وخيرك ! وقامو[ا] راحو[ا] حتى يوضبو[ا] حالهم . واما عاصم، فانه كان نايم، فز من نومه، يسمع حس ضوجه بالسرايه، فقال : ايش الخبر ؟ فقالو[ا] له : ملك صفد راكب على الامير بيبرص ! فقام نزل للقاعه، يرى بيبرص عمال يحكى مع الجماعه بهذه المناسبه، فقال له : يا دولتلى، من طالع معك ؟ فقال له : الزرباوات واتباعهم، وبيرق من عند الوزير بالف خيال .

قال . . . فصفن عاصم حصه، وفز نزل سلاحه لبسه، وقال : يا دولتلى، جنابك رايح على الحرب، وانا رايح لعند اهلى، لانني اشتقت اليهم . فقال له : بحفظ

١١٢– سورة النساء، ٨١ .

١١٣– كذا، مئة .

١١٤– عازته، أي : حاجته .

الله، مع السلامه ! وقال لحاله : الانسان لا يحسن ظنه الا بالله، انا قمته بالف فارس، وامـلّت فيه، فوقع منه هذه الفعال، وهؤلاء اولاد الشام، ما هم خرج هذا المعلك، هدول ما بدهم غير تزويق[١١٥] بوسط الشام، وما فيهم غير بهوره[١١٦] بالكلام، ما هم خرج حرب ولا قتال، والله، حتى اخذ الالف خيال، واطلع وحدى براسى، والذى يلحقني يلحقني، والذى يقعد يقعد ! وبالحال، صار يوضب اشغاله، بظرف ثلاثه ايام، اعطا بخشيش للظابط والعسكر، وقال له : بعد يومين، يكون السفر. ولما خلص اشغاله، طالع ابن سرجويل، وأخذه معه على مصلب[١١٧]، ونزل زار سيدنا يحى – عليه الصلاه والسلام – وركب وسار بعد ما ودع امه، وطلعت معه العسكر بالطبلات والبيارق، فلحقوه بعض الناس، الى ان وصل لدنون[١١٨]، بات ذلك الليله، وقام تانى يوم، سحب على الصنمين، وكان ملك صفد واصل قبله بيومين، فلما وصل بيبرص، بعث كشف على عرضيه، فقالو[ا] له : ما معه غير بيرق، وكام واحد من اولاد الشام. فاعطى التنبه على الحرب تانى يوم، وقال لظبط عسكره : بدى فليونى منكم، قبل الكل، وكلمن يجبلى شقفه من هذا المرفوس بيبرص، له ما يتمنا ! فقالو[ا] له : على الطاشطه[١١٩] ! وباتو[ا] ذلك الليله على نيه الحرب. واما بيبرص، فانه فز على بكره، توضا ووقف يصلى، ما يسمع الى حسن الطرنبيطات[١٢٠] حربى، فاستعجل بالصلاه وسلم، وبعث كشف عن الخبر، فقالو[ا] له : زحفت الافرنج علينا !

قال... ففز بالحال، ركب وصرخ : البدار البدار[١٢١]، عصبة النبى المختا ر ! وقال : هاتوا ابن سرجويل، حطوه بركابى ! وراحو[ا] جابوه، وحطوه بجانب جواده،

١١٥- يتبخترون بملابس فاخرة ومنمقة.

١١٦- يفتخرون بمحاسنهم ويدعون القتال فيعجب الناس بهم، ولكن أفعالهم غير أقوالهم.

١١٧- قطعتان من الخشب بشكل صليب يعلق عليها المذنبون.

١١٨- قد تكون «دنون» المكان الذي يعرف اليوم باسم خان دنون، بين دمشق والصنمين.

١١٩- على رأسي، بلغة الإفرنج.

١٢٠- أبواق تعلن عن الحرب، والكلمة مقتبسة من لغة الإفرنج.

١٢١- السرعة في الاستعداد، السرعة.

هنالك صرخ على العسكر : ها، يا شباب ! اليوم يومكم ! وهذا باب الجنه مفتوح، من مات مات شهيد، ومن عاش عاش سعيد ! فقالو[ا] له : لعينيك ! ودقت الطبول حربى، فضرب هوس الحرب براس الامير بيبرص، فالتحش الى الميدان، واخطلت بعسكر الصلبان، وضرب الاول ارماه، والتانى ما بقاه، والثالث اعتمه الحياه، والرابع لعن امه بعزا اباه، والخامس على المقبره وداه، هذا، وسرجويل كان متعلى على راس رابيه، وهو ماسك النضاره بيده، فنظر ابنه وهو بركاب الامير بيبرص، ففر نظره، وصرخ : غنادره ! بدى فليونى ! فركد البطارحه[١٢٢] حتى يخلصوه من بيبرص، وهو حايم مثل السبع الكاسر، وكلمن دنا منه، دنا اجله، وهو يشق الصفوف، ويخربط المياة والالوف، الى ان وصل لقرب الببب سرجويل، وهو وقف تحت الثنيار[١٢٣]، فصر[خ] عليه : ولك سرجويل، مثلك من يركب على بلاد الشام ! فانظر الى ولدك، وقريبا انت ! واندار على الولد، طرقه على بيت الزنار، وقطعه نصفين، وحمل وارتما كانه صاعقه خرت من السما، كحل القوم من العما، قرا ايه معظما، وانشد وقال :

كلاب الكفرانى قد جئت اتلـــى — واحرمكم ركوب الصافنـاتـــى
واخلى منكـــم الاوطـــان سعاً — وان كنتم تعبدون النائباتـــى
وادع نسائكـــم تبكـى عليكم — ويملا ربعكـــم بالنادباتـــى
انا بيبرص وسيطى فاق فعلـــى — احب الموت واكره للحياتـــى
وامدح من اعطى جميع الفضائل — محمد الهاشمى بالخيراتـــى

قال... فلما فرغ من كلامه، صار ينسر الرؤس كلا[ك]ر[١٢٤]، والكفوف كأوراق السجر[١٢٥]، والبطارقه تنفر من قدامه مثل الاغنام، وهو يطس[١٢٦] فيهم فى الحسام

١٢٢– كذا، وهي البطارقة أو البطاركة، جمع بطرك وهي رتبة دينية عند رجال دين النصارى، وتستعمل في السيرة بمعنى : جندي إفرنجي.

١٢٣– البيرق.

١٢٤– جمع كرة.

١٢٥– كذا، الشجر.

١٢٦– يضرب بهم.

الى المساء، واما الظابط الذى معه، فانه لما نظر بيبرص ما عاد بان له اثر، صرخ : كسره، يا عسكر ! وما منهم واحد سحب سيف، ورجعو[ا] هاربين، الى ان وصلو[ا] للشام، واخبرو[ا] الوزير انه بيبرص غاص بوسط الدشمان، وما عاد بان، فقال للقرد : خلينا نخلص منه، ونريح بالنا من شره، والله، خلى اسلب نعمه ست الشام، لانها هى اصل السبب بتقوايته.

واما العالم، لما سمعوا ان بيبرص قتل، صاروا يتباكوا عليه، تعصبو[ا] بعصايب السود. واما الزرباوات الذى طلعو[ا] مع بيبرص، فانهم لما شافو[ا] ما عاد بان له اثر، صارو[ا] يتلطوا[١٢٧] بالصنمين بين البيوت، وبيبرص لازال يقاتل وحده، الى ان عتمت العين، فتشركل[١٢٨] الجواد ببعض القتلا، فتقنطر[١٢٩] بيبرص، وهو غميان من شدة الحرب، وما عاد وعى على روحه، فتكاثرو[ا] عليه البطارقه، اخذوه يسير. فقال البب سرجويل : حطوه بالحديد، حتى يصحا، بدى اموته كل يوم موته بشكل ! فحطوه بالحديد، وهو غايب عن الوجود، وما فاق على روحه، الا لنصف الليل. قال لحاله : لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ! عجب، شو صار بالعسكر والزرباوات، هل مساكين ؟ وصار يتفكر بحاله، ما شاف الا الخيمه انشقت من ورا، ودخل لعنده واحد طويل عريض، كانه الرهط الاسود، وقال له : لا بئس عليك، يا دولتلى ! وانقض عليه، وخلصه، وقال له : الحقنى ! فلحقه لبره، نظر واحد اخر مثله، وتقدم لعنده، وقال له : يا دولتلى، ارواحنا لك الفدا، ولا تشمت بك العدا ! واخذوه وسارو[ا] فيه، من ورا العرضى، مقدار ربع ساعه، يرا خيمه منصوبه، واتباع واقفه، وسفره محطوطه، فلما دخلو[ا] قالو[ا] له : انطح الزاد[١٣٠]، يا دولتلى ! فقال لحاله : اقعد كول، ولا تسئل منين، وبعد ما بتشبع، ابقا اسئل.

١٢٧- يختبئون.

١٢٨- زلت قدم الحصان.

١٢٩- وقع لأن الحصان هاج ورماه أرضاً، وتقنطر تستعمل عادة للحصان.

١٣٠- اقترب من الطعام.

وقعد ضرب بطن – الله مولاه – [١٣١] ولكن طول ما هو عمال ياكل، يوكد بذلك الاثنين، يراهم من نمره الفداوى الذى كان عنده.

ولما شبع، تاخر لورى، وحمد الله – عز وجل – فتقدم الواحد منهم، وقال له : يا دولتلى، طلع حظنا قليل، ما لحقنا الحرب بهذا اليوم. فقال لهم : ما شاء الله عليكم ! شوا اسمائكم جنابكم، ومن اى القلاع انتم ؟ فقال الوحد : يا دولتلى، انا اسمى المقدم دبل البيسانى، وهذا اخى حسن الحورانى، انا مقدم الغور وبيسان، وهذا اخى مقدم ازرع وحوران ؛ فلما بلغنا عن سعاتك، انه صاير عليك ركبه، فوضبنا حالنا، وجينا، ما لحقنا الحرب، ولكن غداً جايك الركب، عشر الف ناقل شد وشاكريه[١٣٢]، والذى عمال يدب الصوط[١٣٣]، ما لحق اكثر من هيك ! فقال لهم : من هو الذى عمال يدب الصوط واخبركم ؟ فقالو[ا] له : المقدم عاصم، ابن بحر المرقبى، فانه من يوم طلع من عندك، ما تكا جنبه على الارض، وهو عمال يدور على القلاع. فقال بيبرص : الله واكبر[١٣٤] ! هذا، نحنا زميناه بقفاه[١٣٥] لما راح من عندى، لا حول ولا قوت الا بالله ! ثم قالو[ا] له المقدمين : وحيات راسك، يا دولتلى، بكر لا يبقا من هؤلاء الملاعين الديار[١٣٦]، ولا من ينفخ النار، وصاروا يتحادثو[ا] معه، ويسئلو[ا] عنما جرى معه بذلك اليوم، وبعد حصه، التفت دبل الى حسن، فقال له : ما هذا، قاعد عمال تكبى[١٣٧] قدام الدولتلى، قوم اطلع نام بره، انت ما عندك ادب !

قال... ففز بالحال، طلع لبره، فظن بيبرص انه صحيح بده ينام، ما شافو[ا] الا غاب حصه ورجع، وهو ناتع بين اكتافه حمله كبير[ه]، وحطها قدام بيبرص،

١٣١– البطن هنا كناية عن الطعام. وضرب بطن أي أكل متلذذا ما فوق حاجته. وتستعمل عبارة الله مولاه للتعبير عن الإعجاب.

١٣٢– سيف كبير يحمله الفداوية.

١٣٣– يصرخ ويستغيث ويجمع الجنود لنجدته.

١٣٤– كذا.

١٣٥– كذا، أي : ذممناه وطعنا به في غيابه.

١٣٦– سورة نوح، ٢٦.

١٣٧– جاءه النوم.

فبهت فيه بيبرص، فقال له حسن : هكذا اعداك، يا دولتلى، باوشم الحلات. طلع بيبرص، لقا جلد ملفوف، وله ازرار وعراوى، فتعجب شو هذا، فقام حسن وصار يفك الازرار، حتى انتها فتحه، لقا فيه زلمه افرنجى م[ـمـ]دود، فقال له : يا دولتلى، هذا ملك العرضى، واعطوه ضد البنج، عطس وصرخ : شكر، يا مسيح ! فاتاه كف مثل يوم الفراق، فصرخ دبل : قض رقبته، قض ! فقال له : انا بجيرتك، يا مقدم دبل ! فقال له : ولك، كلب الملوك، مثلك من يركب على الشام، ويطلب الدولتلى ؟ فقال لهم : انا بجيرتكم، ودينى، لو اعرف بينكم وبينه صحبه، ما كنت اطلعت من بلادى، وانتم اهل الحميه، انا بعرض نبيكم ! فقال له دبل : ولك، جوز المطبله، انت، على كل حال مقتول، وحيات راس جدى، باب عمر ساعى ركاب النبى – صلى الله عليه وسلم – بكره جايه اول نجده، عشره الف نادب شد وشاكريه [١٣٨].

قال... فصار سرجويل يتدخل، ويتوقع عليهم، ويقول له : انا بجيرتك، فصار حسن ودبل يتوشوشو[ا] [١٣٩]، وبعدها التفت دبل، وقال له : ولاه، اشترى حالك من الدولتلى ! فقال له : امرك سيدى، اؤمر ! فقال له : بدك تعطيه هذا الصيوان، الذى فوق راسك، هو ودواريه [١٤٠]، فقال له : سيدى، ما بصير، عواضه خزنتين مال ! فقال له حسن : ولك، ما بستحى، مد عنقك، ما بدنا نقضى ليلتنا معك، طلع النهار ! فقال لهم : دخلكم، خذه هو والذى تريدوه !

قال... قدموا فكوه، وقالو[ا] : روح، ولك، اقلع خيامك، واهرب قبل ان تصل الفداويه ! فطلع يركد، وينفض غبار الموت عن اكتافه، ومن وصلته نبه على الجننارات [١٤١]، وخلا الصيوان بارضه، ورحل، وما طلع النهار الى ما تم منهم الديار، وفز بيبرص، هو والفداويه، وراحوا للصيوان، فطلع بيبرص يرى صيوان ملوكى، ما له مثال بهداك العصر، فقال : يا عمى، يا مقدم دبل، ابعثلى احد من عندك

١٣٨– أي : فداوية.

١٣٩– يتكلمون همسا.

١٤٠– كذا.

١٤١– قواد الجيش والكلمة مقتبسة من لغة الإفرنج. ويقال اليوم الجنرال(ات).

للضيعه، يفتش على جماعتى، اولاد الشام، بركى فى منهم احد متخبى او لطيان، يجيبهم لهون. فقال له : انا ببعت لك خيل، يفتشو[ا] عليهم بالارض. وبعد حصه، صارت تورد الأغوات والزرباوات واولاد الشام، فصار بيبرص يستقبلهم، ويهنيهم بالسلامه، وجلسو[ا] حواليه لحكم الساعه ثلاثه بالنهار، ما يشوفو[ا] الا غبار غبر، والى الصفاء كدر، وانكشف وبان عن بريق خود، ولمعان زرد، واسنه رماح، ما لكثرتها عدد، وهم متقلدين بسيوف هنديه ورماح خطيه، على خيول عربيه، وكلهم رجال فديويه، وقدامهم عاصم المرقبى، وفي ركابهم البب سرجويل، وكل واحد على راس رمحه راس مقطوع، ولما وصلو[ا]، كومو[ا] الروس قدام باب الصيوان.



[٦]

قدام باب الصيوان مثل البيادر، وكلٌ منهم يصرخ : الدوه لعينيك، يا دولتلى ! وتقدم المقدم عاصم، وقدم سرجويل الى بين ايادى بيبرص، وقال له : هكذا اعداك باسوء الاحوال. فقال سرجويل : دخلكم، يا اسيادى ! فصرخ عليه عاصم، وقال له : مد عنقك، يا جوز المطبله ! فقال له دبل : يا عاصم، نحن سمحنا عنه. فقال له : انتم سمحتو[ا]، انا ما بسمح، الا بكلفت العرضى للدولتلى ! فقال له : اخذنا الصيوان. قال عاصم : هذا حق دمه، بقا بدنا كلفت العرضى. قال لهم البب : ودينى، خزنت مال ايضاً، توصلكم مادبه مغفره[1].

قال . . . فكفله دبل على ذلك، وارسلو[ا] معه عشر فداويه، يوصلوه ويجيبوا المال.

قال . . . السبب بوقعته تانى مره، سبب عجيب، وذلك لما دشروه دبل وحسن، راح اخذ عسكره وهرب، فانهم مشيو[ا] الى طلوع الشمس، واذا بالخيل طلعت قدامهم، وكانو[ا] جاين للحرب، فلما نظروهم صرخو[ا] عليم : لين[2]، يا جواز المطبله ؟ فقال لهم سرجويل : تصالحنا، يا سيدى، واشتريت دمى من الامير بيبرص ! فما احد رد عليه، كما قال المثل، اجا مكتوب للكلاب قال من يقرا ومن يسمع، وهجموا على البب كتفوه، وانبرمو[ا] على العسكر، واشتغل الشل[3] ما طالعو[ا] منهم الديار، ولا من ينفخ النار، وساقو[ا] سرجويل قدامهم، واتو[ا]، وجرا ما جرا. فهذا كان السبب، ثم ان بيبرص كتب مكاتبه، وركب اثنين خياله من اولاد الشام، وارسلها للوزير عيسى الناصر، وقال : يكون متكدَّر[4]، هو واهل الشام.

١- كذا، أي : مُؤَدَّبة مُغَفَّرة.

٢- لين، أي : إلى أين.

٣- أي : هجموا على العسكر شاهرين سيوفهم بغية طردهم أو قتلهم (انظر *لسان العرب*، شلل).

٤- قلق.

قال . . . فركبت الخياله، واخذو[ا] المكاتبه، ورفعو[ا] روس الخيل، ما هدوها الى بالشام، ودخلو[ا] من بوابه الله على الميدان، وهم ينادو[ا] : البشاره، يا اهل الشام، بيبرص انتصر، وكسر العرضى ! الى ان وصلوا لعند عيسى الناصر، وقالو[ا] له : البشاره عندك، وحياتك، لا نأخذ الا كل واحد بنش ! فقال لهم : شي الحكايه ؟ فقالو[ا] له : خذ، اقرا هذه المكاتبه، بيبرص انتصر وكسر العرضى ! فاخذ الوزير المكاتبه، قراها وفهم رموزها ومعناها، فحالا استكت احناكه، واحتار بامره، كيف الظابط قال : ما بقاله اثر، وهؤلاء جايين عمال يقولو[ا] : انتصرنا ! فقال لهم : بشروني، كيف انتصر ؟ وكان مراده ياخذ الخبر الشافي، فقالو[ا] له : افندم، اجو[ا] الفداويه، وكومو[ا] الروس مثل البيادر، واخذو[ا] صيوان البب سرجويل، وحططوه كلفه العرضى خزنه مال !

قال . . .فلما سمع الوزير ذلك الكلام، قال : اعطوهم قرشين ونصف بشاره ! فطلعوا من قدامه، وهم عمال يسبوه. بعد ما راحو[ا]، بعث الوزير ورا الاعيان، وقال لهم: ادريتو[ا] ؟ فقالو[ا] له : اى، والله، ادرينا انه انتصر الامير بيبرص ! قال لهم: كيف بدها تصير هذه الحيكايه ؟ هذا، بكره يجى، ويجيب معه بتاعين الجبل، وانا لا [ا]دعهم يدخلو[ا] الشام، لايروحوا يملكوها، فانا بخاف على راسى من الصالح ايوب، لانه هدول عليهم شروط، ما يدخلوا المدن ! فقال له النقيب : افعل خلاصك، فانك انت الحاكم، ما هو نحنا. فقال لهم : انا رايح احط غفر عند البيادر، فان كان جايه الفداويه معه، نسكر ابواب الشام، وما هو لازم عليه، يعنى،هو شو له بالشام، من غير ما يكون معه فداويه، ما احد يكفيه؛ بقا، كيف اذا صار عنده فداويه ؟ غداً بيعمل الشام منزول، وابن العرض ما بعود يقدر يطلع من بيته ! فقالو[ا] له : افندم، افعل ما بدا لك، ولا تسئلنا عن شي. وفزو[ا] وراحو[ا] بحالهم. وقال النقيب للاعيان : والله، حتى يقلع لحيته غداً، بفكركم ؟ وتواترت الاخبار بانه بيبرص جايه ومعه الفداويه، وهم عمال يلعبوا قدامه، على ظهور الخيل، وهو كانه وزير بينهم.

قال . . . فلما سمع عيسى الناصر بذلك الخبر، سئل متى يصل للشام، فقالو[ا] له : بكره ! فارسل بالحال ان يسكرو[ا] ابواب البلد، فصاروا الاعيان يضحكوا، ويقولو[ا] الى بعضهم : اصبرو[ا] للاخر، وتفرجوا !

واما بيبرص، فانه بقا بدو يصل للشام، حتى يقوم بواجب الفداويه، نظراً الى جميلهم، فلما وصل للبيادر، اخبره انه ابواب الشام مسكره، ولا تقدر ان تدخل، لا انت ولا غيرك من جماعتك.

قال . . . فلما سمع بيبرص ذلك الخبر، زعل كثير، فالتفت دبل وقال له : لا تزعل، يا دولتلى، عيسى الناصر معه حق بذلك، لانه بخاف ان نعصى بالشام، وهذا وزير بخاف على راسه. وكان دبل عمال يرضى بيبرص بالحال، من كثر ما لقاه استحا وخجل، ولا زالو[ا] سائرين، حتى وصلوا لتحت الزيتون، وبيبرص زعلان كتير، وهو يقول : الله يسود وجهك، يا عيسى الناصر، مثل ما سود وجهى قدام هل الجماعه !

واما الفداويه، تفرقو[ا] تحت الزيتون، وتعلقت المطابخ، وتوضبت المناسف، وتعشت الرجال، والذى معهم. اوقدوا الشموع، وسهروا هدوة من الليل، والمقدمين قاعدين عند بيبرص، عمال يتحا[د]ثو[ا]، فصار دبل يكبى°، فقال له حسن : قوم انعس بره، ما بتستحى، عمال تكبى قدام الدولتلى ! فقام، وطلع لبره، غاب قدر ساعه ونصف، وارتد وبرك معهم، وبيبرص ما شافه، لا وين راح، ولا وين اجا. وسهروا قدر ساعتين اخرا، وقامو[ا] راحو[ا]، وقالو[ا] له : قوم، خذ راحتك ،يا دولتلى !

واما بيبرص، يا اخوان، ما هو جايه نوم، وهو محتار كيف بده يعمل، الى ان طلع النهار، وما غفلت عينه، ما لقا الى عيسى الناصر طالع، ومعه اعيان الشام، واصل لعنده. ودخلو[ا] سلموا عليه، وقال له : شى هذه القعده، برات البلد ؟

قال... فتعجب بيبرص من ذلك، وقال له : مانت سكرت الابواب بوجهى ؟ قال له : استغفر الله، افندم، ما هو بوجهك، ولكن يقطع عمر الناس، الذى تطالع خبر السوء، فانا اخبرونى عن جنابك، لا سمح الله، انك اقتلت، وقالو[ا] : جايه على

٥- ينعس.

الشام ومعه عرضى، وانا بعرف ما معك عراضى، فامرت بتسكير الابواب، ولما اخبرونى انه جنابك جايه، طار عقلى، وحالاً ارسلت ورا الاعيان، وقلت لهم : الله يستر، لا ير[و]ح يتاذا منا الامير بيبرص، وحياتك، هدول الاعيان عمال يضحكو[ا] على المعس [٦].

قال... وكان السبب بمجئ الوزير، هو لما فز المقدم دبل بالليل، وطلع ينام كما ذكرنا، فانه توجه على الشام، وعلق المفرد، ونزل على قلب عيسى الناصر، وحط الخنجر على جوزته حلقه[٧]، وقال له : اذا دبحتك هلق، من بدو يحما لك، يا جوز المطبله، مثلك من يسكر ابواب الشام بوجه الدولتلى ! وصار ينعره[٨] بقبضت الخنجر براسه وبدنه، حتى صار ازرق مثل النيل، ومن كتر ما قتله، فزّر[٩] لحمه، وهو يقول له : والله، مانى عارفكم، بل قالو[ا] لى جايه عرضى، ظنيت افرنج.

فقال له : يا عرص، لو كنا بدنا نعصى اولو الامر، نحنا الابواب لا تمنعنا عن الدخول، ولكن نحنا امتثال للملك الصالح، مقصورين عن دخول المدن، والان اذا بكره ما طلعت من بكير، انت والاعيان، الى تقبيل ايادى الدولتلى، لاقطع راسك بوسط ديوانك، نصف النهار ! فقال له : على الراس والعين، والله، من قبل الشمس، اكون عندكم ! فتركه دبل، ورجع للصيوان، وعيسى الناصر بالحال ارسل ورا الاعيان، فقامو[ا] حضروا لعنده، يروه معبوط[١٠]، ووجهه اصفر، فقال لهم : يا افنديه، انا راودت عقلى، بخصوص تسكير الابواب، لقيته ما هو شور مليح، لانه هذا بيبرص، مقامه مقام حجى، لانه مغازى مجاهد، مرادنا نطلع نلاقى له، ونعتذر منه، ونقول له : حسبناك دشمان ! فقال له النقيب : ما بدنا، لا نطلع ولا ننزل ! وقصد ان يتبارد عليه[١١]. فقال له الوزير : لا، لا، نطلع نلاقيله، لانه هذا، اكرامه واجب،

٦- كذا.

٧- كذا، وجوزة حلقه هي البروز الذي في الحنجرة.

٨- يطعنه.

٩- شق لحمه.

١٠- مُخَبَّل.

١١- يتثاقل.

حيث جايه من الغزا ! فضحكوا الجماعه باطناً، وعرفو[ا] انه اكل له رصه[١٢]، وقامو[ا] ركبو[ا] وطلعو[ا] الى عنده، وصاروا يروقه بخاطره[١٣]، الى ان تضاحة الدنيا، انتصب الالاى[١٤]، وقام ركب بيبرص، ودخل للشام، بنهار يعد من الاعمار، والفداويه دايره حواليه، الى ان وصل لسراي[ـتـ]ـه، حول ودخل، ودخلت معه الرجال والاعيان والوزير، وقعدو[ا] شربو[ا] القهوه والمشروب، وبعد حصه، قام الوزير والاعيان، راحوا الى مصالحهم، ولكن الوزير كان بيشتهى العما لحاله، ولا يشوف بيبرص بذلك النهار، واحتار اشلون بده يعمل على اذاه، فلما وصل للسرايه، احضر مقدم الدرك، وقال له : روح شفلى كام واحد نشترى[١٥]، وكم واحد من الحراميه، واعطيهم [امر] ما ينا[موا] الليله، انهم ينزلوا على بيوت الناس، يبوظوا[١٦] لهم كام بنت، ويسرقو[ا] لهم كم سرقه، ويقتلوا لهم كم واحد، من ابناء العرض، بامرى ،وبكره لما تجى الدعاوى لعندى، ببعث وراك، واقول لك قدام الاعيان : ما هذا العمل الذى واقع بالشام ؟ فقوللى : افندم، انا شو طالع بيدى، ما احكى فرد كلمه، حتى ينقطع راسى ! فاقول لك : ليش ؟ قوللى : جماعه بيبرص، انبارح من العصر، تفرقو[ا] بالحارات، وانا لا اقدر ان اعترضهم، هنالك بصر[لـ]ى كلام على ذلك البشت، وبعرف اشلون بقيم عليه دعوى. فقال له الوالى : فهمت. وراح قوام[١٧]، ربط مع ثلاثين واحد من الحراميه، ومقطعين الرديه، واعطاهم امر ان يفعلو[ا] كما ابدينا، فحالاً راحو[ا] وضبو[ا] حالهم، وفرحو[ا] بذلك، هذا كان.

واما الفداويه، يا اخوان، فانهم، بعد ما رحو[ا] الأعيان، قالو[ا] الى بيبرص : يا دولتلى، ه[ـيـ]ـئ لنا الطعام على بكير، بدنا نروح. فقال لهم : ليش ما تقعدو[ا] لكم كم يوم عندنا، لاجل الراحه ؟ فقالو[ا] له : الايام جايه، نقعد اشهر وايام !

١٢– ظنوا أن هناك من ضربه ضربا شديدا.

١٣– يهوّنون على نفسه ويهدئون أعصابه.

١٤– أي : الموكب.

١٥– لص يخطف من جيوب الناس ويقال أيضا نشال.

١٦– باظ الرجل، أي : نكح بنتا أو امرأة وأنزل ماءه في رحمها (نظر : *لسان العرب*، بيظ).

١٧– قوام، أي : فورا وبسرعة.

فاعتلم بيبرس انهم ما بدهم يقعدو[ا] من مزاقهم[١٨]، فحلا[١٩]، هيأ لهم الطعام، وبعد العصر اتمدت السماطات، وشربو[ا] القهوه، وصرخت الشاويشه : الخيل، يا اربابها، عليت على السروج ركابها ! ودقو[ا] طبلهم، وفردو[ا] بيارقهم، وودعو[ا] بيبرص، وسارو[ا]، لهم كلام . . .

[ملعوب حاكم الشام وسفر بيبرص الى مصر]

قال... فلما نظر الوالى، يا اخوان، ذلك، طلع ركد لعند الوزير شرف الدين، وقال له : الفداويه راحو[ا]، ما تم احد بالشام ! فقال له : ولك، قوم روح اكمش الحراميه، وقول له[م] : انا عمال اعمل معكم امتحان.

قال... فراح الوالى يفتش عليهم.

واما بيبرص، فانه صاروا يجو[ا] لعنده الاغوات، مثل عادتهم، وهو صار يدور بالشام، ويتصدق على الفقراء والايتام، وصارت اهل البلد، ما يقوموا دعوى الا عنده، ولا عادوا سئلو[ا] على وزير، ولا على والى، وصار الحاكم الامير بيبرص، فضاج[٢٠] الوالى من ذلك، وراح لعند الوزير، وقال له : انقطعت رزقتنا، ولا عدنا استفتحنا، اشلون العمل ؟ فقال له : طول بالك ! وصار يتفكر، اشلون بده يعمل، فخطر فى باله ان يلعب له ملعوب، على قتل بيبرص وتدميره، فبعت احضر الاعيان، وقال لهم : مرادى شاوركم مشوره. قالو[ا] له : تفضل ! فقال لهم : انا شايف هذا الامير بيبرص، موفق للخيرات، بقا هذا لازم يكون له وظيفة بالشام، لانه صار هو واهلها قطعه بلا وصله[٢١]، ومحبوب، اشلون بتقولو[ا]، يعنى نظرى، ما هو مطرحه ؟ فقالو[ا] له : والله، ما خاب نظرك ! وظنو[ا] انه راق قلبه عليه، وانصلحت الاحوال بينهم، اما يعلمو[ا] ان قلبه اسود من القطران، وقالو[ا] له : شو الوظيفه الذى تريد تعملها له ؟ فقال لهم : شوفو[ا] له وظيفة، تكون لايقه له. فصارو[ا]

١٨- أي : أنهم راغبون في الذهاب.

١٩- كذا، أي : فحالا.

٢٠- أي : انزعج وداخ.

٢١- كأنه من أبنائها.

يتشاوروا فى بعضهم ،فقال لهم الوزير : بدنا وظيفه مليحه، تكون بامر الملك.
فقالوا له : انت، مو جايه ببالك شى ؟ فقال لهم : انا، خاطرلى ان نجيب له تذدارية[٢٢] القلعه. فقالو[ا] له : والله، مليحه هذه الوظيفه، ما بتصير الى ببرائه سلطانيه ! فقال لهم : اعملو[ا] لنا مظبطه بذلك، واختموها. فقالو[ا] له : اشلون يكون كلامها،؟ فقال لهم : اكتبو[ا] حتى مليكم. فمسك الكاتب القلم، فقال له الوزير : اكتب :

افندم سلطانكم [٢٣]، نعرض الى مراحمكم العليه، انه قد ظهر عندنا فى الشام ولد نجيب، وهو شاطر وحر ويحب الكرم وشجاع، وقد نسخ من عندنا المعترين والاشقياء، وابن العرض ائتمن على روحه، من اسلام او نصارى ويهود، وصارو[ا] جميع الناس يحبوه، يخص ست الشام، ومن كتر ما وجدناه يده طايله للخير، اردناه ان يكون تذدار بالقلعه، فحررنا هذه المظبطه، وقدمناها لاعتابكم، ليكون على شريف علمكم، والامر لمن له الامر.

ثم ختموها الاعيان، واخذها الوزير ختمها ايضاً، وطواها، وقال لهم : بكره برسلها.
فقامو[ا] الاعيان، راحو[ا] بحالهم، وهم يقولو[ا] : والله، نصحها [٢٤] الوزير مع بيبرص ! وبعتوا علمو[ا] بيبرص بما جرا، فاكرم الذى بشره.

واما شرف الدين المنحوس، فانه اصطبر الى الليل، وبعث احظر [٢٥] واحد نصرانى خطيط، وكان ذلك الملعون لا يعسر عليه شيء، ويقلد الخطوط والاختام جميعها، فلما حضر لعند الوزير، طالع اعطاه المظبطه، وقال له : شوفها ! فاخذها النصرانى، وتفرج عليها، وقال له : مليحه، ما فيها شي ابداً. فضحك الوزير، وقال له : بتعرف شو بدى منك ؟ قال له : حتى تأمر. قال له الوزير : مرادى اقلب هذه المظبطه غير شكل. قال له : افندم، هذا شيء هين ! وكان اللعين شاطر بنقل المختومه ايضاً. قال له الوزير : امسك القلم واكتب :

٢٢- كلمة فارسية الأصل، دِزدار، يعني : حارس، أو مدير.

٢٣- كذا، سلطاننا.

٢٤- أي أن الوزير أصلح الأوضاع فعادت علاقته ببيبرص إلى سياقها السليم.

٢٥- أحضر.

نعرض اليكم والى اعتابكم السنيه، انه من مده سنتين ثلاثه، ست الشام اشترت مملوك جميل الصوره ومعلقن [٢٦] وحبته محبة عشق وغرام، ومن زود محبتها له، كتبت له جميع ارزاقها، وهي دائماً لافقته [٢٧] ونايمه، وعملت بيتها ميخانه [٢٨]، ومن كثر المال الذى صار بين يديه، لفو[ا] عليه الزرباوات والمعترين، على سكر وغصب ونسوان، وما اشبه ذلك، وصار ابن العرض، لا يقدر ان يطلع من بيته، فالعرض لله والسلطان، ما بقا لنا طاقه، الشام رايحه تخرب، والامر لمن له الامر.

ثم نقل الختومه بعياقته، وسلمها للوزير، فاكرمه اكرام زايد، وراح بحاله، والوزير تاني يوم، ارسل المظبطه للملك الصالح ايوب، وقد قدمنا ان الملك الصالح من اهل الكشف [٢٩]، ويقالو انه اول الولايه الكشف، والملك الصالح كان بوقته، هو سلطان الوقت [٣٠] فطلع ذات يوم على الديوان، وهو محبوك بالوزر والاعيان، التفت الى الوزير شاهين، وقال له: ليش هيك اعملت، يا وزير، بدلت المنيح بالقبيح، اما تخاف من الله، حرام عليك! لكن، يا شاهين، لا يخفا على الله خافيه [٣١]! فقال الاغا شاهين: الله يعطينا خيرها، لا بد من حادث. وكان، كلما حكا الملك معه هيك كلام مغطا وترتر، يؤرخها الوزير شاهين، لانه صار يعلم احواله، وبعدها لابد الا يظهر كلامه، فما مضت الحكايه كام يوم، الا والبراج داخل، يصيح: سبحان هادى الطير! قال الملك: وعالم الغيب، وراحم الشيب! العلامه براس [٣٢] السلامه؟ قال: افندم، من دمشق، ودار عشق، وقبه الاسلام مدينه دمشق الشام، تنقل الكتاب منازل، وصل ليد الملك، فضه وقراه، يراه من شرف الدين، حاكم الشام،

٢٦- معلقن، أي: رجل لا يعاشر إلا الفواجر والزانيات من النساء (فيُهين بيبرص وست الشام في آن).

٢٧- لافقته، أي: ضامّته وكأنها قد لصقت به.

٢٨- كلمة فارسية الأصل، أي: الحانة.

٢٩- ولي يعلم الغيب.

٣٠- سيد الأولياء في عصره.

٣١- سورة الحاقة، ١٨.

٣٢- كذا، ويحتمل أن يقرأ: برّاج السلامة. يسأل الملك عن مصدر المكتوب.

كما شرحنا من الكلام، فحطها بعبه، واما اطلع عليها على احد من الاعيان، واستقام الى ان امسا المسا، وانفض الديوان، ففزت الاعيان، وصارو[ا] ياخذوا اتكه، واحد بعد واحد، ويتوجهوا الى اماكنهم، وكان بين الوزر واحد وزير يقالو[٣٣] له الوزير نجم الدين البندقدارى، وهو متزوج اخت ست الشام، واسمها الست عيشه، فلما كان ذلك النهار، تقدم حتى ياخذ اتك الملك وينصرف، فقال له الملك : يا نجم الدين، ما بتفاقرنا الليله، على فقرنا، وبتعشا عندى ! قال له : افندم، الأمر امرك، يحصلى الشرف ! فقام الملك، اخذه من يده، ودخل فيه الى قاعه عريان، جلسو[ا] صارو[ا] يتحادثو[ا]، الى ان حضر العشا، تعشو[ا] وانبسطو[ا] وصلو[ا] وقروا اورادهم، فقال له الملك : يا وزير، هل تدرى لماذا جبتك معى الليله ؟ قال له : حتى يامرنى افندينا خادم الحرمين.

قال... فمد يده الملك، وناوله المظبطه، وقال له : خذ، اقرا هذه المظبطه. فاخذ الوزير، فضها وقراها، وفهم رموزها ومعناها، فغضب غضباً شديد، وتفنجرت عينيه، وقلبت مثل برك الدم، وما عاد وعى على الانام، هذا والملك ملاحظه، فقال له : ايه، ياوزير نجم الدين، روق خاطرك، وانبسط، بيت المستور حاشا الله يفضحه. فقط روح قطع عراقيلك، ووضب حالك بثلاثه ايام، وانزل على الشام، حقق على ذلك الامر، ومعك امر مفوض، ودستور[٣٤] مكرم، افعل ما تشاء، ولكن لاجل تحقيق المسئله، افعل ما هو كذا وكذا، هنالك ببان معك الصحيح. قال له : امرك افندم. وفز اخذ اتكه، وتوجه على سرايته، وهو ما هو شايف الطرق بعيونه، لانه المسئاله مسئله عرض – الله لا يسوء احد بعرضه، ولا بماله، ولا بدينه – ولما وصل الى سرايته، دخل فلاقت له زوجته، فلقته غضبان، قالت له : خير، انشا الله، يا وزير، لا اغظك الله الى من خشيه مشوفيه ! فقال لها : خذى اقرى هذه المظبطه. فاخذتها الست عيشه قرتها، والتفت الى زوجها، وقالت له : افندم، هذه شغل اعداء لاختى، لانه لا يخفاك، كل ذو نعمة محسود، واختى، الله سبحانه وتعالى منعم عليها، وحسادها كتار، فارجو من مراحمك، ان تنزل الى الشام، وتحقق هذا

٣٣– كذا.

٣٤– من الفارسية : إذن أو قانون.

الامر، فان لقيته صحيح اقتلها، وتعال لحقني فيها، لانني ما بريد عيشه الذل !
فقال لها : هو هيك، وحياه راس افندينا، وقد امرني افندينا ان انزل الى الشام، وافعل ذلك الامر. قالت له : والله، سريتني ! وكشفت عن صدرها، ورفعت بطرفها الى السماء، وقالت : اسئل الله المسئول، بحرمة كل نبى ورسول، انه كل من رمانا بهذه الشبهه، واراد فضيحه اختى، ما بروح الى قتل (وهذه حرمه، فان الله يستجاب[٣٥] دعاها، والوزير عيسى الناصر ما بروح الى قتل[ )].
والوزير نجم الدين صار يوضب حاله الى السفر، مده ثلاثه ايام، ويوم الرابع طلع على الديوان، اخذ اتك الملك، قال له : الله يعطيك العافيه، خلصت شغلك ؟ قال له : نعم افندم. فقال له : روح، الله يهون عليك وعلى المسلمين كل امر عسير ! فنزل من الديوان، وركب واخذ اتباعه، ورحل طالب الشام، وصار يطوى البرارى والقفار، والسهول والاوعار، الى ان قارب الشام، فارسل خبر الى الوزير عيسى الناصر، انني جايه الى الشام، بأمر الملك، بهمه[٣٦] سريه، لا احد يطلع الى ملاقاتي ابداً، فشاع الخبر بالديوان، وتناقلت الالسن، وصار بذكروه فيه، فكان الامير بيبرص داير بالشام، سمع من افواه الناس، انه جايه وزير من مصر، اسمه نجم الدين البندقدارى، وارسل خبر انه لا احد يطلع يلاقيه، فتعجب بيبرص من ذلك الامر، وسار الى سرايته، احكا الى امه ما سمع، فانقهرة الست، وقالت له : والله، كدرتني[٣٧].
فقال لها : ليش تكدرتي، شبدنا فيه، يصطفل ! قالت له : يا ولدى، انت مانك عارف هذا الوزير من يكون. فقال لها : من ؟ قالت له : هذا صهرى، زوج اختى الست عائشه، وهو دائما يسئل عنى، لا يكون احد متبارد على، ودائما يفتش على املاكى، وهو الذى سعا الى خالك احمد باشا بولايه الحاج، بقا كيف ما بدى انقهر ؟ فقال لها : يا امى، لربما حضرة الوزير له ارب بذلك، والذى هو بيعرفه، نحن لا نعرفه، ولكن انا عندى الر[أ]ى انني اخذ له حملين معقدات ومبردات،

٣٥- كذا، يستجيب. أي : يحقق لها ما تدعوه. وهي إشارة إلى سورة البقرة، ١٨٦، وغيرها.
٣٦- كذا، أي : بمهمة.
٣٧- أزعجتني.

واطلع لاقى له سراً لارض الصنمين، وهناك قدم له اياهم، حتى يعلم اننا متوضبين لملاقاته، حينما يامر. قالت له : والله، شور ظريف ! وهم بذلك المناسبه، وداخل احمد باشا، سلم على اخته وابن اخته، وقال لها : يا اختى، بلغنى خبر انه جايه صهرى الوزير نجم الدين على الشام، وبعث خبر انه لا احد يلاقى له. فقالت له : بلغنى، والله، يا اخى، وانا متكدره كثير، ولكن ابن اختك اشار ان يفعل ما هو كذا وكذا. قال لها : نعم الشور ! واعتمدوا على ذلك، فحالاً بيبرص وضب حملين مبردات ومعقدات، واخذ معه عشرين واحد من زرباوات الشام والاغوات، وتوجه تانى يوم طالب ارض الصنمين، ولم يزال سائر الى ان وصل، نظر الوزير سابقه، فحول بيبرص، وقف بتم الخيام[٣٨]، وقال الى الاتباع : روحو[ا] قولو[ا] الى جناب الوزير انه بيبرص، ابن ست الشام، جايه الى تقبيل اياديك، فيه اذن يدخل؟ فراحو[ا] الاتباع لعند الوزير، وقالو[ا] له : افندم، واقف بك بتم الخيام، عمال يقول انه ابن ست الشام، جايه الى تقبيل اياديك، فيه اذن يدخل ؟ فلما سمع الوزير ذلك الكلام، تعجب، وقال : المظبطه يقول عنه مملوك، والمملوك ما بصير بك، والبيك لا يكون الا من ابناء الوزر، فبقا مراده يشوفه، فقال للاتباع : خلوه يدخل ! فاراحو[ا] اذنو[ا] له بالدخول، فدخل بيبرص، اخذ اتك الوزير، وسلم عليه بادب واحتشام، وتكتف ووقف، فامر له الوزير بالجلوس، فجلس بكل ادب، فامر له بالقهوه، ابا ان يشرب، فقال له : يا ولدى، ما بلغك انني باعث خبر، لا احد يطلع يلاقيلى ؟ قال له : نعم افندم، بلغنا ذلك، وقد تكدرنا، انا ووالتي[٣٩] كثير، فاشرت على والدتى اننى بطلع الى تقبيل اياد الوزير سراً، حتى يعلم اننا مستحضرين الا ملاقاته، فقال له الوزير : جنابك، ابن ست الشام ؟ قال له بيبرص : ان كان في الدنيا خير، هى والدتى، وانا ابنها. فقال له الوزير : اظن جنابك من بلاد العجم. قال له : نعم افندم. فقال له : من اى بلد ؟ قال له : من الخرزم والدربنات. فقال له الوزير : انت بالخرزم اصيل، والاّ وكيل ؟ قال له : افندم، اصيل ومن اصحاب الاصاله. فقال له الوزير : وشي حكايتك، حتى وصلت لهاذه البلاد؟

٣٨– وقف أمام مداخل الخيام.

٣٩– كذا، وهي : ووالدتي.

فاحكا له بيبرص حكايـ[ـتـ]ـه، من المبدا الى المنتها، كما شرحناها سابق، فقال له الوزير : ما شاء الله ! وصار يسئل مسائل من العلم والنحو والسياسه والهنتسه، لقاه مثل صحن الصينى، من اين رنيته برن، ويعطيك صدا، وهو من كل فن خبر، فلقاه الوزير دره يتيمه، ثم قال له : يا ولدى، قوم انزل على الشام، واقعد بسرايتك، واعمل حالك لا شفتنى ولا شفتك، ولا تحضر لعندى على المرجه الا حتى ابعث لك خبر، لانني جايه بمهمه سريه، من طرف الملك، حتى ما نتهيت بجى لعندكم.

قال له : امرك افندم، وقام قدم له الاحمال، واخذ اتكه، وودعه وسار لبرات الخيام، اخذ جماعته ونزل على الشام، احكا الى امه عنما جرى بينو وبين الوزير، واقاموا يستنظروا ما يجرا منه. وتانى يوم من وصول بيبرص، وصل الوزير، ونزل بالمرجه، واستقام الى ان اتا يوم الجمعه ،ارسل طلب الاعيان لعنده، فقامو[ا] حضروا، اخذوا اتكه وسلمو[ا] عليه، وهنوه بالسلامه، بالجمله الوزير عيسى الناصر، وجلسو[ا] عنده، الى ميعاد الصلاه، انتصب الألأى، وقامو[ا] ركبو[ا] ونزلو[ا] على الاموى، ولما وصلوا، حولوا ودخلوا، اسبقوا الوضوء، وصلو[ا] السنه، وقعدوا الى ان اتمو[ا] المبلغين الصلوات، واراد الخطيب ان يصعد على المنبر، صرخ له الوزير نجم الدين ووشوشه، وقال له : حين انتهاء الخطبه، احكى ما هو كذا وكذا.

قال له : امرك افندم.

فطلع الخطيب على المنبر، خطب ووعظ، ولم انتها صرخ : يا اهل الشام، ان الملك الصالح ايوب يهديكم السلام، ويقول لكم انه بلغوا خبر، ظاهر عندكم ولد يقالو[ا] له بيبرص، ابن ست الشام فارسل لكم الوزير نجم الدين البندقدارى، بالنيابه عنه، يحقق على احوال هذا الغلام بيبرص، فكيف بتشهدو[ا] فيه ؟ ففزو[ا] الجميع وصرخو[ا] من فرد تم : الله يطول عمر افندينا الملك، ويزيد بعمر الامير بيبرص لانه، والله، نافع اهالى الشام كلها، اغنياء وفقراء، فالفقراء عمال ياخذو[ا] منه الاكرام، والاغنياء توفر عليهم مالهم، وانقطعت عنهم البلصات باسبابه، فاذا كان افندينا بريد نفعنا، يجعل الامير بيبرص وظيفته فى بلدنا ! فلما سمع الوزير عيسى الناصر ذلك الامر، فهم ان هذا السؤال لاجل المظبطه الذى ارسلها، فتغير

لونه، وعلى ما قيل انتقط وضوئه[٤٠]، ثم ان الخطيب ختم الخطبه ونزل، فقاموا الصلاه وصلوا، ولما خلصوا توجهوا على الديوان، دخل جلس في صدر مكان، واصطفت حواليه الاعيان، ولما استقر بهم الجلوس، ارسل الوزير نجم الدين طلب مختار حاره النصارا، فحضر الى بين يديه، اخذ اتكه ووقف، فقال له : يا رجل، انت ذمى، اخدعك[٤١] بعيسى الحي، وامه مريم الطاهره، شو بـ[ـتـ]ـشهد بالامير بيبرص؟ قال له : افندم، انا بشهد فيه، عن لسان اهل حارتى، انه ولد اديب نجيب لطيف، محسن الى الفقراء، يفتش على الرعايا، ينتج[٤٢] المظلومين. فقال له الوزير: طيب، روح لشغلك. وبعده طلب مختار حاره اليهود، فقام حضر لعنده، اخذ اتكه، ووقف، فقال له الوزير : يا رجل، اخدعك بموسى والعشر كلمات، انك لا تخبى عنى شى، وتحكيلى كيف ممشا الامير بيبرص فى بلدكم ؟ قال له : ويها، يا سيدى، الله يطول عمرك وعمره، ودينى نحنا ما رتحنا الا على زمانه، وكنا بالاول الواحد منا يكون نايم فى بيته، ما يفيق الا ويلاقى اربعه خمسه اشقياء فوق راسه،ينهبوا ماله، وان كانت حرمته ظريفه، يقضو[ا] وطرهم[٤٣] منها، قدام عينه، وان تلفظ باقل كلم يقتلوه، وحين ظهر هذا الغلام، قطع جنس الاشقياء والمعترين من الشام، واكبر الاشقياء تابو[ا] عن يده واطاعوه، ومن وقتها انحفظت اموالنا واعراضنا، وهذا ما عندى. قال الوزير : طيب، روح لشغلك. وبعد ما راح، التفت الى الاعيان، وقال لهم : ايه، يا اعيان، عجب، من منكم الصادق ؟ هل انتم، ولا عموم اهل الشام ؟ قالو[ا] له : افندم، اذا كانو[ا] اهل الشام يشهدوا فى بيبرص طاق[٤٤]، نحن نشهد فيه اربعه وعشرين ! ومع ذلك، شهادتنا الذى اشهـ[ـد]ناها فى المظبطة الذي ارسلناها، نطلب فيها اذن دزداريه القلعه، كافيه ويؤيد قولنا ! فضحك الوزير من قلب الغيظ، ومد يده وناولهم المظبطه، وقال لهم : هذه

٤٠- كذا، انتقض. خرج منه ريح أو بول أو غائط (انظر مثلا سورة النساء، ٤٣).

٤١- أخدعك بـ[ـالله، الرسول، العذراء...]، أي : أُناشدك، أرجو منك. ولا يستعمل هذا التركيب إلا عندما يكون المطلوب متعلقا بالتمييز ما بين الصدق والكذب.

٤٢- يساعد المظلومين.

٤٣- أي : جامَعوها (سورة الأحزاب، ٣٧).

٤٤- مرة.

مظبط[تـ]ـكم، خذو[ا] شوفو[ا] شهادتكم ! فاخذ المفتى قراها، وقال عليه الطلاق بالثلاثه، ما عنده خبرها ! فاخذها القاضى قراها، وقال : نحن نشهد هيك، ليش ما لنا دين ؟ فاخذها النقيب، وقال : باطل، نحن هيك نشهد بحق الامير بيبرص، ما هذا التزوير ! وصار كل من يحلف من جنب، انه ما عندهم خبر هذه المظبطه، فقال لهم : يا ويلكم من الله ! اما هذه الاختام اختامكم ؟ فقال له القاضى : خير افندم، هذه تقليد اختامنا، خذ شوف وقابل. فاخذ الوزير الاختام، وقابلهم، ما طابق ولا ختم غير ختم الوزير عيسى الناصر، فقال له الوزير نجم الدين : ما هذا الافتراء، يا وزير شرف الدين، ما عجبك الامير بيبرص يكون موجود فى بلدك، وقد ساولك البلد قدح لبن على الامان والاطمئنان ؟ لكن هذا شيء مشهور، ما بوافق [تـ]ـكون سائد فى الشام، حتى تاكل الرشوه المرتكبين، وتشارك الحرافيه[٤٥] بسرقتهم ! فقال له المفتى : هذه شفقتك الذى شفقتها عليه، يا فساد الدين، رايح توجه قتل واترحنا [٤٦] بين رجليه، لكن هذا شيىء مشهور، العين ما بتحب اعلا منها، ولله در الشاعر حيث قال :

للـه در الحسـد مـا اعـدلـه بـداء بصاحبـه فقتـلـه

فقال له الوزير نجم الدين : يا وزير عيسى، اذا كان هذا افعالك مع ولد محسن، وهو مستند الى اكبر ركن فى الشام، فكيف لكان افعالك مع الفقراء ؟ يا خاين، يا ظالم، يلي ما بتخاف من الله، وضب حالك لشوف شو جوابك للملك ! ووبخه وفز انتتر[٤٧]، وسار على سرايت ست الشام، فطلت الست وابنها بيبرص، لاقو[ا] له وسلمو[ا] عليه، فدخل جلس وصار يتسامر، هو واياهم، الى المسا. حضر احمد باشا، دخل سلم على صهره وهناه بالسلامه، وبعدها حضر العشا، تعشو[ا] وانبسطو[ا]، وصلوا المغرب والعشاء، وجلسو[ا] للمحادثه والكلام. وصار الوزير نجم الدين يناغش بيبرص، وما كان يشبع من مناغشته، واقام بسرايه ست الشام ثلاثه ايام، وهو على عز واكرام، ويوم الرابع بعت طلب الوزير عيسى الناصر،

٤٥– كذا، اي : الحرامية

٤٦– أي : تُرِحّنا بين رجليه فيدوسنا، وهي كناية عن القتل (انظر *لسان العرب*، رحح).

٤٧– قام مسرعاً وغضباً.

وجميع الاعيان، فقاموا[ا] حضر ٤٨ سلموا[ا] وقعدوا[ا]، فامر لهم بالمشروب، شربوا[ا] وانبسطوا، وبعدها قال لهم الوزير نجم الدين : ايه، يا اعيان، افندينا الملك ارسلني ان احقق على هذه الدعوى، فالان بريد منكم ان تكتبوا مظبطه بصورة الدعوى، وتختموها، حتى اخذها للملك، كي تظهر برائه [بنت] عمي ست الشام لديه. قالوا[ا] له : حاضر ! وحالا عملوا[ا] مظبطه، بالاطراء والمدح الزايد بحق الامير بيبرص، وختموها واعطوها للوزير نجم الدين، فاعتلم عيسى الناصر انه ان وصلت هذه المظبطه للملك، بصير بيبرص وزير الشام مطرحه، فقام وانطب على رجليه[49]، وصار يترجاه، وكذالك ترجا بيبرص، وهو بين يديهم ذليل حقير، فتوجع له الامير بيبرص، وقام اخذ اتك الوزير نجم الدين، وقال له : افندم، من بعد امرك، هذه المظبطه بلى روحتها لمصر، وحيات راسك، عفا الله عنما مضى. فالتفت نجم الدين الى عيسى الناصر، وقال له : منشان خاطر ولدى بيبرص، ما عدت اخذ المظبطه، ولكن يلزم ان توضب حالك بثلاثه ايام، بدك تروح على مصر معى، حيث افندينا هكذا امرني، الذى يطلع عليه الحق جيبه معى، حتى يجازيه على فعاله. فلتحش[50] عيسى الناصر على يديه ورجليه، وصار يترجاه، فقال له نجم الدين : وحيات راس افندينا ! فلم يعفى عنك اذ لم يعفى بيبرص ! فقام بيبرص اخذ اتكه، وقال له : افندم، بترجاك ان تعفى عن الوزير عيسى الناصر، ودعه يتم بوظيفته، وقل كلٌ يعمل على شاكلته. قال له الوزير نجم الدين : من شان خاطرك، عفيت عنه.

فقال المفتي : الله الله ! انظر، يا وزير، الى اصل هذا الغلام، فقد بدل اسائتك اليه باحسانه اليك، وهذا فعل اصحاب الاصل، ورحم الله الامام الشافعي – قدس الله سره العزيز – حيث قال : عاشر شريف النسب، وابحث على اصله، واترك وضيع الحسب، وابقيه مع شكله. اسمع مثل ما قيل، لا بعده ولا قبله ! اذا غاب عنك اصله، دليل فعله. وهذا الامير بيبرص، فعله دل على اصله ! فقال الوزير نجم

٤٨– كذا، حضروا.

٤٩– ارتمى على الأرض وتمسك برجليه يقبلهما بتذلل.

٥٠– ارتمى.

الدين: يا وزير عيسى الناصر، هذا رحت بشفاعة بيبرص، وصرت عتيق فضله، وانت كلما لك احمل عليه غبن، لانه هكذا افعال الذى مثلك، يا لله ! قوم روح الى ديوانك ! فقام الوزير عيسى اخذ اتكه، وطلع من عنده، وقلبه اسود من العطاب على بيبرص، وكذلك الاعيان تفرقت الى اشغالها، والوزير نجم الدين اقام للمسا، تعشا وصلاً المغرب والعشا، وقعد يسهر، هو والست وابنها بيبرص، وفي بحر الكلام التفت للست، وقال لها : ما شاء الله ! ولدك بيبرص حاوى جميع الاوصاف الحسنه، وهو شهم فريد عصره، بقا ما تسمعي مني، ترسلي معي الى مصر، وهو على هذه المعارف الذى معه، ما بيمضا عليه سنة زمان، حتى ينال اعلى الرتب ! احسن ما هو ضايع في الشام، ولا معروف له قدر. فقالت له : افندم،هذا هو قاعد قدامك، فان اراد ان يروح، لا امنعه ! وان اراد يتم هون، كذلك ما بغصبه بالرواح ! وكانت الست ما لها خاطر، لانها حبته محبه زايده وتولعت فيه، وما بقا لها صبر على فراقه، فسكت الوزير وما عاد ابدا خطاب، ولما انتهت السهره، كل من ذهب الى منامته. والست تصطحت بفراشها، ولما غفلت، نظرت الملك الصالح ايوب قدامها، وقال لها : يا ست فاطمه ! انا ما قلت لكي انه هذا الغلام ضيف قاعد عندك ؟ بقا ليش حتى تمنعيه عن السفر الى مصر ؟ الم تعلمي انه له وظايف ورتب بمصر، عمال تستنظر ؟ فاسمعي كلامى، وارسليه مع الوزير نجم الدين، وان ما ارسلتيه، لا تلومى الا نفسك ! فقامت الست من منامها وهي مرعوشه، ونوت ان ترسل بيبرص الى مصر، وما عادة اجاها نوم الى الصباح، قامت لاجل الوضوء، لقت بيبرص الاخر نازل بتوضا، قالت له : كيف اللك خاطر، يا ولدى ؟ بتر[و]ح مع الوزير على مصر ؟ قال لها : والله، يا امى، انا تحت امرك، ان ارسلتني بروح، وان منعتيني بقعد ! فاعتلمت انه خاطر بالرواح، فقالت : يا ولدى، انا عندى الرأى، اذا رحت على مصر مع عمك الوزير احسن، لانه عيسى الناصر حامل حقد عليك، وبتخلص من كيده. قال لها : امرك ! ثم توضوا، صلوا الصبح ودخلو[ا] لعند الوزير، صبحو[ا] عليه، وجلسوا شربو[ا] القهوه، وبعدها [قال الوزير] : اشلون بتقولي، يا ست ؟ اخذ ابنك معي على مصر ؟ قالت له :

افندم، انا سئلته، قاللى له خاطر ان يروح، فقال لها[٥١] : ولا باس ! وضب حالك، يا ولدى بثلاث ايام حتى نمشي ! فصار بيبرص يوضب حاله، وطالع لحاله دائره[٥٢]، واخذ معه صيوان سرجويل المصرى[٥٣] ، واموال مبالغه، وكذلك الست وضبت هدايا وتحف بليغه، الى اختها الست عيشه، وسلمتهم الى الوزير، ولما كان يوم السفر، لبس بيبرص اواعي السفر، ودخل لعند امه، ودعها وهي ودعتو، وهو يبكى وهي تبكى، ثم مسكته من يدوه، حطتها بيد الوزير، وقالت له : هذا سلامك، على حد قول الشاعر :

ما بعتكم مهجتي الا لوصلكم   ولا اسلمها الا يداً بيد

فقال لها : لا يكون لكى فكره، هذا عندى مثل اولادى، وبحافظ عليه بعيونى ! فراحت الست، جابت مجمع، وسلمته للوزير، وقالت له : هذا هديه مني الى اختى، وامانه انه ما بينفتح الا بيد اختى ! قال لها : مثل ما بتريدى ! ولكن تعجب، وقال في باله : شو بده يكون هذا المجمع، الذى ما رضيت نفتحه الا بيد اختها ؟ وقد امنتني على كل هذه الهدايا، وهذا، ما امتنى عليه ! رد قال بعقله : النسوان لهم اطوار غريبه ! واخذه حطه عنده بالتخت، وركب هو وبيبرص، وطلعت الاعيان والوزير عيسى الناصر، وزرباوات الشام، لوداع الامير بيبرص والوزير نجم الدين، وودعهم الى العسالي ورجعو[ا]. والوزير صار يطوى البرارى والقفار، وهو يحافظ على المجمع محافظه بليغه، ولما ينام يحطه تحت راسه، وكل ليله يسهر، هو وبيبرص للساعه ثلاثه، وبعدها كل من يذهب الى صيوانه. ولم يزالوا على ذلك الحال، الى ان وصلوا لارض بني عامر، وغابه على ابن عليم ،فحطوا هناك فتعشو[ا] وانبسطوا، وسهرو[ا] للساعه ثلاثه، وبعدها قام بيبرص حتى يروح الى منامته، فسمع حس دق ودربكه وزمر باطراف الخيام، فسار ناح الخيام يراهم السياس مجموعين على بعضهم، وعمال يدقو[ا] ويغنو[ا]، فدخل لعندهم ففزوا له

٥١- وفي المخطوطة : فقال لها فقال لها.
٥٢- كذا.
٥٣- كذا، المهري.

واسبين[٥٤] على الاقدام، فدخل جلس وجلس الجماعه قدامه بكل ادب، فقال لهم: لا، بابا، لا ! انا جيت لعندكم حتى نتسلا، ما هو تقعدو[ا] ساكتين، واقطع عنكم حظكم ! فامتثلوا امره، وصارو[ا] يدقوا ويغنوا، وعملوا دبكه وما اشبه ذلك، واقامو[ا] على ذلك الحال بمقدار ساعتين زمان، بعدها قام بيبرص، فرق عليهم بخاشيش، وطلع من الخيمه، وسار قاصد صيوان، وهو بالطريق تزاول[٥٥] بشخص من بعيد، فحقق النظر يراهم اثنين، فقال : الله بلا ورسن، حراميه جاين على الخيام ! وحط يده على اللت، وسار ناحهم الى ان وصل لعندهم، وصرخ : ولاً، شو عمال تعملو[ا] هون ! ما احد رد عليه، فطلّع لقا غلام، كانه البدر التمام، وهو مكتف، ووجد التانى رجل فداوى، عمال يحفر جوره، وصرخ : ولاً ! شوا بتعملو[ا] هون ! فرفع راسه الذى عمال يحفر، وصرخ : اهلاً وسهلاً، بالدولتلى بيبرص ! ولحش المحفار من يده، وركد اخذ اتكه، وقال له : لك المعذره، يا دولتلى، والله، كان مرادى اطلع لاقى لك واعزمك الى عندى، ولكن ما صار لى من هل دنك الشنب[٥٦]، الذى واقف قدامك ! فقال له بيبرص : ما صار الا الخير ! ولكن انت شو عمال تعمل هون ؟ قال له : عمال احفر لحد. فقال له : لمن اللحد، يا اخي؟ مانى شايف معك ميت ! قال له : والله، يا دولتلى، لهل دنك الشنب، فطلع بيبرص، يرا غلام مثل الاسد، له وجه مثل الزهر، والشجاعه لايحه بين عينه، تشهد له ولا تشهد عليه، وغمزه ذلك الغلام ان يترجا فيه، فقال الى حسن : يا اخى ! شو ذنبه حتى بدك تدفنهو بالحيا ؟ قال له : والله، يا دولتلى، عامل ذنب ما بتحمله الجبال ! فقال له : مثل ايش يعنى ؟ قال له : والله، يا دولتلى، بخاف اننى احكيلك، تقوم تسحب سيفك تقطع راسه، وحوينة[٥٧] السيف بتتنجس بدمه ! فقال بيبرص في باله : عجب ! شو عامل ؟ وقال له : يا اخي، شغلت افكاري، احكيلى ذنبه، وأنا بطول بالى ! قال له : والله، يا دولتلى، بخاف احكيلك، تقوم

٥٤- كذا، واثبين.

٥٥- تزاول بشخص معناها في هذه الجملة : رأى خيال شخص يتحرك من بعيد.

٥٦- هكذا يلقب ابنه.

٥٧- حرام أن يقطع هذا السيف الشريف رأس النجس.

تضربه باللت تنجسه، وحوينة يدك ترتفع على كلب مثل هذا ! فقال بيبرص في باله : تخمين، رايح على المعلم، يا اما مبوّظ له بنت ! وطلع بالغلام، رد غمزه انك ترجا فيه، فلتفت الى حسن، وقال له : يا اخى، لا يمكن ادعك تدفنه، اذ لم تحكيلى شو ذنبه !

قال له : والله، يا دولتلى، عمال لوك الكلمه بتمى، ما عمال تطلع معى، ومالى عارف كيف بدى احكيلك، خايف تنقهر ! فقال له : اذا ما حكيتلى، تقهرنى بالاكثر ! وقال حسن : لا حول ولا قوه الى بالله ! رايح بحكيلك، يا دولتلى، مخافة على قهرك ! قال له : هات لشوف ! قال له : اعلم، يا دولتلى، انني، ان الله سبحانه وتعالى، منعم علي من فضله، وعندى من خير الله وخيرك اثنى عشر الف ماشيه، مرتب لهم اثنى عشر راعى، وانا متزوج بنت سلطان الجبل المقدم جمر، واسمها عيشه الشمطا، واجانى منها هذا الوليد، الذى شايفه، واسمه ابراهيم. فكان كل يوم مساء النهار، يطلع يوقف على باب القلعه، يستنا الرعيان حتى يجوا، فيندار [58] يعد المواشى، يلاقيهم لا زايدين، ولا ناقصين. فيسب الرعيان، ويعيط ويشتمهم، ويقول لهم : ما شفتكم يوم جبتوهم زايدين شيء ! فيقولو[ا] له : يا ولدنا، نحنا رعيان، ماننا فرسان، حتى نغير على احياء العرب، ونجيب لك اياهم زايدين ! فمره يجوه [59] اشتكولى، فصرخت له، وقلتله : يا ولدى، ليش عمال تقارش الرعيان ؟ بعودوا بيحردوا، من اين بدنا نعود نجيب لنا رعيان يرعوا المواشى ؟ فقال لى : والله، يا ابى، هل الرعيان حرقو[ا] دمى، ما شفتهم يوم جابوا المواشى زايدين واحد ولا اثنين ! فقلت له : يا ولدى، هدول رعيان، ماهم فرسان، حتى يجبوا لك المواشى زايدين، لا عدت تقارشهم، بعود[و]ا بيهربوا وبروحو[ا]! فقام حلف يمين، انه ما بقا يرعاهم الا وحده، وقام طرد الرعيان، قلت له : يا ولدى، انت وحدك ما بتحسن ترعا اثنى عشر الف ماشيه ! قاللى : ما ع[لـ]ـيك ! انت استريح ! واخذ مزود، وحمل عصايه على كتفه، وساق المواشى قدامه وسار. ونحنا، قعدنا طول ذلك النهار ننتظره الى المساء، ما اجا. اغلق الليل، ما اجا !

٥٨– يبدأ بعدّها.

٥٩– فمره يجوه، أي : فجاؤوا مرة.

فخفت، يا دولتلى من امه، لا تقوم تتلبسنى[٦٠]، وتقولى : وين رحت بوليدى ؟ فامرت عشرين فارس، ان تركب الخيل وتطلع تفتش عليه، فقامت الرجال وضبت حالها، ولجمه الخيل، وبدهم يركبوا، وطالعه اللبوه عيشه الشمطه ! شافت الخيل محضره، والرجال بدها تركب، فقالتلى : يا حسن، وين رايحه هل الخيل بدغمان[٦١] الليالى ؟ قلت لها : منشان وليدك ! فقالتلى : شو بو وليدى ؟ فحكيت لها انه طرد الرعيان، وراح يرعا البوش[٦٢] وحده، ولهلق ما بين. فقالتلى : وانت ليش خايف عليه ؟ والله، وحيات راس جدى الانزع الكرار، فلم تسئل عنه، ولو غاب شهر، وان رجع ما هو جايب المواشى زايدين، لاقطع قرعة[٦٣] بيدى ! بالله، خلى الرجال ترجع الى امكانها، ومعلومك، يا دولتلى، امه بنت سلطان الجبل، لا يمكن احد يرد بكلامها. فرجعت الخيل الى طوايلها[٦٤]، وقعدو[ا] الرجال فى اماكنهم، واللبوه قالتلى : ولاه، يا حسن، انت مرادك تخلى العار يركبنا، واتذلنا بين الطوايف؟ وانا لما كنت بنت باكر، اتسلح واركب، واطلع من القلعه، غيب (١٥) يوم مع لياليها وارجع، فلما اصل للقلعه، يطلع بيّ بقابلنى، ويقلى : وين كنتى، يا لبوه ؟ قول له : كنت بالصيد والقنص. ويقولى : وين صيدك ؟ فمد يدى لعينت الخرج، وطلع له اربعه خمس روس من طياحين[٦٥] الجبل العصاوه، فيقولى : عفيه عليكى، والله، لولا تجيبلى هؤلاء الروس، لكنت قط قرعتك ! وياخذ الروس ويدخل الى المضافه ،فتكون جامعه من الاجاويد، ويقوم يلحش الروس قدامهم، ويقول لهم : خذوا، هذا صيد بنت سلطانكم اللبوه عيشه الشمطا ! فيصرخوا من فرد تم : الدوه على عزمها ! وياخذوا الروس ويروحو[ا] فيهم على القلاع، ويحطوهم على الابراج، ويصيروا يتفاخروا فيهم، ويقولوا : هذا صيد بنت سلطاننا ! والذى عنده وليد جبان، يقول له : ولاه ! شوف صيد اللبوه عيشه الشمطا، وهى بنت !

٦٠- تُمسك بي.

٦١- الدُغمان بالضم، أي : الأسود. ودغمان الليالي هي الليالي الظلماء.

٦٢- الغنم.

٦٣- كذا، أي : قرعته، أي : رأسه.

٦٤- الإصطبل.

٦٥- قطاعو الطرق والأشقياء الأرذال.

فينتخى[66] الوليد، ويتعلق على ركوب الخيل. بقا انت بدك تذلنا، يا حسن ؟ وتخاف على وليدك، ويكون هو ابن عيشه الشمطا ؟
فسكّت انا، يا دولتلى، وما عدت ايديت جواب، واللبوه صرخت الى البوابين، وقالت لهم : بس يجي وليدى، تعلو[ا] اعطونى خبر ! ومضا سبعة ايام، ويوم الثامن اقبل ابراهيم، فراحوا البوابين اخبر[وا] اللبوه بقدومه، فقامت حطت كرسى على باب القلعه، واصطبرت حتى وردت المواشى، وصارت تعدهم، لقتهم زايدين مائة وخمسين راس، ولما وصل ابنها، قالت له : ولاه دنك الشنب، هذا الذى جايبه! قال : والله، يامى، فى هذه الخطره، مطّرت علي الدنيا، ان شاء الله، خطرة الجايه جيبهم اكثر ! ومضت الماده على ذلك اللون، وما عدنا نسئل عنه مهما غاب، الى هذه الليله، كانت امه عامله عزيمه الى اللبوات، ونساء الجبل، وجايه هل دنك الشنب حط المواشى فى المربط، وسار لعند امه، وقال لها : يامى، شوفى شو جبت لك، ومَدْ يَدُهْ الى المزود وطالع منه رأس سبع، ولحشه بين رجليها، وقال لها : هكذا اعداكى، يا اماه ! قالت له : ولك دنك الشنب، قاطع راس قطيط البر[67] وجايه تتفاخر فيه ! وقامت يدها وضربته كف مثل يوم الفراق[68]، ورفعت يدها بدها تضربه تانى كف، رفع يده حتى يرد الضرب عنه، لقت كم الثوب مشقوق، فقالت له : ولك، ليس[69] كمك مشقوق ؟ قال لها : والله، يا اماه، لما اجا الغضنفر على المواشى، وانا ما معى سلاح، صرت اتراقع [70] انا واياه بالعصايه، فشب علي استلقيته بالعصا، حكم ظفره بكم الثوب، شقه. بعدها، قعدت له بضرب بالعصا على رأسه، رميته في الارض، واخذت السكين وقطعت رأسه ! فلما سمعت امه، يا دولتلى، ذلك، الكلام قلب الضيا بعينها ظلام، وقالت له : ولك دنك الشنب، حسن ابوك والشمطا امك، وقطيط البر يشقلك كمك ! وصرخت صوت من

٦٦- يتشجع.
٦٧- قطيط البر، أي : الأسد.
٦٨- شديد الألم مثل يوم الفراق.
٦٩- كذا، ليش.
٧٠- أي : تصارعا.

صميم عقلها، وقالت : علي بحسن ! فاتاني الخبر، يا دولتلى، فطلعت اركد لعندها، لقيتها قالبه برج غضب، فقلت لها : كفانا الله شرك ! شو الخبر ؟ قالت لى : تعال احمل هذا العار ! فقلت لها : خير [٧١] انشاء الله ! قالت لى : وليدك تراقع هو وقطيط البر، وشق له كمه، وبعدها قطع رأسه وجابوا عمال يفتخر فيه، بقا تكون انت ابو، انا امه، وقطيط البر يشق له كمه ! فانا غضبت، يا دولتلى، وقلت لها : هلق شو بتريدى اعمل فيه ؟ قالت لى : حوينة السّلاح ينسحب عليه، بل خذه وادفنو بالحيا ! فصدعت لأمرها، وجيت حتى ادفنه. بقا شوف، يا دولتلى، الذنب بتحمله الجبال ؟ فقال له بيبرص : الحق بيدكم، يا اخى، لانه شيىء ببعج قرع المحشى [٧٢] ! وقال فى باله : يا اخى، يمكن من جبر امه، لقيت هذه الماده صعبه، فالاولى اعمل بما قال الشاعر :

تعـــال عــلـــي وخـــلـصنـــى   ولا تجـــى معـــى وتشربكنـــى

فقال الى حسن : يا اخى، ان هذا الفصل عظيم، وهو اكبر عار ! ولكن هذا لساه غلام، فانا الآن بترجا فيه، وخطرت الثانيه يتوعا لحاله. قال له : والله، يا دولتلى، خاطرك عندى عزيز، ما بحسن برد بكلامك، ولكن امه ما واجهها فيه حتى تقتل حالها، لانها نزقه [٧٣] ! فقال له بيبرص : انت رجينى فيه، وتركه، وهو بروح بحاله، لا بيتكنا فيكم ولا بتتكنوا فيه. قال له : امرك ! فتقدم بيبرص لعند ابراهيم، وقال له : اشلون، يا ولدى ؟ هل ترضا بما قلت ؟ قال له : اشهد علي، يا دولتلى، والله خير الشاهدين [٧٤] ! اننى فلا اتكنا بهم، ولا اقول انى ابراهيم، ابن حسن او ابن الشمطا ابداً ! هنالك اطلقه بيبرص، فقام ابراهيم اخذ اتكه، وقال له : يا دولتلى ! زرعت سوف تحصد، والشاعر يقول :

٧١– إذا خشي المخاطَب أن يأتيه من يحادثه بخبر مفجع أو مخيف قال له : « خير إن شاء الله »، لحثه على مواصلة الكلام.

٧٢– ببعج قرع المحشي، كناية عن الضيق والإزعاج. والقرع من الخضار (يسمى ايضا يقطين) وقد يطبخ محشيا، فإذا زادت كمية الحشوة عما هو مناسب انشق القرع خلال الطهي.

٧٣– سريعة الغضب والانفعال

٧٤– سورة آل عمران، ٩٨ . سورة النساء، ٣٣ .

ازرع جـميلاً ولـو بغيـر موضعـه ما خاب جـميلاً قط اينـمـا زرعـا
ان الجـمـيـل وان طـال الزمـان بـه لا يـحصد الزرع الى الذى زرعـا

وسار في البرارى والقفار، وهو يسمى حاله ضايع الاسم، يبقا له معنا كلام...
وبعد ما راح، ودع بيبرص حسن، وكل واحد سار الى مقره، وبيبرص راح على صيوانه، حط رائسه ونام. واصبحو[ا] تانى الايام، صلوا الصبح، وحمَّلوا وساروا، ولا زالو[ا] يسيروا، من مكان الى مكان، الى ان وصلوا الى ارض العريش[٧٥]، ودخلو[ا] في البضاظ[٧٦]، ما شاف بيبرص الا اقبل عليهم اثنين خياله رُومْ، وقالو[ا] لهم : من المتكلم عليكم ؟ قال لهم الوزير نجم الدين : شو عاوز ؟ قالو[ا] له : بدنا الغفاره[٧٧]. فقال لهم : اصبروا حتى نصل للظاهره، نعطيكم. قالو[ا] له : نوه[٧٨] ! ابن البب ما بريد تطلعوا من الوادى الا تكونوا دافعين الغفاره ! والتفت بيبرص الى الوزير، وقال له : شى هل غفاره، يا عمى ؟ قال له : يا ولدى، ملك العريش بياكل غفارة هذه الارض، ولا يدع احد يمرق الا ياخذ منه غفاره !
فقال له : وافندينا الملك، ما هو دريان بذلك ؟ بقا اشلون حتى ساكت لهم ؟ قال له : يا ولدى، افندينا رجل على البركه، وقوات ما عنده، وبلاد الاسلام قليله، والسواحل كله بيد الروم، ولهم نفوس وصوله ودوله، وبياخذوا غفارات البلاد بالسيف ! فقال له : طيب، روحو[ا] انتم للظاهره، وانا بروح بدفع الغفاره. قال له : ليش الثقاله، يا و[لـ]ـدى ؟ فقال له : ثقلتك راحه، افندم، انا ولا انت واحد! والتفت الى الخيَّالين، وقال لهم : من الذى بده ياخذ الغفاره ؟ قالو[ا] له : ابن البب. فقال لهم : وين قاعد ؟ قالو[ا] له : ليكه براس الوادى. فقال لهم : امشو[ا] معى لعنده. وسار هو واياهم، الى ان وصل لراس الوادى، لقا صيوان منصوب، دخل وجد ابن البب قاعد مثل الفتيق[٧٩]، وحوليه خمسمائه بطريق.

٧٥- مدينة حدودية بين مصر وفلسطين.
٧٦- الممر الضيق بين جبلين، والكلمة تركية : بغاز.
٧٧- غفارة، رسم يؤدى للمرور أو على البضائع.
٧٨- في لغة الإفرنج : لا.
٧٩- الذي أصابه الفتق (علة او نتوء عائد الى انشقاق الجلدة بين الخصية وأسفل البطن).

فقال له بيبرص : انت الذى بدك الغفاره ؟ قال له : نعم ! قوام، يا مسلم، طالع دراهم ! فقال له : قديش بدك ؟ قال له : بدى على كل راس دينار، قوام، لا تكتر حكى ! قال له بيبرص : طيب ! ومد يده لتحت باطه، عبارتاً بده يطالع دراهم، ونتر الحسام وطس ابن البب على هامه، حط راسه قدامه، ففزت عليه البطاقه، ونزلت عليهم بضربات ماحقه، اعدمهم الحيات، وصار يدمرهم ويضرب طربات[80] قاطعات، وبوردهم الى الممات، وصار ينسرالروس كل الاكر، والحوف[81] كاوراق الشجر، وصار يضرب ولا يتّنى، ويطعن ولا يولى.

واما الوزير نجم الدين، يا اخوان، مانه لما وصل للظاهره، لاحت منه التفاته ناح صيوان ابن البب، لقا القيامه قايميه[82]، والغبار عاجج، فقال : لاه ! خبصها[83] بيبرص !



٨٠- كذا، أي : ضربات.

٨١- كذا، أي : ينثر الرؤوس كالأكر (كرات) والكفوف كالأوراق ...

٨٢- كذا : كناية عن المعركة.

٨٣- لقد أدار بيبرص رحا المعركة بعنف شديد وكأنه فقد صوابه.

[٧]

قال الراوى : التفت ناح صيوان ابن البب، لقا القيامه قايمه، والغبار عاجج، فقال: لاه ! خبصها بيبرص. واراد ان يروح يعاونه، ما شافه الا طالع من تحت الغبار، كانه الاسد الهدار[١]، ووصل لعنده، فقال له : الله يعطيك العافيه، يا ولدى، على هذه الغفاره التي اعطيتهم اياها ! قال له : ما فشروا بقا يلوعوها [٢] من الآن وصاعد، ونذراً عليَّ، ان الله اعطانى مرادى، لخلي الحرمه تمشى من الشرق الى الغرب، وهى حامله الذهب، ولا احد يسترجى يحاكيها. فقال له : الله ينولك مرادك، ويكيد حسادك ! ثم رحلوا من ذلك الارض، ولازالو[ا] سائرين الى ان وصلوا لمصر، دخلوا واصل الى سرايه الوزير نجم الدين، حولوا [٣] ودخلوا للسرايه، طلع بيبرص لقا البرانى واسع بقصوره وعلالي، فقال الى الوزير : يا عمى! انا بقعد بهذا البرانى. فقال له : ليش يا ولدى ؟ السرايه سرايتك، و انا مثل ابوك، والست خالتك، ما فى احد برانى. قال له : لا، لا ! هون احسن. الانسان بيجى لعنده ضيف، او رايح او جايه، بقامر فى ذاته [٤] احسن، خذو[ا] درب وهاتو[ا] درب، وفى احد وما فى احد. قال له : مثل ما بتريد، ولكن هلق فوت سلم على خالتك، وخليها تشوفك. فقال له : امرك ! فبالحال امر الوزير الاتباع ان يفرشو[ا] البرانى لاجل الامير بيبرص. وراح الخبر للست بقدوم الوزير، ومعه ابن اختها، فطلعت لاقت له، وهى تحت اللثام، وسلمت على الوزير وعلى بيبرص، ودخلوا، جلسوا، وصارو[ا] يتحادثو[ا] الى ميعاد العشا. تعشوا وانبسطوا وشـ[ـر]بوا القهوه، وبعدها قام بيبرص، طلع الى البرانى حتى ينام. والوزير قعد يتثامر [٥] هو وجوزته، ويحكى لها على مناقب بيبرص، وما فعل بالشام وبارض العريش، وبعدها قال لها : دخلك، اختك اعطتنى هديه لكى، مجمع، وحلفتنى انه ما بينفتح الا بيدك، وانا تعجبت كثير كيف انها

١- الهدّار : الذي يزأر.
٢- يلوعها، أي : لن ينالوها وسيغتمون عليها.
٣- نزلوا.
٤- يناجي نفسه.
٥- كذا، أي : يتسامر.

امنتنى على كل هذه الاغراض والهدايا، وعلى هذا [ا]لمجمع ما رضيت ينفتح الى بيدك ؛ بقا افتحى قدامى حتى شوف شو فيه. فاخذت الست عيشه المجمع، وفتحته. ترا فيه دينار، وفردت مست[٦]، وعرق تشكيل[٧] يبسان من طولت المسافه. فضحك الوزير، وقال : لو اعرف هذا الذى فيه، ما كنت حطيته تحت راسى وقت المنام، وحافظت عليه هذه المحافظه ! بقا ما هذه الحكايه ؟ قالت له : افندم، هذه الفاظ نسوان. فقال لها : شو المعنا ؟ قالت له : افندم، معناهم : المجمع ابنها بيبرص، والدينار انه صغير، ولكن يعد كثير ؛ والمست انه ما بينداس، والعرق ينشكل فوق الراس. وخلاصة الجميع [٨] انه هذا هيك عندى وعندك، لازم يكون هكذا. فقال لها الوزير : لا، والله، بل أعز من ذلك ! ثم باتو[ا] ذلك الليله، وقامو[ا] تانى يوم، صلوا الصبح، وطلع الوزير لعند بيبرص. صبح عليه، وقعد شرب القهوه هو واياه، و صاروا يتحا[د]ثوا الى ميعاد الفطور. فطرو[ا]، وقام الوزير، طلع على الديوان، وصفى بيبرص وحده.

قعد حصه، ضاقت اخلاقه، قام حط المصحف، وقعد يقرا، قرا له حصه، وقام طبق المصحف، وفز نزل لباب السرايه. نظر باب الركبخانه[٩] جانب باب السرايه، فقال لحاله : فوت تفرج على الخيل والسياس، وتسلا لك شويه. ودخل للركبخانه، وكان رائس السياس رجل اختيار، دقنه حليق، وشواربه بيض، اسمه عقيرب. وفيه ثلاثه خصال : الاولى افيونى، والثانيه حباب اولاد، والثالثه خسيس. وكان ذلك النهار قاعد على التخت، ما شاف الا بيبرص داخل عليه، وهو مثل البدر المنير. فقال لحاله : اه، يا سيدى ! نهارنا ابيض، زبده على عيش. قال له : تفضل، يا بيه ! فدخل بيبرص، جلس على التخت، فقال له عقيرب : جنابك الذى جيت مع الوزير نجم الدين ؟ قال له : نعم ! فقال فى باله : هذا غلام غريب، قريب الى الماخذ، قوام نعمل وايا عشره. وقال له : ايوه يا بيه، ابقا كل يوم خش عندنا هنا،

٦- جراب جلدي أصفر اللون (كلمة تركية وفارسية).

٧- أي : عرق باقة يابس.

٨- في المخطوط : الجميع.

٩- إصطبل الخيل («خانة» تعني «البيت» في الفارسية).

لما نتحدث واياك، وانشوف حظنا. فلما سمع بيبرص ذلك الكلام، ولقا حنكه رخو [١٠]، فهم المعنى، فقام يده ونقره كف مثل يوم الفراق، وقال له : (ولاً [١١] بزوك [١٢])، ما هذا الكلام ؟ وانتتر [١٣] وطلع من الركبخانه، ووقف على باب السرايه حصه. ومارق واحد سايس من الذى كانو[ا] مع الوزير بالشام، اسمه رضوان. فلما شاف بيبرص، تقدم اخذ اتكه، فقال له بيبرص : هذا سايس باشى، شوا اسمه ؟ قال له : يا سيدى، هذا اسمه الاوسطه عقيرب. فقال له : ليش حنكه ورمان [١٤] ورخو، بيحكى مثل سكرانين ؟ قال له : يا بيه، هذا كان سابق يبلع افيون، واما دى الوقت تاب، فقط تمر حنكه اخذ هوا الافيون. فهز بيبرص براسه، وما رد. فدخل رضوان على الاصطبل، وصرخ : واك، يا عقيرب، تحدث ايه مع البيه ؟ قال له : سلمت عليه، وار[د]ت اعمل ويا عشره، قام ضربنى، وراح. فقال له : ما لك ؟ العما ! دا بيبرص، ابن ست الشام، ابو الزرباوات، وجميع العيق الذى بالشام تحت يده، والحكومه تحسب حسابه ! ولما جينا العريش، قتل ابن البب، وهجم على خمسمائه بطريق وحده براسه، ودا انت تعمل وياه عشره ! قال له عقيرب : دخل السيده، والنبى ! دنا خملته [١٥] واحد محبوب، تاريه وحش مغضوب. قال له : محدشى وحش الا انت، الذى تظن الناس كلها علوق ذيك، وواحد حر راجل، ان خش هنا تانى مره وكلمك، ابقا شد حنكك ! فقال له : وسر السيد[ه] [١٦] ما عدة [١٧] حـ[ـد]ثه، مالي وماله ! فقال له : ايوه، افتح عينك !

١٠- يتكلم بدلال وببطء لإغرائه.

١١- يا ولد، من التركية : اوغلان.

١٢- هنا احتمالان، على ما يظهر : أن تأتي هذه الكلمة من التركية «بزك» : تجميل، وأن تأتي من التركية : «بزق» : است. في كلتا الحالين، المعنى : مخنث.

١٣- انطلق غضبا.

١٤- حنكه منتفخ.

١٥- أي : خمّنته، ظننته.

١٦- وكرامات السيدة زينب.

١٧- كذا، أي : عدت.

واما بيبرص، يا اخوان، فانه مضًّا ذلك اليوم كيف ما كان، الى ان امسا المسا وحضر الوزير من الديوان. جلسوا، هو واياه، لميعاد العشا. تعشوا وانبسطوا، وصلو[ا] المغرب والعشاء، وسهرو[ا] للساعه اربعه، وبعدها قام الوزير دخل الى الحرم، وبيبرص نام بقصره. ولما اصبح الصباح، فز، صلا الصبح، وجلس حصة زمان. وقام طلع على الديوان. وبعد ما طلع الوزير على الديوان، قعد بيبرص وصفن شو بده يعمل على الاصطبل ؟ ما عاد له قلب يدخل لانه نفر قلبه من الاوسطه عقيرب. فما له داب الا فتح المصحف، وقعد صار يقرا بصوت حسن يرمى الطير من كبد السما، وهو فى بحر القرائه، ما يسمع الا واحد عمال يقول : آه يا سيدى، والنبى الصوت كويس، عجب الوجه مثل الصوت، ما تفرجني وجهك يا سيدى ؟

قال... فتلبك بيبرص، وقال : الله بلا ورسن ! هذا اهل مصر على هذا ا[لـ]لون ؟ وطبق المصحف، وقام وفتح الشباك، وتناوق [18]، لقا رجل اختيار لابس قاوق، وفرجيه [19] شغل مشايخ، ولكن باين عليه انه فقير الحال. ولما نظر بيبرص [قال :] اه يا سيدى ! والنبى، الوجه كما[ن] حسن ذى الصوت ! فقال له بيبرص : وقف بابا، لا تروح ! ونزل لعنده، وقال له : بابا، انت شو بتقول (كر كر كر) ؟ قال له : يا بيه، دنا حافظ قرآن ذيك، واقف عمال اسمع لك، واقول : ما شاء الله! قرائتك طيبه جداً. فقال له بيبرص : ادخل، سمعنى قرائتك ! فدخل الشيخ، وطلع الى القصر، وقعد على رُكبُه، وتعـ[و]ز من الشيطان[20]، وسما بالرحمن[21]، وقراء له عشر من القران، وختمه بالفاتحه، واهداه الى المظلل بالغمام – عليه الصلاه والسلام – فقال له بيبرص : عفرم ! بابا، انت شو اسمك ؟ قال له : اسمى الشيخ محمد طقطيق. قال له : طيب شوا مصلحتك ؟ قال له : يا بيه، دنا امام بالجامع الذى عندكم هنا بالحاره. فقال له : طيب ! ومد يده، وناوله اكرام وافى. فاخذه وقال له : ربنا ينولك مرادك، يا بيه، ويحسن ختامك ! وودعه وراح. وبعده نزل بيبرص،

١٨– أي : نظر من النافذة.

١٩– ثوب فضفاض يلبسه العلماء والشيوخ.

٢٠– كذا، سورة النمل، ٩٨.

٢١– سورة مريم، ١٨.

صرخ الى السايس رضوان وقال له : الامام الذى هنا بالجامع، شو اسمه ؟ قال له : يا بيه، دا اسمه الشيخ محمد طقطيق، وهو راجل ناس ملاح، وحافظ قران طيب. قال له : مليح ! وتركه ورجع الى القصر، اصطبر الى المسا. حضر الوزير من الديوان، تعشو[ا] سوى، وسهرو[ا] كجرى العاده، وقامو[ا]، راحوا الى منامهم. وتانى الايام، فز بيبرص بكير، توضا وراح صلى الصبح ورا الشيخ محمد طقطيق، لقاله صلاه وقرائه شيء، ما شاء الله، احلا ما يكون ! ولما خلصوا صلاه، فز، اخذه وسار فيه على السرايه. جلسوا، وطلع الوزير لقا الشيخ محمد قاعد، فسلم عليه، وجلس معهم لميعاد الفطور. فطر[و]ا سوى، وقام الوزير، طلع على الديوان. وبعدها قعد بيبرص صار يتدارس، هو والشيخ محمد، حصه، وبعده قال الا الشيخ محمد : انت بعرف مصر ؟ قال له : ايه ! والزى ما اعرفها ؟ مصر دست[٢٢] وانا فيها مغرفه[٢٣].

قال له : لكان بدى تدور معي بمصر، كل يوم ساعة زمان. قال له : حاضر ! ففز بيبرص، اخد بنش على اكتافه، ونزل هو والشيخ محمد، وطلعو[ا] صارو[ا] يدورو[ا] بشو[ار]ع مصر، الى المسا. رجعوا على السرايا، وحضر الوزير من الديوان، قعدوا، تعشوا، وانبسطوا، وسهروا لهم حصه، وقام الشيخ، راح الى بيته، والوزير دخل الى الحرم، وبيبرص بات ذلك الليله. وثانى يوم حضر الشيخ محمد، فطر معهم، واخذ بيبرص وصار يدوره بشوارع مصر.

واقامو[ا] على ذلك الحال مده سبعة ثمانيه ايام، الى يوم هم دايرين وقت الظهر، وصلوا الى شارع، لقوا فيه دكان بقسماوى[٢٤]، يعني بياع خشاف[٢٥]، وقدامها حلت[٢٦] سحلب[٢٧] مليانه، وقاعد وراها رجل اختيار، بذقن بيضه، وبيد[ه] مسبحه، وعمال يسبح الله، ويقرا قران ؛ وواقف جانبه غلام ابن عشر سنوات، وعمال

٢٢- أي : طنجرة.

٢٣- أي : أنه يعرف مصر جيداً.

٢٤- بقسماوي، ربما تأتي من بقسمات، كلمة فارسية تعني : كعك.

٢٥- أي : نقوع التمر والزبيب والمشمش.

٢٦- قدر كبير.

٢٧- سحيق عساقل بعض أنواع النبات يمزج بالحليب والسكر ويطهى ويشرب حارا.

ينادى : كويس السحلب، يا كدعان [٢٨] ! فوقف بيبرص وصار يصفن، وقال في باله : بالشام يساوا السحلب الى ضحاء النهار، وما بتم شيء منها، وهذه الحله ملانه، والوقت صار الظهر. فقال له الشيخ محمد : مالك صافن يا بيه ؟ فاحكاله الذى جرا بباله. قال له : والله يا بيه ! دالراجل الدهر مال عليه، وهو كان من النعم. فتقدم بيبرص لعند الولد، وقال له : جُبا[٢٩] على كيسى يا واد ! فصرخ الولد جُبا يا كدعان، على كيس البيه ! ربنا يعوض عليه. فتراكدت الناس، وبظرف نصف ساعه نضفو[ا] الحله[...][٣٠] بيبرص وسار بحاله، ما اعطاه شيء. فالتفت الشيخ الى الولد، وقال له : اداك ايه البيه، يا ولدى ؟ قال له : ما ادانى، ولا حاكه! فقال له : روح وراه، وقول له : يا بيه، ربنا يطول عمرك ! نحنا ناس فقراء، ما عندنا ولا حاكه. فركد الولد، وقال له : يا بيه، ربنا يطول عمرك ! نحنا جماعا فقرا، ما عندنا ولا حاجه. فقال له بيبرص : هايدى سكتر بذونك[٣١] !

قال... فرجع الغلام لعند ابوه، فقال : يا ولدى، اداك[٣٢] ايه البيه ؟ قال له : ادانى كلمه الذنك وتروح بكام ما اعرفش. فقال له : شيل المواعين، يا ولدى، ربنا يفعل ما يشاء. فزق الاواعى الولد، ودخل ؛ وكان فى الدكان طبله قاطع ومقطوع [٣٣]، وداخل الجوانى حرمه وثلاثه اولاد صغار. فدخل الرجل وقعد، فقالت له حرمته : مالك يا راكل ؟ اليوم اشوفك منفق على بكير، كرا ايه [٣٤]؟ قال لها ابنها : يامى، اجانا واحد طرشى[٣٥]، وجبا الحله بكلمت الذنك، وبكام تروح ما نعرفش. فما

٢٨- يا شباب.

٢٩- عبارة فارسية : جبا كردن، أي : قدم مشروبات مجانا للأصدقاء، فالمعنى : يا ولد، وزع السحلب على نفقتي.

٣٠- كلمة غير مقروءة.

٣١- بالتركية : ابتعد يا مخنث.

٣٢- ماذا أعطاك ؟

٣٣- حاجز من خشب يحجب داخل البيت عن الدكان.

٣٤- ماذا حصل.

٣٥- أي : تركي.

فهمت الحرمه، وقامت سئلت زوجها وقالت له : ما تقوم تجيب خسكارك [٣٦] تبيته كجرى العاده ؟ فما رد عليها. قالت له : ما ترد، يا رجل ؟ مالك ؟ فقال لها ابنها : يامى، ما فش معاه فلوس، ما قلتلك جبنا الحله بكلمه الذنك، وبعد ما صرفناها. فقالت لزوجها : شي الحكايه يا راجل ؟ فاحكا لها عن القصه كما جرت، فقالت له : لا تنقهرش، ربنا كريم ! ما اخذ الا ليعطى، ونحن الان قضينا كل هذه الايام فقراء، وعندى هذا الجوز الحلق[٣٧]، ما كنت اطلع عنه لانه من ريحت اهلى. بقا، خذ بيع هذه الفرده وجيب خسكارك، وجيب لنا وكل. فقام الرجل، اخذ الحلقه وتوجه على السوق.

[نقص في المخطوطة من الصفحة ٢٥ إلى ٣٠. نفهم مقارنة بمخطوطة حلب أن الرجل باع الحلقة الأولى وأعد السحلب ثم أتاه بيبرص في اليوم التالي ووزع القدر كله مجانا].

فتحول الشيخ وقال : كفا امتحان، يا رب ! انا عبد احسان، مانى عبد امتحان. ودخل لجوات الدكان، وهو عمال يبكى، فقالت له حرمته : مالك، يا راجل ؟ قال... قال لها ابنها : ايوه، يامى ! اجا الزبون بتاع البارح وجبا الحله بكلمه كرته[٣٨]. فتحولت الحرمه وقالت : ان لله وان اليه راجعون[٣٩]! قدر فكان ؛ لا تزعلش يا راجل، قوم ! خذ الحلقه الثانيه وبيعها. فقام الرجل، اخذ الحلقه، وراح باعها واشترى خسكاره، وجاب أكل وإجا. قعد الى المسى، تعشى هو وحرمته واولاده، وبات ذلك الليله. وقام بكير، صلى الصبح، وطلع صار يطبخ السحلب، وهو عمال يقراء قران. خافت حرمته، وصرخت عليه، فدخل لعندها وقال لها : مالك؟ يا وليه ! فقالت له : دى الوقت يجى البيه بتاع البارح، فقول له : خش كلم الوليه، عاوزتك. قال لها : طيب ! وطلع لشغله، وقف حصه ورجع، وقال : مالك ومال البيه ؟ عايزه تشكيله حالتنا، وتشتكى على الخالق الى المخلوق، فقال[ـت] له : حاشا لله ان افعل ذلك ! ولكن انت، من الآن وصاعد، ما عدت تطبخ سحلب،

٣٦- خسكار : شغل، أي : طلبت من زوجها أن يهيئ القدر كالعادة من أجل الصباح.

٣٧- تضعهما المرأة في أذنيها وهما من ذهب.

٣٨- كراته، كلمة تركية، يونانية الأصل، تعني : قواد.

٣٩- كذا، سورة البقرة، ١٥٦.

غير اليوم. اطلع لشغلك، دى الوقت يجى البيه. فقال لها : دا ميعاده بعد الظهر. قال[ـت] له : ايوا، اطلع لشغلك، اليوم داه يجى مع الشمس، وسوف تنظر صدق كلامى. فطلع الشيخ للحله، وهو عمال يتعجب. ولما استوت الطبخه رفعها الى باب الدكان، وهندز حاله[٤٠] وقعد.

كانت اشرقت الشمس ونافد الامير بيبرص من راس الشارع، وكان سبب مجيئه فى ذلك الوقت هو انه كان، لما مرق اول يوم ونظر الشيخ كريم الدين، اراد ان يكرمه، فجبا الحله، ومد يده لجيبته، ما لقا معه دراهم كافيه. فرجع وما اعطاه شيء، ولما وصل للسرايه، طالع الف قرش ووضبهم، ولما طلع تاني يوم للسوق، فلأجل المقدر نسيهم. ولما مرق على الشارع، جبا الحله ومد لجيبته ما لقاهم، فقال : الله يلعن الشيطان ! ونوى تاني يوم يجي بكير حتى ما ينسا. ولما وصل للسرايه، طالع الف قرش كمان، وحطهم فوق الأوليات : صاروا الفين. ولما كان ذلك النهار، أخذ الشيخ محمد، وإجا دغري لعند الشيخ كريم الدين. فلما شافه الشيخ، فز، لاقاله وترحب فيه، وصرخ : جباً يا كدعان ! لانه استبشر من حرمته انه، من بعد اليوم، ما عاد يطبخ سحلب. فقال الى بيبرص : يا بيه، تفضل كلم الوليه ! واخده، دخل لداخل الدكان، لقا حرمه كامله[٤١] تحت اللثام. فلما شافته، فزت واثبه على الاقدام، وقالت له : اهلا وسهلاً بالشاه محمود، ابن القان جمك ! فتعجب بيبرص : منين عرفته ؟ فجلس وقال لها : يا امى، انتى تعرفينى قبل الان؟ قالت له : لا والله، يا سيدى ! بل انما سبب عرفى له حكايه، وهو انك لما جبيت الحله مرتين، وما اديت[٤٢] الراجل ولا حاجه، فكان عندى جوز حلق من ريحة اهلى، ما كنت فرط فيه. فلما جبيت الحله جنابك اول يوم، اديت الراجل منهم اول فرده، راح باعها. وتانى يوم، اديته الثانيه، ونمت مقهوره. ما شفت الا حضرت عليَّ السيده المبرقعه بالانوار[٤٣]، وقالت لى : انتى انقهرتى من البيه، وهو سوف

٤٠– هيأ نفسه.

٤١– متقدمة في السن.

٤٢– ما أعطيت.

٤٣– غفيرة مصر السيدة زينب.

يكون سبب سعادتكم. بكره بيجى قبل الشمس وبخلصكم من هذا الضيق؛ وهو اصل اسمه الشاه محمود، ابن القان جمك. فبشريه انه لا بد ما يجلس على كرسى نبى الله يوسف الصديق[٤٤] – عليه السلام – وهذا سبب عرفى بجنابك. فقال بيبرص : ما شاء الله ! والتفت الى الشيخ محمد كريم الدين وقال له : شى كانت مصلحتك سابق ؟ قال له : عطار. فقال له : طيب ! معك مهله سبعه ايام، بدى تشترى بيت ودكان، من انظم ما يكون ؛ وتطقم البيت، وتفرشه، وتكسى الاولاد، وتعبى الدكان الارزاق المتمنة، الذى من كافه الاصناف. قديش بدك مصارى لاجل ذلك ؟ قال له : يا بيه ! دى المسئله بدها الفلوس كثير. قال له : يعنى قديش؟ فقال له : الف. فقال له : وهذه الفين ! وبعد سبعة ايام، بدى اجى اتفرج على الدكان والبيت. قال له : طيب !

فودعه بيبرص، وسار بحاله، والشيخ محمد يقول لحاله : والله، يا بيه ! ما خاب نظرك ؛ لانه الراجل دين[٤٥] وناس ملاح. فقال بيبرص : توكالنا على الله[٤٦]، وقام يدور والشيخ محمد مده سبعه ايام، ويوم التامن قال له : خذنى على السوق. فاخذه وسار الى ان وصل، فطلّع لقا سوق منظوم من انظم ما يكون. فصار يمشى ويتلفت يمين وشمال، ما يسمع الا صارخ يقول : اهلاً وسهلاً بالبيه ! فالتفت لقا الشيخ كريم الدين، وهو لابس بدله وفرحيه[٤٧]، وقاوق طقس علماء، ودكانته صايره انظم الدكاكين، اضرب فيها النشاب[٤٨] يرجع من كثر البضاعه ! فقدم، سلم عليه، وجلس عنده. وصاروا يتحادثو[ا] باحاديت علميه ونبويه.

فطلع بيبرص، يرا الشيخ ما بيفضا من البيع والشرا [٤٩] من كثر المسائل الدينية الذى بتورد عليه، فقال بيبرص : ما شاء الله ! والله، هذا الرجل كان ضايع فى

٤٤– سورة يوسف، ٤٦.

٤٥– صاحب دين، أي : متدين.

٤٦– كذا، سورة آل عمران، ١٢٢.

٤٧– كذا، أي : فرجية.

٤٨– السهم.

٤٩– كذا، أي : الشراء.

هداك السوق، ما احد عارف له قدر. ثم قعد له حصه، وقام وقال له : يا شيخ كريم الدين، الوقت انا رايح دورى شويه المسا، وبرجع لعندك، بدى روح انا وانت على بيتك، اتعشا عندك انا وشيخ محمد. وراح غاب الى المسا، ورجع لعنده، اخذه وسار فيه على البيت.

وكان مقصود الامير بيبرص يشوف البيت مثل الدكان؛ ولما وصلوا، دخلوا، فطلع بيبرص يراه بيت جميل للمنظر، فجلس بيبرص، هو واياهم، وبعد حصه طلعت حرمة الشيخ كريم الدين، سلمت عليه ودعت له بطول العمر، وكذلك الاولاد باسو[ا] يديه، ثم حضر العشا، تعشو[ا] وانبسطوا، وشربوا القهوه، وقام بيبرص، اخذ الشيخ محمد وتوجه على سرايته. فلما وصل، لقا الوزير نجم الدين بانتظاره، فقال له : وين كنت يا ولدى؟ قال له : و الله، يا عمى، كنت معزوم عند الشيخ كريم الدين، ابن القاضى يحى. فقال له : وين تعشيت عنده؟ في الدكان؟ قال له: لا! في بيته. قال له الوزير : انا بلغنى انه رجل مكسور، وقاعد في دكان، صايره منها بيته ومنها دكانته، وانت كيف عمال تقول في البيت؟ قال له : يا عمى، الله اعطاه من نعمه[٥٠]، اما اسمعت ما قال الشاعر :

ملك الملوك اذا اوهب	لا تسئلن عن السبب
ان الله يعطى من يشاء[٥١]	فكن على حد الادب

قال له، صدقت، يا ولدى! فقد امنا وصدقنا بالله. ثم سهروا لهم حصه، كل من راح الى منامته. ولما كان تانى الايام، قام الوزير نجم الدين، طلع لعند بيبرص كجرى العاده، وحضر الشيخ محمد طقطيق، فاستقفا[٥٢] الوزير الامير بيبرص وسئل الشيخ محمد : وين كنتم انبارح؟ قال له : عند الشيخ كريم الدين ابن القاضى يحى. فقال له : وين تعشيتم؟ في الدكان؟ قال له : لا، يا حضره الوزير، رحنا الى بيته. فقال له الوزير : انا بلغنى ماله بيت ومكسور. قال له : يا سيدى، البيه بيبرص اداله، واشتراله بيت ودكان، وطقم له اياه على اقصا المراد. فقال الوزير : ما

٥٠- سورة لقمان، ٢٠.

٥١- سورة الرعد، ٢٦.

٥٢- أي : من وراء الأمير بيبرص من حيث لا يشعر.

شاء الله على نظر بيبرص ! ما بضيَّع الَّشيء الا بمحله. ثم حضر الفطور، فطروا، وقام الوزير توجه على الديوان، وبيبرص اخذ الشيخ محمد وتوجه على سوق العطارين. ركن عند الشيخ كريم الدين، صار يتحادث هو واياه، واوقات يتذاكروا بالعلم، واوقات يقراوا قران، والشيخ محمد معهم الى المسا، قام كل واحد منهم توجه على محله.

واقام بيبرص، يوم يدور بمصر، يوم يركز عند الشيخ كريم الدين ابن القاضي يحى، والشيخ محمد طقطيق لا يفارقه مدة ايام ؛ الى يوم كان الامير بيبرص جالس عند الشيخ كريم الدين ابن القاضي يحى، عمال يتذاكر هو واياه، وجالس جانبه الشيخ محمد طقطيق، ما شاف الى العالم صارت تتراكد، وهذا يقول : يا رب ! منين بليتنا بهل سخطه ؟ وهذا يقول : ملكنا ناس ملاح، معتبر من الاولياء، والاعيان الذى حواليه مغضوبين. فالتفت الى الشيخ كريم الدين، وقال له : شوفى يا عمى ؟ قال له : يا بيه، شوارعنا، كل شارع له اغا، يقالو[ا] له وجاقيه، وتحت يده مقدم درك. وشارعنا، الله مسلط عليه واحد اغا وجاقيه مغضوب، بده رمى رقبه، وهو بيسكر وبيطلع بوقف بالشارع، وكلما مرق بنت ظريفه، او صبي نظيف، بيشحطه على قناقه. وكلما اشتكينا عليه، بيطلع ببرطل[٥٣] اغوات الديوان، بفسدو[ا] له الدعوى، ونحن صابرين على احكام الله. فقال له : وهلق، شو عمال يعمل ؟ قال له : يمكن ماسكلو شي بنت او صبى. فقام بيبرص، نزل من الدكان وتوجه ناح راس الشارع، فلحقه الشيخ محمد طقطيق وقال له : وين رايح، يا بيه ؟ قال له : رايح اتفرج على اغت الوجاقيه، شو عمال يعمل ؟ قال له : مالك وماله ؟ ما قلنا لك بكون ماسك له شى ولد او شى بنت ؟ بقا، ما هذه الفرجه ؟ بلكى بتترجا فيها، بدشرها ويسحبك. قال له : واذا سحبنى، شو بضر ؟ فقال له : باخذك على القناق ! قال له : واذا اخذنى، يعنى شو رايح يعمل معى ؟ قال له : بخنثك. قال له : بيا[ـنـ]ـقصنى شى ؟ بقا، شو عليه ؟ فقال له الشيخ محمد : يه ! تبقا تخنثت ! فما رد عليه بيبرص، وسار الى راس السوق، نظر العالم مجموعه واغه الوجاقيه كامش حرمه من شعرها، وعمال يشحطها، وهى تستجير، وتقول : وين

٥٣- برطل، أي : رشا.

اصحاب المروه ؟ وين اصحاب النخوه ؟ ولا احد مسترجى يقدم يخلصها . فشق الناس بيبرص، ودخل بينهم، والشيخ محمد لاحقه من وراه من خوفه عليه . ولما وصل لقدام اغه الوجاقيه، قال له : يا اغا ! اختشى من الله، واتركها . فقال له : روح يا دنس ! مالى ومالك ؟ قال له : عمال اقول لك : دشرها بالطيب، احسن ما اكسر شرفك . فطلع فيه الاغا وقال له : وسر السيده ! انت اكوس منها، ان كان بتروح معى بدالها، بدشرها .

قال . . . فلما سمع بيبرص ذلك الكلام، قلب الضيا بعينه ظلام، وراحت يده الى سلاسل اللت العشره الدمشقى، وطرقه على راسه، معسه مثل العقرب . فلما نظر الشيخ محمد طقطيق ذلك الامر، صرخ : بعرض النبى ! وشلح ترجيله[٥٤]، حطه تحت باطه، وطلع يركد، ما بقا يسد رائسه[٥٥] الا بلاد الصعيد[٥٦] . واما بيبرص فانه قال للحرمه : لا تخافى، يا اختى، تسترى وروحى على بيتك . فقالت له : ربنا يجبر بخاطرك، يا بيه، ويستر على حريمك ! وسارت بحالها، وبيبرص رجع طالب سرايته، كانه القط مواكله[٥٧] عجين، والدعاء ياخذه من كل ناح . ولما وصل لباب السرايه، حط كرسى وقعد قدام الباب .

واما الملك الصالح نجم الدين ايوب كانه[٥٨] جالس ذلك النهار بديوانه، فالتفت للوزير شاهين وقال له : الله يعطيك العافيه، يا وزير، مثل ما ارحت الناس ! فقال الوزير فى [باله] : الله يعطينا خيرها ! وبعد حصه، ما شافوا الا باب الديوان استد، وداخل تابع الاغا، وحاملين الاغا قتيل، حطوه بعتبه الديوان . فقال لهم الملك : شو هذا، يا جماعه ؟ قالو[ا] له : افندم، هذا اغا وجاقيه سوق العطارين . فقال لهم : من قتله ؟ قالو[ا] له : قتله مملوك الوزير نجم الدين البندقدارى، الذى جابه معه من الشام . فالتفت الملك الى الوزير نجم الدين، فقال له : من يكون هذا

٥٤- ترجيل، أي : بابوج.

٥٥- أي : لا يقف.

٥٦- الصعيد، صعيد مصر.

٥٧- كناية عن أنه لم يفعل شيئا ولم يصبه شيء.

٥٨- كذا، أي : كان.

المملوك ؟ قال له : هذا، افندم، هذا الذى ارسلتنى للشام لاجله، وهو بيبرص. قال له : انزل هاته ! فنزل الوزير وهو عمال يتحول ويقول بباله : اشلون عاد بدنا نخلصه من هذه الدعوى ؟ الله يصلحه ! وسار وهو يخمس رايات، الى ان وصل للسرايه، وجد بيبرص قاعد قدام الباب، وما هو مطشوش[٥٩] لشيء. فقال له : يا ولدى، شو هل فصل الذى عملته ؟ قال له : قتلت اغة الوجاقيه سوق العطارين[٦٠]. فقال الوزير بباله : نعيماً هذا ما هو مطشوش. وقال له : يا ولدى، لما قتلته حتى شافك ؟ قال له : كان موجود عالم كتير. فقال الوزير : ما استفدنا شيء ! فيه عليه شهود، وقال له : يا ولدى، طالعوه للديوان، واشتكوه للملك. قال له : واذا اشتكوا، ليش العرض فى بلدكم مباح ؟ فقال له : يا ولدى، الملك طلبك الآن. [قال :] بروح واليد الذى بتنقطع بالشرع ما هى يد[٦١]. فقال له : ما عليك شى، تفضل ! واخذه وسار فيه على الديوان، دخل، اخذ اتك الملك، فقال له : وينه ؟ قال له : حاضر، افندم، على باب العدل والانصاف. فقال له : يدخل ! فطلع الوزير، صرخ له، دخل بيبرص، يرا ديوان وافى الشروط، مكمل الاوصاف، وكانت هذه اول دخلته لديوان. فتقدم، اخذ اتك الملك، دعا وترجم، بافصح لسان تكلم، دعا للملك بدوام العز والنعم، وازالت البؤس والنقم[٦٢]، وانشد وقال هذين البيتين:

تصبحك السعادة كل يوم ... على رغم الحسود
فلا زالت لك الايام بيض ... وايام من عاداك سودو

قال له الملك : الله الله ! والتفت للوزير شاهين، وقال له : انظر، يا بو الوزر، الى هذا الغلام، وشوف لمن يشبه. قال له : لمن شبهته، افندم ؟ فقال له الملك : وعزة الله، كانه الغراب الذى شفته بالمنام، لا راح ولا اجا. والتفت للوزير شاهين، وخاطب القاضى، وقال له : حى الله ! ما بان، اكد لك فيه بالذايده شويه، وشوفه هو ولاً ما

٥٩– غير مكترث، غير مهتم.

٦٠– كذا.

٦١– قد تعني هذه العبارة : السارق لا يطلب ثار يده المقطوعة.

٦٢– سورة آل عمران، ٢٦.

هو ؟ وكانت هذه الكلمه لها سبب، هو ان ذلك القاضى نصرانى، واسمه جوان، وسبب وجوده قاقضى[٦٣] فى ديوان مصر نسب عجيب، وامر مطرب غريب، احب الناس ان يسمعوه على الترتيب، كى يلتذ السامع ويطيب، بعد الصلات على النَّبيَّ الحبيب (صلى اللّه عليه وسلم).

[نسب القاضي وحسبه]

قال الراوى : يا ساده، كان فى جزاير الجوانيه[٦٤] دير عظيم، تزوره الملوك من سائر الجهات، اسمه دير العامود، ويتلقب بالفاتيكان، وهو كرسى البابا الاكبر. وفى تلك الايام، انتخبوا بابا يقال له بشران، وكان قبل دخلوله فى سلك الرهبنه متزوج، وله ثلاثة اولاد : الأكبر اسمه كرسمون، والثانى اسمه سقراق، والثالث اسمه اصفوت[٦٥]. وقبل ان يبلغوا مبالغ الرجال، ماتت امهم. فقام بشران دخل فى سلك الرهبنه، وخدمه السعد، فصار يتنقل درجات، الى ان انتخب بابا، على راى مجمع الرهبان وكرادله[٦٦] الفاتيكان، وسمى البابا بشران. وصار يهدب اولاده الثلاثه على علوم الدينيه، الى ان بلغ من الكبر عتيا[٦٧]، ووقع بالفرش، ودنا منه الاجل. فاحضر اولاده الثلاثه الى بين يديه، وصار يوصيهم وصايا، ثم التفت الى كرسيمون الأكبر، وقال له : انت الخليفه من بعدى على هذا الدَّير. وقال الى سقراق : وانت لك كنيسه الذهب، الذى فى جنوه. وقال الى اصفوت، الذي هو الاصفر : وانت لك دير يغره[٦٨]. وبعدها استلم كرسيمون الدير، وصار بابا مطرحه؛ وسقراق توجه على جنوه، استلم كنيسه الذهب ؛ واصفوت توجه ليغره، واستلم ديرها، وقعد كل منهم يُدَوِر على اشغاله.

٦٣- كذا، قاضي.

٦٤- وقد يكون المقصود مدينة جنوى الايطالية.

٦٥- في المخطوطة : جوان اصفوت.

٦٦- جمع كردينال، وهو مسؤول ديني من حاشية البابا.

٦٧- أي : كبر الشيخ، عبارة قرآنية : وقد بلغت من الكبر عتيا (مريم، ٨)

٦٨- في منطقة أنطاكية.

واصفوت هند[ز] [٦٩] الدير، ودور اوقافه، واحياها حتى صار دير عظيم، وطلع له شهره. وصار دائماً يلتقا فيه اربعين شخص، او اكثر. فصدف الى حاكم يغره، البب مارياس، ارسل بنته الى الدير، لعند اصفوت، حتى يشد لها زنار[٧٠]، ويعملها راهبه. وكانت البنت بديعه بالحسن والجمال، فلما شافها اصفوت، تشربك بهواها، وصار كل ما قعد ليعطيها درس، يقول لها : ليش بدك تترهبنى، وتحترمى لذة الدنيا الذى ما بعدها ؟ وشو الذى بده يفيدك من الرهبنه ؟ وكان دائما هذا درسه لها. فمره بمره قالت له : شو مقصودك من هذا الكلام ؟ قال لها : مرادى كلل اكليلى عليكى[٧١]. فقالت له : كيف يجز لك اكليلى، وانت بترك ؟ قال لها : بلحق مذهب الرومان ! ولازال يطغيها حتى اجابته، واستسلمت له. فازال بكارتها بدون اكليل، وصار كل ليله يدخل عليها، عبارتاً بدو يقريها، ويقضى وطره منها. فاش[ـتـ]ـلقوا [٧٢] عليه الرهبان، وكانوا اخبث منه. فصاروا يتعاملو[ا] كل اثنين ثلاثه سوى، ويقولوا للبنت : تعى حتى نقريكى، وياخذوها الى داخل الدير، ويقضوا وطرهم منها. ولا زالوا على ذلك اللون حتى قضوها الاربعين راهب. وفى خلال ذلك راحت حملت منهم ؛ ولما مضا من حملها ثمانية اشهر، فطس اصفوت، فاتا البب مارياس حتى ياخذ بنته من الدير، لقاها حامله، فقال لها : ولك فليونتى[٧٣] ! ما هذا ؟ قالت له : انا شو عامله ؟ اصفوت غصبنى على ذلك، وقاللى الخواريون[٧٤] امروه بذلك. قال بده منى وديعه[٧٥]، فانا، يابى ! استسلمت له على ذلك.

قال... فغضب ابوها، ولكن قضى الامر، شوا طالع بيده ؟ واخذ بنته، وسار الى سرايته. ولما تكامل حملها، وضعت غلام ذكر، اغبر اللون، اف[ـطـ]ـس المنخر،

٦٩– هيأ.

٧٠– هنا، بمعنى : ترتدي الملابس الخاصة بالراهبات.

٧١– أي : أتزوج منك. وهي إشارة إلى طقوس الزواج النصرانية.

٧٢– أي : اشتبهوا به.

٧٣– من لغة الإفرنج : بنتي !

٧٤– كذا، الحواريون، أي : تلاميذ المسيح.

٧٥– أي : أمانة.

مثل عفاريت بني منقر. فقالت له : وديني ! لقد تجونت بابوك[٧٦]، وما بقيت اعرفه من يكون، ولاجل ذلك سميه جوان، وقاللي سوف يكون له شان واي شان ! وصاروا يربو[ا] جوان بحجر الدلال، الى ان بلغ من العمر خمسة اعوام، ماتت امه، فحطه جده بالمدرسة. صار يضرب هذا ويبعص[٧٧] هذا ويطرب[٧٨] هذا، وابا الاولاد تشتكي عليه للبب مارياس، فطالعه من المدرسه وحطه عنده بالسرايا. فصار يبعص المحاضى والجوار، فغضب البب مارياس، وقام ارسله لعند عمه البابا كرسيمون. فحضنه عمه، وصار يعلمو العلوم، قبل بلوغه الخمسه عشر عام، وجمعت جميع الرهبان على انه سوف يصير له شان. الى يوم من الايام، كان كرسيمون غائب عن الدير، فز جوان ينكش[٧٩] ويدور على الاموال. فوصل الى باب مرمى عليه قفل كبير، فخمن اموال عمه داخل هذا الباب، فصار يعالج فيه حتى فتحه ودخل، ما لقا فيه شي، بل لقا المحل على كسم صورة حمام. ونظر اولاد مثل الاقمار داخل هذا الحمام، فلقا بينهم ولد مريض، ماله نجعه[٨٠] يتحرك. ونظر بصدر المكان باب مرمي عليه قفل، ومفتاحه معلق جانبه، ففتحه، ودخل يرا مكان اخر، على كسم صورة برية، وجبال، واحجار. ونظر الاولاد الذى كانو[ا] فى الحمام واقفين صف واحد، والغلام المريض بينهم مستند. ونظر رجال طوال عراض، لابسين الدروع والخود، وهم عمال ياخذوا اتك المريض. ثم نظر باب اخر، دخل يرا على كسم ديوان، والملك جالس بالصدر، والمريض بين يديه معافا. ثم نظر باب رابع، فتحه ودخل يرا صورة الديوان ذاتها، والملك بذاته، ونظر الاولاد الذى كانو[ا] بالحمام جالسين بوطائف[٨١] ورتب، ونظر الولد المريض جالس برتبه سارى عسكر. ثم نظر باب خامس، فتحه ودخل يرا الديوان عينه، والملك ذاته جالس بالصدر، بين يديه

٧٦- أي : خدعني أبوك.
٧٧- أي : يضع إصبعه في است الولد.
٧٨- أي : يرشقهم بالتراب.
٧٩- أي : يفتش.
٨٠- أي : قوة.
٨١- أي : وظائف.

الولد المريض عمال بيبايعه على الملك، ولقا باب ثادس، ودخل يرا ديوان خلاف الاول، وهو اكبر وانظم، والغلام المريض صاير ملك، وجالسين حواليه رفقاته الاولاد الذى نظرهم فى الحمام، وهم صايرين اعيان بالديوان. ووجد ايضاً الرجال الذى نظرهم فى البريه لابسين الدروع الدوديه[٨٢]، والخود المطليه، وجالسين حواله الملك يمين وشمال. ولقا باب سابع، فتحه ودخل يرا الديوان الذى نظره بالسادس، برجاله واعيانه تماماً، ونظر بالوسط سيبه [٨٣] منصوبه، ومشبوح[٨٤] عليها بترك، اغبر اللون، افطس المنخر، كانه من عفاريت بنى منقر، وقاعد قدامه رجل قصير القامه، عمال يقطع ذلك البترك شقف شقف. ومكتوب على البترك اسم جوان، وعلى الذى عمال يقطعه اسمه شعبان ابن سيف القبائل، وملقب بشيحه. فوقف جوان لما نظر ذلك الشوفه، وجمد. وهو كذلك واقبل عليه عمه كرسيمون. وكان عمال يدور عليه، فدخل بسابع باب، يراه واقف وجمدان، فقال له : شبك يا جوان ؟ قال له : يا عمى ما هذه الصوره ؟ قال له : لابد ان ياتى هذا الملك، ويتقطع بترك اسمه جوان على زمانه، بعدد ايام السّنه، والذى بده يقطعه، اسمه شبعان[٨٥] ابن سيف القبائل، وملقب بشيحه. فقال له : يا عمى، فى احد غيرى اسمه جوان ؟ قال له : ما بعرف، لربما تكون انت ! وطالعه وسكر الباب. واما جوان، فصار له هوس بذلك الفرجه، فصار يستقفى عمه، ويجى يتفرج عليها. الى يوم هو واقف عمال يتفرج بالباب السابع، لقا رف، محطوط عليه كتاب كبير، فاخذه، فتحه يراه مكتوب يونانى، وهو تاليف حكماء اليونان. فقراه منه بعض صحايف، يرا فيه قصت ذلك الملك، فاخذه وطلع خباه بمصلبه[٨٦]. وصار كل يوم يقرا فيه شويه، حتى قراه كله، وتباين معه انه هو نفس جوان المطلوب. وهذا الملك، اصله من بلاد العجم، اسمه محمود ابن القان جمك، وموصوف بجميع اوصافه، وهو ينباع بيع المماليك،

٨٢- نسبة إلى صنعة داوود أي متقنة (سورة سبأ، ١٠).

٨٣- سُلّم ثلاثي الركيزة.

٨٤- معلق.

٨٥- كذا، أي : شعبان.

٨٦- المصلبه، بالعاميه : تجويف في السقف وراء ملتقى العارضتين.

ويوصل الى مصر، ويجلس على كرسى نبى الله يوسف ؛ وجوان يصير له بزمانه سيط وسمعه، ويصير بابا، ويحط عليه هذا الذى مسما شعبان ابن سيف القبائل، واصله من عرب غزه، ويصير سلطان الجبل. ولايزال على جوان حتى يمسكه، ويقطعه بديوان الملك الظاهر. وتقطيع جوان له سبعه دلائل : الاول خراب دير الهبا وقبه الناسوت؛ الثانى حلق دقن جوان ؛ الثالث قتل اربعه ملوك خاصات، اثنين من الاسلام، وواحد من الروس، وواحد من العجم. الدليل الرابع : خراب دير الطور. الدليل الخامس : كسر يد جوان. الدليل السادس : خراب دير التماثيل. الدليل السابع : خراب دير العامود. وبعد دير العامود، المسما بالفاتيكان، باربعه اشهر، تكون تقطيعه البابا جوان بديوان مصر، على عدد ايام السنه، على يد شعبان ابن سيف القبائل.

قال... يا [ا]خوان، لما قرا جوان ذلك الكتاب، وفهم ما فيه من الخطاب، وعرف اوصاف اعدائه، محمود وشعبان، قال الى عمه كرسيمون : يا عمى، انا بدى روح دور على شعبان، افطر فيه قبل ما يدغدّى فى[٨٧]. فقال له : ان كان فيك، الله يعافيك. فقام جوان، اخذ بعض معامله، وودع عمه، وتوجه طالب يغره.

قال... ولما وصل الى يغره، طلعوا اهل البلد لاقوا له، لانه شاع سيطه بجميع الافاق بالعلوم. وكان بغيابه جده البب مارياس مات، وجلس مطرحه خاله، فدخل جوان، وسلم على خاله وقعد. وكان الى خال جوان بنت بديعه بالحسن والجمال، اسمها ماريا، فشافها جوان حبها، وخطبها من خاله، قبل جوزه اياها، ودخل عليها وحظى بها وبحسنها وجمالها. واستقام خمسته[٨٨] سنوات، ونسى المهمه الذى اتا لاجلها. وقد جابت له باول بطن صبى اصفوت. وجابت له تانى بطن، جابت بنت، سماها روما. فطلعت بنت بعد بلوغها، خلقت بديعه بالحسن والجمال، ويضرب بمحاسنها الامثال، وحدثت بشمائلها الركبان فى كل مكان، ووصفوها الشعار باجمل

٨٧- هذا مثل عامي، أي : أسبق بالقضاء عليه قبل أن يقضي علي.

٨٨- كذا، خمسة.

الابيات، ومن جمله ما وصفها من الشعار الشاعر شهير[٨٩] ابى الفضل الأمير، حيث يقول هذه الابيات :

كلفت بشمس لم ترا الشمس وجهها	واوراقب فيها الف عين وحاجب
ممنعة بالخيل والقوام والقنا	وتضعف كتبى عند زحام الكتائبى
فلو حملت الرياح عني تحيتا	لما نفذت بين القنا والقواضبي
اغار على حرف يكون باسمها	اذا راته عينى فى خط كاتب

واما جوان، يا اخوان، فانه اجا على باله شعبان، فقام اوصا خاله فى زوجته واولاده، وتوجه على بلاد الاسلام. ودخل الى الشام، اسلم كذب ونفاق على يد احد العلماء[٩٠] المشاهير، وقعد صار يتعلم العلوم الدينيه مده خمسة سنوات، فبلغه [خبر] موت زوجته. فقام نزل على يغره، يرا زوجته مائته، وخاله من قهره عليها مرضان، وبعد وصوله بثلاث ايام مات خاله ايضاً. فدفنوه ورجعو[ا] اعرضو[ا] على جوان كرسى يغره. ما قبل يصير بب، بل انه انتخب لهم واحد من الاعيان، اسمه عبد الصليب، وقعد يرتب له قواعد حكومته.

وكان فيه حصن قريب الى يغره، وفيه مقدم سيف الروم ابن رقطيش، وكان فارس جبَار، وبطل مغوار، فصار يربط بذلك البغاظ، ويشلح القوافل، فبلغ خبره الى جوان، فقام راح لعنده، وقال له : يا سيف الروم ! احسن ما عمال تشلح ابناء دينك، وتخلى المسيح يغضب[٩١] عليك، تعال اسلمكَ غفارة البغاظ، وتاكل مال حلال، احسن من مال الحرام. فاجابه الى ذلك، ونزل معه على البلد ؛ فاخذه جوان الى بيته، وضافه ذلك الليله، فشاف روما بنت جوان، فوقع بحبها، فقال الى جوان : يا جوان، ما تزوجنى فليونتك ؟ وانا بتنازل عن البغاظ، وبخدمك خدامت العبد للسيد، ولا افارقك طرفت عين. قال له جوان : ودينى، بتمنا، ولكن على شرط، فقال له : ما هذا الشرط ؟ فاحكاله حكايه الذى قراها بكتاب اليونان، وقال له : بدى تعاونني على التفتيش على هل غلامين، شعبان ومحمود. مرادى اقتلهم،

٨٩- كذا.

٩٠- في المخطوط : احد السلام العلماء.

٩١- في المخطوط : تغضب.

واتغدا فيهم قبل ما يتعشو[ا] فيي ؛ فان ساعدتني على مرادى، ازوجك فليونتي . ولحين ما نقضي طلبنا، بتكون صارت غرض الزواج، لانه الان عمرها سبعه سنوات . قال . . . فرضى سيف الروم بذلك، وعقدوا الشرط على ذلك اللون، وشاع الخبر انه قاطع البر، البرطقش، خذم[٩٢] عند جوان، ومع تداول الايام تسمى سيف الروم البرطقش. وبعد ان اعتمدوا على ذلك، قام جوان، غير بدل على صفة شيخ مسلم، وعمل البرطقش تلميذه، وتوجه على غزَه. نزل على طائفة من العربان، وعمل شيخ مكتب [٩٣]، وصار يستخم [٩٤] على الامير سيف القبائل، الى ان بلغه انه مستوطن بغزَه. فدخل الى غزه، فتح مكتب، وصار يقرى الاولاد بمهاره زائده، حتى شاع سيطه، وبلغ خبره الى الأمير سيف القبائل. فأخذ ابنه شعبان، وحطه عنده، وصار يقريه، وبمده يسيره، ختم وتعلم الكتابه.

وكان الى الامير سيف القبائل اخ، اسمه جابر، وله ولد اسمه ابراهيم، فقال له الامير : يا اخى، ابعث ابنك لعند الشيخ ،خليه يتعلم القرائه مثل ابنى شعبان. فحطه عند الشيخ. وكان جوان عقد النيه على الرحيل، واخذ شعبان معه، فبعث كتاب الى عمه كرسيمون ان يبعث له مركب الى مينة يافا. ولما وصل المركب، القا اغراضه اليه، وشاع خبره انه بده يسافر. فصاروا اهل الاولاد، هذ[ا] يعمل زواده[٩٥]، وهذا يقدم له هديه، وما اشبه ذلك. ويوم السفر ربط على محفظه، اى شنتا كبيره، وصرخ الى شعبان وقال له : خذ هذه الشنته، ووصلها الى المحطه الذى واقفه في باب البلد. فاخذها شعبان وسار، وهو بالطريق تواجه مع ابن عمه ابراهيم، فقال له : يابن عمي ! هات اواعيك[٩٦] وخذ اواعي. ففرح ابراهيم، لانه كانوا اواعيه وسخه، واواعي شعبان جداد، فحالا تبادلو[ا] بالاواعي، وسار شعبان على المحطه؛ فلاقا له الريس، وكان مربوطه معه اخذ الغلام، فقال له : اطلع بالمحفه[٩٧] ! فطلع

٩٢– كذا، خدم.

٩٣– يعلم الأولاد القراءة والكتابة.

٩٤– يأخذ أخبار ويسأل عن الأمير.

٩٥– طعام المسافر يسمى زوادة.

٩٦– ثيابك.

٩٧– المركبة.

شعبان على المحفه يرا فيها زلمتين، وكان البرطقش وواحد اخر، فقامو[ا] على الغلام، كمشوه وكمموه حتى ما يعيط، وخبوه. وبعدها اجا جوان، ركبوا وساروا على يافا. نزلو[ا] بالمركب وشعبان معهم، وقلعوا و ساروا طالبين دير العامود.
فلما وصلوا صاروا بظهر البغاظ، التفت جوان الى البرطقش وقال له : ايش يا سيف الروم ! هذا الله يسر لنا اول واحد، بقى علينا محمود متى ما كمشناه الثانى بقتلهم، وبزوجك روما. ففرح البرطقش بذلك، ثم قال جوان : هات شعبان، فراح البرطقش، جابه. وكان الغلام عمال يبكى، فطلع فيه جوان يراه شعبان، ولكن لابس اواعى ابن عمه، وكانوا الاثنين فرد خلقه [98]. فقال له : انت من تكون؟ قال له : انا ابراهيم، ابن جابر. فقال له جوان : بتكذب، انت شعبان. قال له : لا، يا شيدنا[99] الشيخ ! ذاك ابن عمى. فصفن جوان حصه، ثم قال لحاله : امتحنه فى القرائه، فان قراء يكون شعبان، وان ما عرف يكون ابراهيم ؛ فقال له : اقعد اقرأ لى عشر[100] قرائن[101]. فقعده شعبان على ركبه، وقراء : اب ت ث. وقال له : ولك ! انا ما بدى تقرا لى ا ب ت، انا بدى عشر قراءن، من صورة[102] البقره. قال له : اى بالله ! يا شيخنا، عندنا بالمنزول غنم وبقر كتير. وقال له : ولك ! انا ما بدى بقر وتوار، اقرا من صوره البقره : الم ذلك الكتاب لا ريب منه[103]. قال له: من هنا قريتنى يا شيخى ! فصفن[104] الشيخ الذي هو جوان، وصار يلعب بدقنه، وكان هذا اول ملعوب الذى لعبه معه شيحه، فقال له البرطقش : آه يا جوان، يا حيف على التعب والشقا ! وقد صدق المثل : نية الصياد بمخلايته [105]. قال له جوان : انا

٩٨- الشبه بينهما شديد.

٩٩- كذا.

١٠٠- قسم.

١٠١- كذا، أي : قرآن.

١٠٢- كذا، سورة.

١٠٣- سورة البقرة، ٢. والآية هي : ذلك الكتاب لا ريب فيه.

١٠٤- في المخطوط : فطفن.

١٠٥- على حسب نيته يجد الصيد ويصيده ويضعه بالمخلاة.

كل هذا الحكى مالى مصدقه، وهذا شعبان. فقال له : تضرب[١٠٦] ! مانك شايفه، هذا واحد بليد، وهداك ولد مثل الزولعه[١٠٧]. فقال له جوان : حتى نصل لعند عمي، وبورجيه ايا، وبشوف شوا بقول. ولازالو[ا] سائرين الى ان وصلو[ا] لدير العامود. ربط المركب، وطلع جوان والبرطقش ومعهم شعبان، ودخل للدير، وراح لعند عمه، وقال له : يا عمي، جبت شعبان الذى بده يقطعنى ! فقال له : عفرم عليك، يا جوان ! وينه ؟ فطلع جوان، جابه لقدامه، فطلّع فيه كرسيمون، وتمايزه وقال له : انت شو اسمك ؟ قال له : ابراهيم ابن جابر. فضحك كرسمون، والتفت الى جوان وقال له : ولك يا جوان ! هداك اسمه شعبان ؟ فقال له شعبان : اى بالله، يا بترك، داك ابن عمي ! فقال كرسيمون : تضرب يا جوان! رحت غبت عشر سنوات وجيت. وجاب ولد مبطون[١٠٨] ! وقلعه من وجهه. فاخذه جوان وطلع، وهو محتار، والبرطقش يقرق عليه[١٠٩].

واقاموا بالدير مده ايام، الى ليله، قاعد شعبان وحده، عمال يتفكر بحاله وغربته، اجا على باله امه وابوه ووطنه، وصار يبكى. ما شاف الا الحيط انشق، وطالع منه رجل لابس حله خضرة[١١٠]، عمال يوحد عالم القدره[١١١]، وقال له : لا باس عليك، يا ولدى ! انت تلميذى، وسوف يصير لك شان، واى شان ! وتطيعك الفداويه اهل الجبل، تصير عليهم سلطان، ولكن عليك بالصبر! ومن صبر وتانا نال ما تمنا[١١٢]. خذ، يا ولدى، هذا الكتاب، واقرا. تعلم ما يجري عليك من خير ومن شر، وشوفيه قدامك من عز وشان. وكان هذا الكتاب كتاب اليونان، الذى قراه جوان. فاخذه شعبان وفتحه، يراه مكتوب بقلم اليونانى، فقال له : يا سيدى، انا

١٠٦- كلمة إهانة، أي : ضربك العمى.

١٠٧- أي : ذكي نشيط.

١٠٨- أي : ضعيف.

١٠٩- يسخر منه.

١١٠- سورة الكهف، ٣١. والملابس الخضراء ملابس أصحاب الجنة.

١١١- سورة الطلاق، ١٢.

١١٢- مقتبس من سورة البقرة، ١٥٥.

ما بعرف اقراء هذه الكتابه. قال له : يا ولدى، انت قول : يا مد[د] استاذى ابا العباس، فانه يهون عليك. ولمس بيده الشريفه على وجهه، وغاب عن نظره.
فاخذ شعبان الكتاب، فتحه وصار يقراء فيه كانه يونانى، وعارف بلغة اليونان؛ وذلك من بركات الخضر – عليه افضل السلام – وصار يقراء، وقد تولع فيه ولع زايد، وصار كل يوم ياخذه ويطلع فيه على ظهر الدير، ويقعد يقرا فيه الى ان ختمه وانهاه. وقراه اول وثاني، وابتدا بثالث مره، وقد عرف جميع ما بده يجرى عليه، وما يتصل اليه.
وكان جوان الأخر متولع بقراته، فصار يدور عليه بذلك الايام، ما يلاقيه. فظن انه عمه كرسيمون خباه منه، فسئله عليه، قال له : ودينى ما عندى خبره، وقام صار يدور عليه مع جوان من مكان الى مكان، الى ان وصلو[ا] لظهر الدير، نظروا شعبان قاعد، وبيده الكتاب، ونازل فيه هدر[١١٣]. فهجموا عليه، فلما شافهم مسك الكتاب ولحشه على البحر. فقالو[ا] له : شو هدا الذى لحشته على البحر؟ قال لهم : جزء الف به، جايبه معى من بلادنا. فغضب كرسيمون وقال الى جوان : وحيات دينى! ان بت الليله بهذا الدير، انت وهذا الغلام، حتى اقتلكم وارميكم في البحر.
وتوجهوا طالبين يغره، فقطعو[ا] اول يوم، والثانى، ويوم الثالث صار فرتينا[١١٤] عظيمه. صار المركب ينقام وينخبط، وبقوا اربعة وعشرين ساعه، ما شافوا لا شمس ولا قمر، وبعدها قال جوان الى القبطان : طالعنا على شيء بنط[١١٥]، خلينا نشم الهوى. فقال له : نحن الان على مينه جنوه. قال له : طالعنا وين ما كان يكون! فميل المركب القبطان، وطالعهم على البر. فاستلحقوا البر والتحشوا بالأرض مثل القتلا، وناموا. وبعد ساعه فاق شعبان، وقد صحى على نفسه، وطلع يمين شمال، لقا الجَمَاعه نايمين. فخطر على باله يهرب، فقام وطلع يركد في ذلك البر،

١١٣– الأقرب إلى الظن أن المعنى : يقرأ الكتاب بصوت مرتفع.
١١٤– هاج البحر.
١١٥– من لغة الإفرنج : ميناء.

احتار وين بده يروح، فنظر قدامه بعض شيح، فدخل تخبا بينهم حتى يسافر المركب.
واما جوان، فانه فاق من منامه، طلّع على شعبان، ما لقاه فصار يدور عليه، لقاه مخبا بين الشيح، فقال له : يفجعك بعمرك[١١٦]، انت شيحه حتى مخبا بين الشيح. ومن ذلك الوقت، مشى عليه لقب شيحه. ثم اخذه من يده، ورجع ناح المينا. فتصادف عمه سقراق الجنوى، فتقد[م] سلم عليه. فقال له سقراق : وين رايح، يا جوان، انت وهذا الغلام ؟ قال له : على يغره. وقال له : ولك يا جوان! تعرف هذا الغلام لمن يشبه ؟ قال له : لمن شبهته ؟ فقال له : بيشبه ابن البب حنا، ملك جنوه، كانه هو لا راح و لا اجا. ولو لا يكون مات، لقلت : هو جونيت. قال له جوان : ومتى مات، يا عمى ؟ فقال له : اول البارح، والبارح احتفلوا بجنازته، ودفنوه بمدفن الملوك. ثم ودعه وسار ؛ وبعد ما راح، التفت جوان الى شعبان وقال له : ولك، يا ولد ! تطيعنى، بصرلك عز وشان عظيم ؛ وان ما طاوعتنى، اقتلك، وبخلص من همك. قال له : مثل ايش بدى طاوعك، يعنى؟ فقال له : مرادى اخذك الى مدفن جنوه، وافتح المدفن، وادخل شلح ابن البب بدلته، ولبسك اياها. وانا اطلع على الديوان، واقول للبب اننى انا بحى لك فليونك. وبجى انا واياه لهون، وبوقف على باب المدفن، وبقر قداس، وبقول لك: قوم يا فيلونى جونيت، يا بن حنا ! قلى : نعم يا ابونا ! وبعدها تفرج على العز والشان الذى بصير لك، وبتصير ابن البب، وحواجبك تقضى حوائجك. فقال له: اقبلت ! ففرح جوان، واخذه وسار فيه الى المدفن، اصطبر الى ان اغلق الليل. تقدم جوان فتح المدفن ودخل، فتش على تابوت ابن البب، فتحه وطالع الغلام وشلحه اواعيه، ودفنه فى التراب، ولبس الاواعى الى شعبان، وسطحه بالتابوت، وبخش له بخش لاجل النفس. فطلع سكر باب المدفن، وسار على المينا، صرخ الى البرطقش وقال له : وضب المبخره ! فقال له : ليش المبخره ؟ قال له : انت وضبها، ما عليك. وكان جوان سارق من عند عمه بعض صلبان جوهر والماس، وهو لابس بدلة الرهبنه،

١١٦- أي : قصف الله عمرك.

فطالع ذلك الصلبان، علقهم على صدره واكتافه، واخذ بيده عكاز فضه . والبرطقش شعل المبخره، ووضع فيها البخور.

كان طلع الصباح، فتوجهوا على البلد، وساروا واصل الى الديوان. دخل جوان، انحنا على العكاز، وابتداء بقرائه القداس والقداديس، وعمل عملت ابليس، وصار يكثر من التهليس والتدليس[١١٧] . فالتفت البب حنا الى وزراه، وقال لهم : من يكون هذا الديان ؟ قالو[ا] له : هذا جوان، ابن اصفوت وبشران. قال له البب : عزيني ولك، يا جوان، عزيني ! قال له : ليش يا بب ؟ قال له : فليوني صار مورتوا[١١٨] . وقال له : ليش ما امرت البتارك ان يحيو[ا] لك اياه ؟ فقال له : واي، يا ابونا ! ليش البتارك يطلع بيدهم ان يحيو[ا] الميت ؟ [قال] : نعم ! ابعث احضرهم الى بين يديك، حتى فرجيك شيء بعينك. فاحضرهم جميعهم البتارك والرهبان، فلما صارو[ا] جميعهم بالديوان، قال لهم البب : اسمعوا ما عمال يقول جوان ! قالو[ا] له : شوفيه خبر، يا جوان ؟ فقال لهم : انتم بتارك جنوه ورهبانها، ومات ولى عهد ملككم، ليش ما احيتوه له اياه ؟ قالوا له : واى، يا جوان، ما هذا الكفر ؟ فقال لهم : ليش كفر ؟ قالو[ا] له : هذا شيء ما طاع الا للمسيح. فقال لهم جوان : وانا خليفته. قالو[ا] له : ما هذا الأعتداء، يا جوان ؟ فقال لهم : عند الامتحان يكرم المرء او يهان. قال البب : انا قبلت، فان احييته يكون كلامك صحيح، خليفة المسيح، وان ما طلع بيدك، وحياة دينى ! لابد عن رمى رقبتك. قال له : وانا قبلت بذلك، تفضلو[ا] !

فقام البب ووزراه، والبتارك ولرهبان، وتوجهوا مع جوان الشيطان الى ان وصلو[ا] الى المدفن. ولما وصلوا، انصفت الوزر والاعيان يمين وشمال، وشلحو[ا] بالقروع[١١٩]، وكذلك البتارك والرهبان. اشعلوا المباخر بالند والعنبر، وجوان انحنا على العكاز، وقرا قداس اكثر فيه الهذيان والارجاس، وقد ابهت فيه جميع الناس. ثم صرخ

١١٧- الكذب وإخفاء الحقيقة.

١١٨- من لغة الإفرنج ، أي : مات.

١١٩- أي : كشفوا عن رؤوسهم.

باعلى صوته : يا فيلوني[١٢٠] جونيت، يا ابن حنا، احيا باذن السيد المسيح ! ما سمعوا العالم الا حس قرقعه[١٢١] بتابوت داخل المدفن، وقائل يقول : نعام يا بونا جوان ! فركد والبتارك، فتحوا باب المدفن ليرو[ا] الصارخ، واذا بجونيت ابن الريم[١٢٢] حنا طلع من المدفن، والتحش على ايادى جوان، [وصرخ] : دستور المدد، يا بونا ! بقول لك يسوع المسيح، ويسلم عليك : لا عد[ت] تحى احد غيرى، لانه لابد للدنيا من الفناء[١٢٣] . فلما نظروا العالم الموجوده ذلك الامر، التحشوا على جوان، والشاطر الذى بده ياخذ من يده بوسه. واخذوه وساروا على الديوان، وبالحال اخدو[ا] صورته، وصوره وجانبه جونيت، وفرقوها على الملوك والقرانات[١٢٤]، يخبروهم بانه جوان احيا الميت بجنوه، وهذه صورة الذى احياه. فكبر جوان بعينهم وعند الملوك وجميع القرانات ؛ واجتمعت البتارك من كافة الاجناس، وقالوا : ان هذا الأمر الذى اتاه جوان، لايقدر عليه احد، فلازم يصير جوان بابا، فهو احق من عمه. وبالحال كتبوا الكتب وارسله الى عمه كرسيمون، يقول له : انا امرت ان ادور الدنيا، واهدى العباد الى طاعت المسيح، واجاهد بالفاتيكان.

هذا جرى وبعد انتهاء احتفال جونيت بجنوه، التفت البب حنا وقال له : يا فيلونى جونيت، ما دام رب السيد المسيح ردك علينا، اختلى للعباده، وتقديم الشكر للرب [قال له : ما امرني] السيد المسيح ان اصير ملك بل امرنى ان اصير بترك، واختلى بالكنايس. فقال البب : امر الرب فوق الراس، وبالحال فضوا له كنيسة الذهب، وزنروه، ومشيت قدامه البتارك والرهبان، واوصلوه الى الكنيسه، ورجعوا.

فلما صار الليل، دخل جوان لعنده وقال له : يا جونيت، بدى اسئالك، يوم الذى احييتك، ليش قلت لى : بقولك المسيح لا عدت تحى احد غيرى ؟ قال له جونيت : من شانك، خفت لا يقوم احد يقلك : احييلى ابنى او بنتى ؛ ما بيطلع بيدك،

١٢٠- كذا.

١٢١- صوت وحركة.

١٢٢- من لغة الإفرنج، أي : الملك.

١٢٣- سورة الرحمن، ٢٦.

١٢٤- والزعماء.

بدك تعود تاكل قتل، حتى تشبع. واما الان، اذا احد ترجاك باحياء شخص، معك حجه دامغه[١٢٥]، بانك مأمور من طرف المسيح ان لا عتد[١٢٦] تحى احد. فقال له جوان: عفرم عليك! والان بدى اسالك سال فش قلبى فيه: مانك شعبان؟ قال له جونيت: انا بدى اسألك: هل تقدر الان تقول للبب: هذا ما هو ابنك؟ فقال له لا، ودينى! قال له: وانا شعبان ابن سيف القبائل. وقال له: ويوم الذى رايناك على ظهر الدير وبيدك كتاب، شو كنت عمال تقرا؟ قال له: كتاب اليونان. فقال له: شوا ظهر لك فيه؟ قال له: ظهر لى انك انت بزمانك يصير لك سيط وسمعه، وجميع ملوك الافرنج تطيعك، وياتى ملك الى بلاد الاسلام، اصله من العجم، اسمه محمود، ويلقب الملك الظاهر؛ وانا بصيرلى على زمانه شهره، وبصير س[لـ]طان الجبل؛ وبعدها، بمسكك وبقطعك بديوان ملك الظاهر، على عدد ايام السنه.

فلما سمع جوان ذلك الكلام، صار يندف بدقنه، وقال لحاله: ما استفدنا شى! فهذا الاولى ان اروح دور عليهم، واشوف محمود اقتله قبل ما يصير ملك، ما يعود بيجر عليّ ذلك الامر. واخذ البرطقش وتوجه طالب بلاد الاسلام، الى ان وصل الى حلب، نظر رجل عالم جليل القدر، من ارض العراق، يقال له صلاح الدين، متوجه على الحاج. فاندك[١٢٧] عليه جوان، صرّفه[١٢٨] وتبدل عواضه، وبدل البرقطش على صفة تلميذه، وسماه الشيخ منصور.

وكان بوقتها الملك الصالح نجم الدين ايوب محاصر قيساريه، فسار صلاح الدين الذى هو جوان، دخل لعنده، سلم عليه وقال له: افندم، انا بفتح لك هذه البلد، على شرط، وهو ان تعطينى تمنيه. فطلع فيه الملك، وقال: ليقضيى الله امراً كان مفعولاً[١٢٩]، وقال له: لك ذلك. فسار جوان لتحت الاصوار[١٣٠]، واعطاهم الاشاره

١٢٥– حجة مسكتة للخصم.

١٢٦– كذا، عدت.

١٢٧– هاجمه.

١٢٨– قتله.

١٢٩– سورة الأنفال، ٤٢.

١٣٠– كذا، الأسوار.

انه هو البابا جوان. فنزلوا فتحو[ا] له الباب. فامرهم ان يسلموا البلد للملك الصالح، ويرتبو[ا] على حالهم خراج، وامنهم على ارواحهم، واشرط عليهم شروط. ورجعو[ا] على مصر، دخل [جوان على] الملك، دعا ترجم، ودعا للملك بدوام العز والنعم، وازالة البؤس والنقم، و ذكره بالوعد. فقال له الملك : نعم، تمنا ما شأت، يا صلاح الدين ! قال له : افندم بتمنا على الله، ثم على سعادتك، ان تجعلنى قاضى بالديوان. فصفن الملك حصه، وقال له : لك ذلك، وانت من الان قاضى الديوان، ولكن يا قاضى، مالك خواص بذلك. امر الله بده يتم، ما بتستفيد شى من هل عمل. ولبسه قاضى بالديوان، وقعد يستنظر محمود، الى ان كان قتل فيه بيبرص اغه وجاقيه سوق العطارين، وحضر للديوان.

فصار القاضى جوان يتمايزه ويقول فى باله : الاوصاف اوصاف محمود، ولكن الاسم متغير. عجب، هو ولا ما هو ؟ هنالك قال له الملك الصالح : ايش يا قاضى؟ حق الله ما بان[١٣١]، اكد لك فيه بالزياده شويه، وشوفوه هو او ما هو؟ ثم قال الملك الى بيبرص : من حقا[١٣٢]، يا ولدى، انت قتلت اغة وجاقية سوق العطارين؟ قال له : نعم افندم ! فقال له : مالسبب ؟ قال له : افندم، لانه مستحل العرض[١٣٣]. واراد ان يشرح له السبب، وباب الديوان استد، وداخل الشيخ كريم الدين ومعه جميع العطارين، وصرخو[ا] : امان افندم ! العرض لله والسلطان! فقال لهم الملك : شوبكم يا جماعه ؟ قالوا له : افندم، اغه وجاقيه سوقنا واحد شقوه، بيسكر وبوقف على قارعة الطريق[١٣٤]، وبيسحب النساء زوراً او رضاء، ونحن ما عمال يطلع من يدنا عليه شيء ؛ الى ان كان ذلك النهار، وسحب بنت من خاص اهالى مصر، فصارت تستجير، فتقدم بيبرص واراد ان يخلصها منه. تبارد عليه بالكلام، و تهور معه بقلة الادب[١٣٥]، فقتله بيبرص، وارحنا من شره. فقال الملك : شو هذا يا اغا شاهين ؟ ما بتخافو[ا] من الله ! مسلّمين شارع الى واحد شقى مثل هذا،

١٣١- سورة النور، ٢٥.

١٣٢- من حقاً يا ولدي، أي : أصحيح.

١٣٣- يستبيح الأعراض.

١٣٤- على حافة الطريق.

١٣٥- أساء الأدب.

يتحكم بعباد الله باصله، وتخلوا الرعايا يدعوا علينا ! يالله، خذوه، ادفنوه ! ماله دعوى.

فاخذوه وراحو[ا]، والعطارين نزلو[ا] الى دكاكينهم، وبعدها التفت الملك الى الوزير شاهين وقال له : يا وزير، بدنا واحد يكون ناس ملاح، نلبسه اغه وجاقيه عواض عن المقتول، حتى يصلح ما افسد. قال له : نظرك اوسع، افندم ! فقال الملك : وحيات راسى، مالها الا ولدى بيبرص، لانه واحد شهيم [١٣٦]، ناس ملاح؛ وصرخ : هاتو[ا] بنش ! حالا صار علي اكتاف بيبرص، وصرخت الشاويشيه : ما شاء الله ! مستاهل بايش ؟ قال الملك . هذا اغة وجاقيه سوق العطارين. وقال له : انزل يا ولدى، دور على شغلك، الله يهون عليك وعلى المسلمين كل امر عسير. فنزل بيبرص الى المكان المعدود الى اغة الوجاقيه، استلمها، وصار يرتب مهماته الى المسا.

توجه على السرايه، حضر الوزير نجم الدين، سلم عليه وهناه بالوظيفه، وقال له : عسى خير، يا ولدى ؟ انشاء الله بتتسلا بهذه الوظيفه، ولسع قدامك الرتب العاليه، رجائى بالله. قال له : الله يبارك لنا بعمرك، يا عمى ! وقعدوا، اتعشوا، وصلوا المغرب والعشاء، وداخل مملوك اخذ اتك الوزير، واعطاه ورقه. فاخذها، فضها وقراها يرى :

من يد الوزير شاهين، الى حضرة اخينا الوزير نجم الدين

ابدى انه قبل مسيركم الى الشام، تحضروا تشرفونا وتسهروا عندنا، فيالعجب من حين مجيئكم من الشام الى الان، ما عدتم شرفتونا. فنرجوكم في هذه الليله ان تجيبوا ضيفكم، وتحضرو[ا] لطرفنا، والسلام.

فقال بيبرص : ما هذه الورقه، يا عمى ؟ قال له : اننا معزومين لعند الوزير شاهين، بدنا نروح نسهر عنده. فقال له : والله، يا عمى، انا بستحى ! قال له : لا، يا ولدى ! هو طالبك، وجب حقه عليك يلزم ان تروح، قال له : حسب امرك، وامر الوزير الى المملوك ان يشعل الفنار، وفزوا ساروا الى بحر بلامه، الى سرايه الوزير

١٣٦– ذكي وكريم.

شاهين. فلما وصلوا، دخل بيبرص، يرا سرايه عظيمه المثال، واسعه – ورحمة الله اوسع من كل شيء – فطلع بيبرص، يرا تخت منصوب بارض السرايه، قال للوزير : يا عمى، انا رايح بقعد على هذا التخت. قال له : ولا بأس، ولما يطلبك الوزير بصرخ لك.

ودخل الوزير الى القاعه، وبيبرص برك على التخت، يرا المماليك عمال تحوص بارض السرايه. فصار يؤكد فيهم، يراهم من الذى كانو[ا] معه وقت الذى جايبهم على اغا الوراق. فصرخ لهم بيبرص، واحد بعد واحد، باسمائهم، وقال لهم : كيف حالكم ؟ وصرخ لكل واحد باسمه. فقال له علاى الدين : انت من تكون حتى عمال تعرفنا، وتسلم علينا ؟ فقال له : انا اخوكم، محمود، الذى كنت ضعيف، وتركني على اغا الوراق بالشام. فقال له علاى الدين : هذا انت خراتك على سيقانك ! ؟ والله صرتك ادم ياه ! فقال له : وين اخى ايدمر ؟ قال له : فوق بالعليه.

كان راح الخبر الى ايدمر انه اجاك محمود، وهو قاعد تحت عمال يسئل عنك، فقام، نزل يركد لتحت، والتحش على محمود وعانقه، وصار يسلم عليه، وقال له : متا جيت، يا اخى، من الشام ؟ قال له : صار لى شهر جايه، وانتم ليش هون قاعدين ؟ قال له : من حين ما جبنا على اغا، استلمنا الوزير شاهين، وبقينا عنده الى الان. قال له : ولا باس ! واما الوزير نجم الدين، فانه لما دخل للقاعه لاقاله الوزير شاهين، وترحب فيه، وسلم عليه. ولما استقر به الجلوس، قال له : وين الأغا بيبرص ؟ ليش ما اجا معك ؟ قال له : اجا وقاعد بره، استحا يدخل معى. فطار عقل الوزير، وقال : ليش حتى يستحى ؟ اصرخ له. فراح الطلب الى بيبرص : كلم الوزير. فقام، ودع ايدمر، ودخل للقاعه. ففز الوزير شاهين، وكان الوزير، يا اخوان، ماله حق يفز الى بيبرص بمناسبة الرتب، لكن الوزير سمع كلمت الملك الذى قالها : وعزة الله ! كانه الغراب الذى رايته بالمنام. فلذلك فز له حتى يزرع معه[١٣٧]، وقد عرف انه قدامه ايام طيبه. واما بيبرص، فانه انصبغ وجهه من الحياء، وركد اخذ اتك الوزير، وقال له : امان افندم ! انا شو حدى حتى مثلك، وزير عالى الشان، يفز

١٣٧– حتى ينشئ علاقات طيبة معه يجني ثمارها في المستقبل.

لى ؟ فقال له : يا ولدى، نحن هون اخوان، والوزراه بالديوان ؛ تفضل اجلس. قال... فجلس بيبرص، وسلم عليهم، وحضر المشروب، شربوا وانبسطوا، وصاروا يتسامروا. ثم امر الوزير شاهين بوضع رقعة الشطرنج، وصار يقلب ويلعب هو والوزير نجم الدين. وكان نجم الدين لعبه قاصر، فصار يخربط باللعب، وبيبرص يحتد[138]، ويصفر، ويحمر. وهذه عادة كل من يلعب، وقعد يتفرج : متا مالقا لعبه ناقصه، يتضايق. فلاحظ عليه الوزير شاهين، وعرف انه على باله باللعب. فقام الرقعه من قدام نجم الدين، وحطها قدامه، فختجل بيبرص، وقال : امان، افندم! انا شو حدى العب قدام سعادتك ؟ فقال له : ولك يا ولدى ! انا من حصه ما قلت لك الوزاره بالديوان، ونحن هون مثل بعضنا ؟ فقال له نجم الدين : العب يا ولدى مع الوزير ؛ انا، والله ! لعبى قاصر. فقال له الوزير شاهين : يا ولدى، ان غلبتنى لاشكل [139] لك هذا الخنجر. وكان خنجر مؤلمس عديم المثال، وقال له : يا ولدى، هذا ما هو قمار، لانه النذر من طرف واحد، ما هو من الطرفين. وصاروا يلعبوا.

واما المماليك، يا اخوان، فانهم راحو[ا] لعند قلون، وقال[140] له : قوم ! تفرج على محمود، صار اضم، والوزير عمال يلعبتك بالشطرنج. فنزل قلون، وقف على شبابيك القاعه، وصار يتفرج، وهو يتحول ويهز براسه، ولازال واقف الى ان انتها اللعب، وبيبرص غلب الوزير، فشكل له الخنجر. فلما شاف قلون ذلك الشوفه، اخذت معه الحكايه، وصار يكزدر[141] بارض السرايه، ويقول : خدك ورده طيزيك فرده ؛ وزير يصرخ : مملوك هات شمعه، وخراتك على سيقانك يلعبتك شطرنج، ووزير بيشكلتك خنجر. والله، هذا شى قبا[142]، ياه، وما عادله ضيان[143] ! يوقف ! طلع الى اوضته.

١٣٨– يشتد غضبه.

١٣٩– أي : أضع الخنجر على خصرك هدية تتزين بها.

١٤٠– كذا.

١٤١– يسير بتؤده ، أي : يتجول، من التركية : «نزدرمك» جعله يتنزه.

١٤٢– شيء مقرف.

١٤٣– ما عاد يحتمل.

والوزر لازالو[ا] سهرانين لحكم الساعه سته، بعدها قام نجم الدين حتى يروح، فقال له الوزير شاهين : يا اخي، انت رجل كبير، لا تزعج حالك ! فقط بريد منك كل ليله ابعثلي الاغا بيبرص، يسهر عندى. قال له : امرك افندم ! وودعو[ا] وساروا، وهم بالطريق قال له بيبرص : شو هل اخلاق الذى للوزير، يا عمى ؟ فقال له : والله، يا ولدى، واحد ماله مثيل ! سمعت كلامه : من الان وصاعد، كل ليله بدك تروح تسهر عنده. قال له : امرك افندم ! يحصلى الشرف. ولما وصلوا للسرايه، كل من راح الى منامته.

باتو[ا] ذلك الليله، وفزو[ا] تانى الايام. توجه الوزير نجم الدين على الديوان، وبيبرص توجه على سوق العطارين، الى محل مؤموريته[١٤٤]، و[ركز] عند الشيخ كريم الدين. وصارو[ا] اهل السوق، كل من صار له دعوا يجي يقيمها عند بيبرص، لأنه صار آغتهم ؛ الى المسا، توجه على السرايه، تعشى هو ونجم الدين، وصلوا المغرب والعشاء، وتوجه بيبرص لعند الوزير شاهين، يسهر. واقام على ذلك الحال : بالنهار يركز عند كريم الدين، وبالليل يسهر عند الوزير شاهين مدة أيام.

ديوان عثمان بن الحبله

قال الراوى : الى ليله كان الامير بيبرص سهران، هو والوزير شاهين، ولما خلصت السهره قال له الوزير : يا ولدى، ليلة غداً ما فيه سهره ؛ بدنا ننام على بكير، وبعد بكر[ه] نفيق بكير، ناخذ المماليك، ونطلع لارض الجيزه، حتى نعلمهم على ركوب الخيل ؛ وانت الاخر، يا ولدى، ابقا احضر اذا كان ناقصك شيء تتعلمه، وان كان نحنا ناقصنا، نتعلم منك. قال له : استغفر الله افندم، تحت امرك ! وودعه، وسار الى السرايه. بات ذلك الليله، وقام تانى يوم، فطر وسار الى سوق العطارين، ركز عند الشيخ كريم الدين الى المسا. توجه الى السرايه، وحضر الوزير نجم الدين من الديوان ؛ تعشوا سوا، وصلوا المغرب والعشاء، وسهروا لهم ساع[تـ]ـين زمان، وقامو[ا]، كل من راح الى منامته، باتو[ا] ذلك الليله.

---

١٤٤ – كذا، ماموريته.

وقام بيبرص تانى يوم بكير، نزل حتى يتوضا، فقال لحاله : حتي دق على السايس باشى، وقول له يوضبلى جواد، لحين ما اتوضا واصلى. وسار على الركبخانه، طرق الباب. وكنا قدمنا انه السايس باشى اسمه عقيرب، وهو حباب اولاد، وفى ذلك الليله كان عنده ولد، وفى تلك الساعه راح من عنده، وعقيرب حط راسه وبده ينام، سمع طرق الباب، فصرخ من جوه : تعوذ ايه[١٤٥]؟ يا واد، ليه رجعت دى الوقت ؟ طلع الصبح، معادش اخت[١٤٦]. فغضب بيبرص، وطرق الباب اقوى من اول مره، فصرخ عقيرب : روح، يا مخنت ! يا علق، ما شبعت من المسا لدى الوقت تخنيت ؟ فطرق بيبرص ثالث مره، فقال عقيرب : بدى اشوف دا العلق مين، الذى يخبط الباب عند الصبح. وقام فتح الباب، كان يناوله بيبرص بكف خربط مناخيره، ونزع صباحه، وقال له : هى كدى، خاين ! انا مخنت ؟ وتركه ودخل توضا، وصلى الصبح، وبعدها قال : يا ريت ما ضربت السايس، هذا رجل اختيار. وقام نزل لعنده، صرخ عليه وقال له : بابا، انت رجل اختيار، ليش بتحكى هيك كلام بتخلينى ازعل ؟ ومد يده وناوله دينارنين، وقال له : بابا، انا فايت اشرب فنجان قهوه، وانت وضبلى جواد طيب، بدى روح على الجيزه. فقال له : حاضر ! فتركه بيبرص، وفات للسرايا، وعقيرب قال فى باله : والله ! حتى روحه قتل هل علق، وصرخ على سايس وقال له : يا حسين، خذ دى النصفين فضه، وروح لعند السراج، وخوز له دى العده، وقول له يعمل لها مْدَبَرَهْ[١٤٧]. قال له : حاضر! واخذ العده والدراهم، وراح. غاب حُصَه ورجع، وَهُوَ جَايبها. فَطَالَعْ عقيرب جواد حشرى[١٤٨]، ربيط، من سنتين ما رتكب، حط عليه العده وهندزه. وبعد حصه، طلع بيبرص لقا الجواد واقف، فقال له : عفرم بابا ! وطبق ركب، وسار طالب ارض الجيزه.

١٤٥– ماذا تريد.

١٤٦– ليس الوقت مناسبا للتخنث.

١٤٧– تدبير.

١٤٨– جموح.

فلما وصل، لقا المماليك سابقته، وهم مصفوفين صفين مقابل بعضهم، مثل الدشمان ؛ وبراس الصف الواحد قلون، والصف الثانى ايدمر. ونظر الوزير شاهين واقف على تبه[١٤٩] عاليه، ومعه بعض ظباط. فخطر بيبرص بباله ان يفرجى الوزير شاهين شجاعته، فنهذ[١٥٠] الجواد، ودخل بين الصفين، فطلع من تحته كانه الريح الهبوب، او الماء اذا انتفق من ضيق الانبوب، الى ان وصل لأحد الخيام، اراد ان يرجع، فشد الدزكين[١٥١] : طلع بيده، فتمطا بالركاب : وقعوا فى الارض، والجواد غاير فيه. فعانق الجواد وغاب عن الوجود، ما يسمع الى[١٥٢] صارخ يقول : هو! يا مصلح الصالحين اصلحنا ! فيبس الجواد بارضه، فلتحش بيبرص الى الارض، والتفت على الصارخ، ما وجده. وما كان الصارخ الا الملك الصالح، وقد صرخ ذلك الصوت من ديوانه. واما الوزير شاهين، فانه شافه لما غار فيه الجواد، فلحقه، هو والظباط وبعض المماليك. فنظروا اغراضه محتره[١٥٣] فى الارض، مثل الشال، والخنجر، والساعه. فصارو[ا] يلملمو[ا] له اياهم، فقال قلون للوزير شاهين : افندم، بيبرص ما بيعرفتك بركبتك خيل، ما هو خيال مثلك انا. طلع فيه الوزير شاهين وزوره[١٥٤]، وقال له : وحيات راسى ! ما فيكم من يلوى عنان قدامه. ولما وصلوا لعنده، قال له الوزير : ما هذا الأمر يا ولدى ؟ وكان نجم الدين احكا له عن فروسيه بيبرص، وما فعل بارض الصنمين والعريش. فلما سئله ذلك السؤال، قال له بيبرص : والله، يا عمى، انا من عمرى بركب خيل، ما صار معى مثل ذلك النهار. قال له الوزير : عليَّ بالاسايس باشى بتاعى. فصار بين يديه، قال له : يا اسطه شوف هذه العده، شو حكايتها ؟ فطلع السايس بالعده، وضحك وقال للوزير : افندم، اسئل البيه ضارب سايسه، لانها هذه الماده من مكر السايس، وهذه العده مدبره. فقال له

١٤٩- على ربوة عالية.

١٥٠- كذا، نهز، أي : حثَّ.

١٥١- المقود أو اللجام أو الرسن (كلمة تركية).

١٥٢- أي : إلا.

١٥٣- أمتعته متفرقة ومبعثرة.

١٥٤- نظر إليه نظرة غضب.

الوزير : يا ولدى، ضارب سايسك ؟ قال له : والله، يا عمى، انا ما عندى سايس، بل انما سايس عمى نجم الدين، واسمه عقيرب. قال سايس الوزير : دا واحد وحش، ونحن طاردينه من الوجاق، ولكن جناب الوزير من عليه، ورجعه واخذه لعنده، وهو واحد دنس. فقال له الوزير : يا ولدى، لازم تعمل لك سايس على خاصيتك، لانه هذا الكار كار شد وعهد. قال له : امرك افندم !

جابوا له عده، حطوها على الجواد، وفرطوا [١٥٥] ذلك النهار، ورجع بيبرص على السرايه. وكان عقيرب قاعد، وفى كل فكره انه بيبرص راح قتل، ما شافه الا نافد ما فيه شىء، وحول قدام الباب. فطلع حتى ياخذ منه الجواد، فشال يده بيبرص وطرقه كف خربط وجهه، وقال له : ولك بذونك ! مقصودك تروحنى قتل. وتركه ودخل للسرايه، فطر وانبسط، وطلع صرخ الى عقيرب وقال له : بابا انت رجل اختيار، وانا بدى جيب واحد سايس من شانى، دلنى وين يلتقوا السياس. وكان السايس بمصر شكلين، شكل احرار كدعان، يلتقوا بمكان يقال له قناطرالسّبآعْ، وشكل تانى عُلُوق مُخَنَتينْ يلتقوا بمكان يقال لها مسطبه ابو الخير. فلما قال بيبرص الى عقيرب : دلنى على السياس، قال له : بترا[و]ح من هون، يا بيه، وبا[تـ]سئل على مسطبه ابو الخير، والناس يدلوك، لما تصل، تخش جوه تلاقى الريس جالس، تديه عرق اخضر، وتقول له : عايز واحد سايس يكون ضاجن خوند[١٥٦]؛ يديك واحد، تجيبه وتجى هنا. فقال له بيبرص : طيب، شد على الرهوان ! وافتكر كلمة ضاجن خوند يعنى زربه معتبر[١٥٧]. فراح عقيرب، شدله على الرهوان وجابه. ركب بيبرص وسار باسواق مصر، وصار يسئل على مسطبة ابو الخير. والناس يدلوه ويقولوا : ايوه، يا جماعه ! اذا كان الذى زى هذا يسئل على مسطبه ابو الخير، والزى حالاتنا [١٥٨] يعمل ايه ؟

١٥٥– وقضوا ذلك النهار.

١٥٦– ضاجن من العربية داجن وخوند يعني امير والمقصود : مخنث.

١٥٧– شديد ماهر.

١٥٨– الذي مثل حالنا.

هذا وبيبرص ساير، وما هو فهمان الغمزة من اهل البلاد ؛ الى ان طلع برات مصر، وجد مكان مثل الخان، فدخل وجد تخت، جالس عليه رجل اختيار، شوا[ر]به بيض ودقن حليق، وعلى راسه لفه اربعة وعشرين شقفه، مثل الحشاشه. قال له : بابا، السلام عليكم ! قال له : وعليكم السلام، تفضل يا بيه ! فمد يده بيبرص، وناوله دينارين، وهم يكفو[ا] عن عرق الاغضر[159] .

قال... فلما شافهم ابو الخير كان ان ينمزع[160] عقله، لانه عمر[ه] ما ملك عليهم، وقال : تعوز ايه، يا بيه ؟ قال له : يا بابا، بريد واحد سايس يكون ضاجن خوند. فقال له : حاضر، يا بيه ! وكانو[ا] الاولاد عنده ثلاث درجات : ادنى، واوسط، واعلا. فصرخ الى واحد من الدرجه الاول، وقال له تعال يا واد، يا رضوان ! قال : تعوذ ايه يا سيدى ؟



١٥٩- كذا، أخضر.

١٦٠- يتمزق عقله.

[٨] *

قال الراوى : قال له : تعوز ايه، يا سيدى ؟ وطالع غلام ظريف المحاسن، مخطط [١]، مزركش [٢]، محفحف [٣] وهو عمال يتلقوط [٤] بالمشى، فقال بيبرص : لا بابا ! هذا ما ينفع، انا بريد واحد سايس يكون ضاجن خوند. فقال ابو الخير للغلام : روح يا واد، كتك داهيه ! ما كانشى احد يقبلك ! فراح الغلام، وابو الخير التفت ناح الدرجه الثانيه، وصرخ : تعال يا واد حسين. فطلع بيبرص، يرا الغلام كانه البدر، لابس بدله مزكزكه [٥]، وهو عمال يتمختر، فقال بيبرص : لا بابا ! هذا ما هش طيب. فقال له : روح يا دنس ! وانت الاخر ما رادك. والتفت ناح الدرجه الثالثه، وصرخ : تعال يا واد، يا يوسف. فطلع غلام كانه البدر المنير، ذات حسن وجمال، وهو عمال يتخَلْوَع [٦] بالمشى. قال بيبرص : لا حول ولا قوت الا بالله ! بابا، انا بدى واحد يعمل كده كده. قال له ابو الخير : يا بيه ! دا احسن الموجود عندى، فاذا كان غفل عنك رضوان [٧]، وطلعت من الجنان، واجيب لك ذيك منين ؟ فقال له : بابا، انا بدى واحد سايس ضاجن خوند، يكون زربه [٨] طيب. قال له ابو الخير : هادى الوقت فهمت؛ البيه عايز سايس حر، ويقولى ضاجن.

وداخل غلام ازعر، وقال : ايوه ! يا ابو الخير، صرف البيه، اجا عتمان ابو عيق مصر ! ما شاف بيبرص الى [٩] العالم صارت تتهارب، والغلام الذى اعطى خبر عتمان

---

* أُدخلت في القراطيس التالية بعض الإضافات بقلم ناسخ آخر؛ وكلما اعتمدناها أشرنا إليها بحاصرتين مستقيمتين [ ].

١- يلبس الثوب الذي زين بالخطوط.
٢- المزين بالتطريز.
٣- حليق الذقن.
٤- يتبختر بالمشي.
٥- ضيقة.
٦- يتكسر في مشيته.
٧- ملك، حارس باب الجنة.
٨- قوي، شديد، مقاوم.
٩- إلا.

هرب الى اوضته. تسكرت الاوض، وما عاد يلتقا الدومرى[١٠]. وبعد حصه، داخل غلام ازعر، ملفوف بحرام مغربى، وعلى كتفه نبوت[١١]، وله وجه مثل دائر المزهر[١٢]، والشجاعه لايحه على وجهه، تشهد له ولا تشهد عليه. قال بيبرص : هذا واحد ضاجن خوند طيب. فقال له ابو الخير : اسكت يا بيه، وسر السيده ! دا يضيعك. فقال له عتمان : ايو ! يابو الخير، دا ماله هنا ؟ قال له : يا عثمان، دا البيه مغشوش، عايز واحد سايس حر، وبقولى ضاجن خوند ! فقال له : طيب ! وعجب، صار لك شهرين ما اديتنى جعل[١٣]. قال له : بعرضك، يا عتمان، ما فش معاى فلوس. فقال له : ودا البيه، لما خش عندك، ادالك ايه ؟ قال له : ما قلت لك دا غشيم، ما ادانيش ولا حاكه. وكان ابو الخير، لما اجا عثمان، حط الدينارين بحنكه، فقال له عتمان : طيب ! وخدك ماله ورمان ؟ قال له : نازل على نزول، يا عتمان. فقال له : طيب ! ورينى ايا، لما اشوف دا [ا]لحدف[١٤]، لما اطيبك. فقال له : بعرضك، يا عتمان، اهي دينارين، ما فيش غيرهم ؛ خوذ ! حذهم[١٥] ! ومد يده وطالعهم، وناوله اياهم. فلما شافه بيبرص اخذ الدينارين، ظنه رضى يخدم عنده، فقال له : عفرم بابا ! انت واحد ضاجن خو[نـ]ـد طيب. قال له عثمان : العمه ! انا عجبتك يا بيه ؟ فقال له : مليح بابا مليح ! قال له : طيب، تفضل لما روح وياك ! فطار عقل ابو الخير على بيبرص، وركد حط يده بزناره، وقال له : بعرضك، يا ابو عيق مصر ! دا البيه غشيم وغريب، والغريب يكرم اكراماً للحبيب. فقال له : ما تخفش، يابو الخير ! من شان خاطرك، ما بطقه بس اخنته، [و]داريه[١٦] ومعريه[١٧] واسيبه. فقال له :

١٠– أي : لا يلتقى أحد.

١١– أي : عصا (باللهجة المصرية).

١٢– مثل الدف.

١٣– معاش.

١٤– الزكام الشديد، مرض مفاجئ.

١٥– كذا، خذهم.

١٦– ألاطفه.

١٧– أنزع ثيابه.

بالنبى ! قال له : اى، وسر السيده ! هنالك سيبه ابو الخير، ورجع قعد على تخته، وهو عمال يتاسف على بيبرص.
وبيبرص طلع ركب الرهوان وسار، ومشى عتمان بركابه، وقال له : كندى، دى الوقت رايحين فين ؟ قال له : الى بيت الوزير نجم الدين البندقدارى. قال له : طيب، والذى بعثك الى مسطبه ابو الخير مين ؟ قال له : عقيرب. فقال له : ارحب ! دا بتوع الصغار، سايس الحاج نجم الدين ابو بندق. ايوه ! عرفت صنعتى. وصار يؤلج[١٨] بالمشى، فقال له بيبرص : شو بك بابا ؟ قال له : كندى، رجلى واجعانى، ودى الوقت فقست[١٩]، ما عمال احسن امشى. فقال له : طيب بابا ! اركب وراى. فقمز عتمان، وصار على ظهر الجواد ورا بيبرص، وانحشر فيه، وصار يضمه الى صدره. فلما فهم بيبرص مضمونه من يديه [...] [٢٠]، فقال له عثمان : ايه كندى على دى اليدين، ما [أ]كوسهم ! فعصهم بيبرص بسره : مددك جدى س[لـ]ـطان ابراهيم الادهم ! فحس عتمان انه اصابيعه وقعوا، فنتر حاله [٢١] والتحش على الارض، وقال له : دهيه تنكبك ! ما اوحشك ! خمنتك محبوب، تاريك وحش مغضوب. وطلع باصابعه، لقا الدم فـ[ـا]ر نبع من تحت اظافيره، فقال له : روح بحالك يا بيه ! قال له: ما تمشى ؟ قال له : افتح [عينك]، يا بيه ! دنا عتمان ابن الحبله، قاتل سبعه ولا الظهر الحمره[٢٢]. بقا روح بحالك، احسن لك ! فقال له : امشى، ولاً بذونك ! قال له : ايه ودنك[٢٣] ! بقا ايه الخدامه تبقا بالزور ؟ اهم دينارينك او دراهمك، خذهم، ينباعوا بعزاك. قال له : امشى ولاً كرته [٢٤]. قال

١٨– يعرج.
١٩– التوت رجله.
٢٠– هنا نقص في المخطوطة، وبالمقارنة بالرواية الحلبية نفهم أن بيبرص أمسك يدي عثمان فظن هذا الأخير انه يداعبه.
٢١– قفز.
٢٢– في رابعة النهار، وقت الظهر.
٢٣– أي : ما معنى كلمة بزونك ؟
٢٤– كراته، كلمة تركية، يونانية الأصل، تعني : قواد.

له: ايه ! وعلى شان ايه تبربر [٢٥] بطرشي ؟ دنا بالترشي ماعرفش. وقال له : وسر السيده، الهريبه ثلثين الشجاعه ! فدار ظهره، وقام القيام.

قال . . . فحول بيبرص عن الرهون، وغرف سَلاَسل اللت، ولحقه، ونقره ضرب بين اكتافه، كدَّمه الارض بنير اسنانه [٢٦]، فصرخ : اه، بعرض السيده، لا تنقر ثانى ! بعرض النبى ! فقال له : قوم، ولاً بشت [٢٧] ! قال له : يه ! ودى بشت تبقا ايه ؟ ثم كتفه بيبرص وسحبو، واجا لعند الرهوان، ركب واخذه بركابه، وسار ناح مصر. فقال له : كندى كندى ! دى الوقت اخذنى فين ؟ قال له : على الياخر. قال له : وسر السيده ! ما تخش بى مصر كده، لما يطقونى ويعرونى. فقال له : شو بتريد اعمل لك ؟ قال له : لتمنى [٢٨]. قال له : طيب. وطالع منديل، لتمه، وساروا حصه، رد قال له . كندى كندى ! دنا حارق قلوب اهل مصر، وهم يعرفونى، من ذى ما تخششنى مصر كده مكتف، لما يطقونى ! قال له : والان شو بدك ؟ قال له: فكلى كتافى. فقال له : بخاف تهرب. قال له : اهرب فين، والمكبكب وياك ؟ فقال له : طيب، واطلقه من كتافه، فمشى قدامه مثل الغنمه، واصل سرايه الوزير نجم الدين.

ولما وصلوا حول بيبرص، وصرخ على عقيرب وقال له : جبت لك واحد سايس ضاجن خوند، خذ استلمه. واعطاه الرهوان، ودخل للسرايه، وعتمان دخل قعد على التخت، وعقيرب ربط الرهوان بعد ما شلحه، ورجع لعند عتمان، وقال له : ايوه يا واد، ما تكشف اللثام ؟ قال له عثمان : بستحى. فقال له : فى مسطبه ابو الخير ما ستحيش، وهنا ستحى ؟ وقال لحاله : لما الحقه تازه [٢٩] واختنته، وحط بقرنك يا ابن العجميه ! ومد يده، ونتر اللثام عن وجه عتمان، كان يقمز [٣٠] لورا دراعين. فقال له عثمان : اه يا معرص ! يا دنس ! يا بتوع الصغار! تبقا تبعث ا[لـ]ـكندى

٢٥- تتكلم بكلام غير مفهوم.

٢٦- رماه على الأرض على وجهه وكأنه قضم الأرض، ونير الأسنان : اللثة.

٢٧- نذل.

٢٨- أي : غطى وجهه ولم يترك إلا عينيه.

٢٩- جديد لم يستعمله أحد.

٣٠- يقفز.

لمسطبه ابو الخير، على شان يجيب لك سايس ضاجن خوند، الزق بالعامود، يا معرص ! قال له : بعرضك يا عتمان ! قال له : بعرضى، كيف ؟ وسر السيده ! ان تميت اقتلك من دى الوقت الى يوم القيامه، ما هوش بنقره واحده من المكبكب. يالله ! الزم العامود، يا ابن القحبه ! وكتفو بالعامود، ونزل فيه بالنبوت، حتى قطع انينه. فسمعوا السياس حس العكره [٣١]، فدخلوا لينظرو[ا] ما الخبر، يروا عتمان نازل بعقيرب سلخ. فلما شافوا هذه الشوفه، تركوا الياخر وطلعوا يتراكدوا، وما بقا يسد رائسهم الا بلاد الصعيد.

واما عثمان، ياخوان، فانه بعدما قتل عقيرب، وشفا قلبه منه، راح لملم اللجم والركابات والسروج، وحزمهم وحملهم على ظهر، وطلع من الياخر بطلعت بيبرص من باب السرايه. شافه فقال له : ولا عتمان، فين رايح ؟ قال له : كندى فيه عند السياس عاده، لما يجى سايس جديد، يلم اللجم والركابات، يروح يجليهم. فان خرج من يده، يصير له عيش، وان ما عرفش، يقلعوه. وانا دى الوقت رايح على شان الامتحان. فقال له : طيب، روح لا تتعوق ! فمشى عتمان، وبيبرص صفن حصه، وصرخ : بره [٣٢] عتمان ! قال له : نعمين كندى ! قال له : وقف، عاوزك. فوقف عتمان، وتقدم بيبرص، كمشه من يده ورجع فيه على الياخر، ما لقا فيه الدومرى. فصرخ على عقيرب، جاوبه بحس انين، فسار ناحه يراه مكتف بالعامود، فتقدم اطلقه، وكتف عتمان مطرحه ونزل فيه بالكرباج، حتى قطع انينه وتركه؛ والتفت الى عقيرب وقال له : لا تفكه ! انا بعرف شلون بطيعه. قال له : ايو يا بيه ! دا واحد ازعر، ماهوش سايس، وهو عاصى على الملك. فقال له : لا بابا، هذا واحد ضاجن خوند طيب، بيعجبك. قال له عقيرب : العما على دا الضاجن !

قال . . . فرجع بيبرص على السرايه، تعشا وانبسط، وصلى، وبات ذلك الليله. واما عتمان، يا اخوان، فانه اصطبر حتى صار هدوه من [الليل]، فرفع رائسه وصرخ : واك [٣٣]، يا عقيرب ! قال له : ما لك، يا عتمان ؟ قال له : تعال هنا، لما حتلك [٣٤]

٣١– صوت االضرب بالنبوت.

٣٢– كلمة تركية، تستعمل للنداءت : يا أنت.

٣٣– ولك ! أي : يا فلان.

٣٤– كذا، يعني : أقول لك.

كلمتين. فقام عقيرب، اجا لعنده : تعوز ايه، يا ابو عيق مصر ؟ قال : عايز اسالك كلمتين : دى الوقت تريد تموت والا تريد تعيش ؟ فما رد عليه. فقال له : ايوه، ما ترد ؟ قال له : يا عتمان، والنبى ! دى الوقت ماهوش جايه على بالي الموت. فقال له : طيب، اذا كنت تريد تعيش، اطلقني، ودعني روح بحالي؛ وان ردت تموت، بكره لما يطلع الكندى بيبرص، اطيعه واخدم عنده، واموتك. بقا، شاور عقلك ! فصفن عقيرب حصه، واحتار بامره : خاف ان فكه يصوطه، وان ما فكه، يقوم يفعل مثل ما قال، يخدم بيبرص ويقتله. فقال له عتمان : ايوه يا رجل، ما ترد ؟ قال له : يا عتمان، خايف فكك، تقوم تعوطني[٣٥]. فقال له : ايه ! يا راجل، كيف تكون عملت معى جميل، وقوم عوطك ؟ فكني، يا راجل، وسيبني روح بحالي. فلما استوثق منه عقيرب، تقدم، فكه، فصار عتمان يلين يديه، وصرخ : ايه ! يا عقيرب، الزق العامود ! قال له : بعرضك، يا عتمان ! قال له : بعرضى، كيف يا دنس ؟ ما هو انت السبب بالذى جرى على ؟ ايوه، الزق العامود ! وتقدم، كتفه ونزل فيه بالنبوت، حتى قطع انينه، وراح لملم حمله وافيه من لجم وركابات، وفتح الباب وسرح بذلك الليل. ولما اصبح الصباح، قام بيبرص، نزل على الياخر، لقا الباب مفتوح على سياره ، دخل لجوه، لقاه منهوب على الكلب[٣٦]، فدور على عقيرب، لقا[ه] مكتف بالعامود، فتقدم اطلقه، وقال له : يا بيه[٣٧]، انت منين بلشتنا بهذا ابو عيق مصر، قاتل سبعه من الولايه ظهر الحمره، والحكومه ما عمال تقدر عليه، اهو نهب الياخر وراح. فقال له بيبرص : خليه يصير سمسم ينبدر، وانا على بلمه[٣٨]، ولكن هذا فين بيته ؟ قال له : دا له بيت ؟ دا واحد وحش، مسكنه المغاير. فقال له : ما له اهل بمصر ؟ قال له : يا بيه، دا له ام، بيتها بالمراغه وقبر الطويل. فقال : طيب، شدلى على الرهوان، حتى روح دور عليه، فقط لا

٣٥- تنقض علي وتؤذيني.
٣٦- أخذ منه كل شيء.
٣٧- في المخطوط : بابا.
٣٨- يصير مثل حب السمسم فيبذر، وأنا على بلمه : والمعنى مهما فعل أحصل عليه.

تقول للوزير انه الياخر انتهب. قال له : حاضر، ودخل شد على الرهوان ركب، وسار.

وصار يسئل على شارع المراغه وقبر الطويل، والناس تدله الى ان وصل، لقاه شارع مطرف باخر مصر. فدخل فيه، وسار الى ان وصل لدكانه عطار ؛ تقدم ناحه وقال له : السلام عليكم، يا بابا. قال له : وعليكم السلام، ورحمه الله وبركاته، تفضل يا بيه ! نهارك سعيد، نهارك زبده على عيش. وكانوا جميع اهل مصر يحبوا الشكل، وبيبرص كان جميل الصوره، فتقدم جلس على حفه الدكان، وصار يتناغش هو والعطار، ثم قال له : يا بابا، انت من اهل هذا الشارع ؟ قال له : نعم، يا بيه، تعوز ايه ؟ قال له : بتعرفلي بيت عتمان ابن الحبله ؟ فصفر وجهه العطار عند ذلك السؤال، وتركه وصار يناغش جاره بغير كلام حصه، وبيبرص عمال يستنا الجواب، ثم قال : يا بابا، انا سئلتك عن بيت عثمان ابن الحبله، وانت ما رديت لي جواب. فقال له : يا بيه، احنا ما عندنا حبله ولا حلبه[39] ! بتلتقا عند الحبوباتيه. قال له : بابا، انا ما بدى حلبه، انا بدى بيت عتمان ابن الحبله. ما شافه الا اخذ المروحه، وصار ينفض القطرميزات، وطالع الغبره على بيبرص. وهذا عادت العطارين : اذا ما عجبهم الزبون بيندا[ر]وا بغ[ب]روا عليه[40] فنزل بيبرص من الدكان، وصار ينفض اواعيه، وهو يقول : الله بن بلا ورسن[41]، حشاش ! انا بقول عثمان بن الحبله، هو يقلي حلبه. انا عند [...][42] لازمها شربه.

وسحب رهوانه، وسار الا[43] ان وصل لنصف الشارع، لقا دكانة خياط؛ فقال لحاله : هذا واحد خياط، لا بد ما يعرف اهل الشارع، لانه اكثرهم يخيطوا عنده. فقال له : السلام عليكم، يا بابا ! قال له : اهلا وسهلا، يا بيه ! وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ! نهارك ابيض، نهارك زبده على عيش، تفضل ! فدخل بيبرص، جلس بالدكان وصار يتناغش هو واياه، وبعدها قال له : يا بابا، انت قديم فى هذا

٣٩- هذا إتباع كما في الفصحى تقول حسن بسن. والحبلة الحامل والحلبة نبات يؤكل.

٤٠- يقومون يزعجونه بالغبار.

٤١- «بن» بالتركية تعني «لي» ؛ فمعنى العبارة : الله يبعث لي البلاء.

٤٢- هنا في المخطوطة كلمة غير مقروءة.

٤٣- كذا، إلى.

الشارع ؟ قال له : نعم يا بيه ! مولودى فيه . قال له : بتعرفلى بيت عتمان ابن الحبله ؟ ما شافه الا قام يده، وطرق اجيره كف مثل نغمات الاوتار، وقال له واك، يا علق ! ليش اليوم تضحيت [٤٤] ؟ فقال له الاجير : وسر السيده ! ما تضحيت، جيت قبل الشمس، اسال الجيران ! فنزل فيه وصار يقتله، فنزلوا الجيران، ترجو[ا] فيه وقالو[ا] له : اجا بكير يا وسطه ! نحن شفناه . وكذلك بيبرص ترجا فيه، وخلصو منه، وقعد صار يراوق بخاضره [٤٥]، وبعدها قال : يا بابا، سئلتك عن بيت عتمان ابن الحبله، ما جاوبتنى . ما شافه الا قام يده وطرق الاجير كف مثل الجمر، وقال له : واك، يا علق ! ليه مبارح كبيت اللحمه ؟ قال له : وسر السيده ! ما كبيتها شي، اسئل معلمتي . واخذ الهندازه [٤٦] ونزل فيه سلخ، وصار يخبطه خبطه، ويضرب على الدف خبطه، ويقول له : اليوم اخر ايامك، يا معرص ! فندار بيبرص، وصار يترجا الخياط بالغلام حتى دشره، وقال له : بابا، ليش كلما سئلتك عن بيت عتمان، تبطر[٤٧] الاجير ؟ فقال له : والله، يا بيه ! الناس قسمين : قسم اغنياء، وقسم فقراء . الغنى بيتزنر بشال كشمير، والفقير بيتزنر بحبله . قال له : بابا! شو كشمير ؟ شو حبله ؟ انا عمال اسئلك عن بيت عثمان ابن الحبله . قال له : والله، يا بيه ! جنابك طرشى، وانا بطرش ما افهمش، ودى الوقت صاير صخره [٤٨]، يسخرو[ا] لك الرهوان .

فقام بيبرص وقال : الله بلا ورسن ! هذا شارع كل اهل حشاش . ثم سحب الرهوان وسار الى الياخر . وتانى يوم نزل الشارع، لقا دكانت حلاق قراضه [٤٩]، عتيقه، فيها مرايه مكسوره، وموسين ومنشفتين مرقعتن، وصاحبها وقف قدام الباب، ووجهه مثل لهلوبة السراج من الفقر – الله يجعل نقرو ابيض[٥٠] – فقال

٤٤– تأخرت عن المجيء .

٤٥– كذا، بخاطره .

٤٦– المتر أو الذراع يقيس به الخياط .

٤٧– تضربه بشدة .

٤٨– كذا، سخرة .

٤٩– قديمة تعيسه .

٥٠– النقر هو المصيبة، والمعنى : الله يفرج عنه !

لحاله : هلق وصلت لمطلوبى ! اكرم هذا الحلاق، وهو بدلك. فميل ناحه وقال له : السلام عليكم، يا بابا ! قال له : وعليكم السلام، ورحمه الله وبركاته، تفضل يا بيه! فدخل بيبرص، جلس على المسطبه واخذ المرايه، وصار يهند حاله، والحلاق وقف. وصفن واحتار : شو بد[ه] يعمل له ؟ ده بد[ه] يحلق ؟ ما عنده عده تلاومه. وهو بذلك ومقبل ولد ابن سبعه سنوات، وقال : يابو، بدنا عيش ! فحط بيبرص المرايه، وطالع ثلاثة دنانير، حطهم على المرايه. فلما شافهم الحلاق، التوق حنكه [٥١]، وركد باس يده، وقال له : الله يطول عمرك، يا بيه، وبنولك مرادك ! فقال له بيبرص : بابا، انت قديم هون ؟ قال له نعم، يا بيه ! وابى وجدى قبلى. فقال له : بتعرف بيوت هذا الشارع كلها ؟ قال له : نعم، ولا بيت الا بعرفه. فقال له : بتعرفلى بيت عتمان ابن الحبله ؟ ما شافه الا صفن، وصار يحسب باصابعه. فقال بيبرص : بابا، شوا عمال تحسب ؟ قال له : يا بيه ! هنا عندنا القبور وتذهيب الميت غاليات، وجنابك اديتنى ثلاث دنانير. قبر بدينار، وثلاث ايام واول خميس بدينار، وبقا للعيال دينار، ما وفت هذه البيعه. خذ دنانيرك ور[و]ح عنا، والعيال لهم الله ! فقال له : بابا، يعنى، اذا دليتنى واخذتهم، شو بيضر ؟ قال له : انت وهمان، يا بيه ! دا عتمان ابن الحبله قاتل سبعه ولايا ظهر الحمرا، وحاطط حرشه [٥٢] للدوله وما حاسنين يحوشوه، بقا كيف بدى دلك على بيته ؟ فالذى بدلك باصبعه بتنقطع، والذى بدلك بعينه بتنقلع، والذى بدلك بلسانه بينقطع راسه، بقا روح عنا، غنانا الله ! فمد يده بيبرص وطالع دينارين، كمان حطهم فوق الاوليات، وقال له : يا بابا ! انت دلنى وخذ هذه الخمس دنانير، وهنا ما فى احد يسمعك، هل الحيطان لها اذان او لسان تحكى ؟ فقال الحلاق : لا اله الا الله [٥٣]، يرزق العبد [٥٤] رغماً عن انفه، اصبر يا بيه لما حتلك دى الحكايه، وفى باطنها تستدل على بيت عتمان. قال له : هات لشوف ! فقال له : يا بيه، انا رجل فقير، وما عندى الا ما

٥١- التوق حنكه : فتح فمه دهشة عندما رأى الدنانير.

٥٢- أي : تحدى الدولة ولا تقدر عليه.

٥٣- سورة الصافات، ٣٥.

٥٤- سورة الإسراء، ٣٠.

يبعث الله، فاصبحنا النهار داه ما عندى ولا حاجه، ولا عندنا كسر عيش، فقالتلى الوليه : يا راجل ! ابعث لنا عيش، دى الوقت يفيقوا الاولاد، بدهم يفطروا. قلت لها : والله، يا وليه ! ما عندش فلوس، رايح اقصد باب الله. جيت فتحت الدكان، وقعد[ت] الى ان تضاحا النهار، ما جانيش ولا زبون. قلت لحالى : روح للفرن واستدين رطل عيش للمسا. فسرت للفرن، لاقى المعلم يتخانق هوا وصانعه، ويقول له : لا تقيم رغيف الى[٥٥] بحقه ! قلت لحالى : يا رجل مليح ما كسرت نفسى ! وانا واقف، صرخ الى الولد : ويون[٥٦] الوزات[٥٧] بتاع عتمان ؟ قال له : وديتهم. بقا اذا اردت تستدل على البيت، روح للطابونه[٥٨] واصرخ للريس، وتقول : الذى تبعث الوزات ناقصات لبيت عتمان، وهم ثلاثه. فيطلع لك الولد للمجاقره[٥٩]. خذه وروح للبيت على شان انك تستفهم، فتستدل على البيت ! فقال بيبرص : عفرم بابا ! وترك له الدراهم، وطلع ركب راهوانه، وسار الى الطابونه وصرخ : يا ريس ! كيف تبعث الوزات تنتين الى بيت عتمان، وهم ثلاثه ؟ فقال الريس : بعرض النبى ! واك يا حيسن[٦٠]، يا علق، رحت بالوزه التالته، فين الثلاثه ! اخذهم العبد ؟ فقال له بيبرص : ما فيه غير تنين، امشى لشوف قدامى، واجهنى بالعبد لشوف سلمته اياهم ثلاثه. فطلع الولد، يركد قدامه مثل النحله، وبيبرص ساق وراه، والولد يدخل بعطفه ويطلع من لفته، الى ان وصل الى حاره باخر الشارع، وفى صدر الحاره بيت، بابه عالى، قدامه درج قلاب. فتعلق الولد على الدرج، فاعلم بيبرص انه هذا هو البيت. فقال له : ارجع يا ولد، انا استفكرت، الوزه الثا[لـ]ـثه اعطيتها لجماعه.

فرجع الولد، وبيبرص حول، ربط الرهوان بالدرج، وطلع لقدام الباب. لقا باب مصفح بالحديد، كنايه عن قلعه. فقام يده وطرق الباب، فسمع صارخ من جوه

٥٥- إلا.

٥٦- كذا.

٥٧- الوزات جمع وزة.

٥٨- لفرن الخبز.

٥٩- أي : متواقح.

٦٠- كذا.

يقول : ايدك. فجاوبه بيبرص وقال له : سيدك. فسمع قائل يقول : يا ستى، اهى الاشاره بعينها. فقالت له : ارفع الهالك، وافتح الباب ! فقال بيبرص : يا ترا شو هذا : مهالك ؟ ثم انفتح الباب، فدخل بيبرص يرا دهليز طويل عريض، وعلى جانبه حلقات فيهم بنود حرير، وفى الارض دواسات. فرفع راسه للسقف، يرا احجار معلقه، كل حجر نصف قنطار شامى. واكثر بيوت الزعر على ذلك اللون، فاذا رجل غريب، يدوس على الدواسات، بينزل عليه الحجر بيمعسه. فدخل بيبرص، يرا بيت كبير واسع – ارض الله اوسع من كل شيىء[61] – وفيه ليوان كسروى، وعلى حفة الليوان، الحمايل الذى اخذها عتمان من ياخر الوزير نجم الدين. فركد العبد حط له كرسى، جلس بيبرص حصه، ما نظر الا حرمه نازله على الدرج، بطنها عالى خلقه مثل الحبله، فلذلك سموها الحبله. وهى تحت اللثام، وقالت له : اهلاً وسهلاً بالشاه محمود ابن القان جمك !

قال . . . فتعجب بيبرص وقال لها : انتى منين بتعرفينى، يا امى؟ قالت له : يا ولدى، عرفى لجنابك له سبب، اذ[ا] امرت حتى ابدى لك اياه. قال لها : تفضلى ! فنادت العبد، فجاب لها كرسى، جلست قدام بيبرص، وقالت له : اعلم، يا بيه، ابى كان ايمام بالشارع، وامى ماتت وانا صغيرة، فصرت اخذم ابى مدة سنين، ففى بعض الايام، اجا لعندنا عالم من منازل ضيف، اظن انه لحنى فى بعض الايام، فخطبنى. ابى زوجنى اياه، فرحت حامله منه بعتمان، الذى انت جايه بطلبه. ولما مضا من الحمل ثمانيه اشهر، مات ابوه. وبعدها وظعت هذا الغلام، فاخذوه ودوه لتحت ستار السيده، كما هى العاده عندنا. وبعد ساعة جابولى اياه، لقيته مكحّل بقلم القدره، فسميته عتمان، وصرت اربيه بحجر الدلال، الى ان بلغ من العمر اربعة سنوات، مات ابى، وبقيت وحدى، وانا معتنية بتربايت عتمان، الى ان صار عمره ستة سنوات. وصار يتبارد على اولاد الشارع، وتجينى عليه الشكاوات، ودا يقول لى : ابنك ضربنى ؛ ودا يقول : ابنك مدغنى؛ ودا يقول : ابنك نعرنى، وانا اعجزت، وانى انصحه. بعدها تشاوره على احطه بالمكتب، فاخذته ورحت الى بعض المكاتب، دخلت على الشيخ وقلت له : عايزه حط هل واد عندك، تعلمه

٦١– سورة النساء، ٩٧.

القرائه. قلى : ابقيه بين الاولاد ! فوصيته فيه، وتركت ورجعت. ولما صار المسا اقبل عتمان، وقال : يامى، يقول لكى الشيخ بكره لا تبعتينى، عنده صريفه[٦٢]. فانا تعجبت، يا بيه، وصبرت الى تانى الايام. قمت، تغطيت، واخذت عتمان، ورحت على المكتب، نظرته مفتوح، والاولاد قاعدين عمال يقروا. فقلت للشيخ : ليه قلت لعتمان بكر[ه] عندى صريفه ؟ قاللى : وحياتك، يا ام عتمان، دى الوقت رايح اصرفهم ! خذيه، حطيه عند غيرى. فاخذته ورحت الى مكتب تانى، وحطيته فيه، وارجعت الى البيت. والمسا اجا عتمان وقال : يمى، يقول لكى الشيخ بكره لا تبعتيني، عنده صرفيه. فانا زاد بى العجب، يا بيه، وقمت تانى يوم، تغطيت ورحت عند الشيخ، لقيته موجود، والاولاد قاعدين، فقلت له : يا شيخ ! ليه قلت لعتمان عندك صريفه، وهم الاولاد قاعدين ؟ قاللى : وحياتك، يا ام عتمان، رايح على بلاد الصعيد، لعند اهلى، روحى حطيه عند غيرى.

فاخذته وطلعت، وانا محتارة فين بدى حطه ؟ فشا[و]روا على الناس ان احطه عند المعلم، يتعلم له صنعه. فاخذته، ورحت حطيته عند واحد صباغ، واوصيته فيه، ورجعت للبيت. وبعد حصه، اتى المعلم وقاللى : يا ام عتمان، اجا الى هنا عتمان ؟ قلت له : ما هو عندك ؟ فقللى : اديته نصفين فضه، يجبلى عيش. راح ما رجعش. بعرضك يا ام عتمان، مافش واياى غيرهم. قلت له : روح، ما عليك! دى الوقت اجيبهم لك. وتغطيت دور[ت] على عثمان. فقالو[ا] لى : عتمان بمقام السيده. رحت الى مقام السيده، اشوفه قاعد عمال يقول : الله الله ! فقلت له : يا بنى، ليه تركت معلمك ؟ وين فلوسه ؟ قللى : اهم بجيبى. فاخذ[ت]هم واخذته، ورحت عند المعلم، اديته الفلوس، وقلت له : هذا عتمان، دير بالك عليه ! ورجعت للبيت، واقبل المعلم وقال : يا ام عتمان، راح عتمان ! فرجعت، يا بيه، لقيته هناك، فقلت له : يا بنى، ليش تركت معلمك، وجيت قاعد هنا ؟ قال لى : يا مى، الواحد له معلم والا تنين ؟ انا دى معلمى. واشار على السيده، وقال لى : بحيات النبى، تسيبني هنالك ! تركته، يا بيه، ورجعت ؛ ومن وقتها، تعلق على الزعاره، وصار ازعر ماهر، وما عدت شفته اتى من الباب، الا دائما يجى

٦٢– عنده عطلة.

من على الأساطيح. وصار له عزوه[٦٣] اربعين ازعر، وهو عليهم رئيس. ومن داب الرئيس، يا بيه، بده يقدم وكل الى جماعته. وعتمان ما فيش واياه فلوس، فصار ينزل على سوق التجار، ويخطف القوايق من على روس التجار، وبعدها عمل عليهم جعل بالشهر شيء معلوم، حتى ما يخطف لهم القوايق. وراح، يا بيه، صار يوقف بطريق الألآى[٦٤] نهار الجمعه، ويخطف قوايق الوزر، حتى ضجت مصر، واشتكوا للملك. فطالع فرمان بقطع رائسه، واعطاه لوالى من وليا الشوارع. فبلغ خبر الى عتمان، فراح وقف عند قاعة الزعر، خلا الوالى داخل الى القاعه ظهر الحمرا، طرقه بالنبوت على راسه، قتله. فهجمت عليه الزعر حتى يكمشوه؛ ندار عليهم فرقهم يمن[٦٥] وشمال، ونفد منهم قوه واقتدار. فراح الخبر للملك بما فعل عتمان، فطالع فرمان تانى، وسلمه الى والي تانى، كذالك قتله عتمان. ولازال يطلع فرمانات وعتمان يقتل، الى ان صاروا سبعه فرامانات، وعتمان قتل السبعه ولايا. وكل ذلك جرى معه، يا بيه، ما معى خبر، ولا شفته يوم اجا قال لى : راس[ـي] واجعنى، الى ليلة انبارح. كنت نايمه بالعليه، ما اسمع الا الباب يطرق. قلت : مين يطرق الباب؟ دا قال لى : افتحي يمى، وهو عمال يتشرنق[٦٦] فى البكاء. فانا تعجبت، يا بيه، ونزلت، فتحت له الباب، لقيته حامل الحمله دي. دخل حطها هنا، ذى مالك شايفها ؟ فطلعت فيه، لقيت عيونه بالطول، فقلت له : مالك يا بنى ؟ قال : آه يا مى، ربنا خلق واحد اشقر، بعين زرقه، وياه مكبكب، لما ينقر الواحد ما بخليه يقول آه ! يمى، لما نقرنى ديك النقره، حسيت عظامى تملصت، واخذنى الى ياخر الوزير نجم الدين ابو بندق، وكتفنى بالعامود، ونزل فيه با[لـ]ـكربوج. فالسلام عليكى، يمى، وعلى مصر، مادام ابو مكبكب فيها. وفتح الباب وسار.

٦٣- عصابة.

٦٤- الموكب، وهي كلمة تركية.

٦٥- كذا، اي : يمين.

٦٦- ينحب بالبكاء ويشهق.

ولكن، يا بيه، الكف ما بيصعب الا على آكله، فانا انقهرت، وطلعت الى منامتى، وصرت اتحسر على ولدى، الى ان اخذتنى سنه من النوم. مانظرت الى حضرت على المرقعه بالانوار، وقالت لى : يا حبله ! انتى ازعلتي على شان البيه حاطت على[٦٧] ابنك، ما تعلمى ان عتمان مكتوب بديوان المغازين، المجاهدين فى سبيل الله[٦٨]، وقد آن الاوان ان يرجع عن ضلاله، وينال الدرجه العاليه على يد هذا بيبرص، وهو اصله من الخـ[وار]زم والدربنات، واسمه الشاه محمود ابن القان جمك، ولابد ما يجلس على كرسى مصر، ويملك ازمة ارقاب العباد. فبكره ياتى عندك، دليه على مكان ابنك. فانتبهت، يا بيه، من منامى، وانا مرعوشه، وقد انبصطت من ذلك الرأيا، وحمدت الله تعالى، وقعدت استنظر قدومك، الا ان شرفت، وهذا السبب عرفى الملك.

قال . . . فلما سمع بيبرص ذلك القصه، انبسط وصار له مراق زايد بعتمان، شيء زايد، وقال لها : بارك الله بكى، يا امى ! والآن وين بلتقا عتمان ؟ قالت له : بمغر الزغليه ومساطب الحاكم. فقال لها : من اين طريق المغر ؟ قالت له : اصبر، يابيه ! دى الوقت ابنى عتمان غشيمك، وما بيعرف قدرك، وبقول المثل : تحقيق يا بدر، من لا يعرفك يجهلك، وابنى ازعر شاطر، وهو ابو عيق مصر، بيعرف بجميع الطوابق. عدلى، جنابك، الطوابق الذى بتعرفها، لا يكون ناقصك شيء طابق ما بتعرفه، يقوم يغدر فيك. فقال لها : طيب ! وعددها السبع طوابق الذى تعلمهم بالشام، فقالت له : ماشا الله ! ناقصك طابق واحد، وهو ظرب الرغيف الرصاص. قال لها : نعم، هذا ما بعرفه، ولا سمعت فيه. فقالت له : صدقت، ما فى احد بمصر بيعرفه غير ابنى عتمان، وسبب ذلك هو انه كان يوجد بمصر ازعر قديم، عمره كنايه مائة وعشرين عام، واسمه الحاج سالم، وهو بيعرف بطابق الرغيف الرصاص، ولكن تاب عن الزعاره، وانقطع الى العبادة، ومع ذلك، لا يمكن يفتحوا طابق، اذ لم يقروا فاتحه بصحايفه، فقالو[ا] له الزعر : ايوه، يا حاج سالم ! ما بتعلمنا دا الطابق، احسن ما تموت ويموت معاك ! فقال لهم : اذا مات معاى احسن ما يتعلمه

٦٧– يسرف في معاقبته بتعسف.

٦٨– سورة النساء، ٩٥.

واحد منكم، لانى مالى شايف بينكم واحد ازعر عايق. الى ان انتشا ابنى عتمان وطلع صيته بالزعارة، بعث طلبه، وامتحنه، لقاه شاطر، وقال له : انت تستحق ان تتعلم دا الطابق.

فشده وعمله ابنه، وعلمه ضرب رغيف الرصاص، فصار ابنى يجى هنا، يلعب فيه على شان التكرار ؛ ومع طولة الايام، تعلمته منه، ولكن لا يخرج من يدى اضربه زى الراجل، حيث بده زند عامر. فقال لها بيبرص : لكان، عجلى يا امى، علمينى اياه، حتى روح الحق عتمان قبل غروب. فقالت له ما بتحسن ! المحل بعيد؛ الليله بتنام عندى، وبكره بتروح على بكره. قال لها : ولا باس، ولكن الرهوان، كيف بدنا نعمل فيه ؟ فقالت : بارضه ! بتم على الباب، دا بيت عتمان ابن الحبله، وعلى ايش انت خايف ؟ ما احد يسترجي ياخذ من جهنم نار ! فافتخر بيبرص بزيادة، وصار له مراق بعتمان. ثم طلع العبد، قام العده من على الرهوان، وقام له اللجام، وعلق لـه. والحبله راحت نزلت رغيف الرصاص، فطلع بيبرص يراه مثل الصحن، وله كنار احد من السيف، وله سلاسل بحلقات ينحطوا بالاصابع ؛ فلما يضربه الراجل من يده، يطلع يدوى مثل الكله، والذى يصيبه بيقطعه نصفين. فصارت الحبله تعلمه، ولما امسا المسا حتى تعلم بيبرص، وصار من ارباب اهل العرف، واحسن من اربابه. فقالت له الحبله : ما شاء الله عليك، يا ولدى ! مثلك من يتعلم، والا بلا.

[توبة عتمان]

ثم تعشوا، وانبسطوا، وسهروا حصه، وقاموا ناموا. ولما اصبح الله الصباح، واضاء الكريم بنوره، قام بيبرص، توضا، وصلى الصبح، وقال للحبله : دلينى على طريق المغاير. فقالت له : يا ولدى، اذا سئلت ما احد بدلك، ولكن انا بعلمك على طريقة تستدل فيها. قوم انزل على السوق، اشترى لك خاروف، اعمله نيفه[٦٩]، واطلب واحد حمال، وقول له : اوصلى هذا الخاروف الى القرافه، بدى فرقه. بياخذك اول قرافه، قول له : الا الثانيه، الا الثالثة، قول له : عايز روح الا مغر الزغليه

٦٩- نهاية استواء اللحم على النار.

ومساطب الحاكم، فياخذك. قال لها : طيب ! وركب الرهوان وسار الى السوق، نظر اللحام فاتح جديد، وعمال يسلخ خاروف، فقال له : بابا، انا بدى تعملى هذا الخاروف نيفه. قال له : حاضر، يا بيه ! وبالحال كمل سلخ الخاروف، وهندزه، واخذه على الفرن، اعطاه الى الريس؛ شواه، ولما استوى، طالع بيبرص دراهم، اعطا اللحام والخباز بدون حساب. فشكـ[ر]وه ثم قال لهم : بابا، بدى منكم واحد حمال ياخذلى اياه على القرافه، بدى فرقه هناك. فصرخ له الى حمال، وقال له : حمل للبيه هذا الخاروف، بده يفرقه بالقرافه. قال له : طيب، قديش تدينا، يا بيه، كره ؟ فقال له اللحام : كالك العما ! لا تفاصل مع البيه، فقد ادانا بالزايد. قال له : طيب ! وحمل الخاروف، وسار مع البيه، الى ان وصلوا للقرافه، صرخ الحمال : هيش يا حمار[٧٠] ! الفاتحه ! فقال له بيبرص : لا بابا ! ما هو هون، بالقرافه فوق. قال له : ديك قرافه النصارى. قال له : ايشت قرافه نصارى ؟ فقال الحمال : يه ! تبقا نصراني، يا دنس ! وساق الحمار ومشى، وهو يخبط الحمار، الى ان وصل الى قرافه النصارى، صرخ : هيش يا حمار! فقال بيبرص : لا بابا ! فيه قرافه ثالثه فوق. قال له : ديك قرافة اليهود. هاه ! ايشة قرافه يهود ؟ قال له الحمال : يه ! تبقا يهودي، يا معرص ! اه، يا رب، على دى الوقعه، مع ده الفرنسوى[٧١]، الذى ما عمال نعرف له ديانه. وساق غصباً عنه، وسار الى ان وصل الى قرافه اليهود - عليهم غضب الله[٧٢] - وصرخ الحمال : هيش يا حمار ! اهوو، وصلنا يا يسدى، وهنا مدفون ابوك، وجدك، وجد جدك، والطايفه وما لم الفراش. فقال له : لا بابا ! ما هو هون. قال له : ما عاد فيش قرافات فوق. قال له : بدى روح على مغر الزغليه ومساطب الحاكم. قال له : اصحا يا بيه ! هناك مأوى المعترين، وعتمان وجماعته. مين بيسترجى يروح الى هناك ؟ فقال له : لا تخاف بابا ! قال الحمال : اه، يا رب ! يا رب على دى الوقعه اليوم ! وساق غصباً عنه، ومشى وهو يقول : تخمين، يلعب بالقمار هل دنس. والله، حلوتها يلعب لى على الحمار[٧٣]، هل معرص !

٧٠- وقف يا حمار ! هيش اسم صوت لإيقاف الحمار.

٧١- الإفرنسي.

٧٢- سورة البقرة، ٦١ .

٧٣- أي يجعل الحمار رهينة ليلعب القمار.

وتقدم الى جانب الحمار، وحط تمه بادنه، وصرخ صرخه : صخر يا حمار، صخره ! ومشى شويه، قلب الحمار بالارضه، مات ورفع الاربعه. فصرخ الحمال بالويل والثبور[٧٤] وعظايم الامور، وقال : مات الحمار ! واجيب عيش للعيال مـ[ـنـ]ـين ؟ وصار يبكى، فقال له بيبرص : لا تبكى، يا بابا ! ومد يده، ناوله خمست دنانير، وقال له : هذا حق الحمار، وخوذ الخاروف، وروح كله انت وعيالك، ولكن دلنى على المغر. فقال له : امشى ضغرى قدامك، لا عوجه ولا لفته. فساق بيبرص الرهوان وسار، فما قطع اربعه خمسة دقايق، الا سمع حس جرص وراه. لقا الحمار طيب، والحمال راكب عليه، وحاطط الخاروف قدامه، وطالع الحمار يهف[٧٥] مثل الشرار، فقال : الله بلا ورسن ! كمان حمار يعمل ملاعيب ؟ هذا ما كان منه.

واما ما كان من عتمان، فانه طلع من بيت امه، سار على المغاير ؛ وكان عنده اربعين ازعر، وعليهم رئيس من تحت يده، اسمه ابن الطويله. فلما وصل عتمان، دخل للمغر وصرخ : واك، يا ابن الطويله، هات الزعر الذى قاعدين، وفيق النايمين، وتعال لما حتلكم[٧٦] حتوته[٧٧]. فحالا اجتمعو[ا] الزعر، وقعدوا حواليه، وطلعوا فيه، يروا عيونه بالطول من كثر ما هو بكيان، فقال له ابن الطويله : مالك يا عتمان ؟ قال له : اه ! يابن الطويله، ربنا خلق واحد اشقر، بعين زرقه، ويـاه[٧٨] مكبكب، لما ينقر الواحد، ما يخليه يقول بوه. اه ! يا بن الطويله، لما زنقنى ديك الزنقه[٧٩]، حسيت عضامى ملصت[٨٠]، واخدنى الى ياخر نجم الدين ابو بندق، وكتفنى بالعامود وضربنى بالكربوج ؛ اه ! يا بن الطويله، السلام على مصر، ما دام ابو المبكبكب فيها : ما عادش احد يحسن يخش مصر، ما دام ابو المكبكب فيها؛ اه ! يا ابن الطويله، واحد اشقر، بعين زرقه، ويـاه مكبكب !

٧٤– سورة الانشقاق، ١١.

٧٥– جرى الحمار مسرعا مثل النار.

٧٦– أي : حتى أقول لكم.

٧٧– حكاية صغيرة.

٧٨– أي : معه.

٧٩– وضعه في مأزق.

٨٠– أي : خرجت عظامي من شدة الضغط.

وصار يكررها الى ان تضاح النهار، وقاموا الزعر، بدهم يسرحوا، فقال لهم عتمان : اقعدوا لما حتلكم، بعد بكير. اه ! ياخونا، ربنا خلق واحد اشقر بعين زرقه . . . ودام ذلك للظهر. جاعوا الجماعه، بدهم ياكلوا؛ قال لهم : بكير بعد ما جعتم، ولازال يقول لهم : ربنا خلق واحد اشقر، وياه مكبكب، لما ينقر الواحد ما يخليه يقول ايوه، الى ان اغلق الليل، وساهرهم الى الصباح بهذا الحديث.

ولما كان تاني الايام، ملو[ا] الجماعه من هذه الحكايه الذى ما كانت تخلص، فقال له ابن الطويله : يا عتمان ! نحن هون اربعين ازعر، ما فيش زينا بمصر، ولا احد يثبت قدامنا، ومع ذلك اذا وقفنا قدامك، ما نجول ولا جوله واحده، وانت ابو عيق مصر، ودا الراجل ضيعك ؟ فقال له : اه، يا دنس ! ما لك ما تصدقنى؛ ربنا يوريك المكبكب، لما تصدق، يا عرص ! بوصلت بيبرص لباب المغر. وسمع حس عتمان، فحول عن الرهوان، وصرخ : بره عثمان ! فلما سمع عتمان صوته، قال لأبن الطويله : اهو ! اجا، يا ابن القحشه[٨١] ! اطلع لقدامه لما اشوف. فهربو[ا] الزعر لداخل المغر.

واما عثمان، ما لاقها على حاله يتخبا، فقال الى بيبرص : دى الوقت عاملتنى عمل العيق، حيد كده عن[٨٢] باب المغار، لما اطلع لعندك، وهذا النهار، يا لى يا لك. قال له : اطلع بابا عتمان.

قال . . . فقمز عتمان، صار برات المغر، فغرف رغيف الرصاص وشلف[٨٣] بيبرص فيه، طلع يدوى من يده مثل الكله. فخلا بيبرص عن الضرب، ومد يده الى عينه الخرج[٨٤]، طالع رغيف الرصاص. فلما شافه عتمان، قال له : داهيه تنكبك ! ما عادش اوحش منك بالدنيا. فقال لحاله : الهريبه اولى، واعطا ساقيه لريح، وطلع يركد. فغرف بيبرص اللت، ولحقه حتى قاربه ؛ فالتفت عتمان حتى يشوف، حصله، لقاه، لاحقه ورافع بيده اللت.

٨١– أي : الفاجرة، وقد تكون هذه الكلمة مؤلفة من قحبة وفاحشة.

٨٢– حيد عن، أي : ابتعد.

٨٣– رمى بيبرص.

٨٤– الخرج : وعاء من قماش له عينان يوضع على ظهر الدابة.

قال. . . فلما نظره عتمان، انقطع قلبه، وقال له : بعرض السيده ! ما تنقرش، اهو وقفت لحالي. فتقدم بيبرص لعنده، كتفه، وسحبه لعند الرهوان. ركب وسحبه بركابه، الى ان وصل لباب المغر، صرخ : واك، يا ابن الطويله ! وانتم، يا علوق، كلكم ! آهو الكندى اخذني مكتف، فرجوني حالكم لشوف، وتعالو[ا] خلصوني! فما احد رد عليه، وبيبرص سحبه، وسار فيه طالب مصر، الى ان قطع القرافات، وقارب اليها، التفت عتمان الى بيبرص، وقال له : كندى، وسر السيده ! ما تخشنيش مصر كده، لما يطقوني[85]، لانني حارق قلوب اهل مصر. فقال له : شو بتريد ؟ قال له : فك لي كتافي. قال له : بخاف تهرب. قال له : ايه ! واهرب فين، والمكبكب وياك ؟ فقال له : طيب ! واطلقه من كتافه، فمشي قدامه مثل الغنمه. ودخل مصر، وصار يدخل من سوق، يخرج من سوق، ومن شارع الى شارع، وبيبرص وراه. الى ان وصل الى سوق فيه جامع، قمز عتمان وتعلق بشباك من شبابيك الجامع، فحول بيبرص، واراد ان ينزله بالزور. صرخو[ا] : عليه الجيره ! لاه، يا بيه، لا تنزله، يخشا عليك، لانه دى الوقت احتما بالسيده. فقال بيبرص : طيب، بقعد بستنظره، يعني بتم معلق الى عاشيه. وراح قعد على تاني صف قدامه، وعتمان صار كل حصه وحصه يلتفت، يلاقي بيبرص قاعد، فيقول له : دايه تنكبك، ما اوحشك ! ولما اعياه الامر، صار يتنقل من شباك الى شباك، مثل العصفور، الى ان وصل الى باب الجامع، فقمز وصار جوه. قام بيبرص وقف على الباب، حتى يشوفه وين بده يروح، ما لقاه الى دخل للحرم، واخذ النبوت، ونزل بالتابوت سلخ، وهو يقول : ايو، يا سيده ! الذى مثلك يكذب ؟ عجب ! تقوليلى : انت تتمكعص[86] ودى الوقت، منين جبتيلى هذا ابو عين زرقه ؟ وحيات جدك النبى ! ان ما صرفتيه من مصر، لما اهدم التابوت. ولازال يضرب التابوت حتى اخذه الحال، وانطب فوق التابوت حصه زمان، وبعدها صحى على نفسه، وهو يقول : اشهد ان لا الله [الا الله]، محمد رسول الله[87] – صلا الله عليه

٨٥– يضربونني ويقتلونني.

٨٦– تصير رجلا مهما وتتبختر (قد يكون أصل الكلمة جعص).

٨٧– سورة الفتح، ٢٩ . سورة آل عمران، ٦٢ .

وسلم - قربانك وقربان حشيمك، ما [ا]كوسك ! دى الوقت فهمت، هو يتمكعص وانا انتمكعص. وقام، سار ناح بيبرص، فقصد بيبرص ان يوهمه، فرفع اللت بيده. فلما شافه عتمان، التفت ناح التابوت، وقال : يا سيده ! حوشيه عنى، دا ما يخافش من الله.

قال... ما شاف بيبرص الا يبست يده بالهوى، فاعتلم انه عتمان له محسوبيه على السيده، وتقدم عتمان لعنده، وقال له : ما تخافش من المكبك[ب]، دى تخرق حبة عينك. فقال : يا عتمان، والله ! انا حبيتك ومرادى اعملك اخى. قال له : ارحب وانت اخي. وركد صار يلين له يده حتى لانت، فقال له بيبرص : روح يا عتمان اقرص[٨٨] واستنجى، واطلع توضا، وتعال حتى نصلى، واعقد التوبه[٨٩]، واتخاوى انا واياك. قال له عتمان : كندى، كندى، عيد الكلام تانى، ما فهمت. فقال له : روح اقرص واستنجى. فقال لحاله : استنكع[٩٠] كيف ؟ وراح على المطاهر، دخل الى واحده منهم، وشلح الزعبوط[٩١] وقعد بالجرن. فصار كل حصه وحصه يشد لحمه ويقول : بعد ما استنقعت.

واما بيبرص، فانه قرص واستنجا، وطلع توضا، وعتمان ما طلع، فنقر عليه الباب، قال له : كندى بعد ما ستنقعت. صبر عليه حصه، ورد نقر. قال له : كندى لسع ما ستنقعت. فقال لحاله بيبرص : هذا شوا عمال يساوى ؟ وتناوق، لقاه شالح الزعبوط وقاعد فى الجرن. فقال له : ولك، شوا عمال تساوى ؟ قال له : كندى لسع ما استنقعت. قال له : تضرب ! ليش انت فول والى حمص، حتى ما استنقعت؟ قال له : كندى، ما انت قلت كده ؟ قال له : ولك، يعنى اقعد بول، وبعده اسكب الماء حتى يزقزق، بتكون طهرت. قال له : طيب، دى الوقت فهمت. وقام لبس الزعبوط، وقعد بال، واستنجا وتوضا. فاستعوقه بيبرص، لقا طول، ففز ونقر عليه الباب. قال له : كندى، بعد ما [ا]ستنقع[ـت]. فمد راسه بيبرص، يراه رافع

٨٨- تطهر.

٨٩- سورة المائدة، ٣٩.

٩٠- لم يفهم معنى يستنجي، أي : يتنظف من الغائط والبول.

٩١- ثياب من الصوف البني كان يرتديها العوامّ.

طيز[ه] لفوق وراسه الى تحت، وعمال يقول: ايوه، ما تزقزق. فقال له بيبرص : ولك، شو عمال تعمل ؟ قال له : كندى، بعد ما زقزق. قال له : شوا هذا ؟ قال له : ابو دنب الجردون. قال له : والله، عللنا مره ما ستنقع، ومره ما زقزق. اليوم نمضى النهار بالطهاره. قال له : كندى، ما انت قلت كده ؟ وقال له : يعنى اسكب ماء حتى بزقزق لحمك، ما هو الجردون ! قال له : قول من الاول: تشطف، خلصنى ! قال... فتشطف عتمان، وطلع، فقال له بيبرص: يالله ! قدم توضا حتى نصلى ! وقال له : كندى، ودى الصلاه تبقا كام ؟ فقال له : خمس اوقات. قال له : اولهم متى يكون ؟ فقال له : بكير قبل طلوع الشمس. قال له : طيب، امشى دى الوقت. فقال له بيبرص : ما نتوضا حتى نصلى ؟ قال له : كندى، عجب تكذب ! دى الوقت ما قلتلى قبل الشمس، ودى الوقت نصف النهار. قال له بيبرص : ولك مجنون ! الصلاه، اى وقت انكان، جائزه، ولكن اسمها الظهر، والعصر، والغروب، والعشا بعد الغروب بساعه ونصف. قال له : طيب، بس دول، ما فش غيرهم ؟ قال له : فيه ! اذا كنت تصلى نوافل الضحا والاوابين[٩٢]. قال له : بقيو[ا] دول سبعه. فقال له : ولك ! الاوقات خمس. قال : ما عرفش، دول سبعه يخرقوا حبة عينك. فقال له : طيب، قدم توضا ! قال له : كندى، اعمل لك زى ما يعملو[ا] المسلمين ؟ قال له : اعمل لشوف. قال له : طيب، وسع هيك. وتقدم شمر ايديه، وصار ينسف الماء على وجهه، وصدره، واكتافه، حتى بلبل حاله. فقال له بيبرص: ولك، ليش هيك ؟ قال له : لاء ! هيك ما ينفع، شوف مثل ما بعمل انا، اعمل انت. وتقدم بيبرص، وصار يتوضا قدامه، حتى انتها. قال له عتمان : ارحب ! دى الوقت صرت مسلم مع المسلمين. فقال له بيبرص : يالله، يا عتمان، بدنا نلحق صلاة الظهر، قرب العصر ! واخذه ودخل على الحرم، وقال له : مثل ما بعمل انا، اعمل انت. قال له : طيب ! وتقدم بيبرص، استقبل القبله ونوى، فصبر عليه عتمان حصه، ونعره بخاصرته، وقال له : كندى، كندى، لما بدى اصلى، اقول ايه ؟

٩٢– صلاة الأوابين، بعد طلوع الشمس وبعد صلاة المغرب، ٨ ركعات نافلة.

قال . . . فقطع الصلاه بيبرص، وقال له : ولك، انت حشاش ؟ قول : نويت اصلى لله تعالى فرض الظهر، لله مقتدياً، الله واكبر. قال له : طيب، دى الوقت فهمت. فنوى بيبرص، واقتدا فيه عتمان، فقرا بيبرص الفاتحه، نعره عتمان وقال له : كندى، كندى ! ما رد عليه. فقال له : ايه ! ما ترد ؟ قوام كبرة نفسك عليك، ما عدت تحاكينى. فقطع الصلاه بيبرص، وقال له : الله بلا ورسن، ليش قطعنى الصلاه ؟ قال : لكان، بحاكيك ما تردش على ! قال له : ولك، يلى بده يصلى، ما بده يحكى. فقال : ايه ! لكان، يخيط تمه ؟ فقال له : ولك، بده يقرا، ما بده يحكى. قال له : طيب، دى الوقت فهمت. صلى، صلى ! فقال له : لا عدت تحاكينى ؟ قال له : لا، لا ! معادش حاكيك. فنوى بيبرص، واقتدا فيه عتمان، فقرا بيبرص الفاتحه، وجاب معاها صوره، وركع. فلما شافه عتمان ركع، قطع الصلاه، واجا لقدامه، وقال له : كندى، كندى، الذى يصلوا، يتخنتوا كمان ؟ فقطع الصلاه بيبرص، وقال : ولك ! شوا يتخنتوا ؟ قال له : لكان ليش طوبزت[٩٣] ذى الذى يتخنتوا ؟ فقال له : الله لا يحرمك العما ! هذا اركان الصلاه، الركوع والسجود. قال له : كندى، والذى يصلو[ا] يعملوا كده ؟ قال له : معلوم. [قال :] ارحب ! دى الوقت تعلمت صلى، [ياخوي]. فنوى بيبرص الصلاه، واقتدى فيه عتمان، فقرا بيبرص الفاتحه، وجاب معها صوره، وركع، ركع عتمان معه، سجد، سجد عتمان معه، قام حتى يجيب تانى ركعه، سمع بيبرص حسه بباب الجامع، فقطع الصلاه، وطلع لعنده، لقاه ماسك رجل اختيار، وعمال يقول له : ادينى ! بقا لك شهرين، ما اديتنيش حاجه. والاختيار عمال يقول له : وسر السيده ! يا عتمان، ما فش ويَّاىَّ فلوس. فصرخ عليه بيبرص : بره عتمان ! قال له : كندى، انت طلَّع على صلاتك، وانا بطلَّع على شغلى. فقال له : ولك، شوا شغلك ؟ قال له : عايز اخذ من دا الراجل شهريه، صار له شهرين ما اداني ولا قرش. فالتفت بيبرص الى الاختيار، وقال له : بابا، شو مستأجر منه ؟ دكان والا بيت، حتى مكسور له عندك شهرين. قال له : والله ! يا بيه، ما فى شى من هذا، [لا دكان ولا دار] بل انما عامل علينا جعل على القاووق بتاعنا، حتى ما يخطف لنا اياه، وانا كنت مريض، يا بيه،

٩٣- حنى ظهره ورفع عجزه.

انكسر له عندى شهرين. فقال له : بابا، لا عدت تعطيه شيء من الآن وصاعد. والتفت الي عتمان، وقال له : الذى بده يتوب ويصلى، ما بده يقارش الناس ويبلصهم[٩٤]. قال له : كندى، ناخذ منه فلوس، نشترى وكل. فقال له : ولك عتمان ! عندنا من الله خير زايد[٩٥]. قال له : طيب، روح، يا راجل ! ما عدت حوشك. ورجع مع بيبرص على الحرم، صلوا الظهر، وعقد التوبه، وتخاوى هو وبيبرص، واجروا بينهم العهد، عهد الله[٩٦]، شرط الناجى لا يتخلا عن اخاه ؛ وقعد بيبرص، يقرا اوراده ويستنا العصر، فاتت العالم الذى داركتهم[٩٧] صلاه الظهر حتى يصلوا. يطلّعوا، يلاقوا عتمان قاعد، ما يعودوا يفوتوا، حتى تكوم على الباب عالم بليغه. فصار عتمان يغافل بيبرص، ويكوّز[٩٨] يده للعالم، ويقول لهم : انا بفرجيكم ! بالأشاره. فلاحت التفاته من بيبرص، يرا العالم مكومه على الباب، فقال لهم : ما تدخلوا، يا بابا، تصلوا ؟ فقالو[ا] له : يا بيه، اجير عزرائيل قاعد قدامك. فقال لهم : لا تخافوا منه ! هذا اخى، وقد تاب، وما عاد يعمل شى. قال لهم عتمان : ويلكم، يا جماعه ! دنا تبت، وصرت اتوضا، واصنصن[٩٩]، ما عدت حوشكم.

هنالك تجرهموا الجماعه ودخلوا، حطو[ا] تراجيلهم، وراحوا على الماء، توضوا. فقال عتمان : كندى، كندى ! خلينا ناخذ التراجيل دول، نروح نبيعهم ونشترى فيهم وكل. قال له : يفضحك ! ليش قاعدين بلى أكل، حتى نسرق التراجيل ؟ فقال له : ما عرفش. قال له : عندنا من خير الله كثير، لا عدت تقارش احد. فقال له : طيب. ثم اذن العصر، قاموا صلوا، وتمشو[ا] على بيت الحبله. دخل عتمان وصرخ : يمى، علمتى الكندى ضرب رغيف الرصاص ؟ فقالت له : يا عتمان ! هذا اخوك، هذا عينى الواحده وانت الثانيه. قال لها : داعينتنىّ التنين. فقال له

٩٤- أخذ المال بغير حق أو، بشكل عام، خدع.

٩٥- سورة البقرة، ١١٠.

٩٦- سورة البقرة، ٢٧ ؛ سورة النمل، ٩١.

٩٧- فاجأتهم.

٩٨- بضم كفه على شكل كوز التين ويتوعد الناس.

٩٩- أي : أصلي (في لهجة عثمان).

[بيبرص] : بالله ! يا عتمان، احمل الحمله، خلينا نلحق الغروب. قال له : حاضر ! ونتع الحمله الذى سرقها من الياخر، وتوجه هو وبيبرص واصل لسراية نجم الدين. ولما وصلوا، دخل عتمان على الياخور وصرخ : واك، يا عقيرب !

قال... فلما سمع عقيرب حسه، تعوذ من الشيطان، وقال : داهيه تنكبه جايبه ! واراد ان يهرب. قال له عتمان : لا تخافش، يا اخوى، دنا تبت، وصر[ت] اتوضوط واصنصن، ولازم بوسك من بين عيونك، لانك انت كنت السبب بتوبتى؛ فلولا تبعث الكندى نيبرص الى مسطبه ابو الخير، منين كان حاشنى[١٠٠] ؟ واما بيبرص، لما شافوه الأتباع، طلعوا يركدوا لعند الوزير نجم الدين، وقالو[ا] له : اجا بيبرص. ففز، لاقا له، وسلم عليه ؛ ودخلوا، جلسوا بالقصر، وقال له : وين رحت، يا ولدى؟ شغلت فكرنا، وهذه مصر ياما بلعت[١٠١] أُسُود[١٠٢] ! فقال له : يا عمى، ما هو كل الناس سوى ! قال له : وين كانت هذه الغيبه ؟ فقال له : والله، يا عمى، الوزير شاهين امرنى ان اجبلى سايس. قال له : وشو هل سايس الذى زرعوه وما طلع ؟ فقال له : يا عمى، انا ما جبت حى الله سايس[١٠٣] ؛ جبت واحد زربه[١٠٤]. فقال له : ليش ؟ انت رايح تحارب فيه ؟ وشو اسمه هل سايس ؟ قال له : اسمه عتمان ابن الحبله. فكبس الوزير القاوق [على راسه]، وقال له : يا ولدى ! هذا الذى عمال تقول عنه حارق قلبى، انا وجميع الوزر، وحارمنا ننزل بالألاى بقاووق ونرجع فيه، الا دائماً يخطف لنا القاوق عن رأوسنا، والان كل ما نزلنا على الألاى ناخذ معنا قاوق يدك[١٠٥]، حتى اذا خطف قاووقنا، نلبس الثانى، من خوفنا لا نصفا بالقرعه[١٠٦]، وهو مكعى[١٠٧] مصر. بقا، اذا بتطول يدك له، يا ولدى، وبتقتله،

١٠٠- كان أتى بيّ.

١٠١- أكلت.

١٠٢- رجال أشداء.

١٠٣- مهما كان.

١٠٤- سايس خيل ماهر وقوي ويحب الخصام.

١٠٥- كلمة تركية : احتياط.

١٠٦- حاسر الرأس.

١٠٧- مخوف أهل مصر ومزعجهم.

بتحج الى بيت اللّه الحرام. فضحك بيبرص وقال له : لا تخاف، يا عمى ! ما عاد مثل اول، هلق بصرخ لك له، وتفرج عليه، فقد تاب توبه نصوحه. قال له : والان، وينه ؟ قال له : تحت، بالياخر ؛ بتامر اصرخ لك عليه. قال له : [الله يصلحك[١٠٨] !] قوم [هلق] جنابك، شوف بكون قتل السايس ونهب الياخر.

فقام بيبرص، نزل على الياخر، لقا حارة اليهود مجموعه قدام الياخر. وكان السبب هو عتمان، لما دخل على الياخر، لقاه وخم، بكب وبيعمى. فطلع وقف على باب الياخر، وكان طريق حارت اليهود من قدام سرايه الوزير نجم الدين، وكانو[ا] اليهود خلصوا شغلهم، وراحين على بيوتهم. فصار يصرخ لهم عثمان، واحد واحد، حتى جمّعهم، وامرهم ان ينضفو[ا] الياخر. وطلع بيبرص شافهم مجموعين، وقال لهم : ويلكم ! شو عمال تعملوا هون ؟ قالو[ا] له : بعرضك، يا بيه، تعال خلصنا من عتمان ! قال لهم : شبوا عتمان ؟ وينه ؟ قالو[ا] له : امرنا ان ننظف الياخر، وهو موجود جوه. فقال لهم : طيب، ما دامه جوه ما تهربو[ا]. قالو[ا] له : ويها ! كيف بدنا نحسن نهرب ؟ بيعرفنا واحد واحد. انجق بدنا نهرب من كل مصر. فضحك بيبرص وقال : هى كدى عتمان، والله ! ضابع[١٠٩] الدنيا.

ودخل للياخر، يراه عمال يتامر على اليهود، ويقول لهم : ياه يا ! يابو حكيكه ! اعملوا كدى، وساوا كدى (مو كان كل اليهود اسمهم ابو حكيكه عند عتمان؟) فصرخ عليه بيبرص : بره عتمان، شوا هذا ؟ قال له : كندى، دى صنعتى، سيبنى مالك ومالى ؟ عمال طلع على شغلى. هذا عقيرب واحد وخايمى، كان الياخر بكب وبيعمى، بص دى الوقت كيف صار ؟ ذى المرايه ! قال : عفرم ! واكرم اليهود، واصرفهم، وقال لعتمان : ادخل كلم الوزير نجم الدين.

فدخل عتمان، وطلع يركد على الدرج، ودخل على القصر، وصرخ : سلام عليكم، حاج نجم الدين ابو بندق ! فاتحه للنبى ولا الضالين، امين ! ربنا يحفظ عليك قاووقك، ياخوى، دنا تبت، وصرت اقرص واستنكى[١١٠] واتوضوض[١١١] واصنصن

١٠٨- سورة الأحزاب، ٧١.

١٠٩- مخوف الدنيا كما الضبع الحيوان يخوف الناس.

١١٠- أستنجي.

١١١- أتوضى.

السبع توكات[١١٢] . قال له : ولك ! الاوقات خمسه. فقال له : ايه ! والضحا والاوابين[١١٣] . قال له : عفرم عتمان، اذا كنت صرت هيك ! والتفت الى بيبرص وقال له : بالحقيقه، يا ولدى، نظرك ما تاه، والرجل تاب، وعليه نورانيه التوبه. ثم نزل عتمان، يكمل شغله، وبيبرص قعد يتعشا، هو والوزير، وصلو[ا] المغرب والعشاء، وداخل مملوك، اخذ اتك الوزير، وناوله ورقه. اخذها، فضها وقرها يراها : من يد الوزير شاهين، الى اخينا الوزير نجم الدين.

الذى نعلمكم به من خصوص الخيل الذى راحت، رجعت صفر الدين، وما اخذوا عن بيبرص خبر. فنرجوك ان تطمنا عليه، هل عاد او اخذت عنه خبر، بحيث افكارنا مشغوله عنده.

فقال نجم الدين : يا عيب الشوم من الوزير شاهين ! قال له بيبرص : شوفى، يا عمى ؟ فقال له : خذ اقراء. فاخذ بيبرص الورقه، قراها وقال : منين بلغ للوزير خبر غيابى ؟ فقال له : اليوم على بكره سألنى عنك، ليش ما عمال تروح تسهر عنده ؟ قلت له : ليله انبارح ما نام فى البيت، ولا بعرف وين راح. فطار عقله عليك، وبالحال ركّب خيل، وارسلها تفتش بالضّيع. بقا، يا ولدى، هذا عتمان مقطوع براسه سبعه فرمانات. بقا، هيك ما بخلصك يدور مَعَك. فاذا كنت بتسمع منى، قوم ! خذه وروح اسهر عند الوزير شاهين، واترجا فيه انه يشق الفرامانات، واكتب على حالك سند كفاله، حتى اذا بلغ الامر للملك، يقول له الوزير شاهين : افندم، الاغا بيبرص كفلانه. قال له : كتير عظيم ! وبالحال صرخ لعتمان، وقال له : اشعل الفنار، بدى روح، انا وانت، نسهر عند الوزير شاهين. فقال له عتمان : ارحب ! دا بيته فى بحر بلامه، انا ما رحش ! قال له : ليش، يا عتمان ؟ فقال له : كندى، دا عنده وقوقات[١١٤] على شان يطقونى. فما فهم عليه بيبرص، وسئل الوزير. قال له : يا ولدى، ما قلت لك : طلع سبعه فرمانات بقتله، وهم عند الوزير شاهين، وعتمان يقول عنهم وقوقات. فقال له بيبرص : لا تخاف يا عتمان، انا

١١٢– أصلي سبع أوقات.

١١٣– صلاة نافلة بعد طلوع الشمس وبعد صلاة المغرب.

١١٤– ورقات.

مانى رايح معك ؟ قال له : طيب، ما رحش الا على شرط. فقال : ما هذا الشرط، يا عتمان ؟ قال له : اذا اراد الحاج شاهين يطقنى، انت بطقه، وانا بعريه. فقال له : الله واكبر[١١٥] عليك على هذا الشرط ! ايه، مثل ما تريد. بالله، اشعل الفنار ! قال له : كندى، والفنار على شان ايه ؟ لبكه[١١٦]. فقال له : معلوم، انت معتاد على مشى الليالى. يالله ! اشعله، ما بصير. فراح شعل الفنار، وتوجه، هو وبيبرص، على سرايه الوزير شاهين.

ولما وصلوا، راح الخبر للوزير بحضور بيبرص بنفدت بيبرص ؛ دخل للقاعه وعتمان وراه، طفا الفنار وشلح ترجيله وصفهم قدامه، يدك : بالاول النبوت، وبعده الفنار، وبعده ترجيل بيبرص، وبعده ترجيله. وقعد، صار يطلع بوجه الوزير شاهين، والوزير، من لهجته[١١٧]، ما انتبه لعتمان، بل سلم على بيبرص، وجلس هو واياه، وقال له : وين كنت، يا ولدى ؟ شغلت فكرنا. قال له : يا عمى، جنابك ما امرتنى ان اجبلى سايس على خاصيتى ؟ بقا، رحت دورت على سايس. فقال له : شو هل سايس الذى نزل من السما، وانقطع فيه الحبل[١١٨] ؟ وانت قاعد فى سرايتك، بجيك الف سايس لخدمتك. قال له : افندم، انا جبت سايس زربه، قبضاى. فقال له : ليش، انت رايح تفتح فيه بلاد الموره[١١٩] ؟ ومن يكون هذا السايس ؟ قال له : واحد اسمه عتمان ابن الحبله. فلما سمع الوزير شاهين ذلك الاسم، لبس القاووق، وقال له : يا ولدى ! اذا كان بطول يدك الى مثل هذا الشخص، فانك بترفع حجر اسود من طريق الاسلام، لانه مكعى اهل مصر. قال له : يا عمى، ما عاد مثل اول، والان الرجل تاب. فقال له : هذا بتوب ؟ هذا واحد شقى، بده رمى رقبه. فصرخ عتمان من العتبه : كندى ! ما تطقه، لما عريه ؟ فلما سمع الوزير صوت عتمان نقز، وقال لبيبرص : جايبه معك، يا شلبى[١٢٠] ؟ قال له : افندم، وحيات راسك !

١١٥- كذا.

١١٦- ارتباك.

١١٧- من ولوعه ببيبرص وفرحه بحضوره.

١١٨- يعني : لا يوجد غيره.

١١٩- جنوب اليونان.

١٢٠- كلمة تركية، جلبي، يعنيت : أنيق، لطيف.

تاب، ما عاد مثل اول، واذا [ا]ردت، اصرخ له واتفرج عليه. قال له الوزير : اصبر حتى نكتب وصيه. فقال له : فشر، وحيات راسك ! ما بيسترجى يتحلفظ[121] قدام عبدك، وصرخ : بره عتمان، تعال لهون ! فقام عتمان، نتع الفنار والنبوت والتراجيل، وطلع لقدام الوزير شاهين، وقال له : سام عليكم، حاج شاهون ! ربنا يحفظ عليك قاو[و]قك، ياخوى ! دنا تبت، وصرت اقرص، واستنكى، واتوضوض، واصنصن السبع توكات. فطلع فيه الوزير وقال : عفرم عثمان ! ما احد تاب وندم. والتفت الى بيبرص وقال له : يا ولدى، حقاً ظاهره عليه نوارنيه الاسلام والتوبه. فقال له عتمان : ايه، ياخوى ! ما تشق الوقوقات، احسن ما يطقونى، ويتيتم الكندى نيبرص، وبعدين يجيب عتمان منين ؟ قال له : مرحبا بك، يا عتمان، والتفت الى بيبرص وقال له : يا ولدى، هذا هيك ما بيمشى حاله معك، بكرا بيدرا فيه الملك والاعيان، بيتبحلق[122] عيونهم عليه. فالاحسن ان اشق هذه الفرمانات، واكتب عليك سند كفاله، فاذا درى الملك بقول له : الاغا بيبرص كفلانه. قال له : امرك افندم.

فبالحال كتب الوزير سند كفاله على بيبرص، وشق الفرمانات، والتفت الى عتمان وقال له : عجبك هيك ؟ قال له : ربنا يطول عمرك، ياخوى ! فقال له : اى، اطلع لبره، بقا ! فطلع عتمان لبرات القاعه، قعد على كرسى، وصف الفنار والنبوت والتراجيل قدامه. فلما شافوه المماليك، طلعوا يتراكدوا، كل من دخل الى اوطه ودقر الباب. فشاف قلوون الركده، صرخ عليهم : ولاً، شو فيه ؟ قالو[ا] له : اجا بيبرص، وجايب معه عتمان ابن الحبله. فقال : الله بلا ورسن ! جايبتك عتمان حتى يخوفتك. والله بالله، لازم ما اعمل الليله اخر لياليه هو وعتمان. وقام تسلح، وسلّح معه عشرين مملوك من جماعته، واخذهم وراح ربط الطريق الى بيبرص. واما الوزير شاهين، فانه غرق بالسهره مع بيبرص، ودابت فتيله الشمعه ؛ فطلع يمين وشمال على مملوك يجيب غيرها، ما لقا احد. فصرخ : وينكم، يا اولاد ؟ فدخل مملوك، وقالب وجهه مثل الكهربه. فقال له الوزير : شو بك ؟ قال له : افندم،

١٢١- يتحرك.

١٢٢- تبحلق، أي : حملق.

عتمان قاعد على باب القاعه، ما احد عمال يسترجى يطلع. فصرخ عتمان : وينكم يا مناويك الحاج شاهون ؟ ما تخافوش، دنا تبت، ما عدت حوشكم ! هنالك تجرهموا عليه المماليك.

ولما انتهت السهره، قام بيبرص، ودع الوزير، واخذ عتمان وسار. وقام الوزير حتى يدخل الى الحرم، ركد ايدمر، اخذ اتكه وقال له : افندم، قلوون سلح عشرين واحد من جماعته، واخذهم وراح يربط الطريق الى بيبرص، بده يقتلته[١٢٣]، هو وعتمان. فتبسم الوزير وقال : وحيات رأسي ! بيبرص ما بينشد عنهم[١٢٤]، ولو كانوا مائتين، وعلى الخصوص معه عتمان، لازم ما يرجعوا بالخيبه. فـ[حـ]ـطولى كرسى على باب السرايه، حتى اتفرج على رجعتهم، هل عكاريت[١٢٥]. حطو[ا] له كرسى، جلس.

واما عتمان، يا اخوان، فانه كان ماشى قدام بيبرص، وبيده الفنار، فتزاول بقلوون وجماعته. فقال : دول مناويك الحاج شاهون، طالعين يطقونا، والكندى ما يسئل عنهم. دى الوقت يطقهم وانا اعريهم. فالتفت الى بيبرص وقال له : كندى خذ الفنار، عايز ابريق ماء.

قال . . . فاخذ بيبرص الفنار، ومشى، وعتمان لطى[١٢٦] مع جنب. فلما وصل بيبرص لعند قلوون، طلعوا عليه، واشهروا السلاح بوجهه، فحط يده على سلاسل اللت، وصرخ فيهم صوت ادوا له الشارع، فطلعوا يتراكدوا، وضراطهم يسبق عياطهم، الى ان وصلوا لعند عتمان، فصرخ عليهم : ايوه، يا عروص ! يا مناويك، عندكم ! عروا بعضكم ! فصاروا يلحشوا اواعيهم، ويطلعوا يتراكدوا، الى ان شلحوا الجميع. فتقدم عتمان وحزم الاواعى، وحطهم براس النبوت، ونتعهم على كتفه، ولحق بيبرص، الى ان حصله بباب السرايه ؛ التفت بيبرص، شافه، فقال له : ولك ! شو هذا ؟ قال له : كندى، مناويك الحاج شاهون طلعوا حتى يطقونا

١٢٣– كذا، أي : يقتله.

١٢٤– هو عازم على مقاتلتهم جميعا مهما كان عددهم.

١٢٥– زوج الزانية، أو قوّاد.

١٢٦– اختبأ وكمن.

ويعرونا، قمنا نحن عريناهم، وما طقيناهم من شان خاطر الحاج شاهون، بص كندى، ما [ا]كثرهم ! دول يقدونا حتى وكل عشرين يوم. فضحك بيبرص، وقال له: الله لا يعطيك صحه على هذه العمله ! ارجع وديهم، ما عيب نروح نسهر عند الوزير، ونشلح له مماليكه ؟ ياالله ! ارجع، وديهم. قال له : كندى، واخذ فكاكهم[١٢٧] كام ؟ وقال له : ولك ! ما بدنا فكاكهم، الوزير مفضل علينا. فقال له : ايوه، دى الوقت فهمت. اقول له : مناويكك طلعوا حتى يطقونا، قمنا نحن عريناهم، وما طقيناهم من شان خاطرك، ودول هدومهم، خذهم بلاش. ورجع طالب سرايه الوزير.

واما الوزير، يا اخوان، فانه كان قاعد على باب السرايه، ما شاف الا المماليك جاين بالظلط، فقال لهم : خرجكم، يا خاينين ! مرادكم سواد وجهى، بقى لكم عليّ حلوان. وقام حصرهم بالحاصل[١٢٨]، ونزل فيهم بالكرباج، بنفدة عتمان، وصرخ : ايوه، يا حاج شاهون، مناويكك دول طلعوا علينا، لما يطقونا ويعرونا، قمنا نحن عريناهم، وما طقيناهم من شان خاطرك، ودول العرى[١٢٩] بتوعهم، بتاخذهم والا لوو ؟ وبوقتها الوزير طالع خلقه، قال له : لا ! فاخذهم ورجع. فكان بيبرص قاعد عمال يستناه، ما شافه الا راجع، والاواعى على ظهره، فقال له : ولك ! ليش رجعت ؟ قال له : كندى، لا تغوش ! الوزير حلف بالطلاق بالث[ـلـ]اثة، ما ياخذهم، فما قطعت عقل بيبرص[١٣٠] هذه الحكايه، وقال له : ولك، انت شفت الوزير ؟ قال له : ايه، وسر السيده ! وحاصر المناويك بالحاصل، ونازل فيهم بالكربوج، وما [ا]كثر الغوشه عندهم ! هنالك التزم بيبرص ان يرجع، فقال لعتمان : اشعل الفنار! قال له : كندى، رايح فين ؟ بكون دى الوقت ناموا، والذى يفتح لك مين ؟ فقال له : ما عليك انت ! بيفتحوا. قال له : كندى، وانت على شان ايه حايص على ترجيع العرى ؟ خليهم نبيعهم، ونشترى وكل. فقال له : يخرب بيتك ! هلكتنى، اى بدى شوف قاعدين بلا اكل !

١٢٧- ثمن فكهم.

١٢٨- مكان تجميع الخشب أو الحبوب.

١٢٩- الثياب.

١٣٠- ما اقتنع.

ثم قام، اخذه وراح فيه على بحر بلامه، دخل يرا الوزير لساه نازل بالمماليك بالكرباج، فركد بيبرص، ترجا فيهم وخلصهم، واعطاهم اواعيهم، ومن ثم رجع قعد هو والوزير، وعادوا السهره، وقاموا، راحو[ا]، باتوا ذلك الليله، واصبحوا تانى يوم.
طلع الوزير نجم الدين لعند بيبرص، صبح عليه وسئله شوا عمل. فاحكاله عن شق الفرمانات، وكتابة السند[131]. قال له : كثير عظيم ! ثم فطروا، وقام الوزير، طلع على الديوان، وبيبرص اخذ عتمان وتوجه على سوق العطارين، الى دكانه الشيخ كريم الدين.
فلما وصل لعنده، يراه لابس قاووق عتيق، فطار عقله وقال له : وين قاووقك ؟ فقال له : اسكت يا بيه ! اجير عزرائل وراك، اكبس الشال على راسك، لا يقوم يخطفه ! فالتفت بيبرص يرا عتمان، قال له : لا، يا بابا، لا عدت تخاف منه، الرجل تاب. فتقدم عتمان وقال : سام عليكم، يا شيخ كريم الدين ! ربنا يحفظ عليك قاوقك، ياخوى ! دنا تبت، وصرت اقرص، واستنقع، واتوضوض، واصنصن. البس قاووقك الجديد، يا اخوى ! هنالك اطمأن ولبس قاوقه، وقعد صار يتسامر هو وبيبرص حصه. التفت ناح السوق، لا هابوب ولا دابوب، واكثر الدكاكين فاضيه، فالتفت الى الشيخ كريم الدين، وقال له : يا عمى، شوفيه اليوم عندكم بالسوق ؟ بلاقى ما فيه احد. قال له : يا بيه، عتمان، اى سوق دخله يسكره. فتعجب بيبرص من ذلك، وصرخ على عتمان، وقال له : ادخل لداخل الدكان ! فدخل عتمان، وتخبا. هنالك اشتغلت الرجل، ورجعت الناس الى دكاكينها، وصارت الناس يروحو[ا] ويجو[ا]، الى ان ازدحم السوق. هنالك صرخ بيبرص الى عتمان، فقمز من نصف الدكان لنصف السوق، فلما شافوه العالم كانوا يشيلوا ويدعوسوا بعضهم، فصرخ عليهم بيبرص : لا تخافو[ا]، يا اخوان ! هذا عتمان تاب، وصار اخى. ومن الان وصاعد، بده يدور معى، لا عدتم تخافوا ابداً. هنالك تجرهموا اهل السوق، وصاروا يروحوا ويرجعوا الى المسا، فز بيبرص، اخذ عتمان ورجع على السرايه، احكا الى الوزير نجم الدين على ما جرى ذلك اليوم. فقال له :

١٣١- في المخطوط « شق السند » والمعنى واضح.

يا ولدى، هذا كان ضابع اهالى مصر، فيجب عليك ان تاخذه كل يوم الى شارع، وتأمن الناس، حتى يوالفو[ا] عليه. قال له : طيب. وباتوا ذلك الليله، وقام تانى يوم، اخذ عتمان وطلع، صار يدور بشوارع مصر، ويوانس الناس. وكل يوم ياخذه الى شارع، حتى دار فيه جميع الشوارع، وآمن الناس فوالفو[ا] على عتمان، وقدر ما كانوا يبغضوه صاروا يحبوه. وصار بيبرص، كل يوم ياخذه ويروح، يركزوا عند الشيخ كريم الدين.

الى يوم، كان جالس بيبرص عند الشيخ كريم الدين، ما شاف الا عمال يكتب اوراق صغار، ويطويهم. فاخذ بيبرص ورقه قراها، يراها بيساره[١٣٢]، اخذ غيرها يراها كبه، اخذ غيرها يراها شوربه. فقال الى الشيخ : يا عمى، تخمين، عمال توضب هذه الالوان الى رمضان ؟ قال له : لا، يا ولدى، ولكن نحن عندنا هنا بصير موقف فى بولاق، وهو مكان نزهه، فتطلع اليه العالم مولفات مولفات[١٣٣] . وانا لى مولفه عبارتاً عن خمسه وعشرين شخص، فعمال اكتب هذه الاوراق حتى ياخذ كل واحد ورقه، ويطبخ اللى فيها، ونجتمع ونطلع على الموقف. فقال له : يا عمى، ومتا بده يكون هذا الموقف ؟ قال له : يوم السبت. فقال له : لكان انا رايح اخذ ورقه، بدى اطلع معكم. قال له : لا، يا بيه، لا تعمل لى كسران خاطر ! انا مرادى اعزمك بدون ورقه. فقال له : لا، يا عمى ! الي بسعركم. ومد يده، اخذ ورقه، قراها يراها حلاوه مامونيه[١٣٤]، فاعطاها[١٣٥] الى عتمان، وقال له : روح، خذها الى السرايه، وقول الى الحريم : خليهم يعملو[ا] مطبقيه حلاوه، ويوم الجمعه جيبها الى بيت الشيخ. قال له : حاضر! واخذها وراح. ومضا ذلك النهار، واصبح تانى يوم الخميس، كذلك مضا هو الجمعه، وقاموا يوم السبت. شرب بيبرص القهوه، وعتمان شد له على الرهوان، ركب واخذ عتمان، وسار طالب بولاق.

١٣٢- طعام مؤلف من سميد وبازلاء.
١٣٣- جماعات جماعات.
١٣٤- حلاوة مصرية طحين وسكر وسمن.
١٣٥- كذا.

[سكر بنها العسل]

ولما وصل، يرى عالم وامم مثل قش التراب، فصار يدور على الشيخ كريم الدين وجماعته؛ ما كان يلاقيهم، فوقف وصفن، وقال : منين بدنا نلاقيهم من بين هل خلق ؟ فقال له عتمان : كندى، مالك صافن ؟ قال له : ولك، يا عتمان ! عمال اصفن وين بدنا نلاقى الشيخ كريم الدين. قال له : ايه ! وما تقولى لما اخذك ؟ قال له: قلت لك : يالله خذنى ! فدار فيه دورتين، ما شاف حاله الا قدام الجماعه، فقال فى باله : دستور يا شيخ عتمان ! والله، هدول بدهم م[نـ]ـجم حتى كان ينكشهم[١٣٦] ! والجماعه، لما شافوا بيبرص، فزوا واثبين على الاقدام، وسلموا عليه، وترحبو[ا] فيه غاية الترحيب. وهو جلس، وسلم عليهم، وطلع فيهم، لقاهم كلهم اختياريه من طقس الشيخ كريم الدين. فجلسوا ساعة من الزمان، حضر الفطور، فطروا وانبسطوا، وشربوا القهوه، والجماعه قاعدين طارقين رأسهم فى الارض حياً من بيبرص، فقال لحاله بيبرص : قوم دور لك دوره خليهم ياخذو[ا] راحتهم. فقام واثب على الاقدام، فقال له كريم الدين : الى اين، يا بيه ؟ قال له : رايح دور لى دوره، واتفرج. واخذ عتمان وصار يدور الى ان وصل الى اطراف الموقف، لقا عالم مجموعه، ودلال عمال ينادى : بثلاثه فضه. فقال الى عتمان : شو عمال يبيعوا هون ؟ قال له : كندى، مالك ومالهم ؟ دا مال حرام. فقال : شو هو؟ حكيلى . قال له : كندى، دا الحاج نجم الدين ابو بندق، له ضيعه، يقال لها بنها العسل، وعنده منيوك، اسمه سليم، عامله عليها ريس، وحاطط عنده واحد كاتب، ابو حكيكه. فالمنيوك وابو حكيكه متعاملين سوى، ما يوصلوا للوزير الا نصف الرزق، والذى بوفروه بنزلوه ببيعوه بالمواقف، بنصف ثمن. قال له بيبرص : والرزق شو هو ؟ قال له : سكر. فقال له : يا عتمان ! اشكون عمال تقول لا تقارشهم ؟ نحن ما لنا قاعدين عند الوزير نجم الدين، وعمال ناكل من عنده ؟ بقا يجب علينا ان نفتش على ماله. وتقدم، شق العالم، ودخل الى الحلقه، يرى المملوك

١٣٦- حتى يجدهم.

سليم قاعد، والى جانبه اليهودى الكاتب، وقدامهم برميلين سكر. فجلس بيبرص جانب المملوك، وقال له : يا اخى ! انا مملوك، وانت مملوك، ونحن الاثنين مماليك وغربا، يجب ان ننصح بعضنا. فهذا الوزير نجم الدين افندينا، وولى نعمتنا، يجب نفتش على ماله، والمثل يقول : امين وخاين ما بيصير؛ بقا، ليش عمال تبيع رزق الوزير هون، بدون علمه ؟ قال له : هذا ما هو رزق الوزير، هذا رزقى. قال له : طيب ! اذا كان رزقك، ما تنزله على القيسريه، وتبيعه بالمخازن، احسن ما عمال تبيعه بالمواقف بابخس الاثمان ؟ قال له : وانت، شو بخصك ؟ هذا رزقى بصطفل منى اله. فقال له : اشلون شو بخصنى ؟ وهذا رزق سيدى، الذى انا عايش بنعمته. قال له المملوك : صحيح، كتير غلبه ! يلعنك ويلعن البلاد الذى جابتك، ويلعن اليوم الذى شفناك فيه !

قال... ما تم كلامه الا راحت يد بيبرص الى سلاسل اللت، وطرقه فيه على راسه، معسه مثل العقرب. فصرخ عتمان : ارحب ! وبرم النبوت، وطرق اليهودى على راسه، طربش[١٣٧]، بزر مخه، واخمد انفاسه. فقال له بيبرص : لاه، يا عتمان ! ليش هيك ساويت ؟ قال له : كندى، السيده ما قالت انا تمكعص زى ما تتمكعص ؟ انت بقا، انت طقيت راجل، وانا طقيت راجل. فقال له : ولك ! انا قتلت المملوك، ولكن لى امليه[١٣٨] بالوزير نجم الدين ؛ ولكن انت شو بقا يخلصك من الملك ؟ قال له : ما عرفش، طق بطق ! فاخذه، ورجع فيه على مصر، وهو طول الدرب يعنّفه بالكلام، وعتمان لا يرد ولا يصد، بل يقول له : انت طقيت واحد، وانا طقيت واحد. زى ما تعمل، انا اعمل.

واما الملك الصالح، فانه طلع على الديوان ذلك النهار، وهو مبسوط، ومسرح دقنه، مكحل[١٣٩] عيناه ؛ وقال للوزير شاهين : شوف، يا وزير، انا اليوم مبسوط، لا تكدرنى ! قال له : الله لا يكدرك، يا ملك الزمان ! وما تضاحا النهار الا وداخلين العالم بالقتيل، ونافدين بالثانى. فلما شافهم القاضى، صرخ : يا غيرة الله ! ظهر

١٣٧- حطم رأسه.

١٣٨- لي أمل.

١٣٩- في المخطوط : محكحل.

الفساد فى البر والبحر[١٤٠] ! وصاروا يقتلوا القتلا على قارعة الطريق، ان هذا شيء فظيع. قال الملك : شو هذا، يا عالم ؟ قالوا له : افندم هذا ناظر بنها العسل، مملوك الوزير نجم الدين، وهذا اليهودى كاتب عنده. قال لهم : ومن قتلهم ؟ قالو[ا] له : افندم، المملوك قتله بيبرص، واليهودى قتله عتمان. فقال القاضى : هذا بيبرص جاب عتمان حتى يتعامل، هو واياه، على قتل القتلا.

ففز الوزير نجم الدين، اخذ اتك الملك، وقال له : افندم، من خصوص مملوكى سليم، مسلمه بلدى بنها العسل، وهو طلع خاين، ودائما تجينى عنه شكاوات، انه عمال ينهب رزقى، ويبيعه بالمواقف، وانا تاركه الى الله ؛ فلا بد الا ولدى بيبرص شاف منه شيء مخل على هذا العمل حتى قتله، وانا ابرأت ذمته فى الدنيا والاخره[١٤١]، وليس لى عنده حق من الحقوق الشرعيه. فقال الملك : ايش، يا قاضى، هذا الوزير سقط حقه، وطلعت انت بالبخشه[١٤٢]. قال له : افندم، هذا رحنا منه، ولكن بدنا قاتل اليهودى. فقال الملك : من قتله ؟ قال له : افندم، عتمان. قال الملك : هذا عتمان، واحد شقى، يا لطيف ! من بيحسن يجيبه ؟ قال له : افندم، الان تاب، والاغا بيبرص كفلانه. قال الملك : اذا كان هيك، انزل يا نجم الدين، هات بيبرص وعتمان. قال له : حاضر، افندم ! ونزل من الديوان، وسار طالب السرايه، وهو طول الدرب يخمس رايات[١٤٣]، اشلون بده يعمل حتى يخلص عتمان. وعثمان عامل مثل المثل : والي اذان عن الفحشا صماً[١٤٤]. قال له : يا ولدى، من خصوص المملوك انا سامحتك بدمه، وابرات زمتك. قال له : والله، يا عمى، انا بعرف ذلك، ولكن عتمان نزعها بقتلة اليهودى. فقال له : صدقت. وقال : يا عتمان، ليش هيك عملت : قال له : يا حاج، دنا ما عملت حاجه : الكندى طق راجل، وانا طقيت راجل، طق بطق ! فقال له : هذا الكلام ما بخلصك، الان الملك

١٤٠– سورة الروم، ٤١.

١٤١– سورة يوسف، ١٥١.

١٤٢– خيبة الأمل.

١٤٣– يدبر ويفكر لتخليص عثمان.

١٤٤– لا يسمع الفحش كأن في أذنه صمماً.

طالبك، فلما يسئلك قول : ما شفت ولا عندى خبر. وانت، الناس بتخاف منك، ما احد بيسترجي يشهد عليك. قال له : كيف، كيف ؟ عيد الكلام داه، تانى ما فهمت. فقال له : ما بدها فهم ! لا شفت ولا عندى خبر. قال له : طيب ! لا شفت ولا عندى خبر. وصار يعيط، وهو يعيدها ويفتقها، فقال له الوزير : حاجه بقا ! فضحتنا. قال له : ليش حتى ننفضح ؟ عمال نعمل شكار[١٤٥] ؟ فقال له : يخرب بيتك، ما اجنك ! واخذه وسار على الديوان، دخل وقال : سام عليكم، معلم صالح ! فاتحه للنبى ولا الضالين، امين ! صحايفك وصحايف مناويكك، من الباب للمحراب، من عدا القاضى المنقرش، دا بانجان بقاموعه[١٤٦] ! فقال له الملك : ارزن[١٤٧]، يا عتمان، ولا تبيح بالسر ! وقيل :

من باح بالسر كان القتل سيمته يصبح ويمسى بين الناس خجلانى

فقال له : ارحب ! طباً على عصبك، يا معلم صالح ! ما [ا]كوسك !

هذا والناس صارت تتعجب من هل كلام الغويص[١٤٨]، ثم قال له الملك : يا عتمان، انت قتلت اليهودى، والا لا ؟ فصار الوزير شاهين، من خوفه عليه، يرفع له حواجبه، يعنى : قول لا. فقال له : اصبر، يا معلم صالح، لما احكى لك ثلاثه حكايات. قال له الملك : انا بعث طلبتك حتى تعملي حكاواتى، والا حتى اسئالك، انت قتلت هذا اليهودى، والا لا ؟ فقال اوه ! باطن الحكايه تستدل على القاتل. قال له : هات لشوف ! فقال له : انا كنت قاعد فى السرايه مع الكندى نيبرص، واقبل الحاج نجم الدين ابو بندق، وقال : يا عتمان، الملك طلبك، حتى يسئلك عن قتل اليهودى، ابقا قول : لا شفت ولا عندى خبر. وهذا نجم الدين حاضر، اهو ! موش كده، يا حاج نجم الدين ؟

قال... فطرق راسه فى الارض، حياء من الملك، وقال : الله لا يعطيك عافيه، انت والذى ينصحك ! فقال له الملك : هذه رحنا منها، هات غيرها. قال له عتمان :

١٤٥- أي : نزني بمومسات.

١٤٦- البا[ذ]نجان يرمز الى ذكر الرجل. ومعنى العبارة أنه أكلف.

١٤٧- تمالك، تأدب، ولا تتكلم.

١٤٨- أي : عويص.

ولمّا احضرة انا للديوان، سئلتنى انت : قتلت اليهودى ؟ فصار الحاج شاهون يغمزني بحاوجبه كده، يعنى : قول لا . اهو قاعد جانبك، موش كده، يا حاج شاهون ؟ فطرق راسه الوزير بالارض، حياء من الملك. قال له الملك : هات الثالثه لشوف. قال له : وانت، يا معلم صالح، عمال تسئلنى : انت قتلت اليهودى والا . . . هو يعنى : قول لو موش كده، اهى عينى بعينك. قال له الملك : والصحيح من قتله ؟ فقال له : الصحيح، السيده اوصتنى



[٩]

قال الراوى : السيده اوصتنى، لما خدمت الكندى نيبرص[1]، وقالت لى : زى ما يتمكعص، انت كمان تتمكعص. فلما طق الكندى المنيوك، قمت انا طقيت ابو حكيكه. فقال القاضى : اقراره من تمه بشهاده عشره امثالى، فأفتيت بقتله، واستخرت[2] الله. فقال الملك : اصبر، يا قاضى، لا تستعجل ! والتفت ناح اليهودى المقتول، لقا حواليه خمسة يهود، فصرخ على واحد منهم، وقال له : انت شو بتقرب المقتول ؟ قال له : اخوه. سئل الثانى، قال : ابن خالته. ولا زال حتى سئل الجميع، فقال لهم : انتم هون خمسه، والمقتول واحد، صاروا سته، روحوا هاتوا اربعه كمان من الطايفه، تطبيق العشره، حتى نقتلكم، وبعدها نقتل عتمان، فقالو[ا] : ويها ! خربت حارت اليهود ! نحن ما نقربه، ولا نعرفه، وطلعوا يتراكدوا. فقال الملك : ما هو هيك حكم الشرعى، يا قاضى ؟ وهدول متلاعبين[3]، والمتلاعب ما بروح الا قتل، ولكن كل الحق على الوزير نجم الدين، الذى عنده واحد مثل ولدنا بيبرص، حر الشمايل، ناس ملاح، ما بسلمه بنها العسل، حتى تصير له تنفيعه، وبتعلم على بر مصر، لانه لساه بتجيه ايام يلزمه ان يكون عارف جميع مصر؛ وعلى الحساب، انت بتعرف الكل، يا قاضى، ما هو هيك ؟ قال له : نعم، افندم ! ولكن قلب عليه وجهه مثل الكهربه. واقامو[ا] الى ان انفض الديوان وتفرقت الوزر، ونزل الوزير نجم الدين على سرايته، وقعد تعشا هو وبيبرص، فصاروا يتحادثوا، فقال له الوزير : يا ولدى، سمعت كلام الملك اليوم، يلزم تنفيذاً لامره تذهب الى بنها العسل. قال له : امرك، افندم ! فطلع الوزير ورقه، وكتب له فيها اجاره، واعطاه اياها، فاخذها بيبرص، قراها، يراها بمبلغ مائه وستين قرش، فقال له : يا عمى، ومتا يكون الطلوع اليها ؟ قال له : بعد شهرين. قال له : طيب ! وقام يداوم على اشغاله، الى ان مضوا الشهرين، الى ليله كان سهران، هو والوزير نجم الدين، قال له : يا ولدى، اطلع بكره، احضر رزقك. قال له : امرك، افندم !

١– كما سبق، هو الاسم الذي يطلقه عثمان على «الجندي بيبرص».

٢– أي : عاد إلى كتاب الله وإلى الشرع باحثا عن القرار الملائم.

٣– أي : محتالون ومموهون.

واصبح تانى [يوم]، رتب اغراضه، واخذ عتمان، وسار الى بنها العسل، ولما وصل، طلعوا مشايخ البلد، لاقوله وفضوله منزول، انزلوه فيه، وقامو[ا] بواجبه، طول ذلك النهار، وذلك الليله. وتانى يوم، قام اخذ عتمان، ونزل صار يتفرج على المزارع، يرى شىء - ما شاء الله - يغطى عين الشمس ! فحمد الله، ورجع على المنزول، اقام الى المسا، تعشا وصلى المغرب والعشاء، وحضر لعنده بعض المشايخ، صاروا يسهروا؛ وبعد حصه، اقبل رجل، دخل اخذ اتك بيبرص، وسلم عليه، وقال له : يا بيه، بتامر بكره نبداء بالشغل ؟ قال له : شو شغلتك، انت ؟ فقال له : انا رايس العصاره والحصاده، وعندى عشره معلمين، واربعين صانع. قال له : بابا، المعلم بكام، والصانع بكام ؟ فقال له : المعلم بخمسة مصارى، والصانع بثلاثه. قال له : لا، يا بابا، هذا كرى قليل ! انا عندى المعلم بثمانيه مصارى، والصانع بخمسه مصارى. فقال له : الله يطول عمرك، يا بيه ! فقام حتى يروح، فقال له عتمان : ايوه، يا راجل، الشغل ما هوش بكره، بعد بكره ! قال بيبرص : طيب، مثل ما بقول عتمان. قال له : امرك ! وراح بحاله. وبعدها التفت بيبرص الى عتمان، وقال له : ليش ما خليتهم يشتغلوا بكره ؟ قال له : كندى، انا اعرف صنعتى. ثم باتوا ذلك الليله، وقام بيبرص تانى يوم، طلب عتمان، ما لقاه، فسئل[٤] عنه، قالو[ا] له : اخذ خشب ونجار، وراح على المزارع، فتعجب بيبرص من ذلك، ثم فطر، وقام راح على المزارع، يرى عتمان عمال يعمر مناطر[ه] [٥]، ويتامر على النجار، ويقول له : اعمل كده، وساوى كده ! فصرخ عليه : بره عتمان، شو عمال تساوى ! قال له : كندى، بص ذى المنطره. فقال له : [و]من شان ايش ؟ قال له : كندى، دول الحصاده عروص، يميلوا قضيب، ويحنكوا [٦] قضيب ! قال له : عفرم، عتمان ! وقعدوا للمسا، خلصت المنطره، راح بات ذلك الليله، [وصباحاً] قال لعثمان، تانى يوم : اليوم، في شغل. قال له : ايوه، لان المنطره خلصت، ليه ما يشتغلوا. وقاموا راحو[ا] على المنطره، واجو[ا] الحصاده يشتغلوا الى ضحاء النهار،

٤- كذا.

٥- ركيزة خشبية مرتفعة يعلوها كوخ صغير يشرف منه الحارس أو الوكيل على العمال.

٦- أي : يلوكون قضيب قصب السكر ويمصونه.

عطش واحد منهم، فاخذ قضيب ومصه، فشافه عتمان، نزل من المنطره، وطلع يركد، واصل لعنده، فلما شافه الحصاد، مات من رعبته، قوام طمر القضيب، ووقف فوقه. فلما وصل لعنده عتمان، قال له : خبر ايه، يا راجل، اشوفك تتلفت ! قال له : مافى شى [حاجه]، يا عتمان ! قال له : افتح تمك، لما بص ! ففتح تمه، ومد يده عتمان، طالع شقفه قطنه، ومسح فيها اسنانه، وقال له : دا ايه، دا ؟ قال له : بعرضك، يا عتمان، لقيت حالى عطشان، مصيت قضيب. فقال له : اه، يا دنس ! تبقا الليانه لتمك، واليابسه لنا ! عايز تفقرنا ! وقام يده، ونقره كف، خلاه يشوف نجوم السما ظهر الحمرا، ودار فيه على جميع الحصاده، وقال لهم : كل من يحنك قضيب قدامه، كده ! فتوا الجماعه باللبن [7] من عتمان. فبلغ الخبر الى بيبرص، انقهر، ولما امسا المسا، بعث طلب الحصاده، واعطا كل واحد عشر قضبان سكر، وقال لهم : يا بابا، انتم لا تنقهروا من عتمان، هذا واحد على البركه. واصرفهم. وبعدها، التفت الى عتمان، وقال له : ليش هيك عملت بالحصاده ؟ قال له : يه ! لكان ياكلوا السكر، ونجيب فلوس للحاج نجم الدين منين ! قال له : الله والبركه، لا عدت تقارشهم ! ولكن من عاد يسترجى يمد يده من الحصاده ؟ واقامو[ا] اربعين يوم، الى ان خلصوا حصاده، فاعطاهم اجرتهم، واصرفهم.

وذلك الليله، هو سهران مع المشايخ، وداخل واحد، عبوس [الوجه]، نفسه كبيره، دخل من دون سلام، وجلس بين الرجال، والتفت الى بيبرص، وقال له : يا بيه، بكره نبدا بالشغل. فقال له : انت شو شغلتك ؟ قال له : انا سرحان، رئيس المعصره. فقال له : طيب، يا بابا، انا بعطى اجره زايده، ولكن بدى شغل بحق الله! قال له : ما بدنا توصايه، الشغل فرد شكل ! قال له : مليح، بابا ! ففزو[ا] وارادوا المسير، قال عتمان : الشغل بعد بكره، يا راجل. فقال بيبرص : مثل ما بقول عتمان. وبعد ما راح، قال لعتمان : ريسين بمركب بيغرق ! انا الذى بدى اءمر [8]، والى انت ! قال له : زىّ زيك، زى ما تأمر انت، انا بأمر ! فضحك بيبرص،

٧- فتوا باللبن، كناية عن الخوف الشديد. وهي إشارة إلى وجبة طعام يمزج فيها فتات الخبز واللحم باللبن.

٨- كذا، آمر.

وقال له : هون كمان فيه منطره مثل المزارع ؟ فقال له : انا اعرف صنعتي، ثم باتو[ا] ذلك الليله، وقام تاني يوم، ما لقا عتمان، فطر وسار على المعصره، يراه عمال يعمر تخت، فقال له : ولك ليش هذا ؟ قال له : كندى، دول عروص، عصبه مع المنيوك سليم، والكاتب ابو حكيكه ! فقال له : طيب. وتاني يوم، اجا بيبرص، لقا التخت مطقوم، جلس عليه، وعتمان صار يحوص قدام التخت، الى ضحا النهار، وطالع واحد صانع، حامل على كتفه قفه، فقال له عتمان : دا ايه، يا راجل ؟ قال له : يا عتمان، دا تفل، رايح كبه بالمصول[٩]. فقال له : كبه هنا، قدام التخت. قال له بيبرص : لا ولاً، المطرح نظيف، لا توسخ ! فقال له : ما عليك، كندى ! ونتر القفه، كبها بالارض، طلع من على الوجه شويه تفل، والباقى كلهم سكر قضبان. فقال عتمان : كندى، بص بعينك كده دالتفل، دالعرص رايح يكبه في بيته ! قال له : عفرم، عتمان ! وقام دخل على الريس سرحان، وقال له ، يا بابا، ليش جماعتك بيسرق ؟ قال له : يا بيه، يعني اذا واحد اخذ له حته[١٠]، شو عليه ؟ فقال له : بابا، انا عشيه بعطى حلال، احسن ما ياخذ حرام. قال له : طيب، ايوه، يا كدعان، لا احد ياخذ حاجه ! واشتغلوا الى المسا، قام بيبرص فرق عليهم كل واحد عشر قضبان، وراحو[ا] باتو[ا] ذلك الليله، وقامو[ا] تاني يوم، بلشوا بالشغل، واجا بيبرص، جلس على التخت، وعتمان صار يحوص قدام التخت، الى ضحاء النهار، وطالع واحد من الصناعيه، حاطط يديه بخصره، وعمال يمشي فرشخه [١١]، وهو يصرخ : اه ! بلوتى ! فقال له عثمان[١٢] : باطل، باطل، بابا، مالك ياخوى ؟ قال له : اه، يا عتمان ! ربنا لا يوريك دى البلوه الذى بين سيقاني، قيلتي تايره[١٣] علي ! قال له عتمان : وريني اياها، يا راجل، لما اوصف لك دوا. قال له بيبرص ، ولاً عتمان، لا تكشف له عورته، حرام ! فقال له : اصبر كندى، لما اطيب

٩- المَصْوَل، هنا : المزابل.

١٠- حتة، أي : القليل من الشيء.

١١- يمشي فرشخة، أي : يسير ورجله اليمنى إلى أقصى يمينه ورجله اليسرى إلى أقصى يساره، فيبدو وكان هناك فجوة واسعة بين فخذيه.

١٢- كذا، بخلاف كتابتها المتواترة بالتاء.

١٣- القيلة، أي : ورم في الخصيتين عند التهابهما. وتايره، أي : ثائرة، وهنا مؤلمة.

له اياها خطيه ! ونتر الزعبوط عن الراجل، وقال : بص، كندى، دى القيله ما [ا]كبرها ! فطلّع بيبرص، وجد حق[١٤] سقاوى، وله شيالات من ادانه، مربوطين بخواصر الرجل، وهو ملان قطر، فقال له : عفرم، عتمان ! ماعليك قصور، بتعرف بهوى اهل بلدك ! وقام دخل لعند الريس سرحان، وقال له : يا بابا، انا ما قلت لك لا تخلى جماعتك يسرقوا ؟ قال : وانت ليش معصدها[١٥]، يا بيه ؟ نحن ما نعرفش نشتغل الا كده، ان عجبك ! فقال له : هايدي سكتر بذونك[١٦]، ماهو لازم عليك، ولا على شغلك كرته، حرامى ! فصرخ سرحان : ايوه، سيبوا الشغل، يا كدعان ! عمره ما ينشغل عنده ! واخذ جما[عـ]ـته وسار، وبعد ما راح، طلع بيبرص يرا الرزق مبحتر بالارض، [و]شيء بالتو[ا]غير[١٧]، فصفن [واحتار بامره]، اشلون بده يسا[و]ى، فقال لعتمان : انت ليش بتعصدها ؟ بقا مين بده يشتغل هذا الشغل ؟ بكره بيحمض السكر ! فقال له : كندى، الله كريم، [ربنا] ما يخلى حمل بارك[١٨] ! فقام بيبرص، سكر باب المعصره، واخذ المفتاح، وراح على المنزول، وهو ما هو شايف الطرق بعيونه، وما قبل يتعشا ذلك الليله من قهره، وقام تانى يوم، اخذ عتمان، وراح على المعصره، فتح الباب، ودخل صار يتفرج على الرزق المبحتر بالارض، ويتحول. وهو كذلك، ما شاف الا باب خرستان[١٩] عمال ينمخض[٢٠]، فصرخ : بره عتمان، شوف من هذا ! فركد عتمان، فتح الباب، يرا رجل اختيار، بدقن بيضه لحد الزنار. فصرخ : ارحب، وانت من جابك لعنا، يا راجل ؟ فقال له بيبرص : ولاً عتمان، هذا من جابه ؟ قال له : والنبى، ما اعرفش، يمكن الحاج

١٤- أي : وعاء من الفخار يشبه الجرّة.

١٥- أي : يعقد الأمور بعناده.

١٦- بالتركية : ابتعد يا مخنث.

١٧- لم نعثر على هذه الكلمة. إلا أنها قد تشير إلى الأواني التي يتدفق اليها عصير القصب (انظر إلى *لسان العرب*، تغر).

١٨- أي أن عثمان يدعو بيبرص إلى التوكل على الله، قائلا إن الله لا يرضى أن تضيع غلة فيخلق للأزمة حلا يتوقعه بيبرص.

١٩- أي : الخزانة.

٢٠- أي : يتحرك.

عفريت جابه ! فقال له : بابا، انت، من جابك لهون ؟ قال له : بعرضك، يا بيه، بالأول ادركني بالطعام، وبعدها بحكي لك ! فامر عثمان ان يجيب له اكل، فراح عتمان، جاب له صفرت طعام، وقدم له اياها، اكل وانبسط، وحمد الله على نعمه وفضله، وبعدها قال الى بيبرص : اعلم، يا بيه، انا ريس هذه المعصره، اباً عن جد، وهذا الغلام سرحان ابني بالتربيه، ماهوش من صلبي، لأنني، انا، يا بيه، ما اجاني اولاد ابداً، الى يوم، طالع من الجامع بعد صلاة الصبح، ابص دا الغلام، ابن يومه، ملحوش على باب الجامع، حن قلبي عليه، واخذ[تـ]ـه صرت ربيه – والله يربي الجميع – قلت : عسى ينفعني وسميه سرحان ! ولما كبر، علمته هذا الكار، حتى ختمه. كارنا، يا بيه، كار شد وعهد، وما نعَلِّم[ـش] اى من كان، فلما تعلم، يا بيه، صار يعلم العالم، وظبط مني المعصره قوة واقتدار، وقلع جماعتي، وصار يشتغل فيها، هو وجماعته، وتعامل هو والمملوك سليم، والكاتب اليهودى، وصاروا يسرقوا الرزق، الى ان سلطك الله على الاثنين، وقتلتهم. فلما بلغ خبرهم لسرحان، غضب وانقهر عليهم، ولما شرفت جنابك لهنا، زاد قهره منك، فخاف لاتروح تدرى في، تجيبني وتسلمنى المعصره، فقام جابني، وحبسني في هذه الخرستان، وكل ليله بعد المغرب، يجي يجيبلي أكل بغيابك، يا بيه. فلما حرد انبارح، نسيني بلا أكل، وقد قرط على الجوع، وانا صابر الى ان طلع النهار، شرفت جنابك، فخضيت[21] الخرستان حتى تسمعني، فقال له بيبرص : بارك الله فيك ! وانت يا عمي، عندك صنّاع ؟ قال له : يا بيه، انا عندى صناعيه، ما بيطلع من تحت يدهم سكر بل جوهر ! فقال له : عفرم ! خوز عتمان، وروح جيب صناعيتك، وتعال اشتغل ! قال له : حاضر ! واخذه عتمان، وراح جاب الصناعيه واجا، فطلع بيبرص فيهم، يراهم عشرين واحد، اختياريه معتبرين، والجماعه من وصلتهم شمرو[ا] ، وانبرموا[22] على التواغير، وقالو[ا] : بسّم اللّه الرحمن الرحيم[23] ! وابتدؤا بالشغل. هذا كان.

٢١– أي : حركت.

٢٢– أي : توجهوا نحوها بسرعة.

٢٣– سورة الفاتحة، ١ وسورة النمل، ٣٠ . وتتلى هذه الآية عند المباشرة بالعمل، كما هو معروف.

واما ما كان من سرحان، فانه لما حرد، وراح حلف يمين ما بقا يشتغل اذا لم يجى بيبرص يقبل رجليه، ولا يطالعه على نصف الرزق، فلما كان تانى الأيام، هو جالس، وداخل عليه واحد من جماعته، وقال له : يا سرحان، انقر على دفك، طار الطير من كفك[٢٤] ! فقال له : خبر ايه ؟ قال له : بيبرص طالع ابوك، وراح جاب صناعيته !

قال... فلما سمع سرحان ذلك الكلام، قلب الضيا بعينه ظلام، وما عاد وعى على الانام، وفز طلع يركد، وهو يقول : والله ! لاقطع دقنه، هل الاختيار الجن ! ولما وصل للمعصره، دخل واصل لعند ابوه، ونزل برائسه سلخ، فلما شاف بيبرص ذلك، غضب غضباً شديد، وقام غرف سلاسل اللت، وطرق سرحان بين اكتافه، كدَّمه الارض بنير اسنانه، وصرخ : بره عتمان ! (قالد يراص)[٢٥] ؟

قال... فما فهم عتمان. قال : كندى، ايه ودى معناها ؟ وانا بالترشى ما اعرفش؟ ودى الوقت ينقرنى زيه، يا دهوتى ! واعمل ايه، ياخوى ؟ فلما شافه بيبرص لايص، عرف انه ما فهم عليه، فتقدم حمل سرحان، وطلع شنقه على باب المعصره، فقال عتمان : ارحب، دى الوقت تعلمت الطرشى ! كلما قال لى : قارضل[٢٦] بشنق راجل ! ثم ان بيبرص امر بدفن سرحان، وقعد يناظر الشغل مدة ستين يوم، خلص وطلع الريس لعنده، قال له : كل عام وانتم بخير ! خلص الشغل، وبقا علينا التعبايه بالقفاص[٢٧] ! فقال له : يا بابا، انت هون قديم، وبتعرف الأصول، وانا لسع غشيم، بقا شو فيه مرتبات على المعصره ؟ قال له : يا بيه، ما فيه عليك سوى عشرة اقفاص، الى عشر[ة] من الاعيان، وهم : الوزير شاهين، والوزير ايبك

٢٤- انقر على دفك، طار الطير من كفك : مثل يقال لمن خسر شيئا. ومعنى القسم الثاني واضح. اما القسم الأول، انقر على دفك، فمعناه الظاهر « اضرب على الدّف (الآلة الموسيقية) بأصابعك »، إلا انَّ نَقَرَ تعني كذلك « ضرب الطائر شيئا أو التقطه بمنقاره » ودفَّ الطائر أي : « صفق بجناحيه ورجليه على الأرض أو ضرب جنبيه بجناحيه » ومن هنا الصلة ما بين جزئي المثل.

٢٥- من التركية : قالدرمق، أي : رفع ، نقل.

٢٦- أي : فسر قالدرمق كانه يعني : شنق.

٢٧- القفاص، أي : السلال.

التركماني، والقاضي، وعدله كماله العشره. [فامر بيبرص ان: يعبو[ا] عشره] اقفاص يكونو[ا] منظومات، حتى ابعثهم قدامى مع عثمان، يفرقهم على اربابهم. قال له: حاضر! وراح عبا عشره اقفاص، واجا قال له: حضرو[ا]، يا بيه!

فصرخ الى عتمان، وقال له: خذ هل عشرة اقفاص، وانزل قدامى على مصر، فرقهم على فلان وفلان، وعدله اياهم. قال له: كندى، وحاسبهم على كام؟ فقال له: ولك، ما بدنا مصارى، هدول هديه! قال له: ايه، وبعدين نجيب الدراهم منين للحاج نجم الدين، ابو بندق! قال له: عنا[28] من خير الله، رزق زايد! قال له: طيب! وحمّل ونزل على مصر، حط القفاص بقصره، وفتح واحد، وطالع منه شقفه سكر، قدر نصف رطل، واخذها للديوان، وصرح[29]: سام عليكم، معلم صالح! فاتحه للنبى ولا الضالين، امين! قال له: اهلاً بالشيخ عتمان، شوفى خبر؟ فقال له: ايه، يا خوى، تسئلنى شو فى خبر، وما تدرا جرا فينا ايه؟ طلعوا علينا، بابا، عبر[30]، وباكثر الغوشه الذى صارت عندنا، وعرونا، يا خوى، واخذو[ا] العرى، والسكر كله، ولا خلو[ا] لنا حاجه، والكندى نيبرص صفيان بالظلط، وهو مخجول من الاعيان، لانه ما بقاش عندنا سكر نديهم، اذا كان بيعملو[ا] معروف، يدونى كام قرش، لما يشترى فيهم عرى يلبسهم! فقال الملك: شو عمال يقول عتمان، يا وزير شاهين؟ ما فهمت شى من الطوشه والغوشه! قال له: افندم، على هوى ما فهمت من كلامه، انه طلع عليهم عرب، شلحوهم، واخذ[وا] السكر والاواعى. والان، عمال بفرجونا عزرهم، حيث لهم عاده يهادونا كل سنه بقفص سكر، ومحور كلام عتمان انه بدو كام قرش، يشترى اواعى، يبعثهم لبيبرص. فقال له الملك: ومن الذى بياخذ اقفاص السكر، كل سنه؟ قال له: افندم، انا، وفلان وفلان، وعدله العشره. فقال له الملك: وانت كمان، يا اغا شاهين، بتاكل رشوه؟ قال له: افندم، هذه ما هى رشوه، بل انما هديه. فقال له: عجيب! لولا تكون وزير اعظم، كانو[ا] بهادوك؟ فاذاً بهادوك حياءً منك، وكل شى أخذ بسيف

٢٨- عنّا، أي: عندنا.

٢٩- كذا، صرخ.

٣٠- كذا، عرب.

الحياء، كان رشوه ! فهو حرام ! فوحيات راسى، ما عاد احد منكم ياخذ شيء ابداً ! والتفت الى عتمان، وقال له : لو كان عندك، لا عدت تعطيهم، وقد امرت لك بالف قرش، من عشره اعيان الذى كانو[ا] بدهم ياخذ[وا] السكر ! فقال له : طباً على عصبك، يا معلم صالح ! قربانك وقربان خشيمك، ما اكوسك! وانبرم، صار يجبى المصارى، حتى جمع الالف قرش، وطلع راح على السرايه، فلحقه الوزير نجم الدين، وقال له : يا عثمان، لا تشترى اواعي. وكتب كتاب، وركب خيالين، وقال لهم : لا تحولوا الا بالنهار[31] ! فساروا الخيالين الى ان وصلوا البنها، لقو[ا] بيبرص على نيه الرحيل، فتقدمو[ا] اعطوه الكتاب وبقجت [32] الاواعى. فاخذ الكتاب، فضه وقراه، يرا :

من يد الوزير نجم الدين : لا تنقهر يا ولدى، المال فدا الابدان، واصلتك بقجت اواعى مع حاملين الاحرف، البس واحضر الى طرفنا بالعجل، لاننا قاعدين على مقالى النار.

قال... فتعجب بيبرص، وما فهم شئ من ذلك العباره، وقام حمل الارزاق، ونزل على مصر، حطهم بالقيسريه، وراح على السرايه. فراح الخبر للوزير نجم الدين، انه اجا بيبرص، فقام نزل لعنده، وسلم عليه، وهناه بالسلامه، وقال له : لا تنقهر، يا ولدى، المال فدا الابدان، والشاعر بقول :

اذا سلمت راس الرجال من الردا فما الما[33] الا مثل قص الاظافر

قال له : ليش، شوفيه، يا عمى ؟ فقال له : ولك ابنى، لا تستحى ! الملوك بتغلب. قال : والله، يا عمى، مالى فهمان شى من كلامك، فهمنى شى الحكايه ! قال له : ولك ابنى، بخصوص العرب الذى طلعوا عليكم. قال له : من قال لك ذلك ؟ قال له : عتمان. واحكا له بما تكلم، وما فعل. قال له : وحيات راس مولانا السلطان، ما عندى خبر شى ابداً ! وصرخ : بره عتمان، تعال لهون ! وين العشره اقفاص السكر، الذى بعثتهم معك ؟ قال له : كندى، لا تغوش ! اصبر لما حتلك، وانا

٣١- كذا، ومن المحتمل أنها البنها، أي : بنها العسل.

٣٢- بقجت، أي : حزمة.

٣٣- كذا، المال.

جايه بالطريق، طلعو[ا] على بابا عبر، واخذو[ا] السكر مني، وانا جيت حكيت للمعلم صالح، قلت بلكي بيبعت خيل بحصلهم، ما عمل كده ! فقال له [بيبرص]: وانا جايه بالطريق، ما سمعت بهذا الحديث ! فقال له عتمان : ايه، رايحين يتموا بارضهم، يعلم الله وين صاروا ! فقال له بيبرص : وين المصارى الذى ليتهم على اكتافى ؟ قال له : كندى، كان علي دين، فكيت زمتى ! قال له بيبرص: يخرب بيتك ! انت احد بيستر[جـ]ـى يطالبك، الذى الناس بدها سلتها [منك] بلا عنب ! تعال افتح قصرك، لشوف ! قال له : كندى، المفتاح ضايع ! قال له : انبارح، وين نمت ؟ قال له : بالقصر.

قال... فتقدم بيبرص نبشه، لقا المفتاح بزناره، اخذه منه، وراح فتح القصر، يرا الاقفاص مكدوسه[٣٤] على بعضها، فقال له : ولك، شو هذا ! قال له عتمان : ايه، ومتا جيتم لهون، ومن الذى جابكم ؟ فصرخ بيبرص للوزير نجم الدين، وقال له : تعال شوف، يا عمى ! فاجا الوزير، يرا اقفاص السكر بالقصر، فلتفت الا عتمان، وقال له : ليش هيك اعملت ؟ قال له : ايو[ه]، يا حاج نجم الدين، دالكندى حيوان، لانه الاعيان ما يحبونا[ش]، ونطعميهم السكر ليه ؟ فقال له : بفضحك على هذا الفصل ! وقال لبيبرص : يا ولدى، ما عاد احد يسترجى ياخذ شيء، لانه الملك نبه، ولكن الوزير شاهين لازم نبعث له، حيث كل يوم عمال نروح نسهر عنده، ونشرب شر[ا]بات ! بقا، يا ولدى، ظريفه نخليه يشترى سكر، ويكون السكر عمال يطلع من عندنا ؟ فقال له بيبرص : صدقت، والله، يا عمى، لازم نبعث له قفص ! وراح عبا قفص سكر الى عنانه[٣٥]، واصطبر الى الليل، وصرخ لعتمان، وقال له : تعال، خذ هذا القفص للوزير شاهين ! قال له : طيب، وحاسبه على كام ؟ فقال له : ولك، فورت دمى بفصولك ! ما بدنا حقه ! قال : طيب، بلاش، دى الوقت فهمت، اقول له : خذ السكر كله بلاش ! وحمل القفص على رائسه، وسار على بحر بلامه، دخل على سرايه الوزير، وسار للقاعه، دخل وطلع لقدام الوزير، وقال له : قوم، يا حاج شاهون، نزل يا خوى ! وكان الوزير قاعد،

٣٤- مكدوسة، أي : موضوعة فوق بعضها البعض، مكومة.

٣٥- عنانه، أي : العروة التي يحمل القفص بها.

عمال يطالع كتاب، ما سمع الا صوات عتمان صار فوق رائسه، عمال يقول له : قوم، نزل ! فقال له الوزير : يفضحك، ما لقيت احد بره ينزل لك، حتى جايه لخلقتى ! قال له : ايه، حتى تبصهم[٣٦] قديشهم كتار ! بقول لك الكندى : كول كل دول ببلاش ! فقال له الوزير : يا عتمان، بركات ورسن ! وصرخ الى المماليك : نزلوله ! وامرهم ان ياخذوه على الكلار. قال له : وياخذوه ليه ؟ قال له الوزير : ما انت قلت كل هدول ببلاش ؟ قال له : ايوه، اصبر لما حتلك كلمتين، بكره، يا خوى، الكندى نيبرص يتمكعص، وما يعود اكعص منه الا ربنا، والاعيان دول، يا خوى، ما يحبونا[ش]، فاذا احكوا بحقنا قدامك ردى، لا تهز قاوقك، ابقا استفكر لما اكلت السكر بلاش ! قال له الوزير : هذا اول معيار، يا عتمان، انا، والله، ما بحكى لا بحقكم ولا بحق غيركم، الا بكل مليح، باذن الله ! قال له : عفرم عليك، يا خوى، دى الوقت يشيلوه ! وتركه، ورجع لعند بيبرص، وقال له : كندى، قلت له : خذ كل هدول بلاش، ما اخذت منه ولا حاجه ! قال له : عفرم ! وبات ذلك الليله، وقام تانى يوم، نزل على القيسريه، باع جميع السكر، وصفًا حقه[٣٧] ذهب احمر، جمع معه الف [و]ستمائه قرش، فطلع منهم مائه وستين، اجار البلد، وصرهم[٣٨]، واصطبر[٣٩] الى المسا، وحطهم قدام الوزير نجم الدين، فقال له : شو هذا، يا ولدى ؟ قال له : افندم، اجار البلد. فقال له : وحيات راس مولانا السلطان، ما بتبعنى شيء، لا قليل ولا كثير ! وانا انجق عملت لك هذه الماده، صورة لاجل الحرام والحلال، والا، لولا [ما] افعل ذلك، [كنت] تطلع على البنها وتنزل، وما تذوق السكر، لأنك رجل متشرع ! فقامهم بيبرص، وقعد [هو والوزير]، سهروا حصه [من] الزمان، وقامو[ا] ناموا. وتانى يوم، نزل بيبرص على سوق العطارين، لمحل مؤموريته، وقام على ذلك الحال، بالليل يسهر عند الوزير شاهين، واحيان هو والوزير نجم الدين، مدة ايام.

٣٦- تبصهم، أي : تُبْصِر قطع السكر، تراها.
٣٧- وفي المخطوط : وصفكم وصفًا.
٣٨- صرهم، أي : جمع النقود ولفّها في قماش.
٣٩- اصطبر، أي : انتظر.

[صيوان ملوكي]

قال الراوى : الى ليله كان بيبرص نايم، ما حس الا عتمان عمال يفيقه، ويقول له : كندى، كندى، فيق لما قول لك !

قال . . . ففاق بيبرص، وقال له : شوفيه ؟ قال له : الحاج نجم الدين ابو بندق جن ! فقال له : العما يضربك ! اشلون جن ؟ قال له : كندى، انا الليله قلقان، قمت لما كزدر بالمشرقه، تقدمت طلعت من القمريه على قاعة الجوانيه، لاقى الحاج نجم الدين جن ! فقال له : تعال، فرجينى ! وقام راح للقمريه، طلع لقا الوزير قاعد في العتبه، عمال يُعرك طين.

قال . . . فتعجب بيبرص من ذلك، فقال له عتمان : كندى، شفت كيف جن ؟ فقال له : تضرب، هذا ما هو جنان، اصبر لنشوف شو الحكايه ! ونزل ناح باب الحرم، فركد عتمان كمشه، وقال له : كندى، رايح تعمل ايه ؟ فقال له : بدى شوف الوزير شو عمال يعمل. قال له : اصحا تخش لعنده، كندى، بيعطبك[40] ! قال له : اسكت ولاً ! قال له : تعرف شغلك، انا نصحتك ! فتقدم بيبرص، وطرق باب الحرم، فطلعت الجاريه، وقالت له : شو عاوز ؟ فقال لها : عمى الوزير، قاعد والا نايم ؟ فقالت له : لشوفه. وراحت غابت، ورجعت، قالت له : تفضل ! فدخل بيبرص للقاعه، يراه لسّاه قاعد، عمال يَعْرُك الطينه.

قال . . . فهجم بيبرص، وشمر عن يديه، واراد ان يعركها عنه. قال له : استريح، يا ولدى، ما بيخرج من يدك ! فق[عـ]ـد بيبرص، وهو متعجب من ذلك الامر، فقال له الوزير : اظنك، يا ولدى، متعجب منى ! قال له : نعم، افندم ! فقال له : اعلم، يا ولدى، نحن كنيتنا بيت البندقدارى، وسبب ذلك هو اننا نشتغل حزق، مثل البندق، لاجل صيد الطيور، وعندنا هنا، كل سنه، بصير موقف بالجيزه، ويطلع الملك والاعيان [اول يوم] ؛ والثانى، ظباط العساكر ؛ وثالث يوم، عموم الاهالى ؛ وانا، يا ولدى، معاشى ثلاثين قرش، ما بكفينى ؛ فبكل سنه، بعمـ[ـلـ]ـلى [قدر]

٤٠– أي : يهجم عليك فيؤلمك ويؤذيك.

مد[٤١] حزق، وبفرقه على الاعيان، بيبعتولى مقابله هدايا، من رز، وسمن، وقمح، وما اشبه ذلك ؛ والان، الموقف يوم السبت ؛ فبكره الخميس، ما هو كلام ؛ يوم الجمعه، اطلع معنا على الديوان، لانه بصير ديوان عام، وبغيابنا بتجى المهاتره[٤٢]، لأجل ان تطالعلى الصيوان، فوصّي عتمان يوقف بباب السرايه، ويقول للمهتار باشي يطالع لك صيوان مختصر بدريكيْن[٤٣]، حتى تطلع معنا، تشم الهوى، لانه هناك صواوين الوزر، ما بتفضا بالنهار، فيكون لك صيوان، على خاصيتك، بـ[ـتـ]ـاخذ فيه حريتك. قال له : امرك ! وقام ودعه، وسار الى الباب البرانى، فلاقاله عتمان، وقال له : كندى، ما عبطك الوزير ؟ فقال له : اسكت، ولك ! ما هو مجنون، [مثل ما قلت لى] ! قال له : لكان، ليه عمال يعمل كده ؟ فقال له : عمال يساوى حزق، من شان صيد الطيور، حتى نطلع على الجيزه. قال : ايه، دى الوقت فهمت ! فقال له : يا عتمان، انا يوم الجمعه، بدى اطلع على الديوان، وانت ابقا هون بالسرايا، فلما يجى المهتار باشي، قول له يطالع صيوان مُختصر من شانى. قال له : طيب ! وباتو[ا] ذلك الليله، وقامو[ا] تانى يوم، راح كل واحد على اشغاله. ويوم الجمعه، طلع بيبرص على الديوان، وعتمان وقف على باب السرايه حصه، واقبل المهتار بالشى[٤٤]، دخلو[ا] الى الكلار، طالعوا صيوان الوزير نجم الدين، فتقدم عتمان، وقال له : ايوه، يا مهتار باشي، طالع صيوان مختصر على شان الكندى بيبرص ! قال له : على عينى، يا عتمان، يا حله البركه السنه دى بالبيه ! وطالع صيوان مختصر بدريكين، فقال له عتمان : دا ايه ! قال له : والله، يا عتمان، انت واحد حجاج، فوت نقى الذى بتريده ! ودخل معه، وصار يقلب له الصواوين، وعتمان ما يعجبه ولا واحد، الى ان وصل لصدر الكلار، لقا صيوان باربعه وعشرين دريك، [برصـ]ـافيات ذهب، والبنود حرير، والمسجاف اطلس

٤١- المدّ، أي : كيل تقاس به سعة الأوعية (وقد اختلفت كميته حسب الأمكنة والأزمنة).

٤٢- مهتار ج. مهاترة، أي : رجل وظيفته نصب خيام المسافرين عند نزولهم وفكّها عند سيرهم.

٤٣- دريك، كلمة تركية الأصل، معناها بالتركية عامود وبالعربية ركيزة الخيمة.

٤٤- كذا، باشي : رئيس.

مبطن، وتريات بلور زرز نجف[٤٥]، فقال له عتمان : ضربك العما، على دى المختصر ! قال له : والله، يا عتمان، انا صر[لـ]ـى [كل] هذه الايام بدخل الى هذا الكلار، ما شفت هذا الصيوان عند الوزير، ولو كان له خاطر الوزير، كان طالعه لحاله ! قال له عتمان : جالك العما، يبقا الوزير اكعص منا ! يالله، طالعه ! فقال له : يا عتمان، دا بد[ه] ظهر يشيله ! فمد يده عتمان على ظهر المهتار باشي، وقال له : دا عشان ايه ؟ فقال له : يا عتمان، دا بده ظهر حمار، ما هوش ظهرى ! قال له : طيب، انت طالعه لبرات السرايه، وخلى عندى اثنين مهاتره، وانا اجيب لك اياه لارض الجيزه ! قال له : طيب ! وبالحال، زقوه[٤٦] لبرات السرايه، وترك له ا[ثـ]ـنين مهاتره، واخذ صيوان الوزير، وسار فيه على ارض الجيزه. وعتمان، راح جاب له اربعه جمال، حمَّل الصيوان، وسار فيه على ارض الجيز[ه]، ولما وصل، عتق الاحمال، وسلم الجمال لصاحبها، واجا صرخ على المهاتره : ايوه، يا كدعان ! اتركو[ا] شغلكم، وتعالو[ا] انصبوا دا المختصر ! فتركو[ا] شغلهم، واجوا فردوه، لقوه صيوان عديم المثال، ما هو مثل ما قال عتمان مختصر. فصفن المهتار باشي وين بده ينصبه، ما فيه مطرح يليق فيه، فقال له عثمان : اشوفك صافن، خبر ايه، ياخوى ؟ قال له : يا عتمان، صافن وين بدى انصبه ! وكان فيه مطرح عالى، يقال له الصَّفه، ينصبوا عليه صيوان الملك، فقال له عتمان : ضاربك العما ! على هذا المحل ! واشارله على الصفه. قال له : بعرضك، يا عتمان، هنا مطرح صيوان الملك ! فقال له : ولك، يبقا المعلم صالح اكعص منا ! وسر السيده، ان ما نصبته هنا، لاطربش بزر مخك، يا دنس ! فقال له : اه، بعرض النبى، تعالوا، يا كدعان، لما ننصبه، نار الملك ولا جنة عتمان !

وقدموا نصبوا ذلك الصيوان، صار كانه قصر على وجه الارض، فلما انتهو[ا] من نصبه، نصبوا صيوان الملك جانبه، وصاروا ينصبو[ا] صواوين الوزر بالتبعيه، وبعدها

٤٥- تريات بلور زرز نجف، أي : ثريات (والثريا اسم يطلق على المسرجة الكبيرة مقارنة بالكواكب) بلُور (مادة فخمة تشبه الزجاج) خرزها من مدينة نجف العراقية (وهي بالقرب من الكوفة وفيها ضريح الإمام علي بن أبي طالب).

٤٦- زقوه، أي : نقلوه، حملا وجرًا.

أتى المنايرجى[٤٧]، وصار يرفع اشاير الى الصواوين، على حسب الرتب، فقال له عتمان : ايوه، يا منايرجى باشى ! تعال انصب لنا اشارتنا ! قال له : يا عتمان، انتم ما لكم وظيفه ! قال له : ايه، ضربك العما عن المختصر بتاعنا ! بص، ما اكوسه، يالله، انصب له اشاره ! قال له : طيب ! روح هات مرس[٤٨] وقناديل، وتعال لما انصب لك الأشارة. فقال له : حاضر، وانى اجيب لك ! ونزل على مصر، واصل على معمل [القناديل]، وصرخ : سام عليكم، يا كدعان ! هاتوا بيعونا الف والفين قنديل ! قالو[ا] له : ليش، يا عتمان ؟ فقال لهم : عايز اعملهم اشاير بالجيزه، للمختصر بتاعنا ! ففهموا مطلوبه، [فا]عطو[ا] قناديل [طلبه]، فقال لهم: حقهم كام، يا خوى ؟ قالو[ا] له : ما بدنا منك حقهم، يا عتمان، اقضى فيهم غرضك ورجعهم لنا [ثاني]. قال لهم : عليكم نور، يا خوى ! واخذهم وسار لعند الحبال، وقال له : سام عليكم، يا شيخ الحباله، هات، ادينا، يا خوى، قنطار وقنطارين من المرس. قال له : على شان ايه، يا عتمان ؟ فقال له : ايه ؟ مالك شايف القناديل، يا خوي ! عايز اعمل اشايره بالجيزه للمختصر بتاعنا. ففهم مطلوبه الحبَّال، فوزن له ثلاثة اواق مرس، واعطاه اياهم، فقال له : دول قديش، يا راجل ؟ قال له : قنطارين مانت قلت، يا عتمان ؟ فقال له : عليك نور، يا خوى، وثمنهم كام ؟ قال له : خذهم وروح، والمثل بقول : ان وصلت وسلم الله، بيع بما قسم الله ! لما تيجى يفرجها ربنا ! قال له عتمان : عليك نور، يا خوى ! واخذهم ورجع على الجيزه، ولما وصل صرخ على المنايرجى باشى : ايوه، اترك شغلك، يا واد، اهو المرس والقناديل حضروا، تعال ساوى الاشاير بتاعنا !

قال... فَدَشَّر شغله واجا نصب بَكَرَه للصيوان، وعلق المرس، وعمل اشارة طير، ولما انتهت، حط لها خيطين زيت، وشعلها لأجل يستعبرها، وسحبها لفوق، طلَّع لقا[ها] سبع، فتعجب، ونزلها، وخربها، وعملها على صورة عصفور، وسحبها لقا[ها] سبع، رد نزلها وعملها على صورة ارنب وسحبها، لقاها سبع.

٤٧- المنايرجي، أي : الذي يقوم بتعليق القناديل أو الفوانيس.

٤٨- المَرَس، أي : الحبال.

قال... فتقدم عتمان لعنده، وهو حاطط يديه ورى ظهره، وقال له : مالك، يا راجل، اشوفك تنزل وتطالع، خبر ايه، يا خوى ؟ قال له : والله، يا عتمان، من عمرى وانا بدي الصنعه، ما صار[ش] معاي مثل النهار داه ! قال له : خير، ايه ؟ قال له : يا عتمان، بعمل اشاره شكل، وبسحبها بلاقيها شكل. فقال له عتمان : وسر السيده، ما عدت تنزلها، لما اطربش بزر مخك ! قال له : آه، بعرض النبى على دى السنه السوده ! علينا نحن والمهاتره مع [...][49]، سيبوه، يا كدعان ! وتركها وسار الى صيوان الملك، عمل الاشاير سبع، وشغلها وسحبها، لقاها محراب، فتركها، وقال : افندينا حليم، لما يسئلنى، بحكى له. وراح لصيوان الوزير شاهين، عمل له الاشاره عروس، وسحبها لقاها تغيرت. راح لصيوان القاضى، عمل الاشاره غراب، لقاها كنيسه. رد نزلها، رجعها غراب، لقاها كنيسه. فتركها وراح كمل الاشاير. ثم باتوا ذلك الليله، وتانى الايام، اصبح السبت، انتصب الآلاى بمصر، وركب الملك والاعيان، وطلعوا بنهار عظيم المثال، الى ان صاروا برات مصر. وكانت العاده، لما يصيروا برات مصر، بيتخربط الالاى، ولا بضل ترتيب، ويصيروا كل اثنين يمشو[ا] سوى. فمشى الملك، ذلك اليوم، هو والوزير شاهين، وصاروا يتحادثوا، والملك مبسوط وضحكان، ما شافه الوزير الا غضب، وقال له : يا اغا شاهين، بكرت على حالك ! فقال له : امان، افندم ! والله ما بكرنا، هذا هو الميعاد الذى نطلع فيه كل سنه ! فصار الملك يترتر، والوزير ما هو فهمان شى، وكان مضمون كلا[م] الملك على عتمان، انك بكرت بنصب الصيوان على الصفه. ولا زالو[ا] سائرين الى ان قاربو[ا] الجيزه، وكان ماشى الوزير نجم الدين والامير بيبرص قدام الكل، عمال يتحادثوا. فلاحت من الوزير التفاته، شاف الصيوان منصوب على الصفه، فقال الى بيبرص : قدومك خير السنه ! يا ولدى، لانه افندينا مكبر الصيوان، ولكن انا، هذا الصيوان ما شفته عنده ابداً، اظن اجاه هديه، تفرج، يا ولدى، ما [أ]نظمه ! قال له : افندم، انا عندى واحد مثله. قال له : منين اجاك ؟ فقال له : افندم، ما اخبرتك سابق انه ركب على سرجويل المهرى، حاكم صفد بالشام واسرته، واشترى [فيه] دمه ؟ فقال له : يا ولدى، لا يكون هذا هو، وعتمان مطالعه ! قال

٤٩- كلمة ناقصة.

له : افندم، علمي وعلمك بالسوى. ولما وصلوا، ركد عتمان، وقال له : كندى، كندى، بص المختصر بتاعنا، ما اكوسه !

قال... فلما سمع الوزير ذلك الكلا[م]، حس كانه الجبال طبقت على قلبه، وقال : رحت قتل، يا ولدى ! لانه هذا مطرح صيوان الملك ! فان [كان] تريد [ان] تخلص حالك، وقف قدام الصفه، واهديه للملك، فاذا ما قبله، بتكون خلصت حالك، وان قبله، بعوض عليك الطاق[٥٠] امثال. قال له : اجبت، يا عمى ! وبالحال، حول ووقف حافى قدام الصفه، الى ان وصل الملك، ركد قبل رجله بالركاب، وانشد وقال :

اتت سليمان يوم العرض هدهده[٥١]	اهدت جراداً له قد كان فى فيها
وانشدت بلسان الحال قائلة	ان الهديه على مقدار هاديها
لو كان يهدى للانسان قيمته	لكلان يهدى لك الدنيا وما فيها

امان ! امير المؤمنين ! النبى – صلى الله عليه وسلم – قبل الهديه[٥٢]، وانا ارجوك ان تقبل هذا الصيوان من عبدك ! فقال له : مقبول، يا ولدى ! ثم حول، ودخل للصيوان، والاعيان وراه، لقوا الصيوان على الارض، لانه نسى عتمان يطالع له فرش، فقال الملك : يا اعيان، هذا ولدى بيبرص اهدانى هذا الصيوان، بلا فرش، فلازم كل انسان منكم ان يجيب فرش لنفسه من صيوانه !

قال... فحالا ركدت الاتباع، جابو[ا] مقاعد للوزر، وكرسى الملك من الخشب الاعتيادى، عليه طر[ا]حه وفوقها جلد غزال، وباقى الوزر، كلهم مقاعدهم منظومه، من الخز والديباج المزركش بالفضه والذهب، فجلسوا، وحضرت المشروبات. شربو[ا] وانبسطوا، وصار الملك يدور نظره بالصيوان، لاحت منه التفاته لباب الصيوان، لقا صليب الماس، لا يقام عليه ثمن. فقال : هوه ! هوه ! يا حاج شاهين ! اشلون ادخلتونا من تحت الصليب! وكان بيبرص واقف بباب الصيوان، لما سمع

٥٠– يعوض عليك الطاق امثال، أي : يعطيك بالمقابل أضعاف ما اعطيته.

٥١– إشارة إلى سورة النمل، ١٦–٢٠.

٥٢– «كان رسول الله يقبل الهدية ويثيب عليها» (البخاري، ٢٣٩٦).

كلام الملك، مد يده وقطع الصليب، والحشه فى الارض وداسه برجله. فقال له الملك : الله يعطيك العافيه ! ونده الى بيبرص لقدامه، وقال له : من اين لك هذا الصيوان، يا ولدى ؟ قال له : والله، يا افندينا، لما كنت بالشام، ركب علينا حاكم صفد البب سرجويل المهرى، فطلعت، يا افندينا، الى مقابلته، وضربته واسرته، فقام، يا افندينا، فدا نفسه بهذا الصيوان. فقال له الملك : الله ! الله ! اسمع، يا قاضي، قال سرجويل المهرى حاكم صفد، ركب على الشام، وطلع بيبرص ضربه، واخذ منه الصيوان، بقا ظريفه، هو يتعب ونحن ناخده منه ! والتفت الى بيبرص، وقال له : يا ولدى، انت اهديتنا هذا الصيوان، ونحن قبلنا[ه] منك، وانت، يا ولدى، برضاى عليك ان تقبله منا، هو والفرش الذى فيه، وحيات راسى ! ما بقا احد ياخذ منه شيء ! ونقعد اليوم ضيوف عندك. واندار على الاعيان، وقال لهم : ابعثوا اتباعكم يجبولكم فرش من بيوتكم. وقعدوا ذلك النهار الى المسا، تعشوا وقاموا حتى يصلوا المغرب، فزق[٥٣] القاضى [الى] صيوانه، عبارتاً بده يتوضا، ولما وصل اليه، لقا الاشاره كنيسه، فتعجب من ذلك، وبعت طلب المنايرجى باشي، وقال له : ولك ! ما هذه الأ شاره! قال له : والله، يا افند[يـ]ـنا، عمرى ما صار معى مثل هذا النهار، بعمل اشاره شكل، وبرفعها بلاقيها شكل ! قال له : روح لشغلك ! وصبر الى ان عرف انهم صلوا المغرب والعشاء، قام رجع على الديوان، قعد حصه زمان، وبعدها قال الملك : قوموا، يا [ا]عيان، حتى نتفرج على الاشاير ! فقاموا طلعوا من صيوان بيبرص، ضرب عينه الملك، لقا الاشاره سبع، فقال : ايش، [يا قـ]ـاضى، حي الله [ما بان] ! ثم سار الى صيوانه، طلع بلاشاره، لقاها محراب، فقال : الله، الله، يا حاج شاهين، قربت مدتنا ! ثم سار الى صيوان الوزير شاهين، لقا الاشاره عروس مثل ما هى، قال الملك ! انت لساك مطول، يا اغا شاهين ! وصاروا يدورو[ا] ويتفرجو[ا] على الاشاير، الى ان وصلوا الى صيوان القاضى، طلع الملك لقا الاشاره كنيسه، فقال : ايش، يا حاج شاهين ! سيماهيم

٥٣- زق، أي : ذهب (ويستعمل فعل زق في معظم الأحيان للتعبير عن الذهاب السريع والمفاجئ)

في وجوههم[٥٤] ! ولازالو[ا] سائرين الى ان اكملوا الجميع. ثم باتوا ذلك الليله، وقامو[ا] تانى يوم، صلوا الصبح، وشربوا القهوه، وبعدها حضر الفطور، فطروا وانبسطوا، وقاموا ركبوا وطلعوا على الصيد، وقفوا يمين وشمال، وتقدم الملك وهو راكب بغلته، والى جانبه الوزير شاهين. وكان الملك موتر القوس، وماسكه بيده، فمرقت سربت طيور، فقال للوزير : يا حاج شاهين ! اى طير نرمى منهم ؟ قال له : افندم، ارمى الذى قدام، اهون لك. فقال له الملك : الله يصلحك، يا ابو الوزر ! هذا دليل هذه السربه كلها، كيف ينصحا[٥٥] فيه نرميه ؟ قال له : افندم، ارمى الأيمن ! فقال : هذا جناحهم، اذا رميناه تنفرط حلقتهم. قال له : افندم، ارمى الايسر ! قال له : يا اغا شاهين، والآخر مثل الايمن! قال له : افندم، ارمى الذى بالوسط ! فقال له : الله يصلحك، يا ابو الوزر، هو من خوفه متخبى، نقوم نحن نرميه ! قال له : افندم، ارمى الاخرانى ! فقال له : يا وزير، ايه، فوق تقصيره نزيد على قلبه ! قال له : امرك افندم ! الذى بتسا[ـتـ]ـحسنه ترميه. فقال له : رايح ارمى هل طير، الذى عمال يطير من كشف كشف[٥٦]، هذا لسانه شكل، وقلبه شكل. قال له : امرك افندم !

قال... فرفع الملك القوس بيده، وهو رجل اختيار، صارت يديه ترجف، وكان بيبرص واقف وراه، فقال لحاله : هذا رايح يحسن يصطاده ؟ والله لاصطاده انا عنه ! ومسك القوس العمادى، وحط فيه حزقه، وضرب الطير رماه، فرفعوا الشاويشيه الجوكلانات[٥٧]، وقالوا : ما شاء الله ! يعنى انه الطير رماه الملك. وقال : هوه ! يا حاج شاهين، انا لسع ما ضربت ! وكانت العاده، الذى يصطاد قبل الملك بيقتل. فالتفتوا الاعيان، لقوا بيبرص واقف، وبيده القوس، فركدوا كمشوه، ورجعو[ا] فيه على الصيوان، كتفوه وحطوه بنطاع الدم، ووقف الجلاد فوق رائسه،

٥٤- سورة الفتح، الآية ٢٩ : سيماهم في وجوههم من أثر السجود.

٥٥- كيف ينصحا (أي : ينسخا)، معناها : كيف يمكننا كذا...

٥٦- يطير من كشف كشف : كذا، ربما كان المقصود أن هذا الطائر يطير وحده.

٥٧- جوكلان ج. جوكلانات، كلمة فارسية، أي : عصا معقوفة.

والملك جلس، هو والاعيان بمطارحهم. فصار القاضى يغمز الجلاد : انك اضرب ! وهو يقول : لسع ما طلع الامر ! هذا، والملك صافن، ثم رفع رائسه، وقال : انت فين، يا على اغا الوراق ؟ وباب الصيوان الستد[٥٨]، وداخل على اغا، وبيده صحن لحمه، وقال : لبيك ! يا خادم الحرمين ! وكان على اغا ذلك الوقت بالشام، وهو قاطع لحمه ورايح على بيته، ما يسمع الا صوت الملك عمال يناديله، وشى دق فيه وجابه للصيوان ! فقال له الملك : يا على اغا ! انت مسلم ! قال له : الحمد لله، مسلم ! مؤمن بالله ورسوله – الحمد لله على دين الاسلام – ! فقال له الملك : شو تعريف المسلم ؟ قال له : افندم، ان قال صدق، وان قيل صُدّق، واذا وعد وفا، واذا ائتمن ما خان ! قال له : عجب ! تعرف، وبتحرف، يا على اغا ! قال له : امان، افندم ! بايش حرفت ؟ قال له : يا اغا ! ما وصيناك على مملوك، تشترى لنا اياه، يكون ضعيف الحال، وشحدنا حقه من اصحاب النوبه، بقا وين المملوك ؟ قال له : افندم، وحيات رائسك، اشتريته، وانا جايه، لما وصلت للشام، زاد معه المرض، فتركته بالمرستان، وبعدها تعافا، واخذته ست الشام لعندها، وتبنته وسمته بيبرص، وبعدها حضر الوزير نجم الدين للشام، واخذه الى مصر. فقال له الملك : طيب ! روح لشغلك. واندار [على اغا الوراق]، وطلع من باب الصيوان، ما شاف حاله الا بباب الجابيه، ما بقا له كلام، والملك التفت الى الوزير نجم الدين، وقال له : يا وزير نجم الدين، وين المملوك الذى جبته من عند ست الشام ؟ قال : افندم هذا الذى بين يديك، وهو تحت رحمتك، فقال له الملك : هذا بيبرص، مملوكى ! قال له : نعم، افندم ! هذا هو. فقال : – ما شاء الله عليكم – رايحين تقتلولى اياه ! وانا ما عندى غيره ! يالله، قيموه ! فركدو[ا] قاموه من نطاع الدم، فتقدم اخذ اتك الملك، وانشد، وقال :

العبد آسا وقد اتا معتذراً والذنب جرى ولا علمت كيف جرا
فان اسائت فضلك يحملنى ان المضا لا يعاد هذا شرط الأمرا

٥٨– كذا، أي : استد (انفتح).

[بيبرص بالاوضة لار[٥٩]]

فقال الملك : ما شاء الله على هذه الألفاظ، يا اغا شاهين ! فين المماليك قاعدين ؟ قال له : افندم بالاوضة لار، عمال يتعلموا النظامات والقوانين. فقال له : قوم ابعت بيبرص لعندهم، خليه يتعلم معهم. قال له : امرك، افندم ! وبالحال، ارسلوا بيبرص الى الاوضه لار. وبعدها، قال الملك : يا اعيان ! من الان وصاعد، طلعت الجيزه بطاله، لانه لولا المشيئه، كنا رايحين نقتل بيبرص، وهو مملوكنا، فلو كنا قاعدين في ديوانا، عمال نتعاطا احكامنا، ما كان جرى ذلك الأمر، يالله بنا ننزل على مصر! فحالا انتصب الالاى، وركب الملك والوزر، وتوجهوا طالبين مصر. كل هذا جرى، وعتمان ما معه خبر شى، وهو قاعد مع الزعر واتباع الوزر، عمال ينبسطوا. ومقبل واحد ازعر، وقال له : يا عتمان، نقر على دفك، طار الطير من كفك ! فقال له : العما ! خبر ايه، يا خوى ؟ قال له : البيه بيبرص طلع مملوك الملك، وارسله على الاوضه لار ! فصرخ عتمان : يا دهوتى ! وقام وطلع يركد، فحصل الالاى بابواب مصر، فسار ناح الوزير شاهين، بحلق عريض، وهو يقول : يا حاج شاهون ! يا وكال السكر بلاش، الكندى راح فين ؟ قال له : لا تعيط، يا عتمان، الملك غضبان ! روح هلق، وتعال عشيه لعندى على السرايه، بقول لك. فقال له : ايه ! انا لما اديتك السكر بلاش، قلت لك : تعال لعندى عشيه ؟ ايوه، قول لى الكندى راح فين ؟ قال له : بالاوضه لار. فتركه، وطلع يركد على الاوضه لار، ولما وصل، اراد ان يدخل، فكان واقف على الباب قبجى ترك، فقال له : ولاً ! (نرايه كيديو رسك)[٦٠] ! قال له عتمان : كودورسون بعينك ! الكندى نبرص هنا، يا خويه ؟ فقال له : (بن بيليام)[٦١]. قال له عتمان : بيليام تخرق حبة عينك، وعالج فيه، لقا ما في ثمره، ما

٥٩– الأوضه، من التركية : اوطه، أي : غرفة. أما لار، فهو علامة الجمع، فمعنى العبارة : الشكنة.

٦٠– من التركية نره ديورسك : ماذا تقول ؟

٦١– محتمل أن تأتي من التركية : بن بيليرم، أي : أنا أعرف.

خلاه يدخل، فصار يحوص قدام الباب، الى أن أمس المساء، دخل القبجي، وسكر الباب، فلما نظره عتمان الباب اتسكر، طار عقله، وطلع يركد على سرايه الوزير شاهين، ودخل عليه، وصرخ : ايوه ! يا حاج شاهون ! يا وكال السكر بلاش ! الكندى راح فين ؟ فقام لاقا له الوزير، وقال له : يا عتمان، بيبرص طلع مملوك الملك. قال له : وعجب ! يا خوى، طلع منيوك المعلم صالح ؟ فقال له : ليش، ما عجبك يكون مملوك الملك ؟ بكره يعمل له وظايف ورتب ! قال له : وعجب، يا خوى، ما خلونى خش جوه لعنده ! فقال له : ليش ؟ رحت الى هناك ! قال له : نعم، وما خلونى خش. قال له : معلوم ! لانه هنيك اسمه محل ملك، ولكن بكره الصبح، باخذ لك ورقه من الملك، تفوت وتطلع لعنده قدر ما ار[د]ت. قال له : طيب ! وعجب، يا خوى، الصبح مطول ؟ فقال له الوزير : وليه على الكسره ! لسع ما تعشينا ! وداخل العشى ياخذ اذن [بالعشاء]، قال له : هات ! وقال لحاله : بلكى نلهى عتمان. فانوضعت السفره، وتقدم الوزير، وصرخ الا عتمان : تعال، حتى نتعشا ! قال له : كيف بدى انا اكل، والكندى ما عندش وكل ؟ فقال له : العما ! بيبرص ما عنده اكل ! اصل الاكل هناك اكولات من جميع الالوان، قدم ولك كول، ولا تحسب هيك حسابات.

قال . . . فقدم عتمان، اخذ اول لقمه، حطها بتمه، والوزير اكل اربعه خمس لقم، وطلع على عتمان، لقا اللقمه لساها بتمه، والدمعه بعينه، فقال له : ولك، ابني، ما تأكل ؟ قال له : وسر السيده ! موش قبلان، يا حاج شاهون.

قال . . . فتاثر الوزير، وقال لحاله : شى هذه المحبه، الذى صارت له لبيبرص، من حاذر عليه، هيك يصير، ولكن صدق المثل : عند الضيق ببان الصديق ! قال : قيموا هل سفره، وانا، والله، راحت قابليتى ! ثم قال لعتمان : قوم، حتى نتوضا، ونصلى المغرب والعشاء. قال له : والصبح لساه مطول، يا خوى ؟ قال له : حتى نصلى المغرب والعشاء. وجلسوا يتحادثوا، فقال لعتمان : يا خوى، الصبح لساه مطول ؟ قال له : اقعد، حتى احكيلك الحكايه، لحين ما تخلص، بكون اذن الصبح. قال له : طيب. قال الوزير : كان، يا مكان، حتى كان. قال عتمان : والصبح مطول، يا حاج شاهون ؟ عجب، الكندى نايم والا قاعد ؟ فقال له : يكون

نام من زمان ! فصار يحكى الحكايه، الى ان كمل الدهليز[٦٢]، قال عتمان : والصبح مطول، يا خوى ؟ فقال له : ولك ابنى، انت تسطح على هل تخت، وانا لروح شفلك ياه مطول والا قريب، وابعث لك اياه ! وقام، دخل الحرم حتى ينام، ما لحق يغفل، الا سمع عتمان بالمشرقه، الله اكبر ! الله اكبر ! قوم، يا حاج شاهون، اهو الصبح ودّن، يا خوى ! فقام الوزير، وقال : لا حول ولا قوه الا بالله العلى العظيم[٦٣] ! وطلع لعند عتمان، وقال له : ولك ابنى، امشى حتى دورك سليك، واخذه، وطلع فيه من السرايه، وسار فيه ناح غيض الحلى، ولما وصلوا، شاف الوزير زوال، فصرخ : ما هذا الذول ؟ سمع قائل يقول له : شو عمال تعمل هون، يا وزير ؟ فاستلفا[٦٤] الوزير بسوط الملك، فركد اخذ اتكه، وقال له : امان ! ملك الزمان ! ما هذه الطلعه ؟ اما تعلم ان نصف الناس اعداء لمن [كان] ولي الأمر، هذا ان عدل ! فقال له : ما هو بيدى، يا ابو الوزر، وحيات راسى، الليله كلما بدى نام، يجى عتمان ينعرنى بخاصرتى، ويقول لى : بدى الكندى منك ! بقا طالع دور عليه، حتى اعطيه ورقه، يدخل لعند بيبرص. وكان عتمان واقف ورا الوزير، فلما سمع كلام الملك، نط لقدامه، وقاله : اهو انا عتمان، يا معلم صالح ! طباً على عصبك ما [ا]كوسك ! واخذهم وسار فيهم على قاعت عربسار[٦٥]، وكتب ورقه لعتمان، انه ان دخل، وان طلع، ما عليه حرج، ولا احد يقارشه. واعطا ياهيا فاخذها عتمان، وقال : يا حاج شاهون، اهو تمن عندك حق السكر ! ولا [وخذنا منه] بحاجه ! وطلع يركد، واصل على الاوضه لار، وصار يحوص قدام الباب، الى ان طلع النهار، وانفتح الباب، فاندك لجوه، فقال له القبجى : ولاً نره[٦٦]، ايه ؟ قال له : نره تنقر عينك، خذ بص، هذه الوقوقه تخرق عينك ! فاخذ القبجى الورقه، قراها وحطها،

٦٢– الدهليز، هنا : المقدمة.

٦٣– سورة الكهف، ٣٩ ؛ سورة البقرة، ٢٥٥.

٦٤– استلفا، أي : عرفه لما بينهما من أُلفة.

٦٥– كذا.

٦٦– كلمة تركية، أي : ماذا.

وقبلها وحطها على رائسه، وقال له : كيت، بابا، كيت[٦٧] ! فدخل عتمان، واستلم الدرج، واصل لاول اوضه، فتحها وطلع لقا مملوك، فقال : دا منيوك، موش الكندى ! تركها، راح للثانيه كذلك، فقال له : العما، كلهم مناويك، والكندى فين ! وصرخ : انت فين، يا كندى نيبرص ! فكان بيبرص عمال يصلى الصبح، سمع صوت عتمان، ظنه دخل بدون اذن، قطع الصلاه، وطلع صرخ له، فدخل لعنده، فقال : جبت وقوقه من المعلم صالح ! فقال له : عفرم ! وفرح فيه. وقعد يتحادث، هو واياه، قال له : كندى، انا جوعان، شو فيه عندك ؟ فقال له : قوم شوف شو فيه على الرف، كول. فقام عتمان، طلع لقا طاسه شوربه، فقال : كندى، دا ابو شورب، انت تعشيت منه ؟ قال له : اى، والله، يا عتمان ! قال له : انا ما حب ابو شورب ! قال بيبرص : خذ، اهى مصارى، وروح كول الذى بتريده.

قال... فاخذ المصارى عتمان، ونزل لتحت، لقا الشغيله الذى عمال يشتغلو[ا] في الاوضلار، [فلما] شافهم عتمان، تعارف عليهم، لقا العشي رفيقه بالزعاره، واسمه حسين، فسلم عليه عتمان، وقال له : دا انت هنا، يا خوى ؟ قال له : اى والله، يا عتمان، تفضل ! فدخل، وصار يتحادث هو واياه، ثم رفعوا الحلل[٦٨] على النار، فقال عتمان : ايوه، يا أسطه حسين، دا الوكل كله لمين ؟ قال له : للاغوات. فقال : عجب، يا خوى، والكندى نيبرص ماهوش اغا زيهم، ليه تبعت له بس ابو شورب ؟ قال له : يا عتمان، البيه بيبرص سيدنا، وهو رئيس الكل، والسفره الذى راحت له انبارح تقدى ثلاثة انفار ! وسفر الاغوات ما فيهم محلى، وهو راح له صحن محلى، وتانيا ما هو بامرى، بل اجتنى توصيه من عند الوزير شاهين ! بقا انت، كيف عمال تحكى معى دالكلام ؟ فقال له : معاليش، ياخوى، ماعليش. وقعد عنده الى المسا، تعشوا سوى، قال حسين : شوف، يا عتمان، اهو قدامك رايح هندز سفره البيه ! وحط طاسة شوربه، وصحن رز، وصحن بيساره، وصحن

٦٧- يظهر أن المعنى : ادخل. بالتركية كت تعني : اذهب، فمحتمل أن يكون الكلمة التركية المقصودة : كل، أي : ادخل.

٦٨- رفعوا الحلل على النار، أي : حملوا القدور (أو مختلف الأوعية التي تحتوي على الطعام النيء) ووضعوها على النار.

لحمه، وصحن باميه، وصحن حلوا، ونده لواحد ازعر من الجماعه، حمله اياها، وطلع فيها على الدرج، ولحقه عثمان، فوصل لاول اوضه، طلع واحد مملوك اسمه علاى الدين، مد يده اخذ صحن البيساره. فقال عتمان : ارحب ! دا اول واحد علاى الدين، نقر البيساره، والنبى، لما انقر عينه، وهذا يمشى عليه هذا اللقب البيسرى ! ثم طلع قلون، اخذ صحن اللحمه، فقال عتمان : ارحب ! دا قووقون، اخذ اللحمه، والله، لانقر حبة عينه ! وصار الازعر يمشى، والمماليك يتناولوا الصحون من على رائسه، الى ان وصل لعند بيبرص بطاسة الشوربه، اعطاه الجديد، واخذ العتيق، ومشى. وهو راجع، صاروا المماليك يعطوا الصحون الفارغه، فرجع عتمان، قعد بالمطبخ الى ان حطو[ا] الفطور لحالهم، عزمو[ا] عتمان، فطر معهم، وطلع لعند بيبرص، قال له : فطرت، [يا [ا]خى] ؟ قال له : ايوه. وقعد عنده للمسا، نزل تعشا عند العشى باشى، وطلع سهر، هو وبيبرص، للساعه تنتين، وقال له : كندى، شايف حالى عمال انعس. قال له : قوم نام ! فقام عتمان تسطح، وبيبرص حط المصحف، وقعد يقرا، فمدت معه الأيه الشريفه (ومن اعتدا عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدا عليكم ان الله لا يحب المعتدين)[٦٩].

قال... فلما سمع عتمان ذلك الأيه الشريفه، جلس وقال له : كندى، كندى، عيد دى الايه ! ما [ا]كوسها ! عيدها تانى ! فعاد له اياها تانى مره، فقال له : كندى، اكتبلى اياها على وقوقه، عايزها حجاب ! قال [له] : ليش، [يا عتمان] ؟ فقال [له عتمان] : قوله تعالى — خذ من القرآن ما شئت وهو شفاء[٧٠] — بقا اكتبلى وقوقه !

قال... فكتبها له، واعطاه اياها، فاخذها عتمان، وشكلها برائسه، وعمل حاله نايم، فشلح بيبرص، واتكا ونام ؛ قام عتمان، انسرق شويه شويه، وطلع لبرات الاوضه، وطلّع على المماليك، يراهم سهرانين عند قلون، وعمال يتحادثوا، هذا

٦٩– سورة البقرة، ١٩٤ (فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدا عليكم). سورة البقرة، ١٩٠ (إن الله لا يحب المعتدين).

٧٠– إشارة إلى سورة الإسراء، ٨٢ . ونص الآية الصحيح هو التالي : وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا.

يقول : انا اخذت صحن الباميه، هذا يقول انا اخذت صحن الرز، هذا يقول انا اخذت البيساره، [و]عمال يضربوا حديث مصاحبه. فقعد عتمان جانب الباب، وصار يسحب التراجيل واحد واحد، حتى لمهم كلهم، وراح صرهم، وربطهم، وحدفهم لورا الباب، ورجع على الاوضه، حط راسه ونام.

واما المماليك، قامو[ا] آخر السهره، بدهم يروحوا على اوضهم، ما لقو[ا] التراجيل، فصاروا يقولوا : امان ! وين راح ترجيلك ! ويقلبو[ا] يلوبو[ا] ويدورو[ا]، راحوا الى اوضة بيبرص، لقوها مسكره، والجماعه نايمن، راحوا لباب الاوضه لار، لقوه مسكر، فتعجبوا، وراحوا ناموا ذلك الليله، وفاقوا على بكره، نزلوا يسئلوا القبجى : بالليل، حادا فتح باب الاوضه لار ؛ قال لهم : ما بصير ينفتح بالليل ابداً ! وهم بذلك المناسبه، ونازل عتمان، وبيده المسبحه، [وهو عمال يسبح، ويقول] : (صوب حارتنا صوب حارتكم)، لا حامل ولا محمول؛ وطلع من الاوضالار، ناح حارت اليهود، وكان له يهودى عميل من زمان الزعاره، ببيعه جميع الذى كان يجمعه، فراح لعنده ذلك اليوم، طرق عليه الباب، فطلع فتح له، وقال له : اهلاً [وسهلاً] ! عتمان، وديني، اشتقنا لك ! قال له : اسكت، يا بوا حكيكه، انا تبت، ولكن المناويك العروص، خلوني انقض التوبه، خوز اشترى مني هدول، وباعو اياهم بقد ما كان، وجاب دراهم، وراح عمل بحقهم صحن كباب ملوكى معتبر بهل فلفل والبهارات، وطبق[ـهم] على رغيفين تنوريات، واخذهم، ورجع على الاوضه لار، قدمه لبيبرص، قال له : ولك، شو هذا ! قال له : كندى، بكون [ا]نسحت قلبك من ابو شورب، جبت لك صحن كباب ! فقال له : منين جبته ؟ انت ما معك مصارى ! قال له : كندى، رحت لعند امى، وقلت لها : الكندى نيبرص قاعد في الاوضه لار، ميت من جوعه، اعطيني غزلتك لما ابيعها، واشترى وكل الى الكندى ! فقال له : تضرب، شهيتني الشحاده ! وارفع الخبز عن الصحن، طلعت ريحة البهارات الى مناخيره، فقال لحاله : ما بدها تكيد، قدم كول، ولما تطلع تبقا تكافيها، و[ا]قول لها ما عندى خبر[71] ! وقدم حتى ياكل، قال له

٧١- أي أن عثمان سيقول لامه بانه لا يدري ما الذي حمل بيبرص على مكافاتها (بحيث لا تعرف أمه ولا يعرف بيبرص بأنه لفق قصة الغزلة).

عتمان : اصبر كندى ! لما حتلك كلمتين قبل ما تاكل ! بكره، انت تتمكعص، وما بصير اكعص منك الا ربنا، فلاتنسا عتمان، ابقا استفكر حالك، لما طلعت منيوك المعلم صالح، وقعدت بالاوضه لار، وكنت رايح تموت من جوعك، وراح عتمان باع غزلة امه، وجبلك وكل ! فضحك بيبرص، وقال له : يا عتمان، انت اخى، احد ينسا اخوه ! قال له : طيب، دى الوقت كول ! وراح عتمان ودا الصحن للكبجى، ورجع فطر، وتعشى عند العشى باشى، وطلع سهر هو وبيبرص للساعه تنين ونصف، وقال له : كندى، شايف حالى عمال انعس. قال له : قوم نام ! فقام تسطح، وبيبرص قعد له حصه وحده، زعل، قام الاخر تسطح ونام، فخلاه عتمان حتى غفل، وسلحب[٧٢] شويه شويه، وطلع من باب الاوضه، دور على المماليك، لقاهم سهرانين [عند] علاء الدين، وقاعدين عمال يتحادثوا بسرقة التراجيل، وكل واحد حاطط ترجيله قدامه، من خوفه. فقال عتمان : ليه، انا مغلبكم، يا عروص ! وراح دار على الاوض، اخذ القوايق، عملهم [حمله]، ولحشهم لورا الاوضه لار، ورجع نام. ولما كان ثانى الايام، فزوا المماليك على بكره، كل من دور على قاووقه، ما وجده، فقالو[ا] : امان ! راح قاووقك كمان ! والله، بالله، ليله بروح بابوجك، ليله قاوقك ! قالو[ا] : والله، ما لنا غريم الا عتمان ! وهم بالكلام، وطالع عتمان فاضى، لا حامل ولا محمول، وطلع من الباب، وراح لمطرح ما رما القوايق، اخذهم وراح باعهم لليهودى، وراح اشترى صحن كباب، واخذه لبيبرص، فقال له : ولك، شو هذا ! قال له : كندى، رحت اخذت كمالة الغزله، بعتها. فقال له : يفضحك ! حطيت دابك وداب امك ! قال له : كندى، ما هو كله على شانك ! قدم كول. فقدم اكل، وحمد الله عز وجل، واخذ عتمان الصحن، وداه لصاحبه، ورجع على الاوضه لار، فطر وتعشا عند العشى باشي، وطلع سهر عند بيبرص.

واما قلون، يا اخوان، فانه لما اغلق الليل، نبه على المماليك، وقال لهم : روحوا تسلحوا [و]سكروا اوضكم، وتعالوا. فراحوا سكروا الأوض، وخلوا فرد اوضه مفتوحه، ولطيوا[٧٣] حواليها.

٧٢- أي : تسلل.

٧٣- لطيوا، أي : اختبأوا بحيث يرون من يأتي دون أن يراهم.

واما عتمان، يا اخوان، فانه سهر مع بيبرص للساعه ٣ ثلاثه[٧٤]، وقال له : كندى، اشوف حالى عمال ابرد ! قال له : قوم نام ! فقام عتمان تسطح. فقال بيبرص [بباله] : مسكين عتمان، صاير له دور، كل ليله عمال يجيه ميعاده. ثم قعد قراله شويه، وقام نام. فخلاه عتمان حتى غفل، قام تسلحب وطلع من الاوضه، فشافوه المماليك، قالو[ا] : (ايشته ياه عتمان جيفدى !)[٧٥] وعتمان، اجا لاول اوضه، لقا[ها] مسكره، راح للثانيه، لقاها كذلك، وصل للثالثه، لقاها مفتوحه، فدخل اليها، كانو[ا] يهجمو[ا] عليه المماليك، فلما استحس فيهم، سكر الباب، ودقره، وصرخ من صميم عقله : يا كندى نيبرص ! المناويك رايحين يطقونى ! فمن سريرة[٧٦] عتمان، سمع بيبرص الصوت، فز من وهلة نومه، غرف سلاسل اللت، وطلع لبره، لقا المماليك مكومين على الاوضه، الذى محبوس فيها عتمان، فقال لهم : ولاً، شو هذا ! قالو[ا] له : لكان انت عمال تعلمتك عتمان، ليله يسرقتك بابوج، ليله يسرقتك قاوق ! ورايحه تقع بينهم ؛ وصار يصرخ من باب الاوضه لار: هوه، يا مصلح الصالحين اصلحنا[٧٧] ! وداخل الملك، ومعه الوزير شاهين.

قال... فلما شافو[ا] الملك، كل واحد ركد على اوضته، لبس قاوقه، لانهم كل واحد له قاوقين، واحد للاوضه لار، وواحد لمو[ا]جهت الملك. وكان عتمان، وهو محبوس بالاوضه لار، انحصر، اخذ قاوق من القاوق الذى موجود عنده، ازال ضرورته[٧٨] فيه، وحطه فى مكانه.

واما الملك، فانه قال لبيبرص : ما هذا الأمر، يا ولدى ! قال له : والله، يا [ا]فندينا، انا كنت نايم، ما حسيت الا عتمان يصرخ علي، فطلعت لبره، وشرفت سعا[د]تك، وهذا ما عندى. فقال له : هات عتمان ! ودخل الملك لاوضه بيبرص، جلس هو والوزير شاهين، وبيبرص قدم طرق الباب، وصرخ على عتمان، فقال له : كندى،

٧٤- كذا.

٧٥- بالتركية : بلا فائدة، يا عثمان، قد خرج.

٧٦- السريرة : بمعنى السر الصوفي.

٧٧- سورة البقرة، ١٨٢.

٧٨- ازال ضرورته، أي : قضى حاجته.

طقيت المناويك ؟ قال له : اطلع، يفضحك ! اجا الملك ! فقال : ارحب، يا معلم صالح، على دى الجيه، ما [ا]كوسها ! وطلع من الاوضه، وكان المملوك صاحبها واقف على جنب، فلما طلع عتمان، زق المملوك، ودخل للاوضه، اخذ القاوق ولبسه، ما حس الا شئ سخن زرزب على خدوده ونقرته، فشم ريحه نجس، فصرخ : الله بلعن هذا الليله، ما انحسها ! فسمع صوته المماليك، اجتمعوا عليه، وقالو[ا] له : (نَوَرْ قا[ر]داشم)[٧٩] ! فقال لهم : امان قرضا شكر[٨٠] عتمان بخراتك بقاوق، وانا بلبستك ! قالو[ا] : الله بلا ورسن !

واما عتمان، فانه دخل لعند الملك، وقال : سام عليكم، معلم صالح، طبا على عصبك على دى الجيه، ما [ا]كوسها ! فقال له : شو هذا، يا عتمان، جيت تعمل طوشات[٨١] مع المماليك ؟ قال له : ايوه، يا معلم صالح، بتعرف بتوقوق ؟ فقال الملك للوزير : شو عمال يقول هذا ؟ قال له : افندم، عمال يقول : بتعرف تقرا ؟ فقال له : ايه، بعرف بقرا، ليش هل سؤال البارد ؟ فمد يده عتمان، وسحب الورقه من رائسه، وناولها للملك، وقال له : خذ، وقوق بدى الوقوقه !

قال... فاخذها الملك، قراها، يرا الايه الشريفه (ومن اعتدا عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدا عليكم ان الله لا يحب المعتدين ؛ صدق الله العظيم[٨٢]). [فقال الملك] : عن ايش هذه، يا عتمان ؟ قال له : اذا اردت تعرف، نادى الى العشى باشى حسين، لما اقول لك.

قال... فبعث الملك ورا حسين، حضر اخذ اتك الملك، فقال له عتمان : ايوه، يا اسطه حسين، احكى للملك عن سفره الكندى !

قال... فعد الالوان [حسين]، الذى [كان] يبعثها [الى بيبرص]، فركد عتمان، وجاب طاسة الشوربه، وقال : بص، يا معلم صالح، ما فيش غير ابو شورب بس، وباقية الوكل، علاى الدين ينقر صحن البيساره، وقوون ينقر صحن اللحمه ؛

٧٩- من التركية : نه وار قارداشم، أي : ماذا، يا أخي ؟

٨٠- من التركية : قارداشم، أي : يا أخي.

٨١- طوشة ج. طوشات، أي : ضجيج ومشاجرة.

٨٢- سورة آل عمران، ٩٥.

وعدهم للملك. وقال له : هم ينقروا الوكلات، وانا اسكت لهم ؟ قمت انا سرقت لهم البوابيج والقوايق ! فضحك الملك، وقال له : نعم ما عملت ! والتفت للوزير شاهين، وقال له : نبه على المماليك، خليهم بكره يطلعوا على الديوان، حتى نوظفهم، وخلي بيبرص يقعد [يـ]تعلم وحده ! فقال له : امرك، افندم ! وبالحال، نبه على المماليك، واخذ الملك وسار. وصاروا المماليك يوضبوا حالهم الى طلوع الديوان، ولا عادوا ناموا ؛ الى ان طلع الصباح، اجا قبجي باشى، اخذهم وطلع فيـ[ـهم] على الديوان، صاروا يمتحنوهم، ويوظفونهم على هوا عرفهم، الى ان وظفوا الجميع. فهاؤلاء المبغضين، منهم بيحكمهم سعد، وبترقوا.

[بيبرص يتقفطن]

واما الملك، فانه التفت الى الوزير شاهين، وقال له : يا حزرك، انا ما اخذت [على] خاطرى الآن ! لو كان ولدى بيبرص معهم من الاول، كان احسن الى ! كان تعلم وتوظف معهم. فقال له : امان، افندم ! وحيات راسك، ولدك بيبرص اعرف منهم، وكلهم ما بيجوا نقطه في بحره ! فقال له : اذا كان هيك، ابعث جيبه حتى نوظفه، احسن ما ياخذ على خاطره. فبلحال راح له الطلب، ففهم بيبرص انه ما بقا له رجعه[٨٣]، فقال الى عتمان : ودى الطقم للبيت. وطلع مع القبجى على الديوان، دخل اخذ اتك الملك، دعا وترجم، بافصح ما تعلم تكلم، دعا للملك بدوام العز والنعم، وازالت البؤس والنقم، وانشد يقول هذه الابيات :

اذا بخل الغمام بقطره كانت اناملك ابحر فضله
الناس عام والكرام باسرهم شهر الصيام وانت ليله القدر

قال الملك : ما شاء الله ! صحيح، يا بو الوزر، ولدى بيبرص متعلم، هاتوا بنش ! فحالاً صار على اكتافه، وصرخت الشاويشيه : ما شاء الله ! مستاهل بيئش ؟ قال الملك : هذا شاويش الديوان. وكانت وظيفه الشاويش، بجاوب الملك على سؤآلاته،

٨٣- ما بقا له رجعه، أي : أن ظروفه ستتغير جذريا فلن يعود إلى الأوضه لار ولا إلى وضعه فيه.

وله مازيه ثانيه، فاذا كان صاير سكوت في الديوان، بيرفع جوكلاته، ويقول : لااله لا [٨٤] الله، محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بذكر الاعيان بالشهاده، فسلمو[ا] الاشاره الى بيبرص، وقعدوا [بها]لوظيفه. واما عتمان، فانه ودا الطقم للسرايه، ورجع قعد على باب الديوان، الى المسا، طلع بيبرص، فقال له : كندى، اشوفك متقفطن، خبر ايه ؟ قال له : صرت شاويش الديوان، يا عتمان ! قال له : ارحب ! وانا ما تلبسنى شاويش صغير، يا خوي ! قال له : روح، لبستك ! فطرق عتمان بالعصايه، وصرخ : قلب العامر يصلى على النبى ! ومشى قدامه، وصار كلما وصل لسوق، ينده : قلب العامر يصلى على النبى ! الى ان وصل للسرايه، وحضر الوزير نجم الدين، وبارك له بالوظيفه، وباتوا ذلك الليله، وقاموا ثانى يوم، طلع بيبرص من السرايه، فطرق عتمان بالعصايه، وصرخ : قلب العامر يصلى على النبى ! فقال له بيبرص : قدم لقول لك، قلنا انبارح ما بسايل، انت رايح تعملها عاده ! قال له : كندى، ما بهون عليك امشى قدامك، واذكر الناس بالصلاة على النبى، وسر السيده ! لما يجى ايام يصير لها هذه الكلمه شد وعهد، ويصيروا ياكلوا عليها عيش.

قال... فتركه بيبرص على عقله، واستقام شاويش بالديوان مده من الزمان.

قال الراوى : الى يوم، كان نهار الجمعه، الديوان تعطيل، وبيبرص قاعد على باب السرايه، ما شاف الى طالعه حرمه، وبيدها بنت صغيره، بنت سبعه سنوات، وهى عمال تقول : اذا كل الابواب تسكرت، باب الكريم مفتوح !

قال... فتعجب بيبرص، وصرخ لعتمان، وقال له : اصرخ الى هذه الحرمه ! فصرخ لها عتمان : تعالى، يا وليه، كلمى البيه ! فرجعت الحرمه لعند بيبرص، فقال لها : يا امى، شو مرادك، اكرام ؟ قالت له : لا، يا ولدى، ولكن انا لى حكايه تُحكى. فقال لها : شى حكايتك قالت له : يا ولدى، الوزر الذى عليها الكلام ما حسنو[ا] ينفسو[ا] الى كرب، بقا انت رايح يطلع بيدك ؟ فقال لها : احكيلى، وتوكلى على الله[٨٥]، واذا ما طلع بيدى انفس لك كرب بحسن بكسر عليكى بالكلام !

٨٤– كذا، لا إله إلا.

٨٥– سورة النساء، ٨١.

قالت له : صدقت ! اعلم، يا ولدى، انا حرمت كردى تاجر غنم، يقالو له الامير حسين، ولى منه بنتين، هذه وواحد تانيه، بنت سبعه عشره [عام]، فصدف الى يوم كنا بالحمام، وكان موجود حريم احمد اغا، امين القصص، تخمين ان الرجل حرمته متوفيه، وبده يتزوج، فراحو[ا] ناس بيظهر دالّينُه على بـ[ـنـ]ـتى الكبيره، فبعث طلب زوجى، وخطبها منه ؛ وعادت الاكراد، يا بيه، ما يزوجوا الى لبعضهم، فقال له : ما عندى بنت للزواج ! داوره قالبه ما فيه خواص، فتر[كـ]ـه شهرين زمان، وبعدها زور عليه سند بثلاث الف قرش، واشتكى عليه للحكومه، واثبتها عليه بموجب شهود زور وبهتان، وظبطوا امواله، وبيته، واواعينا، فجمعوا الفين قرش، وحبسوه [على باقى المال]، والأن صار له اربعة اشهر وهو محبوس، ونحن عمال نتشنطط من بيت الى بيت، ونقوت حالنا قوت لات موت، وعمال اقع على الوزر، وهم يقولو[ا] لى : الدعوا مثبوته، ما لها ثمره ! فلما سمع بيبرص ذلك الكلام، غضب غضباً شديد، ومد يده، وناولها خمس دنانير، وقال لها : وحيات راس مولانا السلطان، لابد الا [ا]خلص لك زوجك ! وان ما طلع بيدى افسد دعوته، انا بدفع المال عنه، وبطالعه ! فقالت له : ربنا يطول عمرك، يا بيه، وينولك مرادك! وراحت، وهى عمال تدعى له، وبعدما راحت، صرخ لعتمان، وقال له : الا، انت بتعرف شهود الزور من شهود الناس ملاح ؟ قال له : ايه، اذا انا ما عرفت، الذى بيعرف مين ! فقال له : طيب، انا هلق بدى روح على المحكمه، وارفع دعوة الامير حسين، ولما نطلب الشهود، اطلع وقف على باب المحكمه، واكدفيهم، ان لقيتهم ناس ملاح، فوت لعندى وانت حاطط يديك بجيابك، وان لقيتهم شهود زور، حط يدك على راسك. قال له : ايوه، فهمت ! [وقام] اخذه، وسار هو واياه على المحكمه، دخل لعند القاضى، فلاقا له، وترحب فيه، وجلسو[ا] للمحادثه والكلام، فقال له بيبرص : يا قضى [86] افندى، اذا كان فيه عندك دعوى من ا[ر]بعة اشهر، فيه اذن نقيمها ثانى مره ؟ قال له القاضى : قيمها عشر مرات ! من يكن صاحب الدعوى ؟ قال له : احمد [اغا]، امين القصص، والمدعى عليه، الامير حسين تاجر غنم، بقا اذا كنت بتامر، ابعث احضر لنا اياهم. قال له : حاضر !

٨٦– كذا.

وبالحال، بعث جاب الامير حسين من الحبس، وارسل طلب احمد [اغا، حالاً] حضر. ولما دخل، لقا الامير حسين واقف، فقال : من طالع محبوسى ؟ قال له القاضى : جناب الاغا بيبرص، شاويش الديوان، مقصوده يرفع الدعوى مرة ثانيه. فقال له : انا دعوتى مثبوته وخالصه، بقا ليش كترة الغلبه ؟ قال له بيبرص : يا بابا، ليش بتحكى كلام ما هو طيب ؟ انا بسئل قاضى افندى اذا كان ما لنا [حق] نرفع الدعوى ثانى مره ما هو لازم ؟ فقال القاضى : لك حق ترفع الدعوى مهما اردت. فقال احمد اغا : اى، قول انه برطلك[87] فى بيته ! فغضب بيبرص، وقال الى القاضى : يا افندى، قيم الدعوى وارفعها، ما بقا لى صبر اسمع كلام هذا المزاور ! قال... فبرزوا بالدعوى، وبرز احمد اغا بالسند، طلبو[ا] الشهود، فراح احمد اغا غاب حصه، ورجع وهو جايبهم معه، اوقفهم على باب المحكمه، ودخل لعند القاضى.

واما عتمان، فانه لما شافهم، وكانو[ا] عشره، حط النبوت على كتفه، وتمشا ناحهم، وقال : سلامات، يا حسين، وانت يا رضوان، وانت يا على، اشوفكم منظومين، خبر ايه، يا خوى ؟ قالو[ا] له : بعرضك، يا عتمان ! وسر السيده، دول العرى موش بتاعنا. قال لهم : ومن الذى ادالكم اياهم ؟ قالو[ا] له : احمد اغا، امين القصص، كنا، من مدة اربعه اشهر، قاعدين فى المحشخانه[88]، والواحد منا ما يملك حق تعميره، ما شفنا الا اجا احمد اغا، واخذنا الى بيته، وأدَّانا عرى ذي دُول، وادَّى كل واحد منا خمسين فضه، وقال : تعالو[ا] معى الى المحكمه، واشهدوا على الامير حسين ما هو كذا وكذا، وعلمنا كيف نحكى، فجينا اشهدنا على الراجل، ولما خلصت الشهاده، واثبتت الدعوا له، عاود اخذ العرى ثانى، واليوم كنا قاعدين، والواحد منا ما فيش وياه ولا نصف فضه، ما شفنا الا جانا احمد اغا، واخذنا الى بيته، وادانا العرى دول، وادالنا كل واحد عشرين فضه، وقال لنا : روحوا اشهدو[ا] مثل ما شهدتم، من مدة اربعه اشهر، وجابنا واجا، ودى حكايتنا. فقال لهم عتمان : آه، يا عروص، شه[د]تم على الراجل ذور، وحطيتوه بالحبس

٨٧- برطلك، أي : رشاك.

٨٨- أي : المحل الذي يجتمع فيه الحشَّاشون.

اربعه اشهر، وشنطتم عياله[٨٩]! دا انتم ما تخافو[ش] من الله[٩٠] ! دى الوقت، اعمل معاكم ايه ؟ تمنو[ا] لكم موته ؟ قالو[ا] له : بعرضك، يا عتمان، الطفر عامى قلبنا، ولاجل ذلك قبلنا ! قال لهم : اذا اردتم ان تخلصو[ا] حالكم منى، دى الوقت لما يطلبكم القاضى، احكوا ذي [ما احكيتولى دى الوقت] ! قالو[ا] له : وسر السيده، يا عتمان، ما نحكى الا كده ! قال لهم : عليكم نور، يا خوى !
واما احمد اغا، امين القصص، فانه دخل على القاضى، واخبره بالشهود، فقال له : هاتهم لهون ! فطلع جابهم، ودخل لقدام القاضى، فقال لهم : يا جماعه، اليوم دنيا، بكره اخره ! احكوا ما يواليكم من الله، شو [تـ]ـشهدوا على الامير حسين ؟ قالو[ا] له : نحن لا نشهد، ولا نعرف حاجه ! احنا جماعه اصناف حشاشه، نكون قاعدين في المحشخانه، كل يوم والتانى يجى دا احمد اغا، يتبلانا نشهد على الامير حسين كده كده، ويأدِّينا العرى دول، ويعود ياخذه منا ثانى، ويدِّينا عشرين فضه، وهذه شهادتنا. فقال لهم القاضى : اطلعوا بره ! سود الله وجهكم ! قال... فطلعوا يركدو[ا] ، وهم ينفضو[ا] غبار الموت عن اكتافهم، قال لهم عتمان : جرا ايه، يا كدعان ؟ فقالو[ا] له : ذى ما قلت لنا، قلنا ؛ والقاضى قلعنا. فقال لهم : عليكم نور، روحوا الى شغلكم، ولا عدتم تدّوا العرى الى احمد اغا ! فقالو[ا] : آه ! بعر[ضـ]ـك، يا سيدى ! ربنا يطول عمرك، ويدّيك الخير ! دى الوقت صرنا سلاطين الحشاشه، ونطرق حشيش على كيفنا ! وراحوا بحالهم. هذا كان منهم.
اما ما كان من احمد اغا، امين القصص، فانه لما نظر دعوته فسدت، اسودت الدنيا بوجهه، ولا عاد يعرف شو فيه بين يديه، فقال : شومنشى[٩١] هذا الكلب، حتى يجى بفسد[٩٢] دعوتى ! فلما سمع بيبرص ذلك الكلام، قلب الضيا بعينه ظلام،

٨٩- شنطتم عياله، أي : ما قمتم به فرض على عائلته ظروفا مادية ومعنوية صعبة منها مثلا أنهم فقدوا منزلهم.
٩٠- سورة الأنعام، ١٥.
٩١- كذا.
٩٢- بِفَسِّد، أي : يُفْسِد.

ولا عاد وعى على الانام، وقال له : ولك، خاين ! انا كلب ! ويكون على انظار امير المؤمنين ! وراحت يده الى سلاسل اللت العشره الدمشقي، وطرقه فيه على صدره، لزقه بالحيط، وغب على قلبه. وصارخ من باب المحكمه يقول : هوه، يا مصلح الصالحين اصلحنا ! وداخل الملك الصالح. ففز القاضي وبيبرص، لاقوله حافين، دخل جلس مطرح القاضي، وقال : صحوا احمد اغا ! فحالاً اخذوه، ورشو[ا] على وجهه ماء، حتى صحى على نفسه، جابوه لقدام الملك، فسئل عن اسباب هذه الطوشه، فاحكا له القاضي عن الدعوى، وهذا شو تكلم، وهذا شو تكلم؛ فقال الملك : ابرزوا الدعوى من الاول. فابرزو[ا] الدعوى ثاني مره، وراح عتمان جاب الشهود، فاحكوا كما قدمنا من الكلام، فقلعهم، والتفت الى احمد اغا، وقال له : يا ويلك ! يلى ما تخاف من الله، على شان ما زوجك بنته، فعلت فيه هذه الفعال، وحبسته اربعة اشهر، وشنطط عياله هذه المدّه ! يالله، هذا مسركن الى بلاد الصعيد، وماله مظبوط، سلموه الى الامير حسين ! فحالاً سركنو[ا] احمد اغا على بلاد الصعيد، فهذا من قهره يطق ويموت، ما له كلام.

وظبطوا جميع ماله ودائرته، وسلموهم الا الامير حسين، والملك سار على قاعته، وكذلك بيبرص راح على سرايته، باتوا ذلك الليله، واصبحوا ثاني الايام، طلع الملك على الديوان، جلس على كرسيه، وحضرت الوزر والاعيان، كلمن جلس بوظيفته، ولما تكامل الديوان، قرا المقرى، دعا الدعجى، امنت العساكر، صرخ شاويس علم : لا تعجب، يا ملك ! الملك لله[٩٣] الواحد الاحد[٩٤] ! فقال الملك : سبحان من يعطى ملكه لمن يشاء من خلقه[٩٥] ! من له حاجه، فليقل : يا قاضي الحاجات[٩٦] ! والتفت للوزير شاهين، وقال له : يا ابو الوزر، اشلون بتكون صدر اعظم، وما بتفتش على الرعايا، والاغوات الذى بالباب عمال تظلم العباد، وكل الدعاوى انت بتطِّلع عليها، بقا كيف ما [بـ]تنصفهم ؟ قال له : افندم، يعنى باذن

٩٣– سورة الحج، ٥٦ .

٩٤– سورة الصافات، ٤ ؛ سورة الإخلاص، ١ .

٩٥– سورة البقرة، ٢٤٧ .

٩٦– إشارة إلى سورة يوسف، ٦٨ .

الله، بعرف حالي ما في [دعوى تمرق علي، واعرف انها ليس على الحق، واسكت عنها ! فقال له الملك : واحمد آغا، امين القصص]، هو من طايفتنا، [وظالم واحد] اسمه الامير حسين، وما انصفتهم ! فقال له الوزير : افندم، دعوة الامير حسين مثبوته وخالصه ! قال له الملك : يا للعجب ! ولدى بيبرص افسدها، واظهرها للحق وللشرع الشريف ! قال له : افندم، ما شاء الله ! ولدك بيبرص، الله عاطيه نَظَرْ يشق الشعره بالنصف، ولا له نظير بهذه الدوله ! فقال له : لكان، على موجب كلامك، له يستحق ان يكون امين قصص عواض احمد اغا ! قال له : افندم، والله لايق ! فقال الملك : لكان هاتوا بنش ! [حالاً]، صار على اكتاف [بيبرص]، صرخت الشاويشيه : ما شاء الله ! مستاهل بايش ! قال الملك : هذا امين قصص، عوضاً عن احمد اغا ! فسلموه سجل الديوان، ودفتر الدعاوى، وقعد بوظيفته الى المسا، انفض الديوان، ونزل بيبرص، فشافه عتمان لابس البنش، فقال له : كندى، اشوفك م[ـتـ]ـقفطن[97]، خبر ايه، يا خوى ؟ قال له : يا عتمان، صرت امين قصص ! فقال له : ارحب ! انت امين قصص الكبير، وانا امين القصص الصغير، وطرق بالعصايه قدامه، وقال : قلب العامر يصلى على النبى ! وساروا الى السرايه، وحضر الوزير نجم الدين البندقدارى، سلم عليه، وبارك له بالوظيفه، وجلسوا تعشوا سوى، وشربوا القهوه، وصلوا المغرب والعشاء، وقعدوا يتحادثوا، فقال الوزير نجم الدين : يا ولدى، هذه عادة امين القصص، لازم ينوجد بالديوان قبل كل الناس، حتى يسجِّل العرضحالات، ويرمى عليها نمر، ويرتبهم، الى حين حضور الملك، يكون كل اهل الدعاوى مرتبه على حسب النمر. قال له : حسب امرك، افندم ! ولما انتهت السهره، قاموا ناموا. ولما اصبح الصباح، فز بيبرص بكير، صلى الصبح، وتوجه على الديوان، ومشى قدامه عتمان، اوصل بيبرص على الديوان، ورجع على المحكمه، دخل على القاضى، وقال : سام عليكم، يا عمنا القاضى، فاتحه للنبى ولا الضالين، امين ! وقال له : وعليكم السلام، ورحمه الله وبركاته ! اهلاً، شيخ عتمان ! فقال له : ايوه، يا خوى، ما دريت الكندى نيبرص صار امين قصص ؟ قال له : اى، والله، بلغنى خبر، ان شاء الله، السبع بركات، يا عتمان ! وهو لايق

٩٧- متقفطن، أي : يرتدي القفطان.

الى هذه الوظيفه ! قال له : ايوه، يا خوى ! الكندى نيبرص امين القصص الكبير، وانا امير القصص الصغير ! قال له : ولا بأس، شيء جميل ! قال له : ايوه، يا خوى، ما تعيرنى مست[٩٨]، وبابوج، وجبه، وقاووق ؟ فقال القاضى [بباله] : نقطعت ! وبعث جاب له مطلوبه، اعطاه اياهم، اخذهم عتمان لبسهم، وسار على الديوان، ولما وصل، حط كرسى، وقعد على الباب، فالتموا عليه اتباع الوزر، وقالو[ا] له : شو هذا، يا عتمان ! فقال لهم : يه، د[ا]هيه تنكبكم ! ما صار لكم خبر الكندى نيبرص صار امين القصص الكبير، وانا امين القصص الصغير ! فضحكوا الجماعه، وقالو[ا] له : ولا باس ! وهم كذلك، ومقبل رجل تاجر غنم، كان عمال يقدم غنم للاوضه لار، وقت الذى كانوا المماليك، والان عمل صورة حسابه على ورقه، وراح صدّق عليها من مدير الأ[و]ضه لار، وجايه يختمها من الوزير شاهين، حتى ينزل يقبض قيمتها من الخزنه. فلما شافه عتمان، صرخ له : تعال هنا، يا راجل ! اجا لقدامه، وقال له: شو بتريد، يا عتمان ؟ قال له : وين رايح ؟ قال له : بدى فوت صادق على هذه الورقه من الوزير شاهين، وانزل اخذ قيمتها من الخزنه. فقال له عتمان : هات ! ورينى دى الوقوقه ! فناوله اياها، وقد ظن انه صاير نظام جديد. قال... فاخذها عتمان، فتحها وصار يطلع فيها، ويهز براسه، ويرفع حواجبه، عبارة انه عمال يقراها، وبالحال انه ما بيعرف الف من المسطيجه[٩٩]. وبعد[ها] قال للرجل : والان، بدك تاخذ فلوس، يا راجل ؟ قال له : نعم، سيدى. قال له عتمان : ايوه، هات العُشْره ! قال له الرجل : عُشْره ايش، يا عتمان ؟ قال له : عشر الفلوس. قال له : شو هل حكم ؟ انا لسع هذا ما سمعت فيه ! قال له : ايه، تبقا ترد بتمى، يا راجل ! وصرخ : ابطحوه، [لهالدنس]، لما افهمه العشره كيف ! وكانوا مماليك الوزر واقفين، بدهم شئ يتسلوا فيه، فلما امرهم عتمان ان يبطحوه الر[ا]جل، تراكدوا عليه حتى يبطحوه، فصار الرجل يدافع عن نفسه ويعاكرهم، وعتمان يصرخ وينعجق[١٠٠]، ويقول : ايوه، ابطحوه، دا الدنس، يا رجّاله ! واشتغلت

٩٨- مست، أي : جراب جلدي أصفر اللون (كلمة تركية وفارسية)

٩٩- المسطيجة، أي : العصا الطويلة، يقال في نفس المعنى : ما بيعرف الألف من العصا.

١٠٠- ينعجق، أي : يندفع بشيء من الاضطراب والضجيج.

الضوجه، فوصلت الى مسامع الملك، فصرخ الى بيبرص، فقال له : يا ولدى، انزل شوف شوفيه بباب الديوان، وهات عتمان ! قال له : حاضر، افندم ! ونزل بيبرص، طلع لقا عتمان لابس ذلك الطقم، وعمال يصرخ على المماليك : ابطحو[ه] ! وينعجق، فصرخ عليه بيبرص : بره عتمان، ما هذا الفعل ؟ قال له : كندى، دور على شغلك، وانا بدور على شغلى ! قال له : شو شغلك ؟ قال له : بدى اخذ العُشْره، من دى الراجل. قال له : عُشْره [ايش] ؟ قال له : عُشْر [الـ]ـفلوس الذى بده ياخذهم من الخزنه. قال : ومن امرك انت، تفعل ذلك ؟ [قال له] : وظيفتى امرتنى، ما لبستنى انت امين قصص الصغير ؟ بقا بدى احكم ! قال له : يفضحك، انت وهل حكم ! وركد خلص الرجل، واخذه ودخل للديوان، واحكا للملك عن افعال عتمان، فامر الملك للوزير شاهين ان يختم الورقه للرجل، فختم له اياها، اخذها وراح على الخزنه، قبض قيمتها، وراح بحاله. والملك طلب عتمان، دخل وقال : سام عليكم، معلم صالح ! فاتحه للنبى ولا الضالين، آمين ! صحايفك وصحايف مناويكك من الباب للمحراب، ما عدا القاضى المنقرش، وقووون نقار اللحمه، وعلاى الدين نقار البيساره؛ والنبى، لما انقر حبة عينهم ! فضحك الملك والاعيان من كلامه، وقال له الملك : شو هذا، يا عتمان ! قال له : امين قصص الصغير، يا معلم صالح ! قال له : ما شاء الله، لابق[101] ! ولكن، يا عتمان، انت خلى هذه الوظيفه للاغا بيبرص، وانا البسك غيرها. قال له : ايه يعنى ؟ [ابقا] عتمان عتمان، لا زيد ولا انقص ؟ طيب، وهيك يكون ؛ آهو، فرغتها عليك، يا كندى نيبرص، وابقا انت امين القصص، وانا [ابقا] عتمان عتمان، لا زد[ت] ولا نقصت، ذى ما قال المعلم صالح، القط الكبير. فقال الملك للوزير شاهين : اى شو هذا [الكلام] ؟ شو انا هارون، حتى عمال يقلولى القط الكبير ؟ قال له [الوزير] شاهين : افندم، سعادتك سيد العارفين، يعنى معنى كلامه : القطب الكبير. قال الملك : الله يجعلنا من عباده الصالحين ! الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون[102] ! ثم نزل عتمان من الديوان، شلح اواعيه، صرهم، وراح الى المحكمه، رجعهم

١٠١- لابق، أي : مناسب له.

١٠٢- سورة المائدة، ٦٩.

للقاضى، ورجع الى الديوان، جلس على الباب يستنظر الأمير بيبرص. [وعند] المسا، نزل من الديوان، سار هو وايا[ه] على السرايه، وحضر الوزير نجم الدين، تعشا هو واياه، وسهروا للساعه ٣ ثلاثه، وقامو[ا] ناموا. وتانى يوم، كل من سار الى وظيفته، واقام الامير بيبرص امين قصص مده من الزمان.

ديوان سراية باديس

قال الراوى : الى يوم، كان بيبرص جالس بالديوان عمال يتعاطا احكامه، وداخل واحد طويل عريض، وقال : ايكم الأمير بيبرص، امين القصص ؟
قال... فدلوه عليه، فتقدم لقدامه، ومد يده لتحت باطه، عبارة بده يطالع استدعا، ونتر حسام لمع منه الديوان، واراد ان يضرب الامير بيبرص؛ وحسام لمع وراه، وضر[ب اجاه] على وارديه، اطاح رائسه من بين كتفيه. كان يفز القاضى، ويصرخ : يا غيرة الله، ظهر الفساد فى البر والبحر[١٠٣] ونما بين العباد، وصار السلاح ينسحب بالدواين[١٠٤]، فهذا شئ لا [ا]رض به ولا أقدم عليه؛ ومن فعل هذا العمل، وبلغ الامل، افتيت بقتله، واستخرت الله، وان قَتِل قُتِل، وان ما قَتِل اركب بغلتى واهاجر من هذه البلده ! وصار يقوم وينخبط على الكرسى، فقال له الملك : اى، فهمنا ! لسع بتعيط ! خلينا نعرف شو الحكايه ! والتفت ناح الضارب، يراه واقف كانه الاسد الكاسر، وبجانبه واحد مثله، طوال عراض، بين البز والبز يقعد الآدمى ويفز ! وقال له الملك : تعال، يا كدع، احكى لنا ما هذه الماده، وما سبب قتلتك لهذا الرجل بالديوان ! فتقدم، واخذ اتك الملك، وقال : افندم، لنا حكايه مع هذا الدنك الشنب[١٠٥] ! فقال له الملك : احكى، حتى نسمع. قال له : افندم، نحن من قلعة المعره، نواحى حلب، وابى مقدم القلعه، اسمه سليمان الجاموس، وهو متخاوى مع الدولتلى بيبرص، والآن سمع انه صار باعتاب السلطان، فاراد ان يبعث له مكاتبه مع مخدومكم، فقلت له : انا لا اعلم الدولتلى. فقام كتب مكاتبات، وفرقها على الفداويه بالجبل انه كل من يعرف الدولتلى...

١٠٣- سورة الروم، ٦١.

١٠٤- كذا، أي : بالديوان.

١٠٥- عبارة مُهينة، وكان حسن الحوراني يلقب ابنه بهذا اللقب.



[١٠]

قال الراوى : يا ساده، [كل من] يعرف الدولتلي بيبرص، يحضر لطرفنا، فو[صـ]ـل كتاب الى هـذا المقدم، عاصم ابن بـحر المرقبى، فحالاً الرجل حضر لطرفنا، فسلم عليه بي، وترحب فيه، فقال له المقدم عاصم : شو مرادك من الدولتلى ؟ قال له : والله مرادى ابعث له هديه ومكاتبه [هنا صفحة ناقصة : كلف سليمان الجاموس ابنه صقر وعاصم المرقبي بتوصيل الهدايا الى بيبرص. وخلال سفرهما قابلا رجلاً كان قد كُلِّف بقتل بيبرص فسألاه : وين] رايح، [قال لنا]، على مصر ! قُلنا له : ونحن كذلك ! فلما اتا ذلك الليله سكران، قلنا له : الآ، انت شو الك غرض بمصر ؟ [قال لنا] : باعثنى القران ميخائيل، ملك القصطنطينيه، حتى اقطع راس واحد اسمه بيبرص ! فقلنا له : ليش بدك تقطع رائسه ؟ قال : اعلموا انه موجود بمصر، واحد اسمه جوان، ارسل مكاتبه للقران ميخائيل، يقول له : موجود عنـ[ـدنا] بمصر، صاحب الدلائل، [الذى سوف يصير] رين[1] المسلمين، وهو عمال يتوظف بالديوان، والآن صار امين قصص، فابعث واحد يكون راجل يقتله، وانا كيخيه عند مقدم قلعة الطرد، واسمه العرند، وانا اسمى سراسب، فبعث القران طلبنى، وأمرنى ان اروح لمصر، واقطع رائسه، فطلّعنا فى بعضنا وضحكنا، وقلنا : سبحان الله على هذا الاتفاق ! نحن رايحين نقبل اياديه، وهذا جايه حتى يقتله، فانا، يا ملك الزمان، ما بقا عندى صبر، ومديت يدى للحسام، واردت ان اقطع رائسه، فمسك يدى [هذا] المقدم عاصم، وقال لى : تانًا، لانه احلا الحلوا [وضع الشيء] بمحله، فاذا قتلته هلق، ورحنا لعند الدولتلى، وقلنا له : شفنا واحد جايه يقتلك، قمنا احنا قتلناه، بده ما يصدّق، ولا فيها مازيه، ولكن الاكثر اننا نصبر، حتى نصل لمصر، وانشوف شو بده يفعل، ونعود نقتله، ونفرجى الدولتلى عدوه بعينه ! فقلت له : طيب ! وتوجهنا من غزه، وجينا على مصر، ونزلنا بالخان سوى، وصرنا نحاديه[2] وهو كل يوم يطلع ويتمايز[3] الديوان، ويرجع، مدة ثلاثه ايام، وبهذا اليوم،

١- من لغة الإفرنج، أي : ملك.

٢- أي : نحاذيه، نلاطفه ونسايره.

٣- يمعن النظر في مبنى الديوان ليتأكد من موقع مداخله ويراقب ما يحيط به من حركة.

لقيناه دخل للديوان، وعيونه قالبه مثل برك الدم، فلاح لنا منه الغدر، وعرفناه انه بده يبطش بالدولتلي، فاصطبرنا حتى شفناه سحب السلاح، عدت طسيته على قرعته[٤]، طيرت رائسه ! وهذه الحكايه، يا ملك الزمان. فقال لهم : الله يعطيكم العافيه ! والتفت للوزير شاهين، وقال له : شفت، يا حاج شاهين، كيف تكون الاصحاب ! ما شاء الله عليهم ! والتفت للقاضى، وقال له : اسمعت، يا قاضى، هذه الحكايه ؟ قال له : نعم، افندم ! وصار وجهه مثل المسته[٥]. قال الملك : يا قاضى، عجب ! من هذا جوان، الذى بمصر ؟ فقال له : افندم، لازم يكون انه واحدٌ شقى، منحوس، ما له دين ! فقال له الملك : هل لك علم به، يا قاضى ؟ قال له : لا، يا سيدى ! قال الملك : الله عليه، ما اخبثه ! ولكن اظن، يا قاضى، مهما عمل، ماله خواص[٦]، ولا بد عن انفاذ امر الله فيه ! والآن، قول للاتباع ان يرحلوا هذا القتيل على حارة النصارا، ويقولوا لجوان ان يعرِّف قرانه عنه.

ثم التفت الى بيبرص، وقال له : يا ولدى، لساك قاعد ؟ قوم خوذ ضيوفك، وروح اطلع من واجبهم، لاجل صداقتهم ! قال له : امرك، افندم ! وفز اخذ اتك الملك، ورجع اخذ المقدمين، وطلع من الديوان، وسلم عليهم، وترحب فيهم غايت الترحيب، وسار هو واياهم، وهم باثناء الطريق، تصادفوا بعتمان ؛ فلما [عتمان] نظر الفداويه، قال : العما ! دول ايه، الطوال ؟ وصرخ : كندى، كندى، دول عفاريت، والا ايه ! قال له : اسكت ! ولك هدول اصحابنا، الواحد اسمه المقدم عاصم، والثانى اسمه صقر ابن سليمان الجاموس. فقال له : كندى، كندى، لكان دول جواميس ؟ وين قرونهم ؟ قال له : ولك، تضرب ! هذه كنيتهم، بيت الجاموس من اراضى المعره ! قال له : وليه طوال زى العفاريت ؟ قال له بيبرص : ولك، هدول فداويه ! قال له : طيب دى الوقت فهمت، كواميس عتاويه[٧]. فتركه بيبرص،

٤– ضربته على يافوخه.

٥– نوع من الصمغ الطيب الرائحة يستعمل مع البهارات في إعداد بعض أنواع الطعام أو للتطييب ويقال له أيضا مستكه.

٦– ما له من فائدة.

٧– أي : جواميس (ملفوظة على الطريقة المصرية) قوية.

وصار يتحادث هو والمقدمين، الى ان وصلوا للسرايه، فدخل واحد منهم مع بيبرص، والثانى راح جاب الهدايا والخيل، واجا قدم الهدايا الى بيبرص، والاتباع اخذوا الخيل ربطوهم. فقبل الهدايا بيبرص، وتشكر منهم، وقعدوا يتحادثوا الى المسا، طلع العشا من الطعام المفتخر. فقال بيبرص : تفضلوا، يا اخوان.

قال . . . فمدوا اياديهم وصاروا يدربلوا[٨] مثل درابيل الجمال، ويحدفوا. هذا وعتمان واقف، عمال يتفرج، فقال : العما ! ما [ا]وحشكم على دى الوكل، زى الجمال ! ولازالوا ياكلوا حتى اكتفوا، فحمدوا الله – عز وجل – وتأخرو[ا] عن السفره، وقالو[ا] : بساط الهنا، دائما ! لا مقطوع ولا ممنوع ! فقال عتمان لحاله : كالكم العما، ما [أ]وحشكم ! والنبى، ما يقعدوا يومين كمان، بصير الوكل كله ممنوع ! ثم جلسوا يتحادثوا مع بيبرص، لحكم الساعه اربعه، وبعدها قال لهم بيبرص : يا اخوانى، انتم جايين تعبانين، قوموا ناموا، وخذوا راحتكم ! وقام هو طلع لمنامته، وصرخ لعتمان، وقال له : يا عتمان، انا بروح بكير على الديوان، بلكى يعنى الجماعه تَضَحُّوا[٩] بالنوم، انت خليك هون، لوقت ان يفيقوا الجماعه، قدم لهم الماء، وغسل لهم، وطالع لهم فطور من الحرم، وبعدها خذهم، ودورهم بمصر لحكم العصر، وارجع فيهم على السرايه، اكون انا اجيت من الديوان. قال له عتمان : طيب ! ما عليك، يا خوى، انا اعرف دورهم ! ثم عاد عليه العباره ثانى مره، واكد عليه الوصيه، وقام نام. وفز تانى يوم، صلى الصبح، وقرا اوراده، وشرب القهوه، وراح على الديوان.

واما عتمان، يا [ا]خوان، فانه اصطبر حتى عرف بيبرص وصل على الديوان، وفز اخذ النبوت، وصار يضرب على الشبابيك، ويخبط على الابواب. ولازال يضرب، حتى فاقوا الجماعه من النوم، وهم مثل المشاليم[١٠]، بدهم يعرفوا شو صار، وقالو[ا] لعتمان : [ايش اللى جرى، يا عتمان] ؟ قال لهم : اقتل البق[١١]، يا خونه ! فضحكوا

٨– يأخذون شيئا من الطعام بحركة خفيفة من اليد تعطي اللقمة شكلا كرويا ويقال أيضا دعبل.

٩– عبارة تُضحّى في النوم تعني استغرق في النوم فاستفاق قرب الظهر (في وقت الضحى).

١٠– دائخون وقلقون كأنهم أصيبوا بدوار.

١١– نوع من البعوض.

الجماعه، وقاموا من النوم، وقالو[ا] له : فين الدولتلى، يا عتمان ؟ قال لهم : والله، يا خويه، الكندى هرب من وجهكم ! قالو[ا] له : ليش، يا عتمان، هرب من وجهنا ؟ فقال لهم : ايوه، يا خونا، دا اليبت[12] موش بيته، دا بيت نجم الدين ابو بندق، ولما انبارح نمتم عنا، بعت [الوزير نجم الدين] ورا الكندى، وقال له : يا نيبرص، مهوش العصفور وخيطه[13] ! دا البيت بيتك، وبخششنى اياه ! بقا من حياءه منكم، مَغْيَبْ من وجهكم، لانه ما عدش [معه] فلوس، وهو قاعد ضيف عند نجم الدين، وانتم انبارح اكلتم كل الوكل، وما خليتم لنا ولا حته[14].

قال... فلما سمعو[ا] الجماعه ذلك الكلام، قاموا نزّلوا سلاحهم لبسوه، وقالو[ا] له : سلم لنا على الدولتلى، وقو[ل] له : انشاء [الله][15]، خطرة[16] الجايه، نجيب له عشرة احمال حرير، يشترى فيهم سرايه ! ونزلو[ا] ركبو[ا] وسارو[ا]، طالبين قلاعهم. فقال عتمان : روحو[ا] عنا، كالكم العما ! ما اوحشكم ! جيتم تاكلو[ا] لنا الوكل كله، ولا تخلو[ا] لنا حته ! وتوجه على سرايه الحكم.

واما بيبرص، يا اخوان، [فانه ما صدق] ايمتا[17] ينفض الديوان، حتى يروح لعند الجماعه، خايف لا ير[و]ح عتمان ما يطلع من واجبهم. فلما انفض الديوان، طلع لارض السرايه، نظر عتمان واقف، فصرخ عليه : بره عتمان ! ليش دشرت الضيوف، وجيت لهون ؟ قال له : كندى، الحقنى، لما اقول لك بس لا تغوش[18] ! ومشى قدامه الى ان وصل للسرايه، طلّع ما وجد الجماعه، فقال له : ولك، وين الجماعه ؟ فقال له : كندى، انت رحت من هون، وطلع الحاج نجم الدين وقال : يا عتمان، قول للكندى، ما هو العصفور وخيطه ؛ انا راجل فقير، فسـ[ـمـ]ـعوا الكواميس

١٢- كذا، البيت.

١٣- مثل يقال لواحد يطلب شيئا وضمان المحافظة على هذا الشيء.

١٤- كمية صغيرة.

١٥- كذا.

١٦- مرّة.

١٧- تستعمل عبارة «ما صدّق ايمتا» للتعبير عن فروغ صبر الذي تؤخره الظروف أو الواجبات عمّا يرغب فيه.

١٨- غوّش، أي : صاح غاضبا.

الكلام، قاموا ركبوا وراحوا وقالو[ا] لي : سلم على الكندى نيبرص، وقول له : غداً نجى، ونجيب له معنا عشره احمال حرير، يشترى فيهم سرايه.
فلما سمع بيبرص ذلك الكلام، قلب الضياء بعينه ظلام، وغضب غضباً شديد، ما عليه من مزيد، وكان نجم الدين، لما طلع على بكره، قال للجوار : بلكى انا تاخرت، طالعوا سفره طعام لبره، تكون زايده، وحطو[ا] بزياده عشر اصحون زفر ومحلى، وراح على الديوان. وطول ما هو قاعد، وفكره مشغول لا يروحوا الجوار يسودوا وجه بيبرص قدام ضيوفه، وما صدق متى ينفض الديوان، ونزل يركد على السرايه، وقعد على باب المطبخ، وصار يرتب السفره بيده – رحمة الله عليه وعلى المسلمين – ونده للعبيد، وامر ان يشيلوها لبره، فشالوها وطلعوا فيها، فلما نظرها عتمان، قال : ارحب ! دا الوكل كله لنا ! فلما وصلوا لقدام بيبرص، صرخ فيهم صوت ازهلهم، وقال لهم : ارجعوا ! لا تحطوا شي ! قال عتمان : العما ! راحوا الوكلات ! والمماليك رجعوا بالسفره لعند الوزير، فلما شافها طار عقله، وقال لهم : ليش رجعتوها ؟ فأحكوا له بما صدر من بيبرص.
قال... فطلع يركد لفوق، ما نظر الضيوف، وبيبرص قاعد غضبان، فقال له : وين الضيوف، يا ولدى ؟ قال له : لسع بيجوا – انشاء الله – لو قلت لى، انا ما كنت بنقهر، احسن ما قلت لهذا المجنون ! قال الوزير : شو قلت له ؟ قال له : ما بعرف، شم يدك[19] . قال له : والله، يدى نظيفه، مانى فهمان الماده، بحيات راس جدك السلطان ابرهيم الادهم، ان تخبرنى شو قال لك.
قال... فاحكاله بيبرص بما تكلم به عتمان، فقال له : انا بحكى هيك حكى ! وحيات راس امير المؤمنين، ما عندى خبر ولا علم ! والله، انا بالديوان وبالى مشغول عندكم، لايروحوا الجوار ما يعرفوا يساوا السفره، جيت انا رتبتها بيدى، وهذا عتمان حاضر ! وصرخ لعتمان، قال له : نعمين، كندى، عايز ايه ! قال له : فوت لهون ! فدخل عتمان، وقال : ادينى فتت[20] . فقال له الوزير : ولك، انا ايمتا قلت

١٩– الرائحة الكريهة كناية عن سوء التصرف والدناسة فيقول له « شم يدك » بمعنى عد إلى نفسك تتبين ما قمت به من سوء.
٢٠– اديني فتت، أي : ها انا دخلت.

لك هذا الكلام ؟ فقال له : ايه، هذه عينى بعينك ! قال بيبرص للوزير : انت ما طلعت على بكره لهون ؟ قال له : لا، والله ! وانا ما رضيت اطلع، خيفة لايستحوا منى ! فقال لعتمان : ولك، ايمتا قال لك الوزير ذلك الكلام ؟ فقال له : ما بعرف، كان الفجر لاح، والا ما لاح. قال له بيبرص : ليش الماده بنومك ! قال له : ايوه ! فقام بيبرص، غرف سلاسل اللت ولحقه، وقال له : والله، لا يعطيك عافيه على هذه التركيبه ! فوقف الوزير بوجهه، وحلف عليه انه ما يقارشه، واخذه ودخل فيه للحرم، صلوا المغرب والعشاء، لوقت ما راق خلق بيبرص، وطلع صرخ لعتمان، وقال له : تعشيت، والا لسع ؟ قال له : لا، والله جوعان بعد ! فقال له الوزير : تعال، فوت حتى نتعشا ! قال له : لا، والله، ما خش جوه ! قال له الوزير : ليش ؟ قال له : ايه، ينقرنى الكندى بالمكبكب ! فضحك الوزير، قال له : فوت، لا تخاف ! فدخل ووقف من بعيد، وصار يتطلع فى بيبرص، قال له بيبرص : قدم لهون ! قال له : ايوه، ما تنقرنش بالمكبكب ! فضحك بيبرص، وقال له : لا، لا، قدم ! فقدم عتمان لعنده، قال له بيبرص : ولك، ليش هيك عملت ! فقال له : كندى، انت حيوان، ما تفهم شى ! قال له : ليش حتى اكون حيوان ؟ قال له عتمان : عجب، يا خوى، ما تاخذ لك بيت وحدك، فالانسان حر في بيته، يجى عندك ضيف، او واحد او احد ! قال له نجم الدين : ولك، هذا بيته مادمت انا طيب ! ولا يطلع من هون ! فقال له بيبرص : بارك الله فيك، يا عمى ! ولكن، اثر معه كلام عتمان. ثم قدموا تعشوا، وسهروا لحكم الساعه ٥ خمسه[٢١]، وقاموا ناموا الى تانى الايام، ما فاق بيبرص الى ضحاء النهار، ففز مثل الملاطيش، توضا وصلى الصبح، قضا، وطلع يركد على الديوان، شاف الملك طالع، والديوان مكتمل بالوزر والاعيان، فقال له الملك : الله يعطيك العافيه ! بلاقيك اليوم متضحى. قال له : افندم، كنت سهران، غطيت بالنومه ! فقال الملك : انت ومين سهران قال له : افندم انا وعمى نجم الدين، قال له الملك : انت رحت لعنده، والا هو اجا لعندك ؟ قال له : افندم، انا واياه سوى، بفرد سرايه. قال الملك : ليش انت ما لك سرايه وحدك ؟ قال له : لا، ولله، يا سيدى، من وقت الذى جيت معه من الشام، نزلنى

٢١- كذا.

عنده، وهذه قعده. فقال له الملك : لا، يا ولدى، هيك ما بصير ! بلكى الانسان اجا لعنده ضيف، او واحد بده حكايه، اوله مصلحه معه، يبقا عند الناس، ما هى ظريفه ! يبقا الانسان بشقه بيته. يالله، انزل دور لك على بيت اشتريه، وحيات راسى، ما تواجهنى الى تكون اخذ سرايه احسن ما فى بمصر ! قال له : امرك، افندم ! واخذ اتكه.

ورجع على السرايه نجم الدين، وصرخ الى عتمان، وقال له : روح اندهلى الدلال باشى ! قال له : حاضر ! قال لك المعلم صالح زى ما قلتلك انا ؟ وطلع يركد مثل البرق، جاب الدلال باشى واجا، فلما صار الدلال قدام بيبرص، قال له : بدى سرايه، احسن ما يكون بمصر ! قال له : حاضر، افندم ! فقط بدى مهلة ثلاثين يوم. قال له : كتير ! ليش كل هذا ؟ قال له : والله، يا سيدى، دى الوقت السرايات نافقه، لانه الشراقات كلهم بدهم سرايات، فالبعض الشترا، والبعض لسع، ولكن نحن نبدى جنابك قبل الكل، نشوف لك غرضك ! قال له بيبرص : طيب، روح على خيرة الله ! واحتار بامره، كيف بده يعمل، لانه لقا كلام عتمان له مازيه، وكذلك الملك امره انه لا يواجهه الا بسرايه، والدلال اوعده الى ثلاثين يوم، لقاها طويلة. واصطبر لثانى يوم، وكان نهار جمعه، فقام نزل، وصار يدور بمصر، وعتمان معه، الى ان صار وقت الصلاه، فدخل لبعض الجوامع، ما وجد فيه غير سبعه ثمانيه انفار، فقال الى الحاضرين : يا بابا، تخمين هون ما بصير صلاه جمعه ؟ قالو[ا] له : بصير، ولكن الجامع معمر جديد، وفى جامع قريب لهذا الجامع، فصاروا الناس يرحوا الى هداك. قال بيبرص لعتمان : روح لهداك الجامع، جيب كم زلمه، يجوا يصلو[ا] هنا ! قال له : حاضر ! وراح على ذلك الجامع، لقا العالم قاعده فوق بعضها البعض، فصرخ : يا مصلين، كلكم قوموا روحوا لهداك الجامع، صلوا هناك، الكندى نيبرص قاعد وحده ! فما رد عليه احد، ولا قام من ارضه. فقال لهم : ايوه ! انتم ما بتقو[مو]ا بالطيب ! واخذ النبوت وكرشهم[٢٢]

٢٢- دفعهم إلى الخارج وطردهم كما تساق الماشية.

بالزور، فطلعو[ا] يتراكدوا على ذلك الجامع، حتى ضاق بهم، وانزكوا[٢٣] برّه وجوه، وبين الابواب. قال بيبرص : عفرم، عتمان ! والله، انه بخوف.

ثم خطب الخطيب، وقاموا صلوا، فلما سلم الامام، قام عتمان، وقف فى باب الجامع، فلما طلع اول واحد، مسكه عتمان، وقال له : كم ركعه انت صليت، يا راجل ؟ قال الرجل فى باله : ما شاء الله ! عتمان تايب جديد، عمال يسئل عن امور دينه ! قال له : يا عتمان، صليت اربعه ركع، سنه القبليه، واربعه بعديه، ركعتين فرض[٢٤]. قال عتمان : كلهم صاروا ايه ؟ قال له : عشر ركع. قال عتمان : طيب، عليك نور، هات لشوف ! قال له : شو بدى عطيك ؟ قال له : عشرة الف فضه، والا اطير بزر مخك ! قال له : ليش العشر الف فضه ؟ قال له : حق الصلاه ! قال له : بعرضك، يا عتمان، والله، ما عندى ولا حاجه ! قال له : اشلح الظمبوط[٢٥] ! ومد يده شلحه، واخذ لفته، فطلع الرجل وقف مع جنب، حتى يشوف على ايش بدها تصفا الماده. ثم طلع الثانى، وشاف شو جر مع الاول، فقال له : وانت، صليت كمان قديش ؟ قال له : ركعتين. قال له : هات عشرين الف فضه، قوام بالعجل ! قال له : بعرضك، يا عتمان، هداك صلى عشرة ركع، طلع عليه عشره الف فضه، انا صليت ركعتين، ليش عشرين الف ؟ قال له : ايوه، تبقا ترد بتمى، يا دنس ! داك صلى كتير، وتعب اكثر منك، يالله، هات ! احسن وما اطربش[٢٦] بزر مخك ! قال له : دخلك، دخلك، يا عتمان، والله، ما معى فلوس ! قال له : فك الحزام بتاعك، لما شوف، وهات العمامه.

فقالو[ا] الناس : والله، دى الصلاه كويسه ! من بعد اليوم، ما عادش احد يصلى ! وقد انزركت[٢٧] العالم بدها تطلع، وعتمان واقف فى الباب، عمال يشلح الناس. فطلع بيبرص اخر العالم، لقا الناس مجموعه، فقال لهم : بابا، ليش واقفين ؟ انا بره

٢٣- احتشدوا وتكدسوا لأن المكان ضاق عليهم من كثرة عددهم.
٢٤- أي أنه قام بثماني ركعات إضافة إلى ركعتي صلاة الجمعة التي يؤديها جميع المصلين.
٢٥- الظنبوط كناية عن الرأس.
٢٦- أي أكسّر وأبعثر.
٢٧- ازدحمت.

افرق عليكم البخشيش ! فقالو[ا] له : والله، يا سيدنا، ماننا شحادين ! نحن خلينا نطلع بريشنا ! قال : ليش، شو فيه، خير ؟ قالو[ا] : بعرضك، يا بيه، خلصنا من عتمان، واقف في الباب، عمال يشلح الناس، قال بده حق الصلاه ! فضحك بيبرص، وصرخ على عتمان، وقال له : ولك، ليش زارك الناس، ما دشرهم ! فقال له : كندى، ما تعارضنيش في احكامي ! بدنا حق الصلاه ! قال له : تضرب ! الناس ببلاش عمال تهرب من الصلاه، بقا كيف انشكان[٢٨] في حط دراهم ؟ يالله، اعطيهم اواعيهم، وخليهم يروحوا لاشغالهم، من غير براده ! وصار يطيب خواطر الناس، ويقول لهم : لا تاخذوه، هذا عتمان مجنون ! فترك الباب عتمان، وصارت الناس تتراكد، وتنفض غبار الموت عن اكتافهم، ولما خلصوا، وما تم والا واحد، طلع بيبرص.

ومع طلوعه اذ سمع دلال عمال يدلل على سرايه، فوقف بيبرص، وصار يسمع، فقال الدلال : سرايه، بابها من النحاس الاصفر، مطلى بالذهب، وبوسط التهليز درجين، واحد على اليمين، وواحد على الشمال ! وسكت الدلال، والعالم واقفه عمال تسمع، فلما سكت الدلال، صرخ عليه بيبرص : بابا، ما تكمل الوصف ؟ فقال له : ما اعدت احسن، يا بيه، لانه وراك اجير عزرائيل يسكتني ! فالتفت بيبرص، لقا عتمان واقف، وناتع النبوت، وعمال يؤشر للدلال، ويقول له : اسكت، يا دنس، والا اموتك ! قال له : ولك، ليش عمال تسكته ؟ قال له : كندى، دا العرص بده يؤلضضك[٢٩]، دا باعتينه العروص، ودى السرايه معفرته، ساكن فيها حاج عفريت، كله[٣٠] من يشتريها يطبقه، ودى السرايه بثلاثه قاطات[٣١]، وثلاثه سريات داخل بعضهم، وما لها مثيل بمصر، ودا العرص يؤلضضك، حتى يطقك حاج عفريت ! قال له : اشلون يطقني ؟ قال له : يا خوى، دى السرايه لا يجرى بيعها، حتى ينام فيها الشارى ليله واحده، فان طلع سالم، بعود ليشتريها باقل

٢٨– إن كان.

٢٩– يقول ضدّك، أي : يتكلم بما يؤذيك.

٣٠– كذا، كل.

٣١– قاط أو قات، أي : طابق.

الاسعار، بقا الطماعين كثيره، يا خويه، يناموا، يقوم يطقهم حاج عفريت، يروحو[ا] تاني يوم، يروهم مخنوقين، وملحوشين على باب السرايه، ودى حكايتها، ما بدنا اياها.

قال... فضحك بيبرص، وقال : ما احد بموت الا باجله. وصرخ للدلال، واخذ الورقه الذى موصوفه فيها السرايه، وقراها، يرا وصف سرايه بتاخذ العقل، واخر الوصف انه الذى عمر هذه السرايه، المرحوم باديس السبكى. فقال الامير بيبرص : يا بابا، وين المفاتيح ؟ فقال له الدلال : اهم سيدى. فاخذهم بيبرص، واعطاه اكرام، وقال لعتمان : تعال، دلنى على السرايه. قال له : كندى، والعفاريت ؟ قال له بيبرص : ولك، العفاريت، بالنهار ما بتطلع ! وانا مرادى اتفرج عليها فرجه. فقاله : طيب، امشي قدامي، لما دلك عليهم. وتوجهوا طالبين السرايه، وكان قرب العصر، فلما وصلوا، طلع بيبرص يرا ساحه كبيره، وبوسطها باب من النحاس الاصفر، محلا بالذهب الاحمر، وهو ببابين، باب كبير، وباب صغير خوخه[٣٢]، فتقدم بيبرص، وفتح باب الخوخه، وقال لعتمان : فوت ! فقال له : لا، والنبى ! ما خش حته ! خش وحدك، دى الوقت يطلع عليك الحاج عفريت ! فدخل بيبرص، وعتمان تم باقى على الباب.

واما بيبرص، يا اخوان، فانه دخل وانشرح صدره، فوجد فى الدهليز مساكن على الداير، من الرخام المرمر ؛ ثم طلع لفوق، وصار يدور ويتفرج على البرانى، الى ان صار وقت المغرب، وما خلص فرجه من البرانى، فطلع الى عند عتمان، وقال له : ومدد السيده ! انها سرايه ما فى مثلها بحكم الملك جميه[٣٣]، روح جبلى سجاده، وشمعدان[٣٤] ومصحف، وشى اتعشا، ولابد ما انام الليله هون، واتوكل على الله[٣٥] ! يا لعمر دنا، يا رزق قسم[٣٦]، بلكى عسى ولعل تصير من نصيبى هذه السرايه ! قال

٣٢- باب صغير في الباب الرئيسي.

٣٣- كذا.

٣٤- كلمة عربية فارسية، أي : مسرجة.

٣٥- سورة النمل، ٧٩.

٣٦- سورة العنكبوت، ٦٢.

له : كندى، والنبى العفاريت يطقوك ولا يخافو[ا] من المكبكب بتاعك وقال له : يا عتمان، من توكل على الله فهو حسبه[٣٧]، روح جبلى مطلوبى قوام بالعجل قال له : طيب، ولكن لا تخش جوه، وقف استنانى هنا ! وطلع يركد مثل النحله، غاب حصه، ورجع جايب له مطلوبه، فاخذهم منه، ودخل لجوه، لبعض القاعات، شعل الشمعه، وقعد تعشا، وصلى المغرب والعشاء، وصار يتامل برنك[٣٨] القاعه وصناعتها، ويقول فى باله : ما هى كثيره على الله ان يطعمك هذه السرايه ! له معنا كلام.

واما عتمان، يا اخوان، فانه اعطا الاغراض الى بيبرص، ورجع برانيه الى الازهر، وصار يجمع العميان والمشايخ، وقال لهم : الكندى نيبرص عامل تهليله[٣٩] عن روح ابوه، والعالم بيعرفوا بيبرص خير الشديد، الذى بده يركد. حتى جمع قدر ستين زلمه، ما بين حافظ وكفيف، وسحبهم، واجا. وهم جاين بالدرب، صاروا يقولو[ا] لبعضهم : الليله مغدره[٤٠] قدامنا، وهذا يقول : يا ريتنى ما تعشيت، وهذا يقول : يا غنيمتنا، الليله ! الى ان وصل بهم عتمان الى السرايه باديس، وقال لهم : اقعدوا فى هذه السهله. فقالو[ا] له : نعمل ايه هنا ؟ فقال لهم : اصبرو[ا] لما حتلكم : الكندى نيبرص، خش جوه السرايه، ودى السرايه معفرته، ودى الوقت يطلع الحاج عفريت يطقه، وانا ابقا ابكى عليه وحدى، فجبتكم هنا لما تعاونونى بالبكا، ايوه، ابكوا، لما نشوف ! فقالو[ا] له : بركى موش جايه على بالنا البكاء ! فقال لهم : جالكم العما، فوق عماكم ! لكان النبوت على شان ايه الله خلقه ؟ ونزل فيهم سلخ، فصار البكاء من كل ناح، هذا يقول : راسى ! وهذا يقول : جنبى ! وهذا يقول يدى ! وصاروا يبكوا ويصيحوا، وعثمان ينط[٤١] بينهم،

٣٧– سورة الطلاق، ٣.

٣٨– رنك كلمة فارسية، أي : اللون والجمال.

٣٩– تهليلة عن روح أو عن نفس فلان، أي : مجموعة من الطقوس الدينية والاجتماعية تقام لذكر ميت وتأبينه ورثائه. واستعمال لفظة تهليل بهذا المعنى شائع خاصة عند الدروز.

٤٠– الليلة المغدرة، أي : ستَدُرُّ علينا بالخير الكثير.

٤١– ينتقل بسرعة من واحد إلى الآخر فيبدو وكأنه يقفز.

ويقول لهم : ابكوا، مالى سمعان البكاء ! دى الوقت يكون الحاج عفريت عمال يعفرت الكندى، ما تبكوا، يا رجاله ! وهو ينط ويعيط، ويقول لهم : ابكوا ! يحسرتى عليك، يا كندى ! كيف العمل يا خونه ! فصاروا يبكوا، ويقول : منين اجت دى الليله المعكرته ؟ وين كانت مخبايه ؟ آه، يا رب ! على دى الوقعه، الذى بلانا فيها ربنا ! يا ريتنا ما طلعنا اليوم من البيت ! وعتمان، كلما شافهم سكتو[ا]، يصرخ عليهم، ويقول لهم : ابكو[ا] ! ويهز لهم بالنبوت.

واما بيبرص، يا اخوان، اقام يتفرج على السرايه، وينتقل من قاعه لقاعه، لحكم الساعه اربعه، فكبر عليه الوهم شويه، فقال لحاله : اقعد اقرا لك شويه ! واخذ الشمعدان، حطه قدامه، وفتح المصحف، وصار يقرا. ما شاف الا الشمعدان انقام من قدامه، وانحط بثانى طزر[٤٢]، لانه كل قاعه لها اربعه طزرات، فلما انقام الشمعدان، ما عاد شاف، فصار يقراء على الغيب، ما لقا الا انقام المصحف كمان، وانحط بثاني طزر، فتم يقراء غيب، وقال لحاله : ثبت حالك، يا ولد ! وان انوهمت، تقتل ! فصار يهدر بالقرائه، ويُجوِّد، وهو طارق راسه فى الارض، وعامل حاله انه ما هو حاسس على شيء، ما يسمع الا صار قرقعه وتخبيط على الابواب، وهو عمال يقراء ولا يرد، الى ان صار الوقت حكم الساعه ٥ خمسه، ما شاف الا انتصب قدامه شخص بالعتبه، رجليه بالأرض، ورائسه بالسقف، فقال له : الله ! بنبلا ورسن كرته ! انت، بدك تخوفنى، وانا بحول الله، ما بخاف ! فان كنت يهودى، اقسمت عليك بموسى الكليم، وان كنت نصرانى، اقسمت عليك بعيسى، وامه مريم الطاهره، وان كنت مسلم، اقسمت عليك بمحمد – صلى الله عليه وسلم – وبحق اهيا شراهيا ادوناى اصباؤت الا شداى[٤٣]، الا ما اجبتنى واتيتنى بصفة انسى، بحق آله العزه[٤٤] والجبروت، فاننى لا [أ]خاف منك، لأنك انت مخلوق، وانا مخلوق.

٤٢– طزر، كلمة فارسية، تعني العرش ؛ قد تعني هنا : درجة.

٤٣– غريب أنه يقسم عليه هنا باسماء عبرية، قد يكون لها معنى عند السَحَرة.

٤٤– سورة يونس، ٦٥.

قال . . . فما اتم كلامه، الا وقائل يقول : لا اله الا الله، محمد رسول الله[٤٥] – صلى الله عليه وسلم – ! وصار ذلك الشخص يصغر، حتى صار بصفة انسى، وراح جاب الشمعدان والمصحف، وحطهم مطرحهم، وقال : السلام عليكم ! قال له بيبرص : وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته[٤٦] ! فقال له الرهط [٤٧] : ما اسمك، يا اخا الانس ؟ قال له : بيبرص. قال : واسم ابوك ؟ قال له : القان جمك، ابن الشاه محمود، ابن السلطان ابراهيم الادهم. فقال الرهط : ما شاء الله ! آن الاوان ! وانت صاحب النصيب ! اكشفلى، يا سيدى، عن جبينك. فكشف له بيبرص عن جبينه، نظر السبع جدريات على جبينه، فقال له الرهط : انت صاحب النصيب، ورب الكعبه ! ولكن باقى عليك اشاره واحده، فان جئت بها، فانك تملك هذه السرايه بما فيها، من طقم وفرش وفضه وذهب، وجميع متاعها، وايضاً فيها بدله تلبسها، واى من لبسها يصير ملك مغازى، مجاهد في سبيل الله [٤٨]، ويصير له تاريخ، تترحم عليه الناس، جيلاً بعد جيل ! فقال له بيبرص : طيب، وايش هذه الأشاره ! فقال له : ارفع راسك الى قوس القاعه. فرفع راسه بيبرص، نظر حلقه من ذهب، وبوسطها قنطارية[٤٩]. فقال له الرهط : انا برفعك على يدى، حتى تصل الى هذه القنطاريه، فان سحبتها من الحلقه، فتكون انت صاحب النصيب، انزلك انت، وهى للأرض، واحكى لك حكايتها، وان ما حسنت تسحبها، فاننى بخْلى من تحتك، فتقع تنقصف رقبتك، فاقيمك والحشك على الباب.

قال . . . فطلّع بيبرص على القنطاريه، وتمايزها بعقله، يراها تطلع خمسة وعشرين رطل شامي. واندار على [الرهط]، فقال : ارفعنى، يا اخى، توكلت على الله ! فحالاً شاله، ورفعه لفوق.

قال . . . فمد يده بيبرص، ومسكها، وقال : يا مدد جـ[ـد]ى السلطان ابراهيم الأدهم ! وسحبها من الحلقه، فصار يبرمها بيده مثل الدولاب، فصار الرهط يضحك،

٤٥– سورة محمد، ١٩، سورة الفتح، ٢٩.

٤٦– سورة هود، ٧٣.

٤٧– أي : شخص.

٤٨– سورة البقرة، ٢١٨.

٤٩– قنطارية، أي : كتلة معدن.

ونزله للارض، فصار بيبرص يتمايز القنطاريه، لقاها شئ عجيب، فقال له الرهط : وحق [. . .][٥٠] العظيم، ما فى بدولتك من يقدر ينقلها ! وانك بتصغِّر فيها عيون الجبابره، الذى تظهر بايامك ! فقال بيبرص : توكلت على الله، وانت، يا اخى، صار لك زمان هون ؟ قال له : اعلم، يا اخى، انه كان ملك بهذه البلد اسمه باديس السبكى، وكان رجل طبيعى، لا يعتقد بالوجود، فسمع من العلماء ان المؤمنين يدخلون الجنه[٥١]، فقال : انا ادخل الجنه بالسيف ! فقالو[ا] له اعيانه : كيف ذلك ؟ فطلع انشأ وجاق لعشرة الاف فارس، وسماه [وجاق] الزلفليه، وعمل لهم عشرة الاف بدله من السبع معادن، وعلمهم ابواب الحرب، وانشأ تربه، وعمل لحاله قبر فى الوسط، وعمل قبور على داير قبره، وكتب سندات على اهل دولته، انه كل ما مات واحد، يدفنوه بسلاحه. واصطنع لنفسه بدلة حرب جوهريه، من خاص الجوهر، واوصاهم ان يدفنوه فيها، وكذلك الزلفليه، يدفنوهم بسلاحهم، وقال : لما تقوم القياميه[٥٢]، يقوم يدخل الجنه بالسيف.

وقام على ذلك مده من الزمان، وبعدها نظر فى بعض الليالى رؤيا رحمانيه، فارتجع عن مذهبه، واتبع الشريعه المحمديه، وابطل جميع الذى شرحناه، وجاب اهل الاقلام، وقال لهم : احسبولى، شوفوا من يظهر بهذه البلد من الملوك، ويتشوق بضرب السيف، ويحب الجهاد، فضربوا له تقويم، وقالو[ا] له : افندم، سوف يظهر ملك بهذه البلد، يكون له اجتهاد بضرب السيف، ويكون اصله من بلاد العجم، ويتربا فى بلاد العرب، ويركب كرسى مصر، ويفتح فتوحات، هو وذري[ـتـ]ـه، ويصير له تاريخ للأبد ! واول حرف من اسمه ميم، واخر حرف دال، نجمعهم باسم محمود، وله اشارتين : الاولى له على جبينه سبع جدريات، والثانيه يرفع يده ربع قنطار شامى من قطع السلاح، ويحارب بها ! قال الملك : ما شاء الله ! هذا يكون خليفتى ! وامرهم ان يصوروا صورته على رق[٥٣] غزال، فاخذها وقام وضع البدلات

٥٠– كلمة غير مقروءة.

٥١– سورة النساء، ١٢٤.

٥٢– كذا، أي : المعركة.

٥٣– رق غزال، أي : جلد غزال، وكان يستعمل للكتابة استعمال الورق.

بصناديق، ووضع بدلته بصندوق كبير، وهما البدله والتاج والنمشه، مكتوب عليها اسمه، وامر الحكماء بعد ما وضع كل شى بمحله، بهذه السرايه، ان يعمروا عليها رصد[٥٤]، انها لا تنفتح الا بيد ذلك الملك. فحالا استخدموا الارهاط الجان، ووكلوهم بهذى السرايه، الى حين ظهور صاحب النصيب، وانا، يا سيدى، من جملة الارهاط المرصوده، وقاعدين عمال نستنظر قدومك، حتى نسلمك امانتك.
وبعد مده توفى الملك باديس، وصارو[ا] يسكنو[ا] السرايه ذريته، والبعض يسكن سنه، والبعض اقل، والبعض اكثر، ويطلعو[ا] حيث يروها مسكونه، فلا احد يستقيم فيها، وبعدها التطمت[٥٥]، وما عاد احد تجارى، الا كل طماع، الا ان شرفت حضرتك على السرايه، الله يهنيك فيها ! واعلم انه كل مخدع، مفروشاته فيه، بقبو[ا] عقد، ومع الطوله، تظهر لك جميع زخائرها ! فقال له بيبرص : يعنى، ما فيه من يسئلنى عنها ؟ فقال له : ان ظهر احد من زريه الملك باديس، يب[ـيـ]ـعوك اياها بابخس الاثمان، لانه ما فيه احد بعرف شو فيه داخلها غيرى، وانا من شان خاطرك، بقعد عندك سنه، والذى بده يملكها منك، انا خصمه ! وادلك على زخايرها شيئاً بعد شيىء. فقال له بيبرص : بارك الله فيك ! وانت اخى، بعهد الله[٥٦] ! قال له الرهط : قوم، يا سيدى، طلع النهار، روح هات ناس تكنس، وتنضف، واقعد بها مطمئن البال، وانا خاطرك عليا، وقت الحاجه، اجيك سراً، وانا دائماً باقى بالسرايه ! وغط[٥٧]، ما عاد بان.
قال... فقام بيبرص خرج من القاعه، يرا النهار طالع، فقال لحاله : سبحان الله ! لقد صدق القائل حيث يقول :

ما كان لك يأتيك على ضعفك   ما كان لغيرك لمن تناله بقوتك

سبحان من يئتى ملكه لمن يشاء من خلقه[٥٨]، وما عنده الا جبر الخواطر.

٥٤– حراسة.
٥٥– التطمت، أي : بدأت تتهدّم بمرور الزمان.
٥٦– سورة النحل، ٩٥.
٥٧– غطَّ، أي : اختفى.
٥٨– سورة البقرة، ٢٤٧.

ثم طلع لتانى سرايه، سمع حس ضجيج وبكاء، وعتمان عمال يعيط ويبكى، ويقول : اهو النهار طلع، والكندى ما طلع شى ! دى الوقت ابكو[ا] ! وصار يخبط بالنبوت، ويقول لهم : ابكوا ! هو الكندى ما طلع، يا حسرتى عليك، يا كندى ! عيونى تشوفك، يا كندى !

قال... ففتح الباب بيبرص، وصرخ : بره عتمان ! قال له : دا مين يصيح ؟ فقال له : انا بيبرص ! فقال له عتمان : ارجع جوه يا حاج عفريت، طقيت الكندى، وتزيت بزيه، حتى تطقنى ! ايوه ! ما طلع شى هنا ! فقال له : ولك، انا مانى عفريت يشيلك ! انا بيبرص ! فقال له : ايوه ! والعفريت فين ؟ طقيته بالمكبكب ؟ والنبى، ما حدش بالدنيا اوحش منك ! طقيتهم للعفاريت، كمان ! فقال له : ولك، ليش هيك عمال تخبط هل مساكين ؟ قال له : ايه، لكان ابكى وحدى ؟ جبتهم لما يعاونونى بالبكاء ! وكان، لما طلع النهار قبل ما يطلع بيبرص، راح جاب نعش، وآلة صينيه[٥٩]، وكفن، ومغتسل، وجاب حماله، وكفين اس، وجميع ما لزم للاموات، فطلع بيبرص، نظره، قال له : ولك، عتمان ! ليش جايب هدول ؟ قال له : كندى، خمنت العفاريت يطقوك، اطلعت انت اوحش منهم، طقيتهم بالمكبكب، د[ا]هيه تنكب الذى كبكبه ! فضحك بيبرص، وقال : ولك، انت ليش بضل مجنون؟ ما فيه، لا عفاريت، ولا قرود ! قال له : ايوه ! اذا كان ما فيه عفاريت، والذى يخش عنك قبل، ليش كان يطقه ؟ بس المكبكب الذى منعه عنك ! آه، يا كندى، والنبى ! ما فش اوحش من المكبكب بتاعك !

قال... يا اخوان، اما الجماعه الذى جايبهم عتمان، لما نظروا بيبرص طلع من السرايه، هجمو[ا] عليه، وقالو[ا] له : ربنا يهنيك السلامه ! بعرضك يا بيه، خلصنا من عتمان، موتنا وهو طول الليل يخبط فينا ! فقال لهم : ماعليش، بابا، ماعليش ! هذا واحد مجنون، وصار يطيب خاطرهم، ويفرق عليهم الدراهم، حتى ارضاهم، فراحوا وهم يدعو[ا] له بطول العمر. بعدها، قال لعتمان : تعال، لنفوت على السرايه ! قال له : ايوه ! واذا طلعوا علينا العفاريت، تطقهم بالمكبكب، وانا اعريهم ! قال له : ايه ! واخذه ودخل، فلما شاف السرايه عتمان، قال :

٥٩– آلة، أي : محمل يوضع عليه الميت. صينية : كذا.

ارحب ! كندى، دا صار بيتنا ! قال له : ايوه ! فقال له : كندى، قول امين، ربنا يرحم الذى عمرها لنا من خمسة مأت سنه ! وكانت هذه الكلمه من عتمان كلام عقل، فقال له بيبرص : ما بعرفك مجنون، ما بعرفك عاقل. قال له : من دى على دى ! وصار يتفرج، هو وبيبرص، على فنها. داروا البرانى والوسطانى، ودخلوا للجوانى، لقوه شى منظوم كثير ! فقال عتمان : ارحب ! دى الوقت تمكعصنا، يطق القاضى بعينه! فقال له بيبرص : ليش عمال تستغيب الناس، على بكره، خصوصاً هذا رجل علم، ولحوم العلماء مسمومه، فلا ينبغى الخوض بحق العلماء ! فقال له : كندى، دا منقرش ! قال له بيبرص : شو هذا، منقرش ؟ قال له : ايوه، انا اعرف، والمعلم صالح يعرف، وانت والحاج شاهون تيوس، ما تفهموش الا بلمكبكب بتاعك ! وكان كلامه كل[ه] غطوا[٦٠]، وهو من اهل الباطن – رحمة الله عليه – ولكن بتجاهل بالظاهر، تستراً لحاله، وكان بيبرص كثير كلام ما يفهم عليه.

وكان السبب بكلمت عتمان، يطق القاضى بعينه ! هذا : لما قال الملك الى بيبرص : لازم انك تشترى لك سرايه ! فراح القاضى ذلك اليوم على بيته، وبعث احضر الدلال باشى، وقال له : يوم الجمعه، راقب بيبرص وين بصلى، حتى يطلع، ووقف على باب الجامع، واندار اوصف السرايه المسكونه، بلكى يغره الطمع، ويدخل للسرايه، يختنق ونخلص من شره ! فقال له الدلال : امرك ! وراح بيت بنت باديس، واخذ المفاتيح، وورقه الوصف، وراح ترصد بيبرص، ودلل عليها، واخذا بيبرص المفاتيح، وراح على السرايه، والدلال ضل حايص حواله السرايه، لبعد العشاء، حتى شاف انه بيبرص نام بالسرايه، راح لعند القاضى، واخبر بما فعل، لانه واعده ان نام بيبرص بالسرايه، يعطيه بخشيش. فطلع، اعطاه دينارين، وانبسط بذاته، وقال : بكره نهارنا ابيض ! فاننى بجعل دربى من على باب السرايه، حتى انظر بيبرص، وهو مخنوق ! وما نام من فرحه، ذلك الليله، وقام بكير، ركب وتوجه. له معنا كلام.

٦٠– غطوا، تُقرأ : غَطْوًا، أي : لغز.

و[ا]ما بيبرص، يا اخوان، فانه قال لعتمان : روح، هات لنا ناس فعاعله، حتى يكنسوا ويعزلوا السرايه. قال له : حاضر ! وطلع يركد، وبيبرص صار يدور ويتفرج، وهو باحد القاعات، نظر ليوان الصدراني مسدود، فتعجب، وقال : عجب ! ليش هذا سادينه ؟ لو كان كشاف، كان اظرف ! وصار يتفكر، بجيه عتمان، وجايب معه اربعين خمسين فاعل، وامرهم ان يكنسوا ويعزلوا ويشطفوا، فانبرموا وصاروا يشتغلوا، حتى نظفوا البراني والوسطاني، ودخلوا للجواني، فصرخ بيبرص الى اربعه خمس فعاله، وامرهم يهدوا الطبله[٦١]، الذى ذكرناها، فجابوا الفوس، وضربوا الطبله، فقدح منها شرار ونار، ولا تلع[٦٢] ولا حبه تراب، فتعجب بيبرص، واخذ فاس، وضرب بكل عزمه، فما اثر ! فكان واقف بجملة الفعاله، واحد اختيار، فتقدم لعند بيبرص، ووشوشه، وقال له : يا بيه، هذه الطبله، عمليه شغل حكماء، لا تنهد بلفوس، بل انما اصرفلى الفعوله ! واعطاهم اجرتهم، واصرفهم، وامر عتمان يقف على باب السرايه، حتى اكشف لك اياها.

فحالا، بيبرص اصرف الفعاله، واعطاهم اجره وافيه، وامر عتمان ان يجيب له نار، فراح عتمان جاب مطلوبهم واجا، فقال له بيبرص : اطلع، وقف على الباب، لا تخلى احد يدخل ! فطلع عتمان، وقف على الباب، كما امره بيبرص، والرجل الاختيار طالع بخور، وحطهم فى النار، فصار يعزم ويهمهم ويدمدم، ويطرق بالقضيب على الطبله، ما شاف بيبرص، الا دخان صعد، وراحت الطبله، وانكشف الليوان، وبان عن صندوق كبير من النحاس الاصفر، وحواليه جملة صناديق مكومه فوق بعضها البعض، فقال له الاختيار : الله يهنيك، يا بيه، ويبارك لك فيما اعطاك ربنا ! فتقدم بيبرص، وكشف الصندوق الكبير، يرى فيه بدله باديس السبكى، الذى ما حوى عليها ملك بذلك الزمان، فغطاه فرجع كمش كمشه دراهم وافيه، واعطاها الى الاختيار، وقال : ادعيلى، يا بابا.

قال... فاخذهم الرجل بديل الظعبوط، وقال له : ربنا يجبر بخاطرك، ويعطيك مرادك ! وتوجه فلما قرب باب السرايه، يرى عتمان واقف على الباب، فقال له : دا

٦١– أي : حاجز.

٦٢– أي : طلع.

ايه، يراجل ؟ فصفن الرجل، واحتار بامره، ان قال له : دراهم، بده ياخذهم منه، وان صرخ على بيبرص، بده ما يسمع، لانها المسافه بعيده، وهو رجل طفران، وصاحب عيال، وقد فرح بذلك البخشيش، فقال : اصبر، يا عثمان، لما احكى لك، انبارح شو شفت بنومى. فقال له عثمان : خير، ان شاء الله ! احكى، لما شوف ! قال له : ايوه، يا خوى، شفت بنومى انكم فتحتم سراية باديس، ورجع الى وراه خطوتين، وبيبرص طلب منك، يا خوى، فعاله، قال له عثمان : طيب. قال له : وجتنى معهم، يا عثمان، وجينا صرنا نكنس السرايه، قال له : ايو، طيب. فصار الرجل يحكى، ويرجع الى وراه، قال له : ونحنا عمال نكنس، يا عثمان، شاف البيه صنعه غريبه بالسرايه، فتعجب منها، فقلت له اصرف الفعاله، وانا اكشف لك اياها، واحكاله كما توقع معه. ثم قال له : واعطانى البيه فلوس وافيه، وقال لى : روح ادعيلى ! وكان صار عند سرايه الوسطانيه، وهو يرجع، فقال له : وطلعت، وانا فرحان، وصرت ادعيله، واقول : ربنا يجبرك، يا بيه ! ويعطيك مرادك، يا بيه ! ويعيط، فسمع بيبرص. طلع بيبرص يركد، وصل لعند الرجل، قال له : شو بك ؟ قال له : دخلك، يا بيه ! عثمان بده يخلصنى الدراهم ! فقال له عثمان : اه ! يا ابن القحشه ! منام عملته حتى تهرب بالفلوس، يا دنس ! فقال له بيبرص : ولك شو بدك فيه، خليه يروح بحاله، هذه اجرته ! فقال له : اه، يا دنس ! خلصت حالك ! ايوه ! اطلع بره ! فطلع يركد، وبيبرص اخذ عثمان، ودخل لجوه، فقال له : تعال تفرج، شو الله عطانا من فضله[63] ! فطلع عثمان، يرى شي يطير العقول، من قطع جوهر، وما اشبه ذلك.

فقال : كندى، ادينى من دول كم حجر، الذى عمال يبصوا ! فقال له : شو بدك تعمل فيهم ؟ قال له : بدى اعملها منطقه ! قال له : مرحبا بك، يا عثمان ! واعطاه واحد واربعين جوهره، وقال له : اصحا تفرجيهم لاحد، خليهم عندك لوقت ما تتركن[64]، اعود اخذك، وروح لعند الصايغ، واخليه يعملهم لك منطقه عال العال ! قال له : طيب. وصار بيبرص يتفرج على بدلات الزلفليه، ويقول : الله يطعمنى

٦٣– سورة آل عمران، ١٧٠.

٦٤– أي : تتركن الأوضاع.

مرادى، حتى انشيء هذا الوجاق الزلفليه ! وصار يقيم الصناديق، ويحطهم فى بعض المخادع، حتى ما احد يشوفهم.

واما عتمان، يا اخوان، فانه خلا بيبرص ملتهى، وفتح باب السرايه، وطلع والقطع الجوهر بيده، وصار يصرخ ويعيط، ويقول : يا ما لقينا من دول ! ويحدفهم ويستلقيهم، بنفدت القاضى. فقال له : قاضى، يا قاضى، طق بعينك، ياما لقينا من دول ! قال له : تعال، فرجينى، يا عتمان، شو هدول ؟

قال... فناوله اياهم، فاخذهم القاضى، وصار يتفرج عليهم، وسرق واحده منهم، ورجعله اياهم، وراح على الديوان، ما هو وعيان، ولا هو شايف الطرق، من شدت قهره. واما الملك، يا اخوان، فانه طالع ذلك اليوم على الديوان، وهو مبسوط وضحكان، وصار يقول للوزير الاعظم : يا حاج شاهين ! يا من تعب ! يا من شقى ! خاب الذى أمل، فان الرزق ما هو لمن خبى، بل لمن قسم ! وداخل القاضى، سلم وترجم، وجلس على كرسيه، وقال للملك : افندم، ولدك بيبرص فتح سرايه باديس، ولقا فيها اشياء، وقطع جوهريه ثمينه،، مثل امثال هذا الطقم واشباهه.

قال... فما كمل الكلام، وداخل عتمان مثل حجر المنجنيق، واصل لقدام القاضى، وقال له : اما كفاك منقرش ؟ كمان حرامى ! وخطف الحجر من يده، وطلع يركد.

وكان السبب ان عتمان، بعد ما فرجاهم للقاضى، اخذهم وراح لعند الجوهرجى، وقال له : اعمل دول منطقه. فاخذهم الجوهرجى، عدهم، يراهم اربعين واحده. قال له عتمان : لا، يا راجل، دول واحد واربعين، يخرقه حبه عينك ! قال له الجوهرجى : لسع لارحت ولا كيت، ياعتمان، خذ انت عدهم ! فاخذهم عتمان، عدهم، يراهم اربعين. قال : ايوه ! دى صنعت القاضى، محروق الوالدين ! وطلع يركد على الديوان، خطفها ورجع اعطاها للصايغ، وراح لعند بيبرص، فقال له : وين كنت، يا عتمان ؟ قال له : رحت لعند الجوهرجى. قال له بيبرص : الله لا يعطيك عافيه ! اصحه، لا يكون احد شافهم معك ! قال له : والذى يشوفنى مين ؟ هذا كان.

واما القاضى، يا اخوان، فانه بعد ما راح عتمان، التفت للملك، وقال له : افندم، هذا المال لازم ياخذ الى الخزنه العامره ! فقال له الملك : ليش ؟ فقال افندم، بحيث

ماله اصحاب، ومن عادت اللقايا والكنوز، لازم ينظبطوا الى بيت المال. فقال الملك: روحوا اصرخوا لنا لبيبرص، حتى نشوف. فحالا، راح الطلب وراه، وهو بسرايه باديس، عمال يرتب حاله، واجاه الطلب، فقام لبس البش[٦٥]، وخلا عتمان بالسرايه، وسار للديوان مع الحاجب، الذى جاء بالطلب، وصل، دخل للديوان، اخذ اتك الملك، ووقف، فقال له: الله يعطيك العافيه، يا ولدى! من حقا، يا ابني، فتحت سرايه باديس؟ قال له: افندم، نعم، بهمتكم فتحناها! فقال له الملك: ايش لقيت فيها؟ قال: افندم، بعض قطع جوهر، وامتعه. فقال له: يا ولدى، هدول بدهم ينظبطوا لبيت المال. قال له: افندم، تحت امرك، وانا ما هو مرادى سوى السرايه فقط، مالى محتاج القطع، عندى مال كثير من خير الله وخيرك.

قال... وهم بالكلام، وداخله حرمه، وهي تصرخ: مظلومه، يا امير المومنين! فقال لها الملك: شو ظلامتك، يا حرمه؟ فقالت له: انت ظلمتنى! قال الملك: اسمع، يا حاج شاهين، قالت انا ظالمها، بائيش انا ظالمك، يا حرمه؟ فقالت له: افندم، رايح تظبط مالى، ومال ابائي واجدادى! فقال لها: مالى فهمان كلامك، شو المعنات؟ فقالت له: اذا كنت مانك فهمان، خذ اقراء هذا النسب بفهمك. قال لها: اعطيه للقاضى، لانه هو الذى يقراء الانساب.

قال... فاخذه القاضى، فتحه، يراه مكتوب بماء الذهب، وهو بخط الملك باديس السبكى، ومتنقل الى ذريته، واحد بعد واحد، الى ان وصل ليد هذه الحرمه. فقالت له الحرمه: فهمت، يا ملك الزمان! بقا، كيف تكون السرايه، سرايه ابائى واجدادى، ومتنقله الي بالارث الشرعى، وانت بدك تظبطها؟ فقال لها القاضى وبعض الوزر المبغضين: هل تبيعنا اياها، يا حرمه؟ فقالت لهم: انا لا ابيعها غير للذى فتحها، وصار السبب بالرحمه الى ابائي واجدادى، عجب! وقد كانت مسكره ومهجوره من سنين واعوام، ما قلتولي عليها، والان لما انفتحت، كثرت المشتريه، فالان اشهدوا عليا، يا من حضر بهذا الديوان، وانت يا ملك الزمان،

٦٥- كذا، أي: البنش.

بانني قد بعت هذه السرايه المذكوره، الذى هى ملكى، بما فيها من قليل ومن كثير، للاغا بيبرص، امين القصص، بمات قنطره عشره الف قرش، من فوق الارض باربعين ذراع، لتحت الارض باربعين ذراع، بيعاً شرعياً، خالى عن كل قيد مبطل الصحه والبيع، وانا باكمل الاوصاف الشرعيه، ليس لى علقه تفسخ. قال الملك لبيبرص : وانت ؟ قبلت الشرا لنفسك، يا ولدى ؟ قال له : قبلت. فمدت الحرمه يدها، وناولته الحجه القديمه، والنسب، وقالت له : انت ولدى، بعهد الله، قوم يا ولدى، جيب المال، حتى استعده بهذا الديوان، بحضور الملك والاعيان.

قال . . . فحالا توجه بيبرص، جاب الدراهم، ورجع على الديوان، وسلمهم للحرمه، فقال الملك للقاضى : اكتب له حجه على ذلك ! فقالت له الحرمه : اكتب له كمان وصول من يدى بوصول المال، ثمن السرايه بالتمام والكمال. فكتب له حجه والوصول، وهو وجهه عمال يفور فورات فورات، وصار بلون المسته، واعطاهم الى بيبرص، فقالت له الحرمه : روح، يا ولدى، الله يهنيك بما عطاك ! ولك البشاره بانك تصير ملك، وتجلس على كرسى مصر، وتكيد اعداك، لانني شفت جدى باديس بنومى، وامرنى ان اطلع على الديوان، وابايعك على السرايه، وقال لى عنك، انك صاحب البند والعلم، وقال : هذا خليفتى، وانا الذى رصد له السرايه، ولا يقدر احد يملكها غيره. روح، يا ولدى، الله يجعلك من اهل الفتوح والغرا والجهاد ! قال بيبرص : توكلت على الله ! راحت الحرمه بحالها وبيبرص نزل على سرايه، وهو مبسوط، وهو يقول : ما كان لك، فهو محرم على غيرك. واقام يهندز السرايه، ويفرشها ويطقمها، له كلام.

واما القاضى، يا سامعين، فانه بعد ما راح بيبرص، صار يتغامز هو وايبك التركمانى، انه كيف هذا يملك هذه السرايه بمتاعها وتحفها، ونحن اقدم منه ! ثم صفن حصه، والتفت للملك، وقال له : افندم، فيه اذن احكيلك كلمتين ؟ قال له الملك : احكيلى اربعه ! قال له : افندم، من داب المال بقسى القلب، وهذا بيبرص صار عنده اموال باليغه، وبالاخص ملك ملك باديس السبكى المشهور، فهذا يخشى على افندينا منه، ان يدخل عليه بسميه او غيره، فهذا الاكثر انك تظبط هذا المال

منه[٦٦] ! فقال له الملك : كيف ذلك بدنا نظبطه، وقد صار ملكه، واشتراه قدامنا ؟ فقال له : اشور عليك شور. فقاله الملك : هات لشوف ! قال له : افندم، هلق بيبرص ما هو مملوكك ؟ قال الملك : بلى ! قال له : اقتله، وارث المال منه، حلالاً زلالاً[٦٧] ! فقال له الملك : يا قاضى، ايه، ما عندى غيره، كيف بدى اقتله ! قال له : وحيات رائساك، انا ابعت لك من عندى مائه مملوك بطقمها، والوزير ابيك كذلك، فيصيروا مائتين مملوك، عوضاً عن بيبرص ! فقال الملك : طيب، بعتوا لنا وراه، حتى نقتله.

فحالا، راح له الطلب، فقام بيبرص، حضر الى الديوان، دخل اخذ اتك الملك، ووقف، قال : تارى، يا بيبرص، اذا قتلتك، برثك ! قال له : معلوم، افندم ! العبد، وما ملكت يداه الى سيداه ! فالتفت الملك الى المفتى، وقال له : يا افندى، هات اعطينى فتو[ه]، بقتل بيبرص جنايه ولا زنب ! قال له : كيف، يا افندينا، بدى اعطيك فتوه على ذلك ؟ قال الملك : لكان اشلون بدنا نساوى حتى نقتله ؟ فقال له المفتى : اشلون بدنا نقتله ظلم، لأجل ان ترثه، من شان حب الدنيا ؟

قال... فصرخ الملك صوت من صميم فؤاده : هوه ! يا حاج شاهين، بده يطلع سيطى اننى حباب الدنيا، وانا وعزت الله، اصبحت لا امتلك لا ابيض ولا احمر، لا فضه ولا ذهب ! روح يا ولدى، على سرايتك، الله يهنيك فيها ! فقد علمونى على قتلك ماتين مملوك. وحيات راسى، الى ما ابعت لك اياهم يقعدوا عندك يسلوك، لانك بتزعل وحدك، ويصيروا لك خدام ! فركد بيبرص، اخذ اتك الملك، ودعا له بطول العمر، ونزل من الديوان، ولكن ما عرف مين حفر له هذه الحفره، ويتحول، ويقول : صدق الشاعر بما قال :

كيف يدارى المرء حاسد نع[ـمـ]ـه   اذا كان لا يرضيه الا زوالها

٦٦– أي أن القاضي يدعي أن ثروة بيبرص ستحمله على منافسة الملك (أو احتقاره أو مقاتلته) وأن هذه الإمكانية هي، بحد ذاتها، أكثر مما يحتاج اليه الملك ليصادر ماله.

٦٧– الزلال، أي : الصافي من كل شيء. والمقصود أن صاحب المملوك هو وريثه الشرعي فإن مات بيبرص عاد ماله إلى الملك دون خداع ولا مؤامرة.

بقا كيف داري حسودى ؟ ولكن الحسود لا يسود. وصار يرتب سرايـ[ـتـ]ـه.
قال... فلما صار الوقت، بعد العصر، طلع عتمان وقف على باب السرايه، واذا ببيرقين حمر، وظابطين ووراهم مائتين مملوك بخيلهم وسلاحهم، مقبلين. وحولوا قدام باب السرايه، وقال : بره سايس، وين اغا بيبرص ؟ قال عتمان : العما ! جاين هنا ليه ؟ كتكم د[ا]هيه ! ودخل لعند بيبرص، وقال له : كندى، قوم بص، الف الفين منيوك صاروا بره ! فقام بيبرص، طلع لعندهم، فتقدموا الظباط، اخذوا اتكه، واعطوه ورقه، ففضها بيبرص، قراءها :
من يد امير المؤمنين ليد ولدنا بيبرص. واصلك ظابطين، وماتين مملوك. دير بالك عليهم.

فقال لهم بيبرص : تفضلوا ! وادخلهم على الاوض. قال عتمان : خبر ايه، كندى؟ قال : هدول صاروا تبعنا ! قال له : ايوه ! ونجيب لهم وكل منين ؟
قال... فضحك بيبرص، وقال له : ياكلوا من خير الله ! فقال له : طيب. وانى كنت سايس عندهم، حتى يقول لى سايس ؟ فقال له : لا، ياعتمان، انت اخى ! وجميع[٦٨] المماليك والظباط، وقال لهم : هذا ما هو سايس ! هذا اخى، وسعره بسعرى ! فقالو[ا] له : طيب، افندم ! هلق عرفنا ! وبعدهم تر[تـ]ـبوا بالسرايه، باوض البرانى، والظباط اعطاهم قصرين لحالهم، كل واحد قصر. فقال عتمان : كندى، وانا اديني القصر ده، انام فيه، وانطر الباب ! وكان ذلك القصر واقع فوق الباب، فقال له بيبرص : خذه. فطلع عتمان، رتب حاله فيه. وباتوا ذلك الليله.
اصبحوا تانى يوم، قال بيبرص : ياعتمان، هدول المماليك غشم، ما بعرفوا برتيب[٦٩] الخيل، بدى تجبلى كام سايس، يكونوا احرار بشغلهم، ويكون كدعان مثلك ! قال له : ايوه ! حاضر ! على راسى ! وانا اجيب لك اربعين واحد، حسره عليهم اهل مصر كلهم ! ونتع النبوت، وسار طالب مغر الزغليه، ومساطب الحاكم، لعند رفقاته، الى ان وصل.

٦٨- كذا، جَمَعَ.
٦٩- كذا، وقد تكون ترتيب، أي : تدريب وتربية الخيل.

قال... فلما شافوه، صاروا يبكوا، ويقولو[ا] له : آه، يا سيدنا، والنبى قطعتنا ! وصرنا يتاما بلاك ! ولا عدت سئلت عنا ! اه، يا عتمان ! فقال لهم : ايوه، اصبروا يا كدعان، لا تغوشوا[٧٠] ! اقعدوا لما حتلكم كلم[ـتـ]ـين !

قال... فتكوموا حواليه، وصاروا يسلموا عليه، قال لهم : ايوه، يا خونه، والنبى، ما احد تاب وندم، وانتم كلكم ما تاكلوا عيش بلاى بالمغر ! وانى الان تبت، وربنا تاب علي[٧١]، يا خويه، ما تتوبوا، انتم كمان، وتنزلوا معاى لعند الكندى نيبرص؟ وانا اطمنكم[٧٢]، وتخدموا عنده، ويعمل لكم معاش، ويعمل لكم عرى كويس، من الجوخ العال، زيى ؛ وتاكلوا الوكل الطيب، وتصيروا اوادم ! فقالو[ا] له : ايوه ! نروح وياك، ونحن ماننا احسن منك ! فقال لهم : ايوه، عليكم نور، يا خوى ! وفز اخدهم، وسار لعند بيبرص، فلما وصل فيهم لعنده، طلّع لقاهم كلهم بالزلوط، فقال عتمان : كندى، بص بعينك، هدول كلهم كدعان، وترباية كفى ! فقال له : طيب، خذهم على الحمام، وروح لعند الت[ر]زى بتاعنا، وجيب لهم بدلات لبسهم، وجيبهم وتعال. قال له : حاضر ! واخذهم وراح على الحمام، شلحهم، وراح جاب لهم بدلات جوخ معتبره، ورجع كانوا الجماعه تغسلوا، وحلقوا وطلعوا لبسوا الثياب المعتبره، واخذهم ورجع فيهم الى مقام السيده غفيره مصر، وتوبهم لوجه الله الواحد الاحد، و[ا]خدهم، ورجع لعند بيبرص، فلما نظرهم فارقين من الارض للسما، فقال له عتمان : كندى، حلة عليهم انظار السيده غفيره مصر ! قال بيبرص : ما شاء الله ! عفرم، عتمان ! وجاب الدفتر، وكتب اسمائهم، وربط لهم معاش، ولبس[٧٣] ابن الطويله رئيس عليهم، وقال لهم : ان امشيتوا معى مثل عتمان، اعمل لكم مناطق جوهر مثله، حتى تفتخرو[ا] على ابناء جنسكم ! فقالو[ا] له : حاضر، يا بيه، ما بصير الا زى ما بدك ! فطالع اعطا لكل واحد خمسه زهبات، وقال لهم : هدول بخشيش من عدى معاشكم. فاخذوهم منه وقالو[ا] له : ربنا ياديك الخير، ويجبر بخاطرك ! فقال بيبرص :

٧٠- أي : لا تصيحوا ولا تغضبوا.

٧١- سورة المائدة، ٣٩ .

٧٢- كذا، اي : أضمنكم.

٧٣- أي : عيّنه.

يا عتمان، خذ معك منهم عشر انفار، وروح جيب اواعينا من بيت الوزير نجم الدين. قال له : حاضر ! واخذ عشره، وراح جاب الاغراض واجا، وباتوا ذلك الليله، وقاموا تانى يوم، استلموا مصالحهم، واقاموا على ارغد عيش وهناء، هذا ما كان منهم.

قال الراوى : يا اخوان، صلو[ا] على خير الانام، حتى يشفع لنا ولكم يوم الزحام ! قال... كان لعتمان نظير بمصر اسمه حرحش، وله عزوه[٧٤] اربعون ازعر، مثل عتمان، وكانوا الاثنين اضداد مع بعضهم، فلما تاب عتمان، وجاب رفقاته خدمهم عند بيبرص، وصاروا يدوروا بمصر، كل واحد كانه وزير، بالسلاح والطقم المعتبر والمناطق الجوهر، فانقهروا على حالهم جماعه حرحش. الى ليله كانوا سهرانين مع بعضهم، فقال واحد منهم : لا، يا علوق، جماعه عتمان بعد ما كانوا بالزلوط، صاروا دى الوقت زى القباطين، وصار عندهم الذهب والعتمانى حكم واحد ! فلما سمع حرحش ذلك الكلام، انقهر على جماعته، لانهم صفيانين بالزلوط، وما معهم المعامله، ولا عادو[ا] يقدروا يمدوا يدهم الى حاجه، مخاف من عتمان، لانه صار بباب الحكومه. فقال لهم : يا كدعان، عمال تسمعونى : انه جماعه عتمان، احسن منا، والنبى، لابيع روحى قدامكم ! ان نفدت، كان بها، واخلى كل واحد منكم يصير زى الوزير، وان ما نفدت، بكون اجلى خلص ! فقالو[ا] له : طيب، مرادك تعمل ايه ؟ فقال : مرادى، ليله غداً، روح اكبس[٧٥] سرايه باديس، واذبح عتمان واغته وجماعته، وانهب السرايه. خذوا اهبتكم[٧٦] على ذلك ! فقالو[ا] : طيب ! عليك نور، يا خوى !

قال... وكان فى واحد بينهم، بحب عتمان.

قال... فلما سمع ذلك الكلام، اصطبر لتانى يوم، تبدل وراح لعند عتمان، واخبره بالقصه. قال له : عليك نور، يا خوي ! روح بحالك ! وانا اعرف شغلى ! بعده نتواجه. فراح الأزعر بحاله، وعتمان اصطبر لتانى ليله، حتى نام بيبرص، وطلع نزل

٧٤- عزوة، أي : مجموعة من الأصدقاء والإخوان.

٧٥- كبس، أي : داهم، هجم فجأة.

٧٦- أخذ أهبته، أي : استعد، تأهّب.

المماليك كلهم، والاربعين ازعر، وحطهم بدهليز السرايه، وقال لهم : لا احد يغوش، ولا احد يتحرك، حتى اعطيكم الصوت ! فان قلت لكم : طقوا عروا، طقوا وعروا ! وان قلت لكم دغدغوا [٧٧] وعروا، دغدغوا وعروا ! وراح على ورا الباب، وسكره، وفتح باب الصغير شيء جزئي، ولطى[٧٨] وراه.

واما حرحش، يا اخوان، فانه اصطبر حتى صار هدؤ من الليل، اخذ جماعته[٧٩] وسار على سرايه باديس، واوقف الزعر بعيد، وهو قدم وحده على باب السرايه، وحط يده على باب الصغير، لقاه مفتوح، فتركه ورجع لعند جماعته، وقال لهم : ايو ! يا كدعان ! رحت لقيت الباب مفتوح ! عجب ! ليه مفتوح ؟ فقالو[ا] له : انت اعرف بشغلك، ايوه، يا كدعان، الباب مفتوح، تحت ثلاثه معانى : الاول، عتمان متكبر بحاله، ويقول بذاته : انا انام واخلى الباب مفتوح، ولا يقدر احد ان ياخذ من جهنم نار ! والثانى : المال يدهش العقل، ومن كثر المال، نسى الباب مفتوح ! والثالث، يا كدعان، بكون واحد منكم راح اداله خبر، وهو خلى الباب مفتوح، وكمن وراه. وكان تحصيله طيب، وقد صابت معه بواحده من الثلاثه.

واما جماعته، لما سمعوا منه ذلك الكلام، قال له : الازعر الذى اخبر عتمان، ايوه، يا حرحش ! انت قلبك اسود ! ليه، عندنا عتمان احسن منك ؟ فقال لهم : ايوه، اصبروا، لما اعمل دى الصنعه، واخذ العصايه، ولف عليها لفت ازعر. وقال لهم : الحقونى شويه شويه، واجا فتح الباب، ومد العصايه، وصار يلوح فيها يمين وشمال، على كسم الراجل، وقال لحاله : ان كان عتمان ورا الباب، فانه يضرب العصايه، ويروح ضربه بطال ! فلما لاح بالعصايه، ضحك عتمان، وقال : دا العرص، بده يورطنى، ودى صنعتى.

واما حرحش، يا اخوان، فانه لما نظر ما احد ضرب، قال : مافش احد، خشوا جوه، يا كدعان ! ودخل، هو قدامهم، فعتمان اصطبر حتى دخلوا كلهم، وزحل بعياقه[٨٠]، وطرق حرحش بين اكتافه، وصرخ : ايوه ! دغدغوه وعروا ! وطلعت الزعر والمماليك،

٧٧- دغدغ، أي : داعب، ناغش.

٧٨- لطى، أي : إختبأ.

٧٩- وفي المخطوطة كلمة مبهمة وكأنها : عماته.

٨٠- زحل بعياقة، أي : اقترب زاحفا بسرعة وخفة.

وكمشوا الاربعين، قبضاً باليد، وشعلوا الضو، فقال عتمان : سلامات، يا حرحش ! وقعت، والا رماك الجمل ؟ ايو، هنا جايه تتسوق، يا خوى ! فقال له : بعرضك، يا عتمان ! فقال له : كيف بعرضى، يا دنس، وانت جايه تموتنى، وتاخذ الفلوس، ودى الوقت تقول لى بعرضك ! ولكن دى الوقت، ان انا موتك، بدها تصير لك فخره، ولكن انا اعمل لك صنعه، ما خليك تهدى بمصر، وخلى الدود ياكل جنابك ! ثم كتفه، وسطحه فى الارض، ورفع له الزعبوط عن دبره، وقال للمماليك : تعالوا، يا مناويك، خنتوه كلكم ! فصاروا المماليك يبزقوا على دبره، ويقولوا : (الله بلا ورسن) حرحش ! وعتمان يعيط، ويصرخ، ويقول : ايوه، خنتو[ا]، لدى المعرص !

ففاق بيبرص على الضوجه، فقام غرف[81] اللت، وطلع يركد لبره، وصرخ : بره ! عتمان ! ايش الخبر ؟ فقال له : ايوه ! لا تغوش، انت اكعص منا كلنا، تعال خنتو قبل الكل ! فضحك بيبرص، فقال له : شوهد (ولاً) ؟ فاحكاله الحكايه، فطلع بيبرص، يرا اربعين ازعر مثل الشواهين، وهم مكتفين ومرمين فى الارض. فقال : عفرم، عتمان ! فقال له حرحش : يا بيه، انا بجيرتك ! وانى تايب لوجه الله ! وان كنت تريدنى، اخدم عندك، والخاين خيله الله ! قال عتمان : طيب، دى الوقت، انت اخى ! وبالحال اطلقه، وقال للزعر : وانتم كمان، تتوبوا، وتخدموا عندنا ؟ فقالو[ا] له : نعم ! ونحن دائماً بين يديك، يا عتمان ! هنالك اطلقهم، ونيمهم ذلك الليله، وقام تانى يوم، اخذهم على الحمام، وجاب لهم بدلات الجوخ، واخدهم على مقام السيده غفيره مصر، وتابوا توبتاً نصوحه[82]، وجابهم لعند بيبرص، قال : عفرم، عتمان ! شاف الجماعه، قال : ما شاء الله ! وقيد اسمائهم، وربط لهم معاش، واعطاهم بخاشيش عداً عن معاشهم، واكرمهم غايه الاكرام، واقاموا عنده على احسن حال.

وبعد يومين، بيبرص قاعد بالسرايه، وجايه الطلب : قوم كلم الملك ! قام طلع على الديوان، اخذ اتك الملك، فقال له : الله يعطيك العافيه ! لسع ما خلصت ترتيب

٨١- غرف، أي : أخذ بملء يده.

٨٢- كذا، سورة التحريم، ٨.

السرايه، يا ولدى ؟ قال له : خلصت افندم، ولكن صايره السرايه معتمه، لا تتنور الا بوجود امير المؤمنين ! فقال له الملك : لكان، بدك تعزمنا، يا ولدى ؟ قال له : معلوم، افندم ! حتى تتنور السرايه بانظارك ! فقال : لكان، روح كمل اغراضك، ونحن يوم الجمعه، نصلى ونطلع لعندك، انا والاعيان، والقاضى. قال له : امرك، افندم ! واخذ اتكه، ورجع على سرايه، وصرخ على عتمان، وقال له : بدى منك عشى يكون اوسطه لاجل السرايه ! قال له : كندى، والعشى على شان ايه ؟ فقال له : يوم الجمعه، جايه الملك والاعيان، يباركوا لنا بالسرايه. قال له : كندى، رايح اجيب لك العشى حسين، الذى كان بالاوضه لار، دا راجل طيب، ونفسه على الطعام. فقال له : ايه، روح هاته.

وكان الرجل، من حين طلعوا المماليك من الاوضه لار، وهو بطال، وهو اوسطه بكار العشى، ولكن حظه قليل، والماده كلها تحط على الحظ. كان ذلك يوم، جالس متفكر بحاله، ونافد لعنده عتمان، فقال له : اهلاً وسهلاً، عتمان ! قال له عتمان : سلامات، ياوسطه حسين ! ايوه، يا خوى، الكندى نيبرص طلب منى عشى، فقلت له عنك : بخشيشي عليك. [فقال :] ايه، يا خوى، الذى تريده، يا عتمان ! قال له : ايوه، ما اريد منك شى، غير ابو عفيس، كل ليله صحن، وهى عفيسه بدبس[٨٣]. وكان عتمان – نعمه الله عليه – يحبها كثير. فقال له حسين : تكرم، يا عتمان، دائما، انا خدامك ! فقال له : طيب، قوم، يا خوى، ربنا يجبرك، واخذه وسار لعند بيبرص، فلما وصل حسين، اخذ اتكه، ووقف. فقال له : بابا، عندك صناعيه ؟ قال له : افندم، عندى عشرة صناعيه كدعان، مافش زيهم ! فقال له : روح هاتهم، وتعال ! فراح الاوسطه جابهم واجا، فكتب بيبرص اسمائهم، وربط لهم معاش، وسلمهم الكلار[٨٤]، وقال الى الاوسطه : يوم الجمعه، عندى الملك والاعيان، بدى منك تعملى طعام مفتخز ! قال له : حاضر، يا بيه ! وتشمروا،

٨٣– عفيسة بدبس، أي : وجبة طعام يمزج فيها الخبز الطازج الطري بالسمن والدبس (أي : عصير التمر أو العنب أو الخروب أو الرمان إلخ، يطهى حتى يتحول إلى رب برخاوة العسل)

٨٤– كما سبق، الكِلار، كلمة تركية، أي : المكان الذي تخزن فيه المؤونة.

وصاروا يعملوا المبردات والحلويات، الى ان اتا يوم الخميس، باشروا بالوان الزفر.
واما عتمان، يا اخوان، فانه راح لعند واحد عطار عند باب المتولى، وقال له : السلام عليكم ! فقال له : اهلا بعتمان ! خبر ايه ؟ قال له : ايوه، يا شيخ موسى، انا تبت، وربنا تاب علي يا خوى ! قال له : اى، والله معاى خبر ! قال له عتمان : ايوه، يا خوى، دى الوقت اشترينا سرايه باديس ! فقال له : السبع بركات، يا عتمان ! قال له : بس، يا خوى، مالنا عمال نقدر ننام، من كثر الجرادين والفار ! قال له : معلوم ! بحيث كانت مهجوره، وقد صار لها زمان مسكره. فقال له : ايوه، يا خوى، اديني بنصفين فضه سم الفار، وحطلى معهم وشويه حنتيت[٨٥] : الأفات للجرادين والفار. وكمان اريد وقيتين بهارات مشكله، يكون كويسات ! ومد يده، وطالع حقهم بالزايد، وناوله اياهم، فقال العطار : آه ! متى كان عتمان يشترى شروه ويدفع حقها ! والنبى، صحيح ربنا هداه.
قال... فاخذهم عتمان، ورجع على السرايه، بات ذلك الليله الى تانى يوم، فز بيبرص وصار يرتب اغراضه، الى ان صار وقت الصلاه، راح صلى الجمعه مع الملك، وطلع وقف بباب الجامع، حتى انتصب الالاى، وركب الملك، فمشى بيبرص بركابه، وتوجهوا طالبين سرايه باديس، الى ان وصلوا بدربهم، لعند جسر قناطر السباع.
وكان ذلك الجسر متخرب من طولة الايام، وصاير الدرب وعر، فقامت تعست البغله بالملك، كاد ان يقع من على ظهر البغله، كان بيبرص اخف من النسيم، غرف البغله بالملك، ومشى فيه لاخر الجسر، فقال الملك : ما شاء الله ! يا حاج شاهين، على قوة بيبرص ! لكن الله يبعث لنا واحد يعمر لنا هذا الجسر، ويكون ابن حلال، لانه بده اموال بليغه ! فقال له الوزير : افندم، الله كريم، ان شاء الله، بتعمر بالانظارك[٨٦]، وحسب دعاك ! فسمع بيبرص الكلام، فنوى انه يعمره من ماله، وصلب حاله.
ولازالوا سائرين، الى ان وصلوا للسرايه، ركد بيبرص حافى، قدام الملك، وقال له : افندم، الله يجبر بخاطرك، مثل ما جبرت بخاطرى ! وانا رجل غريب، ومسك

٨٥- حنتيت، أي : نوع من الصمغ يساعد على الهضم.
٨٦- كذا، بانظارك.

الركابه للملك، حتى حول، ودخل للسرايه، وصار يتفرج، الى ان وصل لقاعه بالصدر، جلس بصدر المكان، وجلست حواليه الاعيان، وركد بيبرص، قدم لهم المشروبات، والقهوه، وطلع لبره، وقال لعتمان : قوم، هتلي القلفا باشي[٨٧] بالعجل ! فطلع عتمان يركد، جابه واجا، فقال له بيبرص : شوف، يا اوسطه، بدى تعمر لى هذا الجسر قناطر السباع، من هلق للساعه احدا عشر، يكون خالص، حتى يمر عليه الملك ! وشوف قديش بدك اموال، خوز بالزايد ! فقال : امان افندم، هذا مع الهمه القويه، بيحتمل شهرين عمل، حتى نخلص شغل، بقا كيف بده يخلص للساعه احدا عشر ؟ فقال له : ما بعرف، تدبره كيف ما كان، بس يمرق الملك، وبعدها كمله، وساويه مليح ! فقال له : امرك ! وبالحال طلع يركد الى مصالحه، له كلام. واما عتمان، فانه دخل لعند الملك، وقال : سلامات، معلم صالح ! دى الوقت تمكعصنا ! فقال له الملك : اهلاً، شيخ عتمان ! قال : صحايفك، وصحايف مناويكك ! قال : ايوه، يا خوى، عايز تلبس[ـنـ]ـى شاويش السفره ؟ فقال له الملك : طيب، لبستك. ولكن لا تجيب الاكل، حتى انا قول لك ! قال : حاضر، يا معلم صالح ! قربانك، وقربان خشيمك !

قال... وكان الملك – رحمة الله عليه – لاحظ على بيبرص انه بدوه يعمر الجسر، فصار يلهي الأعيان بالكلام والمحادثه، وتارة يعمل ذكر. وكان بعض الاعيان تموا[٨٨] من غير فطور بذلك النهار، بحيث يعرفوا حالهم انهم معزومين، فقعدوا قدر ساعه ساعتين ثلاثه، داخو[ا] من جوعهم، فقال قلون : امان (قارداشلى)[٨٩] ! والله، انا صفرنتك[٩٠] من جوعك ! وهذا افندينا، جبتك لهون حتى يعملتك زكر سيد احمد بدوى ! فقال له واحد : (طور ياواش)[٩١] ! قال له : ناصل[٩٢] يا واش، والله،

٨٧– القلفا، كلمة إيطالية الأصل، أي : نجّار مختص بالسفن.

٨٨– أي : بقوا.

٨٩– بالتركية : أخوة.

٩٠– صفرن، أي : داخ.

٩١– طور(عربية الأصل)، أي : نوع ؛ ياواش (تركية)، أي : على مهل.

٩٢– بالتركية نسيل، أي : كيف ؟

قلبك وجعك ! فقال له : يعني ايش يعملتك، بطلعتك بيدك شي، الا حتى يامرتك باد شاه ! والحاله هذه طيبهم غصباً عنهم، صبروا.

واما الملك، يا اخوان، لا زال صابر حتى عرف انه الجسر تعمر، هنالك صرخ على عتمان، وقال : هات السفره ! قال : حاضر ! وركد مد السماط، وطلع صرخ : واك، يا حرحش ! قال : ما لك، يا عتمان ! قال له : خوز الورقه دى، واعطاه الورقه الذى فيها البهارات، وقال له : كلما دخلت بصحن، ادينى حته، من شان الريحه. قال له : حاضر ! واما عتمان، حط ورقه السم بحزامه، وجاب صحن شوربه، واخذ من حرحش شويه بهارات، ورشهم فوقها، فشافه بيبرص، طلع يركد، وقال له : ولك، شو هذا ! قال له : ايوه، دول بهارات، لاجل الريحه، اهو بص بعينك ! فشم بيبرص، لقاها ريحه طيبه، قال له : مليح ! ثم دخل عتمان بالطاسه، لقدام الملك، ورجع جاب صحن تانى، حطه قدام الاغا شاهين، ورجع جاب صحن، ورش عليه من حزامه، ودخل حطه قدام ايبك، لانه كان من حزب القاضى، يبغض بيبرص، ثم جاب صحن للقاضى، وحطه من حزامه، ولازال يصف صحون، ويحط للمحبين بهارات، وللمبغضين من حزامه، حتى انتهت السفره، وقال الشاويش : تفضلوا ! والعاده، ما احد بقدم، حتى ياكل الملك لقمتين، فاكل الملك اول لقمه والثانيه، انتعش بدنه، فقال : الله يعطيك العافيه، يا عتمان ! وامر الاعيان ان تاكل. قال : فطلع عتمان، وقف الشباك، وقال : حتى اتفرج كيف بدهم يموتوا، دول العروص ! قال . . . يا اخوان، فلما مدوا ايديهم واكلوا، فالمحب اكل لقمه منها، والمبغض حين حط اللقمه بتمه، صرخ : امان ! قال لهم عتمان : موتوا ! عاد كالكم العما ! كان يركد القاضى، وايبك، وقلون، على العتبه، وصاروا يبزقوا، ويقولوا : امان ! يالملك، بيبرص قتلنا بالسم ! قال الملك : شو هذا، يا حاج شاهين ! نحن ما اكلنا ؟ بلاقى ما صار لنا شى.

واما بيبرص، يا اخوان، فانه انحول نظر، لما شاف هذه الشوفه، فقال له القاضى : انت بدك تسمنا، يا بيبرص ! فقال له : والله، ما عندى خبر، وانا باكل من صحنك ! ومد يده حتى ياكل، صرخ عليه عتمان : كندى، ايو ! لا تاكل ! دا فيه سم الموت ! فلم سمع بيبرص ذلك الكلام، غرف اللت، واراد ان يلحق عتمان

يضربه، فصرخ عليه الملك، وقال له : وحيات راسى ! ما بتلحقه ! وصرخ لعتمان : تعال، فوت، لا تخاف ! وحيات راسى، عليك الامان ! قال له : ادينى فت ! فقال الملك : ليش هيك عملت ؟ فقال له : ايوه، يا معلم صالح، دول ما يحبونا، القاضى، ونيبك، ووقوقون، والذى ما يحبنا، يموت احسن ! فضحك الملك، وامر ان يقيموا ذلك الصحون، ويجيبوا غيرهم، وصار بيبرص ياكل من كل صحن لقمتين لقمتين، وبعدها قَلُن[٩٣] الملك : قدموا بقا كلو[ا] ! هذا عتمان عمال يلعب معكم، واحد مجذوب، ما عليه حرج [٩٤].

قال... فقدموا اكلوا حتى شبعوا، ثم رفعت الذبادى، وغسلت الايادى – انا وانتم نصلى على النبى الهادى – ثم قال الملك : قوموا بقا، حتى نتفرج على السرايه، ونترحم على الذى عمرها ! فقاموا، وصاروا يتنقلوا من مطرح لمطرح، ويتفرجوا، الى ان وصلوا لمطرح، لقوا باب قصير، فقال الملك : افتحوا لنا هذا الباب ! فقاموا فتحوه، وجدوه عقد قبوا، موجود فيه حلة [٩٥] ذهب كبير. وكان بيبرص لسع ما شافه. فقال القاضى : هذه، لازم تنظبط الى بيت المال ! قال الملك : ليش، يا قاضى ؟ قال له : افندم، بحيث انها طميره تحت الارض. فقال له الملك : ليش بيبرص ما تشترى[٩٦] من فوق الارض بعشرين زراع، ومن تحت الارض بعشرين زراع ؟ فوت، بالله عليك، يا قاضى، هات لنا كم ذهب، حتى نتفرج عليهم.

قال... فدخل القاضى، وار[ا]د ان يغرف، وكف اجاه، طير بزر مخه ! فصرخ صوت من صميم فؤاده : آخ ! وجهى ! فقال الملك : شو بك، يا قاضى ؟ فقال له : افندم، هذا المال مرصود ! قال له الملك : ايه، قول لحالك، واعتبر ان الذى لك، محرم على غيرك ! والتفت الى بيبرص، وقال له : فوت انت مد يدك، هات لنا شويه حتى نتفرج عليهم.

قال... يا اخوان، دخل بيبرص، وطالع لهم شويه وطلع، ولا احد استعرضه. فقال الملك : شفت، يا قاضى، النصيب لمين ؟ لا بقيت تعترض ! واعلم انه من عائد

٩٣- أي : قال لهم.

٩٤- سورة النور، ٦١.

٩٥- وعاء له شكل قدر كبير.

٩٦- كذا، اشترى.

المسعد، مات وهو مكمد ! قال له : صدقت، افندم ! ثم الملك اخذ من الذهب وقراه. لقا الوجه الواحد مكتوب : لاله لاله[٩٧]، محمد رسول الله. والوجه الثاني : ضرب بمصر باسم باديس السبكي.

قال . . . فترحم عليه الملك، ورده الى بيبرص. واما الاعيان المبغضين، فانهم كلما[٩٨] دخل عليهم الحسد، ولكن ايش يعمل الحاسد مع الرازق ؟ ثم ان بيبرص ترك الملك عمال يتفرج، وراح على الخزنه بتاعة باديس، وطالع سبعة وعشرين قلف[٩٩] باديسى، وسبعه وعشرين كسمايه[١٠٠] وكان القلف مثل الترث[١٠١] فوق الكسمايه، وهى عدة حصان لا تتفتح بها الابصار. ثم طالع سبعه وعشرين راس خيل، لبسهم ووقفهم قدام باب السرايه، فقال له عتمان : كندى، دل ليه طالعتهم ؟ فقال له : بدنا نقدمهم للملك، حتى نغسل دنبك الذى فعلته ! قال له : طيب ! ولكن قلبه تحسر عليهم، ويقول : يا خساره ! وصار يقول : (يا خساره عليهم)، دول كويسين.

واما الملك، فانه بعد ما خلص فرجه، صرخ على بيبرص، وقال له : يا ولدى، بهذه المعامله الذى لقيتها، عمر لك سوق، حتى تصير الناس تترحم عليك ! ثم طلع لباب السرايه، والاعيان طلعت قدامه، ووقفوا وصاروا يتفرجو[ا] على ذلك اليدكات[١٠٢]، ووقفت الناس صف ورا صف حتى يتفرجوا على شى عمرهم ما شافوه ! ولما طلع الملك، ركد بيبرص، اخذ اتكه وقال له : بترجاك، يا سيدى، ان تقبل منى هؤلاء، على بركات الرسول ! فقال الملك : ما شاء الله كان ! مليح، قبلناهم من شانك، وانت، اقبلهم منا كما قبلناهم منك ! والتفت للقاضى، وقال : اذا رجعناهم له، ما هو احسن ؟ لاننى انا، صرت رجل على حفت قبرى ! ولكن

٩٧- كذا، لا إله إلا الله.

٩٨- كذا، كلهم.

٩٩- قلف، كلمة تركية عربية الأصل، أي : غطاء.

١٠٠- لم نعثر على معناها.

١٠١- كذا، ترس.

١٠٢- اليدك، أي : الحصان الذي يستبدل به الفارس مطيته المتعبة.

بيبرص لساه بتجيه ايام يحتاجهم، ما هو هيك، يا قاضي، على الحساب انت بتعرف الكل ! قال : مناسب، افندم ! ولكن كاد ان يطق، هو وجميع المبغضين. واما المحبين، فانهم صاروا يقولو[ا] : الله يهنيك، يا بيبرص ! والله انه مستاهل ! ثم ركب الملك والاعيان وساروا.

قال . . . فلما وصل للجسر، يراه معمر، فقال : هوه، يا حاج شاهين ! من هذا فاعل الخير، الذى ساوى لنا الجسر بغيبتنا ؟ ما شاء الله ! نحن بالجيه دعينا له الله، يبعث له ابن حلال يعمره، الله استجاب دعانا قوام ! قال له : افندم، دعاكم لا يرد ! ولكن الذى فعل هذا الخير، لا اعلمه ! والتفت للعمال الذى عمروه، قالو[ا] له : افندم، الامير بيبرص ! فالتفت الملك للقاضي، وقال له : اسمع، يا قاضي، ما شاء الله على هذا المخلوق بيبرص ! قديشه زكي ! حالاً عمر الجسر، حتى ما نتعذب ! شفت، يا قاضي، شفت – الله يرضا عليه – مسعد مسعد ! قال له : نعم، افندم ! ولكن ما هو وعيان على الانام من الذى شافه بسرايه باديس. وراحوا الى اماكنهم، وبيبرص رجع كل شي الى مطرحه، وبات ذلك الليله، وقام تاني يوم، وقال لعتمان : روح اندهلي بنا امين، والقلفا باشي. قال له : حاضر ! فراح جابهم واجا، فلما دخلوا لعند بيبرص، اخذوا اتكه، وسلموا عليه ، فترحب بهم، وامر لهم بالجلوس والمشروب، شربوا وانبسطوا، وبعدها سئلهم عن الجسر، فقالو[ا] له : افندم، الورشه عمال تشتغل، مو صاير قصور ! انشاء الله، بصير جسر، ما صار زيه بمصر ! قال لهم : طيب ! بدى اشتغل شغله خيريه، تعاونونى فيها، باجرتكم. قالو[ا] له : اءمر[١٠٣]، يا سيدى ! قال لهم : بدى اعمر سوق، يكون شاهرلى[١٠٤]، حاوى على جميع ما يلزم، من جامع، وحمام، وطوابين[١٠٥] للخبز، وبيوت على عدد الدكاكين ! فقالوا له : حاضر ! فقط، بدها اموال بليغه، هذه الشغله ! فقال لهم : اشتغلوا،

١٠٣– كذا.

١٠٤– شاهرلي، أي : ملوكي. شاهر، بالفارسية، تعني المدينة أو الملك، ولى، بالتركية، تدل على النسبة.

١٠٥– الطابونة ج طوابين (أو ات)، أي : المكان الذي تطهى فيه المعاجن وخاصة الخبز، ويقال كذلك الفرن.

ومهما طلبتم، مستعد للدفع، بس بدى شغل مرستأ[١٠٦] عن اتم المرام ! قالو[١] له : حاضر ! وقاموا راحوا، غابوا حصه زمان، ورجعوا، قالو[١] له : افندم، هذه هندزنا لك، قاطع[١٠٧] السرايه، بشويه، مائه وستين دكان، ومائه وستين بيت، وجامع، وحمام، وفرنين ! قال لهم : مليح ! والبسهم بنشات، وقال لهم : اى، بابا، الصانع بكام، والمعلم بكام ؟ قالو[١] له : افندم، الصانع باربعه مصارى، والمعلم بخمسة مصارى. فقال لهم : لا، بابا، هذا قليل ! انا، عندى الصانع بخمس مصارى، والمعلم بسته مصارى، بس بريد منكم شغل بحق الله ! فقالو[١] له : طيب ! ان شاء [الله]، يصير لك سويقيه، ما صار زيه بمصر ! فقال لهم : بارك الله بهمتكم ! وقاموا راحوا، وتانى يوم ابتداؤ بحفر الأساس، وبعد، طلعوا فى البنا، والامير بيبرص يبحت[١٠٨] لهم ذهب، الى مدة ثمانية اشهر، انتهت العامره جميعها، فلما خلصوا، عمل لهم البنشات، واكرمهم اكرام زايد الوصف، واصرفهم، ومضت الماده كام يوم، الى ليله اجا الامير بيبرص من الديوان، وجد اثنين اختياريه قاعدين بالسرايه، عمال يستنظروه. فقال لعتمان : من هؤلاء ؟ قال له : كندى، هدول امام ومختار المحله.

قال . . . فقدم بيبرص، وسلم عليهم، وترحب فيهم، وامر بالعشا. تعشوا وانبسطوا، وبعدها قعدوا للمحادثه، فقالو[١] له : يا بيه، انت ساويت هذه السوقيه للسكن. قال لهم : لكان من شان ايش ! قالو[١] له : يا سيدى، جنابك عملتها حسنه، رايحه تطلع سيئه ! قال : ليش، يا بابا ؟ قالو[١] له : افندم، بحيث انها فاضيه، صارت ماؤى للمعترين، كل من يكون له صاحبه، او شابك له صبى، يجى للسوقيه. فقال بيبرص : اى، والله ! صحيح، يا بابا ! واكرمهم، واصرفهم، والتفت الى عتمان، وقال له : بكر[ه]، بدى منك مائه وستين رجل مكسورين. قال له : حاضر! وباتوا ذلك الليله، واصبحوا تانى يوم، قام بيبرص، راح على الديوان،

١٠٦– مرستأ (أو مرستق)، أي : مرتب، كلمة فارسية الأصل (انظر *لسان العرب*، رزدق).

١٠٧– قاطع، أي : خارج.

١٠٨– يبحت، أي : يبعث.

وعتمان راح جاب مائه وستين رجل، ما بين اكتع[١٠٩]، واعرج، وما اشبه ذلك، وسحبهم، وطلع بهم على الديوان، وقال له : كندى، بص، دول ما فيهم ولا احد صاغ ! فضحك بيبرص، وقال له : الله لا يعطيك عافيه ! انا قلت لك روح اجمعلي العاطلين والسقط، ثم اكرمهم واصرفهم ! وقال : ولك، انا بدى ناس اصناف، مثل سمان، ولحام، وخباز، يكونوا جماعه اوادم، والدهر مايل عليهم[١١٠] ! قال له : طيب ! دى الوقت فهمت ! وراح غاب حصه ورجع، وجايب معه جماعه معتبرين، اولاد ناس اوادم، وقال : كندى، بص ! دول كلهم اولاد نعم، والدهر حاطط معهم، ذى ما قلت ! قال له بيبرص : عفرم، عتمان ! انا هدول مطلوبى ! وقال الى واحد منهم : بابا، انا بدى اعطيك بيت تسكن فيه ودكان، تقعد فيهم سنه بدون اجره، وادفع لك مائه قرش من غير فايظ[١١١]، لمده سنه، ومن بعد السنه دندار[١١٢]، تعطينى اجره، وتسدنى من الرسمال، ولكن بدى بضاعه نظيفه، واواق [١١٣] زايد، حتى يستنفع الفقير، وتشتغل دكانك. قال له : حاضر، يا سيدى ! الله يطول لنا عمرك !

قال... فطلع بيبرص مايه قرش، وناوله واصرفه، وجاب الثانى، وحاكاه مثل الاول، واعطاه واصرفه، واحد بعد واحد، حتى اعط الجميع. وتانى يوم، مر من على السوقيه، لقا شى – ما شاء الله – من عطار، وخباز، وسمان، ولحام. والحاصل فتحت السوقيه، وصار البيع والشرا، مثل قدح زناد[١١٤] . وبعدها، نزل الامير بيبرص، رتب الجامع، جاب له مازنين، وخدم، وسجاد، وخصص له وقف من بعض الدكاكين، شى يقوم فيه. وصارت ذلك السوقيه، شارع ما له مثال بمصر، وصارت الناس تاتى من كل ناح، لانها نظيفه، وبضاعتها رخيصه، على مدّت شهرين من الزمان.

١٠٩– أكتع، أي : كسيح.

١١٠– والدهر مايل عليهم، أي : يمرون بمرحلة صعبة ويواجهون مشاكل عدة.

١١١– فايظ (وهي الفائض)، أي : الربى.

١١٢– دندار (أو تندار)، أي : تبدأ.

١١٣– أواق، أي : وزن. والمقصود ألا يقصر التاجر عند وزن البضائع.

١١٤– قدح زناد، أي : كلمح البصر. والزناد حجر، إذا ما ضرب بمثله خرجت منهما النار.

قال الراوى : يا ساده، وكان الى الوزير ايبك التركمانى سوقيه قريبه الى سوقيه الأمير بيبرص، وهو عاطيهم البيوت والدكاكين بالأجره الزياده، والمال بالفايظ، وهم دائما مساكين، متغلبين بمال الفايظ، وهم عمال يقيموا قاووق هذا، يلبسوه لهذا، حتى ممشين حالهم.

قال . . . فلما تعمرت سوقيه بيبرص، دقرت معهم الحماره[115]، ولا عادوا استفتحوا، ولا عاد ضاينوا[116] شهرين، الا [بـ]الف جهد الجهيد، كل نفس ذائقه الموت[117]، والوزير ايبك لاحقهم بالاجره والفايظ، ولا هم قادرين يدشروا، لانه مكسور عليهم مال كتير، وخصمهم صعب، والويل ثم الويل لمن كان حاكمه خصمه. فقالو[ا] الى بعضهم : كيف الراى، يا كدعان ؟ فختم رايهم انه يروح منهم عشر اختياريه، يشكوا دعواهم للوزير، حتى يشوفوا شو بيطلع من الجواب. فجتمع منهم عشرة اختياريه، وتمشوا الى عند الوزير، دخلوا قبلوا يديه، فأمر لهم بالجلوس، وقال لهم : ايش تريدوا ؟

قال... فاحكوا له حكايتهم كما شرحنا. فقال لهم : ان الذى لا يعجبه، يجبلى مالى ويطلع، اذا كان بيبرص ملاقى كنوز، انا مالى ملاقى كنوز، يالله بره ! وقلعهم، ولا قبل لهم دعوه، وقلعهم. فطلعوا الجماعه، يا كبه، يا عتره[118] ! وبعد ما راحوا، صفن الوزير، وعرف ان سوقيته وقفت، وبعدها تتسكر وتلطتم. كيف بده يعمل ؟ ثم صرخ على بعض الاتباع، وقال له : اشعل الفنار ! وفز لبس، وسار لعند القاضى، فلما دخل، لاقا له وسلم عليه، فقعد شرب القهوه، وقال للقاضى : كيف العمل، يا قاضى افندى ؟ قال له : شو الخبر ؟ فحكا له ايبك بما تقدم.

قال... يا اخوان، فصفن القاضى حصه، ورفع رائسه، وقال له : انا اقدر اعمل لك حركه، اخلى سوقيه بيبرص تسكر، وتصير مأوى للكلاب، فقط بدك تغض النظر

١١٥- دقرت معهم الحماره، أي : توقفت أعمالهم. والصورة تشير إلى الحمار الذي يتوقف بعناد.

١١٦- ضاينوا، أي : تمكنوا من مواجهة الوضع فداموا على تلك الحال المدة المذكورة.

١١٧- آل عمران، ١٨٥.

١١٨- يا كبه، يا عتره ! أي : خسروا كل شيء فصاروا يتأسفون.

عن ابن اختك قراجق افندى ! وكان ايبك له ابن اخت، رجل دين، ع[ـا]لم، ناس ملاح، تقوى من اهل الصلاح، ومن كثر صلاحه، لبسه الملك محتسب، والناس مرتاحه على زمانه غايه الراحه. فلما قال له : بدك تغض النظر عن ابن اختك، قال له : ليش اغض النظر عنه ؟ فقال له القاضى : لأنه مدام ابن اختك المحتسب، لا نقدر نعمل شيء، الا اذا كنا نصرفه، ولا نسئل عنه ! فقال له ايبك : والله، اذا اردت ابنى احمد، خذه اقتله، بس انزع[119] على سوقيه بيبرص ! فقال القاضى : انت، قوم روح بحالك، انا هذا شغلى. عن قريب، ما بتلاقى الا سوقيه بيبرص تسكرت.

قال... فقام ايبك، راح بحاله، والقاضى قام ابتدع بدعه شيطانيه، ابليس ما لحقها ويعجز عنها، وهو اشتغل ميزان من النحاس، وعمل له قب مجوف، وعمل له براغى والآت، مثل الآت السعه، اذا مسكه الانسان من عند الاب، وكبس البراغى، فانها تعلا كفه، توطا كفه. بقا هو وكيفه، اذا اراد ان ينقص الوزنه عشره دراهم، او اقل او اكثر، على حبه. وبعد ذلك، بعث طلب قراجق افندى، فحضر الى عنده، تسلم عليه، وترحب فيه، وامر له بالمشروب، وبعدها قال له : كيف اهل مصر واحوالها ؟ قال له : عال العال، يا قاضى افندى ! قال له : اشلون، على علمك، سوقيه بيبرص ؟ قال له : والله، يا قاضى افندى، لو كان فيه سوقيتين لخار[120] بمصر مثلها، ما كان الفقير ينضام[121] ابداً ! فقال له القاضى : وسوقيه خالك، اشلونها ؟ قال له : والله، يا قاضى، خالى لازمه شنق، على باب سوقيته ! قال له : ليش يا ولدى ؟ قال له قراجق : لانه خالى ما فيه دين ! اكال فايظ، يتقاوا على الفقير، مخلى اهل سوقه بالزلوط، وهو دائما لاحقهم بالفايظ ! فقال له القاضى : لا، يا ولدى، احد يقطع منخاره من بين عيونه ! هذه سوقيه خالك التطمت ! قال له : انشاء الله هلق تخفس[122] على راسه ! شو عامل انا ! فقال له القاضى : لا، يا

١١٩– نزع، أي : أفسد.

١٢٠– كذا، أُخَر. وبالفصحى أخريين.

١٢١– ينضام، أي : يعاني من وضعه الصعب.

١٢٢– تخفس، أي : تنهار.

ولدى، هيك ما بصير ! بدنا نعمل لنا حركه، انا واياك، نخلى اهل سوقيه بيبرص تضجر[١٢٣]، من شان خالك ! قال له : يعنى اشلون هل حركه ؟ قال له القاضى : نعمل ميزان شيطانى، تاخذه وتروح على سوقيه بيبرص، وتعير اواقهم وتنقصهم، وتصير تضربهم عصى، وتمسمرهم، وانت لاحد يقدر يشتكى عليك ! فقال له : هات الميزان حتى شوفه.

قال... فطالعه القاضى، ارجاء اياه، فاخذه قراجق وتمايزه، وقال له : احكيلك، يا قاضى، باين عليك انك مانك مسلم، ولا بقلبك شفقه ! وزعل قراجق، وصار يتخلق[١٢٤]، فضحك القاضى، وقال له : لا تزعل !



١٢٣– تضجر، أي : يملون من الإزعاج الناتج عن هذه الحركة (فينتقلون إلى السوق الأخرى) .
١٢٤– يتخلق، أي : يغضب ويفقد أعصابه.

فهرس الموضوعات

Cet ouvrage a été composé
par la cellule des publications de l'IFEAD,
photogravé par AL-CHARIF CENTRE
et achevé d'imprimer par ALEF BA AL-ADIB

(imprimé en Syrie, juin 2000)



P.I.F.D. 182
I S B N 2-901315-59-3